الفيصل

مجلة ثقافية شهرية العدد (١٩١) - جمادى الأولى ١٤١٣هـ (نوفمبر) ١٩٩٢م

AL FAISAL MAGAZINE ISSUE. (191) November 1992

المآذن في آفاق المدن الإسلامية

○ أول مئذنة عُرِفَتْ في مسجد عمر بالجوف

الذكاء.. كيف نُعلّمه؟!

"لابد من النظرة الفاحصة لتراثنا الفكري"

محمد العربي الخطابي

في الرياض كان للبنات كتاتيب

الجزء الأخير من كتاب زاد

الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام والمسلمين

أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف

وغفر له إنه على كل شيء قدير



الفيصل

AL-FAISAL MAGAZINE
مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية
MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

رئيس التحرير
د. زيد بن عبد المحسن الحسين

مجلة الفيصل ـ العدد (١٩١) ـ جمادى الأولى ١٤١٣هـ ـ السنة (١٦) ـ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٢م

إطلالة

الهُويَّة وحراسة التاريخ

الاحتفالات الدائرة على قدم وساق هذه الأيام في العالم الجديد في ذكرى مرور خمسمائة سنة على اكتشاف الأمريكتين؛ يتزامن معها ـ هناك ـ رفض قاطع لهذه الاحتفالات من جانب السكان الأصليين الهنود في أنحاء البلاد جميعها، ومطالبة مستمرة بحقوقهم التي ضاعت على يد الرجل الأبيض فوق هذه الأرض منذ خمسة قرون.

فمنذ أن وطأت قدما سلفادور فرناندو زاكو (الشهير بكريستوفر كولومبوس) أرض العالم الجديد في مثل هذا الشهر منذ ٥٠٠ سنة (١٢/ ١٠/ ١٤٩٢م) والمعارك لم تتوقف بين الرجل الأبيض الوافد وأصحاب البلاد الأصليين الذين يتمسّكون بأرضهم ويرفضون مبدأ التعويضات، ويرفعون شعارات تطالب بحقوقهم والمحافظة على ثقافاتهم، ولم تهدأ هذه المعارك التي أصبحت تقودها لجان منظمة في أنحاء الأمريكتين منذ عشر سنوات وضمّت كثيرين من مؤيدي الهند من سكان البلاد، من بينهم الجواتيمالية ريجوبرتا منشو (٣٣ عاما) التي تعيش في منفاها في المكسيك منذ أحد عشر عاما وتدافع عن حقوق السكان الأصليين في العالم الجديد، والتي أصبحت حديث الدوائر الإعلامية بعد حصولها منذ أيام على جائزة «نوبل» للسلام تقديرا ـ كما تقول الجائزة ـ «لكفاحها المستميت من أجل الدفاع عن السكان الأصليين»، فقد وضعت الجائزة ـ بغضّ النظر عن دوافعها وأهدافها ـ قضية هنود الأمريكتين في الضوء من خلال الفائزة بها هذا العام، بل وجعلتها ـ القضية ـ منافسا إعلاميًّا للاحتفالات الدائرة في العالم الجديد بمناسبة اكتشافه قبل خمسة قرون.

إن مفارقة ما يحدث على الأرض الجديدة هذه الأيام من احتفالات تعم أنحاء القارة من جانب، ورفض الهنود من سكان البلاد لهذه الاحتفالات وإدانة اكتشاف أرضهم على يد الرجل الأبيض من جانب آخر، ألا تدفعنا هذه المفارقة إلى التساؤل عن الذين يحركون هذه الاحتفالات والتمعّن في شعاراتها عن التقدم والتطور والرفاهية؟! أوَلاَ تؤكد أن حراسة التاريخ ـ وليس اجتراره ـ مهمة لدرجة «الحياة أو الموت» بالنسبة لأي شعب من الشعوب حفاظًا على ثقافته وشخصيته وهويته؟!

فالإنسان لا يتكيف تمام التكيف مع واقعه ولا يستشرف مستقبله إلا من خلال معرفة تامة بماضيه وفهم أكيد لحاضره وتطلع واثق طموح لغده، أمّا دون ذلك يصبح هذا الإنسان بلا هوية تتقاذفه أهواء وتتلاطمه أمواج لا يقوى على الوقوف أمامها.

وسواء كان «كولومبس» يهوديا وجاسوسا برتغاليا لدى الأسبان [كما كشف عن ذلك مواطنه المؤرخ والباحث البرتغالي أوغستو ماسكارينهاس باريتو ـ منذ سنوات ـ في كتابه «البرتغالي كريستوفر كولومبس العميل السرّي»] وأبحر نحو الشرق ليخفي عن مدريد الطرق البحرية إلى إفريقيا والهند، أو أن الاحتفال حلقة منظمة تحت شعارات برّاقة تحرّكها أغراض خفيّة لصرف أنظار العالم عن حقيقة ما يجري فيه؛ فسيبقى تمسّك الهنود من سكان البلاد الأصليين في العالم الجديد بهويتهم ومحاولاتهم المستميتة للمحافظة على ثقافتهم درسًا جديرًا بتأمله والوقوف أمامه، فقد أثبت هذا الدرس ضرورة تشبث أية أمة بثقافتها باعتبارها ـ أي الثقافة ـ تاريخ حياتها، وأهمية حراسة تاريخها على أساس أن هذا التاريخ حلقات متصلة لابد من صونه من عبث العابثين.

كما تثير لنا هذه الاحتفالات ورفضها ـ من جانب سكان البلاد الأصليين ـ قضية في غاية الأهمية، تتمثل في إهمالنا جهودنا المتعددة في مجالات متعددة وعلى مدى تاريخ أعمق، وإلا فمن فكّر في جهود العرب المسلمين في الوصول إلى العالم الجديد قبل وصول كولومبس إليه بأكثر من مئة عام؟

ألم تذكر الوثائق المحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس وصف ابن الوردي (٦٩١ ـ ٧٤٩هـ / ١٢٩٢ ـ ١٣٤٩م) لأمريكا واعتراف كولومبس نفسه ـ كما يذكر مؤرخو الغرب ـ بأن العرب في مصنفات بعض علمائهم هم الذين أوعزوا إليه بوجود قارة جديدة وراء المحيط؟! ألم يذكر علماء الأجناس وجود تجمعات عربية في تلك البلاد البعيدة وشيوع كلمات عربية في لغات الهنود الحمر؟ والأهم من ذلك عدم وجود صيحات عداء ضد المسلمين بل ترحيب بهم ومشاركتهم آمالهم وطموحاتهم.

ألا يدل ذلك على أن ثقافتنا الإسلامية ثقافة إنسانية عالمية صالحة لكل زمان ومكان، وأن التقصير من المسلمين أنفسهم على الرغم من موروثهم الثقافي المتميز؟

د. زيد بن عبد المحسن الحسين

ملاحظات عامة

□ أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والأصالة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

□ ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

□ أن يكون مطبوعًا أو مكتوبًا بخط واضح، وبلغة صحيحة وأسلوب سليم.

□ حين ترد المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

□ أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري ـ إن وجد ـ وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

□ تسلسل نشر الموضوعات تحكمه اعتبارات فنية.

□ الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

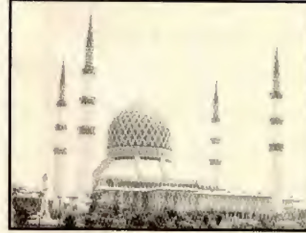
□ يجوز الاقتباس من موضوعات المجلة أو إعادة النشر دون إذن مسبق على أن تُذكر كمصدر.

□ ترحب المجلة بتعليقات القراء ومناقشاتهم لما يُنشر فيها.

في هذا العدد



ص ٣٦ طريق الحرير شريان الثقافة والتجارة بين الشرق والغرب يعود للحياة من جديد.



ص ٦٧ المآذن من سمات المعمار الإسلامي، تطل باسقة في آفاق المدن الإسلامية.



ص ٨٣ الوعل حيوان جبلي استأنسه الفراعنة، وأُهدي إلى أهل مكة.



ص ٨٦ منذ القدم والإنسان يسعى لتسخير البحار لخدمته، فكانت علوم البحار.

الفيصل

● المراسلات
مجلة «الفيصل» ص. ب: (٣) الرياض: ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية.
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ - تلكس: ٤٠٢٦٠٠ DRFATHSJ - فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١.

● أسعار بيع النسخ في البلاد العربية:
المملكة العربية السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٠٠ فلس - الإمارات العربية المتحدة ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٦٠٠ فلس - سلطنة عمان ٦٠٠ بيسة - الأردن ٤٠٠ فلس - الجمهورية اليمنية ٦ ريالات - مصر ١٠٠ قرش - السودان ١٠٠ قرش - المغرب ٥ دراهم - تونس ٥٠٠ مليم - الجزائر ١٠ دنانير - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ١٠ ليرات - ليبيا ٨٠٠ درهم.

● أسعار الاشتراكات السنوية:
للأفراد ١٥٠ ريالاً سعوديًا لغير الأفراد ٢٥٠ ريالاً سعوديًا ترسل قيمة الاشتراكات باسم مجلة «الفيصل»

● الإعلانات يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة

● **ALL CORRESPONDENCE TO:**

AL-FAISAL MAGASINE P.O. BOX (3) RIYADH 11411 - SAUDIA

Tel. 4653026 - 4653027, Telex: 402600 DRFATH SJ, Telefax: 4647851.

● **EUROPE - AMERICA - ASIA:**

Norway NKR30 - Pakistan RS15 - Portugal ESQ100 - Spain PTS150 - Sweden SKR30 - Switzerland SF6 - United Kingdom £ 2 - U.S.A. $5 - Belgium BF200 - Denmark DKR30 - Finland FMK30 - France FF15 - F.R.G. DM10 - Greece DR200 - Italy L4000 - Netherlands DFL10

● **ANNUAL SUBSCRIPTION RATES:**

Personal Subscription S.R. 150
Others S.R. 250

Payable to AL-FAISAL MAGAZINE



وقفت مرة ـ في إحدى المناسبات الاحتفالية ـ أمام حشد من أشقائنا الأدباء العرب، وتساءلت:

« . . . ولكن . . هل الأدب الذي ينتج في بلادنا لم يُعرف حقا خارج الحدود؟ وهل من المعقول أن يظهر العشرات من الشعراء والكتاب في الحجاز ونجد والأحساء والقطيف وحائل وجازان وعسير على مدى نصف قرن أو يزيد ـ تطبع دواوينهم وتنشر آثارهم، نعجب بهم ونتحدث عنهم، دون أن يسمع بهم أحد من جيراننا في الأقطار العربية الشقيقة؟ أوليس من المؤسف حقا أن يموت العواد وشحاته والقنديل والفلالي، وأخيرا السباعي (كان ذلك قبل سنوات) من غير أن يحس بهم أحد في البلدان المجاورة، أما حين يموت السياب أو خليل حاوي أو أمل دنقل، فإننا نقيم هنا الدنيا ولا نقعدها، تأبينًا ورثاء، كما نـدبج عشرات المقالات تحليلاً وتشريحًا؟ هل انتشار الأدب خارج حدوده الإقليمية يرجع إلى قيمته الفنية، أم إلى وسائل ذيوعه وانتشاره، أم إلى وعي القارئ وثقافته، أم إلى كل هذه العوامل مجتمعة، وعوامل أخرى لم نذكرها؟[1]».

وهأنذا أعود إلى هذه التساؤلات مرة أخرى، لأن أحدا لم يجب عنها حتى الآن؛ إما لصعوبتها الشديدة، أو لسهولتها المتناهية أو لسذاجتها وعدم أهميتها. ولكن العجيب حقا أن مثل هذه التساؤلات كانت تطرح في بلادنا منذ زمن بعيد. ومن الاستفتاءات الطريفة التي طرحتها «المنهل» على نفر من الأدباء والمفكرين، سنة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م: «**هل يصلح أدبنا الحديث للتصدير أم لا؟ وإذا كان لا يصلح فكيف نجعله يصلح؟**[2]» وربما وجدنا الآن في صيغة ذلك الاستفتاء شيئا من التهكم، وربما اختلفنا في هذا الزمان فيمايصلح وما لا يصلح ولكنني واثق أن الأستاذ **عبد القدوس الأنصاري** رحمه الله ـ كان جادًا كل الجد آنذاك، وقد كان الأمر مهمًا قبل الحرب وبعدها، ولا يزال كذلك حتى وقتنا الراهن.

وغني عن القول، إنني لن أستطيع الإجابة هنا عن كل هذه التساؤلات، بما فيها استفتاء «المنهل» الذي طرح، برغم فقرنا المدقع في الإنتاج الأدبي وفي الإنتاج عموما، قبل حوالى خمسين عاما، **ولكنني سأحاول الإجابة فقط عن الموضوع الأساسي في هذا البحث، وهو الكيفية التي نظر بها أشقاؤنا العرب إلى أدبنا المحلي**، مع التأكيد على أمر لا يحتاج إلى تأكيد، وهو أن هذا الأدب، الذي نحتشد له ونحدب عليه، لا يعدو أن يكون جزءا صغيرا من الأدب الحديث الذي ينتج في كافة الأقطار العربية، فهو فرع من شجرة كبيرة وارفة، وقد عبرت عن هذه «الكيفية» بالعين، مراعيا جانب الرؤية المادية والمعنوية.

وقسمتها إلى ثلاثة عيون: عين السائح، وعين الباحث، وعين الصديق، وهذا التقسيم لا يعني حدوداً نهائية، بقدر ما يعني التطور الزمني من ناحية، وقيمة هذه النظرة وأهميتها من الناحية الأخرى. عين السائح كما تجلت في كتب الرحلات العربية الحديثة، وعين الباحث، كما نجدها في البحوث الموضوعية الجادة، وعين الصديق، كما تتجسد في المقدمات الإخوانية والأعمال المماثلة. وسنمثل لكل عين من هذه العيون بأمثلة مناسبة توضح ما نقصده بهذا التقسيم، الذي مع ما يبدو من صرامته، لا يستبعد كذلك تداخل الرؤى، وتداخل الأمثلة.

بنت الشاطئ اعتذرت عن الإهمال الذي لحق بأدب المملكة وأدبائها من أشقائهم العرب


المازني

أولاً: عين السائح

لابد أن نؤكد هنا أن أول من عرّف بالحياة في بلادنا هم إخواننا العرب الذين قدموا في أوقات متفرقة من تاريخنا الحديث ـ ناهيك عن التاريخ القديم ـ للحج والزيارة أو لأغراض أخرى، فكتبوا أطرافا مما شاهدوا أو سمعوا، وإن كان حظ الأدب في هذه الكتابات قليلا لا يذكر. كانوا منشغلين ـ في أواخر العصر العثماني والهاشمي في الحجاز ـ بمشكلات الطرق وقضايا الأمن، وإن وصفوا المواضع والآثار وعادات السكان في المدن والقرى، أو تطرقوا إلى بعض الأمور السياسية أيام احتدام الثورة العربية سنة ١٩١٦م.

ومن الرحّالة العرب في أواخر العهد العثماني **إبراهيم رفعت** الذي صوّر في كتابه (**مرآة الحرمين**) وقائع رحلاته الأربع إلى الديار المقدسة، إذ كان أميرا للحج المصري خلال السنوات ١٣١٨هـ و ١٣٢٠هـ و ١٣٢١هـ و ١٣٢٥هـ (الموافق ١٩٠١، ١٩٠٣، ١٩٠٤، ١٩٠٨م)، وكذلك **محمد لبيب البتانوني، في كتابه (الرحلة الحجازية)، وكان قد قدم إلى الحج في معية الخديوي عباس** سنة ١٣٢٧هـ (١٩٠٩، ١٩١٠م)، وقد أمره الخديوي «بوضع شيء عن هذه الرحلة المباركة». وكلا المؤلفين ليس لديهما اهتمام كبير باللغة ولا بالأدب، وإن كانا قد أشارا إشارات طفيفة إلى لهجات بعض القبائل وأشعارها.

ولعل أشهر رحلتين في أواخر العهد الهاشمي، هما رحلة **خير الدين الزركلي** في (**مارأيت وما سمعت**)، سنة ١٩٢٠م، ورحلة **أمين الريحاني (ملوك العرب ـ أو رحلة في البلاد العربية)** سنة ١٩٢٢م. وكلاهما أديب وشاعر كما هو معروف. ولكن **الزركلي** كان مهتما بالمخطوطات وتحقيق المواضع والآثار. وقد أتاحت له رحلته إلى مدينة الطائف أن يتحدث عن الكثير من معالمها وآثارها، كما تحدث عن البدو وآدابهم. وأما **الريحاني** فقد قدم لمهمة سياسية، لم تقتصر على الحجاز بل شملت كذلك تهامة وعسيرا ونجدا واليمن والكويت والنواحي التسع المحمية . . . إلخ.

رحلات متنوعة

وعلى الرغم من النزعة الأدبية عند كل من **الزركلي والريحاني**، كما أشرنا، فإنهما لم يتحدثا عن أدباء تلك الفترة، اللهم إلا ما ذكره **الزركلي** عن جريدة «**القبلة**» وإنها كانت لسان حال **الشريف حسين**، وقد ذكر من رؤساء تحريرها **محب الدين الخطيب وفؤاد الخطيب والطيب الساسي**، كما تحدث عن بعض الشعراء التقليديين الذين التقى بهم مصادفة في مدينة الطائف وأورد لهم جملة من القصائد الضعيفة. وكذلك **الريحاني**، فإنه لم يجد في كافة أنحاء الجزيرة العربية من الأدب ما يستحق الذكر. يقول عن الشعر في نجد: «لا يزال للشعر مقام في نجد وإن رثت حواشيه وتفاقم اللحن فيه. .»، ويقول عن منطقة جازان ـ وكانت تحت حكم الأدارسة في ذلك الوقت ـ إنها «تخلو من الشعراء الذين يستطيعون النظم بالفصحى، وقد كانت قبل ذلك تعج بالأدباء والشعراء».

أما الرحلات العربية في أوائل العهد السعودي فقد كثرت وتنوعت، وإن اقتصر معظمها ـ بين الحربين ـ على الأماكن المقدسة، ولم يتعدها إلى المناطق الأخرى. ومن أهم هذه الرحلات: رحلة **إبراهيم عبد القادر المازني: (رحلة إلى الحجاز)** سنة ١٩٣٠م، ورحلة **الأمير شكيب أرسلان: (الارتسامات اللطاف)** سنة ١٩٣١م، ورحلة **علي الطنطاوي: (من نفحات الحرم)** سنة ١٩٣٥م ورحلة **محمد حسين هيكل (في منزل الوحي)** سنة ١٩٣٧م ورحلات **عبد الوهاب عزام** فيما بين سنتي ١٩٣٧م و١٩٤٨م، ورحلة **بنت الشاطئ (أرض المعجزات)** سنة ١٩٥١م.

ومع أن هذه الرحلات جميعها قد صادفت ظهور الصحف والمجلات في بلادنا ـ أي بداية تكوّن الأدب الحديث ونشره في جرائد «**أم القرى**» و«**صوت الحجاز**» و«**المدينة المنورة**» و«**البلاد**» و**مجلة «المنهل»** فإن أحدا من أولئك الرحالة الأدباء لم يتوقف عند تلك الحركة النشيطة الناشئة، ولم يشر أو يسجّل شيئا مما أبدعه روادنا الشباب في تلك الفترة، سوى ما ذكره **هيكل** من لقائه ببعض الشباب المثقف في الحجاز، وربما كانت **بنت الشاطئ** ـ التي قدمت إلى المملكة في فترة متأخرة نسبيا ـ **أكثرهم اهتماما بالنشاط الأدبي** فكتبت صفحات قليلة عن بعض أدباء المنطقة الشرقية وأوردت نماذج من إنتاجهم. وقد

من كتّاب العدد

● أ. د. منصور إبراهيم الحازمي.
ـ من مواليد مكة المكرمة سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م).
ـ تولى عمادة كلية الآداب بجامعة الملك سعود (من عام ١٣٩٣ ـ ١٣٩٦هـ) وعمادة مركز الدراسات الجامعية للبنات (من عام ١٤٠١ ـ ١٤٠٤هـ).
ـ يرأس قسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود من عام ١٤٠٥هـ.
ـ أسس مجلة كلية الآداب بالجامعة ورأس تحريرها عدة سنوات.
ـ عمل عضوا باللجنة العليا للتخطيط الشامل للثقافة العربية بجامعة الدول العربية.
ـ عضو النادي الأدبي بالرياض.
ـ مثّل المملكة في عدة مؤتمرات محلية وعربية وعالمية.



ـ من مؤلفاته:
الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث / أشواق وحكايات/ محمد فريد أبو حديد: كانت الرواية / مواقف نقدية / معجم المصادر الصحفية لدراسة الأدب والفكر في المملكة / في البحث عن الواقع / فنّ القصة في الأدب السعودي الحديث.

اعتذرت بنت الشاطئ، في كلمات رقيقة، عن الإهمال الذي لحق بأدب المملكة وأدبائها من قبل أشقائهم العرب، ، ومما قالته: «كم تألّمت وأنا أصغي إلى حديث أدباء «القطيف» عن معاركنا النقدية ومذاهبنا الفنية، كم خجلت وأنا أرى في أيديهم كتبنا ومجلاتنا، نحن الذين لا نشعر بهم أو نلقي إليهم بالا . . . »(٣).

تاريخي فقط . . لماذا؟

ونلاحظ على هذه الرحلات التي امتدت ـ كما رأينا ـ على مدى النصف الأول من القرن الحالي، **أن أصحابها لم يهتموا كثيرًا بالجانب الثقافي المعاصر للبلاد، بل كان جل اهتمامهم بالجانب التاريخي الذي يذكّرهم بالماضي المجيد لهذه الأمة، والتي ينتمون إليها لغة وثقافة وعقيدة.** ولهذا فإن ذلك الماضي هو الذي يشدهم ويغريهم، أما الحاضر فيصيبهم بالحزن والكآبة، وهم عندما يكتبون عنه، فإنما يكتبون عن عالم قديم مغلق مجهول يودّون إعادة اكتشافه.



ارسلان

الطنطاوي

ويكاد يجمع هؤلاء الرحّالة على الإحساس بعزلة الجزيرة العربية وتخلفها وغموضها. **يقول البتانوني**: «إن هذه البلاد غير معروفة للآن كما يجب لذوي البصيرة والعرفان»(٤). **ويذكر الريحاني** أن الأمهات في لبنان كنّ يخوّفن أولادهن بقولهن: «هس جا البدوي، والبدوي والأعرابي واحد، إذا رامت الأم بعبعا تخوّف به أولادها »(٥)، **ويشير هيكل** إلى الإهمال الشديد الذي لحق بالجزيرة العربية من قبل الباحثين في العصور المتأخرة، وذلك لتأخرها وضعف شأنها «شأن الناس إذ يرغبون عن كل ما انطفأ بريقه وإن حوى في طياته أثمن النفائس»(٦). **ويقول الزركلي** إن أكثر الرحلات العربية لم تُعن بغير المدينتين المقدستين وما بينهما، مما له علاقة بفريضة الحج، وهكذا أهمل الطائف وغيره مما لا صلة له بالفريضة(٧). **وتقول بنت الشاطئ**: «إنه طوال الأربعة عشر قرنا الماضية كانت آلاف الحجاج تصل إلى المدينتين المقدستين، ولكنهم ما كانوا يتخطّون حدود الحجاز إلى نجد وبقيت الصحراء خلال تلك القرون قائمة هناك بكل صمتها العميق وسرّها المَصُون . . . »(٨).

ونرى أن أكثر ما توقّف عنده هؤلاء الرحالة بعض المظاهر التي تتناسب مع العزلة والتخلّف والجهل، وعلى رأسها اللغة والأدب الشعبي. أمّا اللغة فلدّلالة على ما لحق الفصحى من تدهور خلال العصور المتأخرة، فقد أورد **إبراهيم رفعت** عدة نصوص من خطابات بعض مشائخ القبائل ليلفت القارئ إلى البون الشاسع بين لغتهم ولغة أسلافهم: «وإنما ذكرنا لك هذا الكتاب بنصه كما ذكرنا أمثاله لنقفك على لغة العرب وكتابتهم الآن وأين هما من لغة أسلافهم الأقدمين الذين بلغوا من الفصاحة غايتها»(٩). ويسمع **البتانوني** إحدى الأغاني البدوية فيقول: «إن هذه الأغنية لا يكاد يعرفها من يسمعها لأنها أقرب إلى الرّطانة منها إلى العربية»(١٠). علما بأن هذه «الأغنية» التي يوردها **البتانوني** ليست سوى «كسرة» غزلية جميلة، واضحة اللفظ رقيقة المعنى، ولا تزال معروفة يردّدها الناس حتى اليوم:

«يا حبيبي لو ترى حالي ... واللّي جرى لي بعد فرقاك
والله ما غبت عن بالي ... ولا نسيت المصافا ذاك»

وإذا كان هذا الفريق من الرحّالة العرب قد وقف موقف المستهجن من بعض لهجات القبائل التي سمعها في أنحاء بلادنا، لأنها تخالف لهجته، أو لأنه لم يتعوّد سماعها، وقد خاب ظنه في أحفاد امرئ القيس وزهير والنابغة، فإن هناك فريقا آخر كان أكثر موضوعية وواقعية في إدراكه لحتمية التغيير الذي لا بد أن يطرأ مع مرور الزمن على أية لغة في مفرداتها وتراكيبها ومخارج ألفاظها، وها هو **الريحاني** يتوقف طويلا عند الكثير من المفردات والمصطلحات والأمثال التي سمعها من أفواه من قابلهم من النجديين، يسأل عن مدلولاتها ومعانيها، ويسجلها كما هي، مع شرحها، تقريبًا لفهم القارئ(١١). كما يورد **الريحاني** بعض مقطوعات الشعر النبطي مع شرحها وتمثيل مجالس المترنّمين بها. ونحس بالتعاطف الشديد الذي يبديه **الريحاني** نحو هذا اللون من الشعر والسمر(١٢).

وكذلك يفعل **الزركلي** في تسجيله بعض مفردات اللهجة الحجازية؛ على أنه قد توسّع أكثر من الريحاني في اهتمامه بالشعر البدوي الذي سمعه في مدينة الطائف، فكتب فصلا طويلا بعنوان: **«شعر البُداة»** أورد فيه نماذج مما كان يسمى آنذاك بالشعر **«الحُمَيْني»**، وشرح الكثير من ألفاظه ومعانيه(١٣). **وقد بيّن الزركلي أنواع الشعر البدوي،** وذكر أنهم يقسمونه إلى قسمين: **«القريض» وهو «الصحيح الأوزان واللغة»، وما هو غير ذلك ويسمونه «الحميني»،**



عزام

لماذا
لم تهتم
الرحلات العربية
بغير المدينتين المقدستين
وما بينهما، مما له علاقة بالحج؟!

السُوّاح نظروا إلى أدبنا بعين تبحث عن المدهش والغريب دون بحث أو دراسة


عبد الله بن خميس

ويسمون المساجلة بين شاعرين «قصيدًا»، بينما يسمون القصيدة الطويلة أو القصيرة «نشيدًا»، أما القصائد على إطلاقها فيسمونها «مجالسيات». **وقد أدرك الزركلي أهمية الشعر البدوي على الرغم من افتقاره إلى الإعراب، ذلك لأنه لا يختلف عن الشعر العربي القديم من حيث هو «شعور في النفس يترجم عنه اللسان»**[١٤]. فالبدوي - كما يقول : «لا يزال اليوم يسامر الآثار ويصف السحاب وينعت الجبال أو يحنّ إلى حبيب أو يبكي لفراق أو يرثي كريمًا أو يمدح عظيمًا، فترى فيه روح ذلك الشاعر البدوي الذي كان يقصد عكاظا قبل أربعة عشر قرنا، حاملا في صدره ما قال من وصف أو حنين أو رثاء أو مديح»[١٥]. ويقول الزركلي : «إنه ليس من المستغرب أن يستخدم البدوي في زماننا هذا اللغة العامية الشائعة التي يعرفها، كما كان البدوي في العصر الجاهلي يستخدم اللغة الشائعة المتداولة في أيامه . **ويأسف أن أحدًا لم يهتم بتسجيل الشعر البدوي، فضاع بذلك تاريخ وشعر كثير»**[١٦].

لقد لفت الزركلي الأنظار، ولأول مرة فيما أعلم في تاريخنا الحديث، إلى أهمية هذا اللون من الأدب «البدوي» أو «الشعبي»، ولا أظن أن أحدًا قد اهتم كثيرا بما كتبه في ذلك الوقت، ولكننا سنجد بعد أكثر من ثلاثين عامًا بدايات اهتمام أدبائنا وباحثينا بهذا الأدب، وعلى رأسهم **عبد الله بن خميس** في كتابه **(الأدب الشعبي في جزيرة العرب)**، سنة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م. وأظن أن **الزركلي كان الرائد الحقيقيّ والسبّاق إلى الكتابة عن الأدب الشعبي في هذه البلاد**.

وبالإضافة إلى **الريحاني والزركلي**، فقد حاول بعض الرحالة البحث عن أوجه الشبه بين لهجات بعض القبائل الحالية ولهجات أسلافهم من العرب القدماء، كما نرى في ملاحظات **شكيب أرسلان** عن لهجات ثقيف وهذيل[١٧]، **وكما نرى أيضا في اهتمام عبد الوهاب عزام ببعض المفردات والظواهر اللهجية في نجد - ولا سيما أسماء النباتات** التي تتردّد في كتب الأدب القديمة والتي لا تزال حيَّة مستعملة عند أهل البادية، **يقول: «فإذا أراد علماء النبات عندنا أن يعرفوا الأسماء العربية لما يدرسون فسيجدون في البادية كل ما يبتغون»**[١٨].

ونلاحظ مما سبق أن عين السائح بطبيعتها عين سريعة، تخطف الأشياء خطفا وتسجلها عفوا، تبحث عن المدهش والغريب، ولا تصل إلى أحكامها نتيجة البحث والدراسة، بل غالبًا ما تنطلق من تصورات ذاتية، وأحكام مسبقة وظروف خاصة. ومعظم السوّاح الذين ذكرناهم لم يقدموا إلى بلادنا بدافع الحب أو البحث عن الحقيقة، بل جاءوا قدرًا، إما بصفتهم الرسمية، كما هو الحال عند رفعت والبتنوني، أو لمهمة سياسية، كما هو الحال عند الريحاني والزركلي، أو بدعوة من الحكومة، كما هو الشأن في رحلات أرسلان والمازني وبنت الشاطئ وهم من هذه الناحية يصعب مقارنتهم بأسلافهم من الرحالة العرب القدماء، من أمثال **ابن جبير وابن بطوطة**، بل ولا بالرحالة الأجانب الذين جابوا الجزيرة العربية طولاً وعرضا منذ قرون مضت، ولقوا في سبيل الوصول إلى الحقائق، أو ما يظنونه حقائق، الكثير من الجهد والعنت. أما من الناحية الإبداعية الخالصة، والقدرة على تصوير المشاهد واستبطان النفوس البشرية، **فستظل رحلة الريحاني - في تقديري ـ سيدة الرحلات العربية قديمًا وحديثًا**.

(يتبع)

هوامش

الفيصل : أساس هذه الدراسة محاضرة ألقاها د. الحازمي في أبها ضمن فعاليات ملتقاها الثقافي لهذا العام.

(١) انظر: لمحات من أدبنا السعودي المعاصر، وهي المحاضرة التي ألقيتها في جامعة الملك سعود بمناسبة الحفل الثاني لجائزة الدولة التقديرية في الأدب لعام ١٤٠٤هـ - وقد طبعتها الرئاسة العامة لرعاية الشباب (مطابع نبراس، الرياض، ١٤٠٥هـ)، ص ٦.

(٢) انظر : الكتاب الفضي - المنهل في ٢٥ عاما. (١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م)، ص ١٠٩ - ١١٠.

(٣) لقد اعتمدت في هذا الجزء من البحث على ما سبق أن كتبته في «لمحات من أدبنا السعودي المعاصر»، ص ٦ - ٨.

(٤) الرحلة الحجازية (ط٢، القاهرة ١٣٢٩هـ) المقدمة، ص ٥.

(٥) ملوك العرب - أو رحلة في البلاد العربية (مطابع صادر، ط ٣ بيروت ١٩٥١م) جـ١، ص ٩.

(٦) في منزل الوحي (ط١، القاهرة ١٩٣٧م)، ص ٩ - ١٠.

(٧) ما رأيت وما سمعت (المطبعة العربية ومكتبتها بمصر، ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٣م) ص ٤٧ - ٤٨.

(٨) أرض المعجزات (القاهرة، ١٩٥٢م)، ص ٢٦.

(٩) مرآة الحرمين (مطبعة دار الكتب المصرية، ط١، القاهرة ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م) ص ٣٢١.

(١٠) كتابه السابق، ص ٢١٦ - ٢١٧. يقول الأستاذ عبد الرحيم الأحمدي - في كتابه (ألف كسرة وكسرة) - عن هذه «الكسرة» إنها «رسالة موجزة ولكنها تشكل صورا وتحمل معاني عديدة، فهي تصف الحال اللوعة، وحضور الحبيب وذكريات صفو المحبة، كل ذلك في أسلوب فيه الإشفاق وألم الفراق كما ارتفع بمستواها الفني». ص ٣٨. وما قاله البتانوني عن هذه «الكسرة» شبيه بما قاله هيكل وقد سمع شعرًا بدويا في بعض نواحي الطائف ولم يفهمه، فوصم لغة البدو بـ «الرطانة» التي لا يصل بينها وبين العربية الأولى نسب». (في منزل الوحي) ص ٣٥٦.

(١١) كتابه السابق، انظر مثلا الصفحات : ١٤, ٣٣، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٣، ٤٧، ٤٩، ٥٤، ٥٦، ٦٢، ٦٨، ٨٤.

(١٢) يقول الريحاني - على سبيل المثال: «وبينما كنا عائدين تلك الليلة إلى الخباء مررنا بحلقة من حلقات الربع حول نار مشبوبة، يؤمها كل من يبغي القهوة من الخدم والسادة، فكانت حافلة عامرة تباري النار تأججاً واللهيب حنينا. فأفسحوا لنا مكانا، وهم يواصلون قص القصص ويروون من الأشعار ما يفصح عما فيهم من الشوق والحنين، فيردد الجلوس آخر كلمة من كل بيت وفيهم طرب يمازجه الغم:

يااليتني حرّته أحمل زهابه وماه الجلوس : وماه

يا ليتني مهرته وزبنّه من عداه الجلوس : عداه

انظر (ملوك العرب، جـ٢، ص ٦٨ - ٦٩).

(١٣) كتابه السابق، ص ١٦٥ وما بعدها.

(١٤) المرجع السابق، ص ١٦٢.

(١٥) المرجع السابق، ص ١٦٣.

(١٦) المرجع السابق، ص ١٦٣.

(١٧) الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف (د.ت ١٩٣١م؟)، ص ٢٦٣ - ٢٦٧.

(١٨) مهد العرب (ط١/ ١٩٤٦م)، ص ٢٣٢.

في عهد الملك عبد العزيز:

الكتاتيب ودورها الثقافي في نجد

د. محمد بن عبد الله السلمان

يمكن أن يطلق على التعليم في الكتاتيب «التعليم الأوّلي» لأنه كان يعتبر أولى درجات التعليم، كما أن ما يتعلمه الطالب في هذا النوع من التعليم يُعد من أولويات اللغة العربية من قراءة وكتابة ومبادئ الحساب ونحو ذلك، وكان من المتعارف تسميتها بالكتاتيب (جمع كتّاب). وقد كان أول ظهور الكتاتيب في العالم الإسلامي هو نهاية القرن الأول أو مطلع القرن الثاني الهجريين [١]، واستمرت منذ ذلك الحين تؤدي دورها في محاربة الجهل والأمية حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري حيث بدأ يحل محلها مدارس التعليم الحديث في نجد. ومع ذلك فهي لم تكن تختلف عما كانت عليه في عصور الإسلام الأولى من تعليم الصبيان القراءة والكتابة وقراءة القرآن الكريم، كما أنها في نجد لا تختلف عما كانت عليه في أي بلد عربي [٢] في إطارها العام.

والكتاتيب في منطقة نجد متشابهة تماما من حيث أهدافها والمحتوى الدراسي المقدم فيها وطريقة التدريس ونحو ذلك.

فمن ناحية أهدافها، فهي تعليم طلابها القراءة والكتابة وتلاوة القرآن الكريم وحفظه ومبادئ الحساب وكذلك الإملاء والخط.

ولم يكن طلاب الكتاتيب يسيرون في دراستهم على وتيرة واحدة بل كانوا ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: قسم لا يستكمل دراسته فيها بل يقوم ولي أمر الطالب بسحب ابنه نظرا لحاجته إليه ليعاونه في أمور الحياة ويعينه على كسب الرزق [٣]، وقسم يستكمل دراسته في الكتاتيب ويكتفي بذلك ولا يزيد، وقسم لا يكتفي بل يتجه للزيادة في العلم عن طريق حلقات المساجد في بلده أو غيرها [٤].

مكان الدراسة ونظامها

أما من حيث مكان الدراسة فتكون في جزء من المسجد أو في إحدى زوايا أو في غرفة تبنى بجوار المسجد أو في جزء من مكان عام أو في منزل المدرس نفسه (المطوع) أو يستأجر بيتا بجانب بيته [٥].

أما مدة الدراسة فهي لا ترتبط بمدى زمني معين وإنما تعتمد على جهد الطالب واستعداده وإدراكه [٦]، وعموما فهي لا تقل عن أربع سنوات في الغالب [٧].

والدراسة كانت على فترتين: صباحية من الصباح إلى الظهر، ومسائية من الظهر إلى العصر



الكتاتيب ودورها الثقافي في نجد

أو من العصر إلى المغرب وذلك حسب ظروف «المطوع». ومدة دراسة كل فترة تتراوح بين ساعتين إلى ثلاث ساعات، وتستمر الدراسة طوال العام صيفا وشتاء ولا تعطل سوى أيام الأعياد[٨]. وبهذا نعرف أن فترة الدراسة طويلة مما يجعل هناك فرصة كافية للمدرس ليأخذ أكبر قسط من التعليم المناسب مع طلابه وبدون عَجَلة.

أما مُقرر الدراسة فهو تعليم مبادئ القراءة والكتابة بدءًا بحروف الهجاء العربية ثم التدرج في معرفة القراءة والكتابة وذلك حسب الطريقة البغدادية المشهورة التي تقوم على تعلم حروف الهجاء في حالات الفتح والكسر والضمة، كما يتعلم الطلاب تلاوة القرآن الكريم وحفظه، والتلاوة تكون لكامل القرآن في الغالب والحفظ لبعض قصار السور. كما يتعلم الطالب مبادئ في الحديث النبوي الشريف وفي الفقه والتوحيد وأصول الدين، ويعتبر كتاب الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبدالوهاب هو المعتمد في هذا الجانب. كما يدرس الطالب مبادئ قواعد اللغة العربية ومبادئ الحساب وعملياته الأربع (الجمع والطرح والقسمة والضرب)[٩]. ومن الأمور السلبية في دراسة الكتاتيب أن الحفظ كان عماد الدراسة فيها لا التفكير[١٠]، كما أن الطلاب لا يوزعون على فرق حسب درجات تفكيرهم وسنهم بل كانوا يجمعون في فرقة واحدة، وذلك لأنه ليس هناك إلا معلم واحد يتولى تدريس جميع المواد المذكورة آنفا.

أدوات الدراسة

كانت الكتابة تتم على ألواح من الخشب حيث إن الورق لم يكن متوافراً بشكل كبير في تلك الفترة. ويعد هذا اللوح النجار ويطلى بنوع من الطين الأبيض ويكون شكله مستطيلا ويكتب فيه حروف الهجاء العربية ليقوم الطالب بتقليد كتابتها[١٢].

أما الأقلام فتكون من أغصان الشجر وأعواد القصب، والحبر يصنع محليا من عدد من الأشجار. وقد يكتب المدرس على الأرض بإصبعه أو عصاه[١٣].

أما المدرس فليس له راتب معين من الحكومة أو الإمارة، وإنما ما يناله من أولياء أمور الطلبة من الصدقة أو الهدايا، إما نقدية وهي قليلة ونادرة أو عينة من المنتجات الزراعية أو الحيوانية[١٤] كالحبوب والتمور والأغنام ومشتقات الألبان، ويكثر دفعها في أوقات الأعياد.

أما عدد الطلاب وأعمارهم فيتفاوت حسب كبر المدينة أو القرية وكثافة سكانها، ويتراوح عدد الكتّاب الواحد من عشرة إلى خمسين طالبا، وإذا زادوا بلغوا مائة طالبا، وقد يرتفع عددهم عن ذلك كما حصل في كتّاب عبدالله بن إبراهيم السليم في بريدة عام ١٣٤٩هـ، حيث بلغ عدد طلابه ما بين ٢٠٠ و ٣٠٠ طالب[١٥]. كما تتعدد الكتاتيب في المدن الكبيرة مثل الرياض وبريدة وعنيزة وغيرها حيث يزيد عددها على عشرة كتاتيب بما فيها كتاتيب البنات في المدينة الواحدة[١٦]. أما أعمار الطلبة فهم متفاوتون في العمر، وعلى العموم فيتراوح عمر الطالب عند دخوله الكتاب من سبع إلى عشر سنوات وعند التخرج من إحدى عشرة إلى ست عشرة[١٧].

من كتاب العدد



- د. محمد بن عبدالله السلمان
- من مواليد عنيزة عام ١٣٧٤هـ ١٩٥٤م.
- ليسانس في التاريخ وماجستير ودكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- أستاذ مشارك ورئيس قسم التاريخ في كلية العلوم العربية والاجتماعية في القصيم.
- من مؤلفاته: دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية، رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، عنيزة بين الأمس واليوم.

أسلوب العقاب

أما علاقة المدرس بالطلاب فتقوم على الهيبة والخوف من جانب الطلاب لمدرسهم الذي يسمى في نجد بـ(المطوع) وفي مصر (سيدنا)[١٨]، ذلك أن المطوع كان ذا شخصية قوية على العموم عند طلابه ويستخدم أسلوب الضرب في توجيه طلابه، وقد يعاقب بعض الطلاب أشد العقاب باستخدام ما يسمونه (المشلة أو الجحيشة أو المسطعة) في ذلك الحين للضرب الشديد عن طريق ربط الأقدام وتنتهي بطرف مسطح يحدث صوتا عند الضرب به



في القدم[١٩]، وللمدرس (المطوع) السلطة المطلقة في الكتّاب فهو المعلم وهو المدير وهو المسؤول عن كل شئ فيه.

نشاطات غير منهجية

وهناك نشاطات أخرى للمدرس والطلاب غير التعليم ولها صلة بالعملية التعليمية. فالمطوع قد يقوم بنسخ الكتب خاصة إذا كان خطه حسنا وذلك مقابل أجر معين، وهذه الكتب تكون شرعية في الغالب، كما قد يقوم مع طلابه برحلات إلى خارج المدينة خاصة في وقت الربيع وتسمى محليا بـ(الكشتة)، أما الطلاب فقد يقومون ببعض

الألعــاب أثنــاء دراستهـم والتي لم تكن تنـــال استحسـان المطوع في الغـالب [٢٠]، كما أن لهم استراحـة أو فسحة قصيرة بين الـدرس يتناول فيهـا الطالب ما يحمله في جيبه من الطعام الصالح للنقل مثل التمر اليابس والأقط والكليجا والقديد والجراد وغيرها.

«الختامة» حفل التخرج

يقام حَفْلٌ لتخرج الطالب في الكتّـاب تسمى (الختـامـة) تبدأ بمسيرة من مقـر الكتّـاب إلى بيت الطالب مع أناشيد يغرد بها الطلبة ويحضرها ولي أمر الطالب وأقاربه ومعارفه، وقد يصاحب ذلك هدية رمزية تقـدم للمعلم ومأدبة على شرفه، ومثل ذلك الطالبة التي يحضر حفلها أمها وأقاربها ومعارفها من النساء [٢١].

ماذا بعد التخرج ؟!

يتخرج الطالب في الكتّـاب وهو يستطيع قراءة القـرآن الكـريم بسهـولـة وكـذلك بعض الكتب الشرعية في الحديث والفقـه والتوحيد والتفسير، كما يستطيع كتابـة الرسـائل وقراءتها. أمـا النابهون من الطـلاب فإنهم يـواصلـون دراسـاتهم عن طـريق حلقــات المســاجـد وذلك بتشجيع من أوليــاء أمـورهم، وبهذا يستطيع الطالـب بعد تخرجـه من الكتاب أن يسترشد بمعلـوماته في أمور دينـه ودنياه أو على الأقل تخرجه من الأمية المطلقة [٢٢].

الكتابة على ألواح الخشب والأقلام من أغصان الشجر وأعواد القصب، والحبر يصنع محليًا ..



أشهر الكتاتيب

شملت الكتـاتيب أغلب مدن نجـد وقراهـا، وقلما تجد مدينة أو قرية في نجد تخلو منها خصوصا في الفترة التي نتحـدث فيهـا وهي فترة حكم الملك عبدالعزيز لها. وقد تتعدد في المدينة الواحدة فتصل إلى أكثر من عشرة كتـاتيب وقد لا يوجـد إلا كتّاب واحد مثل القرى الصغيرة، وهكذا يتفاوت عددها حسب أهمية المدينة وكثافة سكانها. **ومن أمثلة تلك الكتاتيب في نجد ما يأتي:**

في الرياض كتاب عبدالله المفيريح، وكتّاب ابن خشران وكتّاب أبـو حيان وكتّاب محمـد عبدالله آل فهيد، وكتّـاب عبدالعزيـز وصالح الخيـال وكتّاب ابن هزاع وكتّـاب ناصر الحمدان، وكتّـاب عبدالله ابن سليمان وكتّاب ابـن عثمان وكتّاب أبي حسين، وكتّــاب علي اليماني وغيرهـا، وقـد يطلق عليهـا مـدارس في ذلك الحين وبجـانبها كتـاتيب أخـرى للبنات [٢٣].

وفي الخرج توجد بعض الكتاتيب لعل أشهرها كتّاب آل عتيق ويسمى (مـدرسة شـارع غريب)، ومن هـذه المدرسـة تخرج معظم الطبقـة المثقفـة في منطقة الـدلم في تلك الفترة [٢٤]، وبعضهم يعدها مدرسة أهلية متقدمة.

وفي الحريق وجدت بعض الكتـاتيب في تلك الفترة وقام بـالتدريس فيها بعض المشـايخ أمثال: محمد بن دحيم وعبدالله الحوطي وناصر بن سعد آل سليمان، وأخوه محمد، وحسن المصري وعبدالرحمن ابن فارس والشيخ الحميدي وغيرهم [٢٥].

وفي عـودة سدير اشتهـر كتّاب واحـد يجاور المسجـد الجامع فيهـا تـولى التـدريس فيـه عـدة رجال [٢٦].

وفي المجمعة وجـد في تلك الفترة كتّـابـان هما كتّـاب أحمد الصـانع وكتّاب صـالح المطوع وابنـه محمـد. والكتاب الأول هـو الأوسع نفوذا والأكثر طلبة [٢٧].

وفي الزلفي وجدت عدة كتاتيب مثل كتاب ابن ثنيان والمطـوع وابن داود والهلال والمسعود والجاسر والمد الله والسحيمي والغيـث والسبت والفهـــد وغيرها، إضافة إلى عدة كتاتيب للبنات [٢٨].

في جلاجل كتـــاب ابن حماد وكتـاب فـوزان القديري مع كتاتيب للبنات [٢٩].

وفي بريدة عدة كتاتيب منهـا كتّاب الصقعبي وابن فرج وابن سيف وابن عقيل والمطـوع والعمري والوهيبي وابن رزقان والشـويرخ والضبيعي والفرج والدليقـان وابن معارك والمضيـان وغيرها، [٣٠] مع وجود عدة كتاتيب للبنات.

وفي عنيزة تعددت فيها الكتاتيب حتى وصلت إلى عشرة كتـاتيب متفـرقـة في أحيــاء مختلفـة من

المدينة[٣١]. ومن مدرسي تلك الكتاتيب صالح وعبدالرحمن القرزعي وصالح الدامغ، وعبدالعزيز ابن صالح الدامغ وعلي الشحيتان وعبدالعزيز بن محمد الدامغ (الملقب ضعيف الله) ومحمد بن عبدالله الجناحي وعبدالرحمن بن سليمان الدامغ وفهيد المفلح الفهيد وغيرهم [٣٢]، بالإضافة إلى كتاتيب أخرى للبنات.

وفي الرس وجدت ثلاثة كتاتيب في شمالي المدينة ووسطها وجنوبها، وقد قام بالتدريس فيها كل من عبدالله الرميح وناصر الضويان وعبدالعزيز البطي وعبدالرحمن بن صالح العقيل ومحمد بن إبراهيم الضويان ومحمد الرشيد، بالإضافة إلى كتّاب للبنات في وسط المدينة [٣٣].

في الجواء يوجد كتاب آل مطلق وآل سائح وابن ميمان وعبدالله أبا الخيل والمبارك والحسيان[٣٤] وغيرها.

وفي البدائع وجدت بعض الكتاتيب وتولى التدريس فيها عدد من المشايخ وبرز من تلاميذهم مشايخ وقضاة، كما وجدت عدة كتاتيب للنساء[٣٥].

وفي المذنب قامت بعض الكتاتيب في بعض أحياء البلدة بالإضافة إلى كتاتيب للنساء [٣٦].

وفي البكيرية وجدت عدة كتاتيب في البلدة قام بالتدريس فيها عدد من الرجال منهم محمد الخليفي ومحمد الحمود وعبدالرحمن الكريديس ومحمد الخزيم وعبدالله بن حسن [٣٧].

وفي الشماسية توجد عدة كتاتيب قام بها مجموعة من الأشخاص مثل عبدالكريم العقل وحمود التلال ومحمد اللاحم وعبدالله اليوسف وصالح العمر وعبدالله الشيب وعبدالعزيز الغيث وصالح العتيق وطلال المقرن[٣٨].

أما في حائل فقد تعددت فيها الكتاتيب ومنها كتّاب يوسف اليعقوب وكتّاب عبدالله الملق وكتّاب عبدالعزيز النزهة وكتّاب علي الشامي وكتّاب صالح الزريقي وكتّاب عمر اليعقوب، بالإضافة إلى عدة كتاتيب للبنات [٣٩].

كتاتيب البنات

أما كتاتيب البنات فقد كانت تسير جنبا إلى جنب مع كتاتيب البنين، إذ كانت لا تخلو مدينة أو قرية في نجد من وجود كتاتيب للبنات في غالب الأمر، وإن كان من الملاحظ أنها أقل عددا وانتشارا من كتاتيب البنين. ومن أمثلة كتاتيب البنات في نجد ما يأتي:

في الرياض وجدت بجانب كتاتيب البنين كتاتيب للبنات وإن كانت المصادر لا تمدنا بأسماء من تولى التدريس فيها من النساء[٤٠].

وفي عنيزة تعددت كتاتيب البنات على غرار كتاتيب البنين، وذلك مثل كتّاب عائشة السويل وكتّاب فاطمة البلال (بلالة) وكتّاب نورة الحميدا وكتّاب حصة الجبر (جبرة) وكتّاب نورة الدعاجا (دعيجة) وكتّاب مضاوي الدامغ وكتّاب منيرة العلي القاعان (أم الحمادي) وكتاب نورة القعيس (قعيسة) وكتّاب نورة الرهيط (رهيطة) وغيرهن[٤٣].

وفي الرس كان في الفترة التي سبقت ظهور التعليم الحديث كتّاب واحد للبنات في وسط المدينة [٤٤] بجانب ثلاثة كتاتيب للبنين كما سبق[٤٥].

وفي الجواء كان لنساء آل مبارك في الشقة العليا دور في تدريس فتياتها.

وفي الزلفي وجدت كتاتيب للبنات، ومن معلماتهن: أم الغديان وحصة السعد وحصة العبيد وسارة المبروك وسلمى السعيدان ولولوة الدرويش ومنيرة الحنيني [٤١].

وفي بريدة قامت كتاتيب للبنات منها كتّاب هيلة السيف وكتّاب أم الهزاع وكتّاب بنت سطام، وكتّاب أم الدخيل، وكتّاب أم الفوزان، وهي متفرقة في أحياء المدينة [٤٢].

وفي الشماسية وجدت عدة كتاتيب للنساء قامت بها بعض النساء المتعلمات مثل نورة الدغيري وحصة المطيري المعروفة بالدوري وسلمى ومزنة الوليعي وحصة العجلان وهيلة العقل وصيفية المفضي ونورة البازعي ومزنة العتيق [٤٦].

أما في حائل فقد كان للبنات بعض الكتاتيب منها كتاب هيلة وكتاب بنت هيلة واسمها نورة

وكتاب هيا الصالح وكتاب فاطمة الغازي وهي متفرقة في أحياء المدينة (٤٧).

الملك عبدالعزيز ونشر التعليم في البادية

هذه الكتاتيب كلها في حاضرة نجد، أما في البادية فيمكن أن نعد إقامة الهِجَر فيها وجهود الملك عبدالعزيز في تعليم أبناء البادية عن طريق الكتاتيب في المساجد أو الحلقات ضمن هذا الموضوع، ذلك أن من أهم أهداف الملك عبدالعزيز في توطين البادية بِهِجَرٍ أو قرى زراعية هو تعليمهم ومحاربة الجهل بينهم بالإضافة إلى اعتبارات دينية وسياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية (٤٨).

فقد فكّر الملك عبدالعزيز في هذا الهدف التعليمي منذ الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري فعمد إلى حفر الآبار وبناء المساجد والجوامع وإرسال المعلمين (المطاوعة) للقيام بتعليم أبناء البادية وتوعيتهم عن طريق تعليمهم مبادئ القراءة والكتابة وقراءة القرآن الكريم، وكان على كل مطوع أن يعلم خمسين فرداً، ولما تكاثر عدد الهجر (٤٩) تزايد الطلب على المعلمين فنقلت مجموعات من البادية إلى الرياض للتعلم على يد المشايخ فيها، هذا بالإضافة إلى إرسال الملك عبدالعزيز بعض كبار العلماء إلى الهجر لتفقيه أبنائها الدين عن طريق حلقات المساجد (٥٠). ولا يقتصر عمل المطوع في القبيلة أو الهجر على التعليم فقط، بل يتعداه، بل ربما كان هذا أقل ما يقوم به، فهو واعظ القبيلة وخطيب مسجدها وإمامها في صلواتها وكاتب رسائلها والمصلح بين المختلفين من أعضاء أسرها والمتولي لعقود الزواج فيها، كما أن له رأياً مسموعاً في شؤونها الخاصة والعامة (٥١). ويبدو أن التعليم في الهجر اقتصر على الرجال فقط فلم يكن هناك تعليم للنساء في البادية مثل ما هو موجود في الحاضرة.

أما أثر الكتاتيب على الحياة العلمية في نجد فقد كان أثراً كبيراً في محاربة الجهل بحاضرة نجد، وقامت بوظيفتها تلك حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري حيث بدأ ظهور المدارس الحديثة في نجد ثم حلت محلها.

الهوامش

(١) محمد عبدالحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، ص٢١٧.

(٢) عبدالله الشهيل، فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة، ص٢٣٨.

(٣) عبدالله الشبل، التعليم في نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، مجلة كلية الشريعة بالأحساء، العدد الثاني ص ٥٠٩.

(٤) إبراهيم محمد إبراهيم، دراسة تاريخية للتعليم في إقليم نجد، مجلة التربية المعاصرة، العدد الثامن ديسمبر ١٩٨٧، ص٢٨١.

(٥) عبدالله أبوراس وبدر الدين أديب، الملك عبدالعزيز والتعليم، ص ٣٦.

(٦) عبدالله الشبل، المرجع السابق، ٥٠٩.

(٧) عبدالفتاح أبو علية، الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز، ص ٢٩.

(٨) عبدالرحمن السويداء، نجد في الأمس القريب، ص٢٠٩، وصالح الوشمي، الجواء ص ٧٠، وعلي القوشي، البكيرية ص ٥٨.

(٩) إبراهيم محمد إبراهيم، المرجع السابق ص ٢٧٩. ومحمد المغربي، ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز ص ١٢١.

(١٠) حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين ص ١٢٤، وعبدالله الشهيل المرجع السابق ص ٢٣٨.

(١١) عبدالله الشهيل، المرجع السابق ٥٠٨ وانظر علي القوشي البكيرية ص٥٨.

(١٢) عبدالرحمن السويدا، المرجع السابق ص ٢٠٩. وحسن الهويمل، بريدة ص ٨٣.

(١٣) فهد المبارك، من شيم الملك عبدالعزيز، ٣/ ٢٦٠ ط ١٣٩٨هـ.

(١٤) عبدالله العثيمين، الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ١٧، والسويداء ص ٢١٠ والقوشي ٥٨.

(١٥) إبراهيم محمد إبراهيم، المرجع السابق ص ٢٨١.

(١٦) انظر لوريمر دليل الخليج (مترجم) ١/ ٩٦ و ٤١٤.

(١٧) عبدالله أبوراس، المرجع نفسه ص ٨٦.

(١٨) عبدالله الشهيل ص ٢٣٨.

(١٩) محمد إبراهيم الميمان، من مفردات التراث الشعبيّ ص٦٩، وانظر جريدة الجزيرة العدد ٦٣٣٦ في ٧/ ٧/ ١٤١٠هـ ص ٤ مقابلة صحفية مع الشيخ صالح بن يوسف الصالح.

(٢٠) إبراهيم محمد إبراهيم ص ٢٨٠.

(٢١) السويداء، المرجع السابق ص ٢١١ - ٢١٤.

(٢٢) الزركلي، شبه الجزيرة ٢/ ٦٣٦.

(٢٣) عبدالرحمن الرويشد، الرياض في مائة سنة، ضمن أبوراس ص ٧٠ و ٧١.

(٢٤) عبدالعزيز الراشد، التعليم في الخرج، ضمن أبوراس ص٧٣.

(٢٥) محمد بن سعد الدبل، الحريق ص ٥٨.

(٢٦) عبدالعزيز الفيصل، عودة سدير ص ٤٧.

(٢٧) عثمان الناصر الصالح، التعليم في المجمعة ضمن أبوراس ص ٤٧.

(٢٨) انظر عبدالرزاق المسعود، الزلفي ص ٨٣ و٨٤ الذي أورد اسم ٢٤ مدرسا للكتاتيب في الزلفي.

(٢٩) إبراهيم الأحيدب، جلاجل ص ٦٧.

(٣٠) حسن الهويمل، بريدة ص ٨٤ و ٨٥، وانظر إبراهيم المعارك، بريدة ص ٧١.

(٣١) إدارة التعليم في عنيزة - نشرة عن التعليم في عنيزة عام ١٤٠٧هـ ص ١. وانظر محمد السلمان عنيزة ص ٧١ و ٧٢.

(٣٢) انظر معلم ومجتمع نشر مركز ابن صالح بعنيزة ص ٩١ وجريدة الرياض في ١٠/ ٣/ ١٤٠٨هـ عن التعليم القديم بعنيزة.

(٣٣) عبدالله الرشيد: الرس ص ٦٩.

(٣٤) صالح الوشمي، الجواء ص ٩٠ و ٩١.

(٣٥) عبدالله العبيد، البدائع ص ١٢١ و ١٢٢ ولم يذكر أسماء هذه الكتاتيب ومدرسيها.

(٣٦) عبدالرحمن الغنايم، المذنب ص ١٤٩ ولم يذكر أسماء هذه الكتاتيب ومدرسيها.

(٣٧) علي القوشي، البكيرية ص ٥٨.

(٣٨) عبدالله الوليعي، الشماسية ص ١٣٠.

(٣٩) فهد العريفي، حائل ص ١٠٢.

(٤٠) عبدالرحمن الرويشد، المرجع السابق ضمن أبوراس ص٦٧ و ٧١.

(٤١) عبدالرزاق المسعود، المرجع السابق ص ٨٤.

(٤٢) حسن الهويمل، المرجع السابق ص ٨٥، والمعارك ص٧٥.

(٤٣) انظر محمد السلمان، عنيزة هامش ص ٩١. وانظر جريدة الرياض مقابلة مع نورة الرهيط في جريدة الجزيرة في ١٨/ ٢/ ١٤٠٥هـ ص ١٩.

(٤٤) عبدالله الرشيد، المرجع السابق ص ٦٩.

(٤٥) صالح الوشمي، المرجع السابق ص ٩١.

(٤٦) عبدالله الوليعي الشماسية ص ١٣١.

(٤٧) فهد العريفي المرجع السابق ص ١٠٢.

(٤٨) انظر عبدالفتاح أبو علية، المرجع السابق ص ١٤٧. وخالد بن محمد العنقري، توطين البادية في المملكة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية العدد ٣٨ ربيع ١٩٩٠ ص ١٦٩.

(٤٩) وصل عددها إلى ١٥٢. هجرة.

(٥٠) مصطفى عطار، الملك عبدالعزيز والتعليم ص ٣٥.

(٥١) الزركلي، شبه الجزيرة ٢/ ٦٣٦.

الإنسان وحدود قدراته

بقلم: محمد العربي الخطابي

إنّ حاجة الإنسان إلى الحكمة نابعةٌ من حاجته إلى الاجتماع والتعاونِ لتنظيم المَعاش وتقسيم العمل. وقد لا يبدو هذا القول من البدهياتِ إذا نحن افترضنا أن الإنسان فرديٌّ بالطبع عدوانيّ بالغريزة، وأن ميلَه إلى الاجتماع إنّما تُمليه الضرورةُ والحاجة، فإنَّ كلَّ فردٍ من أفراد البشر لو أمكنه مطاوعةُ طبعِه ومُسايرةُ غرائزه والاستغناءُ بما تحت يدِه لاختارَ أن يَعيش وحدَه بعيدًا عن بني جنسه حتى ولو جمعه وإيّاهم صعيدٌ واحد، ولكن لمّا كان الإنسانُ حيوانًا ناطقًا ـ أي عاقلاً مُميّزًا ـ اضطُرّ إلى الاجتماع ومال إلى التّعاون، أي إنه رضي بقهر غرائزه العُدوانية ليَحْصل في مقابلِ هذا التنازل على مزايا مادّية ومعنويةٍ تنفعه ولا تضرُّ غيره، ولمّا كان الرّضا التام بهذا التبادلِ المنفعي ممتنِعًا، وكانت عواملُ القوّة والضّعف من الأمور الطّبيعية الملازمة للاجتماع الإنساني بحيث تتدخّل في تصريفِ مصير الأفراد والجماعات، فقد تعيَّن بالضرورة أن يقوم بين الناسِ من أنفسهم ميزانٌ معنويّ يَفصل بينَ الحقِّ والباطل، ويُنبّه إلى الخطأ والصّواب، ويُرْشد إلى القَصْد والاعتدال من غيرِ أن يكون فصلُه وخطابه وإرشاده ملزمًا ـ أي قاهرًا ـ في كلِّ الأحوال، هذا الميزان هو الذي يُسمّيه الناس بالحكمة.

وقد كانت الحكمةُ في مختلف العصور تسري بين الناس في مجتمعاتهم محمولةً على أجنحةِ الشعر والحكايات والأساطيرِ والأمثال السّائرة المستمدّة من التجارب والمملوءة بالعِبَر، ثم ارتقت الحكمةُ إلى أُفق التفكير المنهجي فنشأت الفلسفة بمدارسها المتعدّدة ومذاهبها المختلفة.

بين الفلسفة والحكمة

زَعم **أفلاطون** أن الدّهشة هي أصلُ الفلسفة، وزعم أرسطو أن التعجُّبَ هو الذي دفع الناسَ إلى التّفلسف، وهما قولان إنّما يراد بهما تبسيطُ الأمور، فإنّ **الدّهشة والتعجُّب إنما يكونان إيجابيين حينما يدفعان إلى التّفكير الذي يُثير في الذهن أسئلةً لا مناص من البحث لها عن أجوبة، والأجوبةُ نفسها تنقلب إلى أسئلة... وهكذا إلى ما لا نهاية**. والمعرفةُ الفلسفية كلُّها معتمدةٌ على هذا التداخلِ والتسلسل في طرح الأسئلة ومحاولةِ الجواب عنها: ما الوجود، المحسوسُ منه والمَعقول؟ لماذا وُجدت الأشياء ولم تبق في فضاءِ العدم، وماذا كان قبلَ وجودها؟ ثم ما العَدم؟ والطبيعةُ ما هي؟ وما الزّمان؟ وما المكان؟ وعلى هذا يُمكن أن يقال أيضًا إنّ أصلَ الفلسفة هو خوفُ الإنسانِ من المَجهولِ والتطلُّعُ بالتالي إلى معرفته.

عشرات الأسئلة تتزاحم وتتداخل وتؤدي كلُّها إلى السؤال الأهمّ، السؤال اللُّغز: مَن الإنسان؟ هذا الذي يرى الأشياءَ من حوله فتُصيبه الدّهشة، ويُحيّره التعجّب ويُزعجُه الخوف وتُضنيه الأسئلة فلا يكاد ينكشف له حجاب الحقيقة المطلقة. وحينما يُثار السؤال عن ماهية الإنسان نفسه فإنّ طرق البحث تتشعّب وتتقاطع حتّى لا تكاد تؤدّي إلى غايةٍ معلومة يستقرّ عندها اليقين، فمن محاولة معرفة المادّة والروح، والعقل والنّفس، والجوهر والعَرَض، والبديهة والحَدس، وأثر الحواسّ الباطنة والظاهرة في حصول العلم بالأشياء، إلى النّظر في حقيقة الأخلاق والسلوك وأصول القوانين الاجتماعية ومدى موافقتها للطبيعة والعقل أو مخالفتها لهما، وما يترتّب على ذلك من أخذٍ وردّ، وشكّ ويقين، واطمئنانٍ وحيرة.

«إن حيرةَ الإنسان وإحساسه بالضياع يدفعانه إلى السؤال عن نفسه»، هذا ما قاله **كارل ياسبرز**، الذي يرى «أنّ الدهشة هي النزوع إلى المعرفة» ويقول: «حينما تعتريني الدهشة يَستيقظ وعيي بجهلي فأجدُّ في السّعي لأعلم، لا من أجلِ إرضاء بعضِ المطالب العادية، بل لأعلم فقط»[1].

فالفلسفة، إذن، تنشأ من الرغبة العارمة في معرفة الأشياء الغامضة، ومسائلُ المعرفة لا نهاية لها، واليقين المطلق فيها مُتعَذِّر، والأشياء التي يُتوصّل فيها إلى نوعٍ من اليقين تدخل غالبًا في مجال العلم التّجريبي كالفيزياء والرياضيات وما إليها، هذا إذا لم يكن اليقين نورًا روحانيًا مبثوثًا في قلوبٍ مطمئنة بالإيمان.

وأما الحكمةُ فهي استقرارُ المعرفة المكتسبة في القَلْب، واطمئنانُ العقل إلى صواب أحكامه، والرضا بقيمة ما يُعلم، والتسليم بامتناع اليقين فيما يُجهل، والتّصرفُ وفق ذلك مع النفس ومع الآخرين. يقول هوايتهيد: «إن الحكمة هي الطريق الخاصّ الذي تحصل به المعرفة، فهي متّصلة بطريقة تحصيل المعرفة ووجهِ استخدام تلك المعرفة لإضافة مزيدٍ من القيمة لتجاربنا المباشرة، فهذه السيطرة على المعرفة هي الحكمة، وهي أعظم حريةٍ صميمةٍ مُتاحة لبني الإنسان»[2].

هل الإنسان مقياس الأشياء كلِّها؟

لم يكن **بروتاغورس**، الفيلسوف الإغريقي، بعيدًا عن الصواب فيما زعمه

من أن «الإنسان مقياس كلِّ شيء»، وسواء كان مقصوده بهذا القول تقرير نسبية الكائن الإنسانيّ بالإضافة إلى المُدركات الحسّية الأخرى، أو كان يريد تأكيد ما زعمه من أن كلَّ المعارف إنما يحْصل عليها النّاس بالإدراك الحسّي الذي يتغير باختلاف الأفراد، فإنّا إذا أدخلنا على عبارته الشائعة، تعديلاً طفيفًا لأمكن - مبدئيًا - قبولها واستصوابُها، كأن نقول: «**الإنسان قد يتخيل أنه مقياس كلّ شيء**». **كيف ذلك؟**

إنه لا شيء يمنع إنسانًا - أيّ إنسانٍ - من أن يظنَّ بينه وبين نفسه أن المطر الذي ينزل من السماء إنما ينزل من أجلنا نحن البشر لما فيه من نفعٍ لنا، وأن الصحو متى كان موافقًا لمطالبنا العادية فهو يجيء استجابة لرغبتنا وإرضاءً لحاجتنا.

ونحن نرى أكثر الناس يؤمنون بالحظ والبخت، يتفاءلون بأشياء ويتشاءمون بأُخرى، وكلُّ واحدٍ منهم يمدّ بصره ويده إلى ما حوله ليأخذ بالقوة أو بالحيلة ما يَظنّ أنه من أجله، وهو لذلك يقيس الأشياء كلَّها بمقياس «الأنا»، هذا الهاجس القويّ الكامن في كلّ نفس بشرية يُشعرها بوجودها ويُحدّد نسبتها إلى بقية المَوجودات المُدرَكة بالحِسّ؛ وقديمًا قال الشاعر:

وتحسب أنك جِرْمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العالمُ الأكبرُ

ويمْكن عدُّ هذا الكلام من لغوِ الشعراء أو من شطحات الصوفية، إلاّ أنه مع ذلك يتضمّن إشارةً إلى هذا «الأنا» المهيمن على حركات النّفس الإنسانية وسكناتها، ولذلك فإنّ كلَّ رهط من الناس يظنّ أن كلّ شيء خُلق من أجله هو، فإن فاته نفعٌ أو رزقٌ أو خانتْه القوة أو الحيلةُ في تناولِ ما يقع عليه بصره راح يلْعن حظَّه العاثر وربّما لعن الآخرين.

وهذا أبو الوليد ابن رشد يُقدّم في معرض مناقشته لآراء المتكلمين دليلين على وجود الخالق تبارك وتعالى هما: **دليل العناية، ودليل الاختراع**. وجملة كلامه في ذلك: أنّ جميع الموجودات التي ههنا موافقةٌ لوجود الإنسان، وأنّ هذه

الموافقة ضرورةٌ من قِبَلِ فاعلٍ قاصدٍ لذلك مريدٍ، إذ ليس يمكن أن تكونَ هذه المُوافقة بالاتفاق. فأمّا كونها موافِقةً لوجود الإنسان فيحصُل اليقينُ بذلك باعتبار مُوافقة الليل والنهار، والشمسِ والقمر لوجودِ الإنسان، وكذلك موافقة الأزمنة الأربعة له، والمكانِ الذي هو فيه أيضًا وهو الأرض، وكذلك تظهر أيضًا موافَقة كثيرٍ من الحيوان له، والنباتِ والجماد، وجزئياتٍ كثيرةٍ مثل الأمطارِ والأنهار والبحار، وبالجُملة الأرض والماء والنار والهواء(٣).

الإنسان مرآة أخيه

إنّ كلّ إنسان لا تكتمل عنده صورةُ نفسه إلاّ حينما ينظر في مرآة غيره من بني جنسه، وهو لا ينفكّ يقيس وجود ذاته بالمحسوسات التي يدركها والمعقولات التي تتهيأ في عقله من طريق التصوُّر والتصديق، وهو من أجل ذلك يُعدّ حيوانًا ناطقًا مستعدًّا بالطبع والضرورة للاجتماع الإنساني.

ونحن إذا تصوّرنا مخلوقًا بشريًا يعيش وحيدًا في أرضٍ خالية من البشر ليس فيها إلاّ العشب والشجر والماء، فإنّ هذا الإنسان المُتوحّد سوف ينهمك أول أمره في السعي لمعرفة النّسبة التي بينه وبين ما يُحيط به من عشبٍ وشجرٍ وماء، وما يعلوه من سماءٍ ويُشاهده من شمسٍ وقمرٍ ونجوم، وما يباغته من آثار علوية كالسحاب والمطر والبرق والرّعد وما إلى ذلك، لأنّه غير محتاجٍ في بادئ أمره إلى شيء أكثر من حفظِ بقائه بالاتّقاء من عوادي الطبيعة والإفادة منها، وهو لذلك ينشغل بتحديد مكانه بين الموجودات التي تدركها حواسُّه ليُقرّر مبلغ حاجته إليها أو استغنائه عنها، أي إنه يقيم من نفسه مقياسًا للأشياء التي تُحيط به ويتوقّف عليها بقاؤه وانتشاره في الأرض التي يعيش عليها. وهو لذلك لا يكاد يهتم في المبدأ بصورته الخارجية ولا بشيءٍ من خصائصه الجسدية ومُميّزاته النفسية والعقلية ما دام مُتوحّدًا، لأن معرفة هذه الأشياء الذاتية يصعب أن تُدرك على الوجه الصحيح إلا من خلال النَّظر في مرآة إنسان آخر، ومن هنا يُمكن القول: إنّ الإنسان المتوحّد لا يتصور في حقّه اهتمام أو نظر في مبادئ الأخلاق وقواعد السلوك التي هي من مواضعات الاجتماع البشري، أمّا الإنسان المتوحّد - على افتراض وجوده - فإنه إنما يصدر عن طبعه وغرائزه.

ولْنفترض أنَّ هذا الإنسانَ المتوحِّد قد داهمتهُ في مرحلةِ البلوغِ دواعي الغريزة الطبيعية، ووجَد نفسه فجأةً أمامَ امرأةٍ من بني الإنسان، فإنه سوف يُحسُّ -

» إذا كانت الشيوعية قد أعلنت إفلاسها فإن الليبرالية المبنية على التنافس الفوضوي بدأت تسرع الخطا نحو غايتها الحتمية. «

من كتاب العدد

● **محمد العربي الخطابي**

- ولد في مدينة تطوان عام ١٩٢٩م بالمغرب الأقصى.
- تلقى دراسته الابتدائية والثانوية بتطوان ثم درس في كلية الآداب في باريس وفي معهد المكتبات والمتاحف بمدريد.
- اشتغل بالصحافة رئيسا لتحرير جريدة (المعرفة) ثم مديرا مساعدا لدار الإذاعة والتلفزة المغربية، وكذلك التحق بالسلك الدبلوماسي عام ١٩٦٥م. فعمل مستشارا بمكتب وزير الخارجية ثم مندوبا دائما للمملكة المغربية لدى المنظمات الدولية في سويسرا والنمسا.
- انتخب رئيسا لمجلس إدارة منظمة العمل الدولية بجنيف في الفترة (١٩٧٤م - ١٩٧٥م)
- تولى مهام وزير العمل والشؤون الاجتماعية من أبريل ١٩٧٤م إلى أكتوبر ١٩٧٧م ثم عين وزيرا للإعلام.
- له مؤلفات وعدة أبحاث ومقالات وقصص منشورة في صحف المغرب والمشرق العربي.



ضرورة ـ بميل إليها واستئناس بوجودها، وهي سوف تبادله نفس الميل والإحساس، فينظر كلٌّ منهما في مرآة الآخر بدافع الرغبة في معرفة النِّسبةِ التي بينهما في الصورة وتفاصيل الأعضاء، وفي كيفية السَّعي والفعل والانفعال وإدراك الأشياء الخارجية، وبذلك، وبما يحدث بينهما من اتصال فطري، يصير كلُّ واحدٍ منهما مقياسًا للآخر.

وهكذا كلما تكاثر النسل وتعاقب الخلف وزالت أسباب التوحّد ووحشته كان ذلك أدعى إلى التئام الاجتماع الإنساني وما يترتّب عليه من مواضعات وأعراف وقوانين تكفل سيطرة الأقوياء وخضوع الأضعفين داخل نظام يحكمه التسلسل في بناء الأسرة والقبيلة والطبقات الاجتماعية في المدن، وهو نظام راسخٌ قد تتغيّر مظاهره وأوضاعه بمرور الزّمن، لكن روحه وآثاره تبقى مهيمنةً على المجتمعات الإنسانية مهما تقدّمت في ميادين المعارف والعلوم والصناعات والحضارة بوجه عامّ.

وخلاصة القول: إنّ الإنسان في حالتي التوحُّد والاجتماع ما ينفكُّ يجعل من نفسه مقياسًا وهميًا للموجودات التي تُدركها حواسُّه، فهو يعرف نفسه ويعرف غيره بإنعام النظر في مرآة أشباهه، ويُقيم معهم ومن خلالهم عالمًا من التصورات والتَّصديقات يبني عليها معارفَه وعقائده ومعاشه وعلاقاته الإنسانية، ويُكيّف تبعًا لذلك نظرته إلى النواميس الطبيعية والظواهر الناشئة عن عالم الكون والفساد من أجل إخضاعها لأغراضه وحاجاته الحيوية.

فالأفلاكُ في نظر الإنسان وفي شعوره الباطن إنّما تتحرّك وتظهر للعين وتغيب عنها من أجل ضبط الوقت وقياس الزّمان وتعيين الفصول للزّرع والسّفر واللباس والغذاء وغيره. والظواهر الطبيعية من سحاب ومطر ومدّ وجزر وحرارة وبرودة هي أيضًا مُسخّرة للإنسان شأنها في ذلك شأن الهواء والحيوانات والنباتات ومنابع المياه والأحجار و المعادن، وكذلك الكائنات الإنسانية مسخّر بعضها لبعضها الآخر وفقًا للنظام المسيطر على كوكبنا الأرضي؛ وعلى هذا الاعتقاد بالتّسخير والتماس المنفعة بالقوة أو بالحيلة تدور عجلة العلوم والتدابير الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية، وعليها ترتكز الحضارات والثقافات وتنبني القوانين الوضعية لضبط العلاقات الإنسانية وتعيين الحدود بين الأفراد والجماعات في سائر الأمور المتّصلة بما يُعرف عادة بالحقوق والواجبات. وتتحمل الشريعة الإلهية مسؤولية التوجيه في هذه السبيل بهدف تحقيق التوازن بين مطالب المادة ودواعي الروح.

وحتى حينما يُسلّم الإنسان ـ مضطرًا ـ بالحقائق الظّاهرة التي تحصل بفضل العلم التّجريبي، فإن العادة الفكرية الغالبة على بني الإنسان لا تتغير في شعوره الباطن. والمثال على ذلك أن القول بمركزية الكرة الأرضية ودوران الأفلاك حولها قد انتهى وباد منذ عصر كوبرنيكوس وغاليليو، ومع ذلك فإنّ الإنسان ما يزال يُغالبه إحساسٌ باطنٌ وظنٌّ غالب بأنّ الأرض هي قُطب الكون، بوجهٍ من الوجوه، وأن الكواكب الأخرى تتصرّف بين يدي الأرض وتخدمها بالضوء والحرارة وتعيين المواقيت والأزمان؛ وما ذلك إلاّ لأنّ الأرض هي مسكن الإنسان، والإنسان هو وحده العاقل الناطق من بين سائر الموجودات، فهو الذي يَرْصد حركات النجوم، ويُرسل المراكب عبر الفضاء الخارجي، ويرقب ميلاد الأفلاك وموتها، ويقيس المسافات بينها ويقدر بالحساب والهندسة أحجامها وبعد بعضها عن بعض، فلماذا يا تُرى لا تكون الأرض هي مركز العالم المفروض برغم الحسابات الرياضية والفلكية التي ابتدعها الإنسان وبنى عليها معارفه وكثيرًا من أمور معاشه؟ وسيبقى الأمر كذلك إلى أن يَثْبت وجودُ كائنات عاقلة في كواكب أُخرى تفوق علومُها وحضارتُها علومَ الإنسان وحضارته.

« هناك مسائل محددة تستدعي مزيدًا من النظر والبحث في أفق الفكر الفلسفي المعاصر. »

الناس يولدون أحرارًا

إذا كان مُسلّمًا أنّ الناس يولدون أحرارًا فإنّ حُرياتهم قد لا تدوم أكثر من اللحظة التي يفارقون فيها أرحام أمّهاتهم، إذ سرعان ما ينقضُّ عليهم سلطان العادات والتقاليد والأعراف وهيمنة الدولة وسطوة البيئة الطبيعية والجغرافية وغير ذلك مما يُكبّلهم بالأغلال منذ طفولتهم الأولى، فيسهل انقيادهم لهذا الوهم الكبير الذي يدفعهم ـ متى عقلوا ـ إلى الاعتقاد الباطن بأنّ الإنسان هو مقياس كلِّ شيء في الوجود من غير اهتمام منهم بمعرفة حقيقة الإنسانية وماهيتها ومصيرها. ومن هنا يحتدم الصّراع من أجل البقاء والتفوُّق وجلب المنافع وإرضاء الغرائز ونيل المكاسب في دنيا يحكمها منطق القوة، وتنعدم فيها روح المساواة الطبيعية، وتفتقر إلى تكافؤ الحظوظ في الخلقة والعقل والقدرة على السّعي والكسب وما إلى ذلك.

الطبيعة لا تحكم نفسها ولا تقوم بذاتها

إنّ الإنسان من نِتاج الطبيعة، وهو أيضًا من نتاج التاريخ ـ هذا ما يزعمه كارل ياسبرز (٤) ـ وهو يقصد أنّ الإنسان كائنٌ من جملة الكائنات الحيّة الأخرى التي كُتِب لها على غير اختيارٍ منها أن تدبّ في الأرض وتسعى إلى حينٍ في سبيل المُحافظة على النّوع، وأنَّ الإنسان في الوقت نفسه عاملٌ رئيس في صُنع الأحداث وتسلسلها وتكييفها باستمرار مع ظروف الزّمان والمكان تكييفًا يُوافق حاجاته ومطالبه التي تتجدّدُ في شكلها ومظهرها الخارجي ولا تتغيّر في روحها

وجوهرها؛ ويمكن أن يُضاف إلى ما قاله «ياسبرز» أن الإنسان هو أيضًا ثمرة العادات والقوانين الخُلقية السائدة في بيئته ومجتمعه، وأنّ «الطبيعة» لا تحكم نفسها بنفسها بل تعمل بقدرة قادر يدير شؤون الكون ويحفظ سننه وموازينه ونظامه. قال عز اسمه: ﴿إِنَّا كُلَّ شيءٍ خَلقناه بِقَدرٍ﴾ (القمر/ ٤٩).

التاريخ وحرية الإنسان

لقد ذهب فرنسيس فوكوياما ـ وهو مفكّر أمريكي معاصر ـ إلى أنَّ التاريخ قد وقف وانتهى إلى غايته، وهو بطبيعة الحال لا يقصد بالتاريخ تسلسل الوقائع وتفاعل الأحداث في سياق الزّمان والمكان، فهذا مما لا سبيل إلى وُقوفه إلاّ بفناء الدنيا، ولكنّه يُشير إلى تدهور القيم الفكرية والخلقية وسقوط الإيديولوجيات الاستبدادية ـ ولا سيما الماركسية ـ وعجزها عن إسعاد الإنسان، وما قد يترتب على ذلك ــ في نظر فوكوياما ــ من وقوف التاريخ عند شط الديمقراطية الليبرالية باعتبارها الشكل النهائي لكل حكومة إنسانية؛ ولكن الأمر ليس بهذه البساطة، فإنه إذا كانت الشيوعية قد أعلنت إفلاسها وتهيأت للوقوع النّهائي في هاوية التّاريخ، فإنّ الليبرالية المنبنية على التنافس الفوضوي في مجال الإنتاج والاستهلاك بدأت بدورها تُسرع الخطا نحو غايتها الحتمية التي هي التّداعي والسّقوط. ولا عبرة بما يشاهد كلّ يوم من مظاهر القوة والبذخ والزّينة ما دامت أسباب الأزمة النفسية والفكرية قائمة، وعلامات التردّي الخُلقي والاجتماعي بادية للعيان كتفكّك الأُسرة، وتخلخل القيم الروحية، وتهافت مراكز السّيطرة والنفوذ، والغلوّ في العدوان المنظّم على البيئة الطبيعية، والتنافس الأهوج في توفير وسائل التدمير والإتلاف من أسلحة ومخدّرات ومبيدات كيماوية وبيولوجية وغير ذلك مما يقود الإنسان ـ كرهًا وطوعًا ـ إلى الخضوع لقوى غامضة تسعى لسلبه ما تبقّى من وجدانه الحرّ، وكلُّ ذلك باسم الديمقراطية وحقوق الإنسان ومُتطلّبات التقدم الحتمي. وقد مال «فوكوياما» إلى تجاهل هذه الحقائق مواصلاً تفاؤله بالديمقراطية الليبرالية التي يرى فيها النّهج الأمثل المؤدّي بالبشرية إلى إثبات وجودها، وهيهات هيهات!

إن الإنسان في الديمقراطيات الليبرالية وفي غيرها يتعاظم إحساسه بفقدان السعادة واطمئنان الضمير، فهو يخشى من الفقر إذا استغنى، ويسأم من الرفاهية إذا نالها، ويستصغر الكبير من أمور الحياة ويستعظم الصغير منها فتبرز طبيعته العدوانية، ويقوى ميله إلى العنف والتشدّد ويعاوده الحنين إلى العصبية العرقية، وتتضاءل ثقته بنفسه وبغيره، وهو بذلك يفقد كرامته الإنسانية فتضعف بفقدانها قدرته على استيعاب الحقوق المسطورة في المواثيق والقوانين، **لأنّ الكرامة تنبع من ذات الإنسان فتطبع أخلاقه وتُوجّه سلوكه وتجعله أقدر على التمسك بحقوقه الطبيعية وأداء واجباته الإنسانية وهو مرتاح النفس مطمئنّ الضمير.**

وهكذا فإنّ التاريخ بالرغم من تتابع وقائعه وتواصل أحداثه يبدو عاجزًا عن ملاحقة التقدّم العلميّ والتقنيّ (التكنولوجي) المذهل، وعن تحليل ما يترتّب على هذا التقدّم من تحوّل عام في التفكير والأخلاق والسلوك بفعل وسائل الاتصال وضغوطها المادية والمعنوية وتوجّهاتها الاستبدادية والنّفعية بحيث يصعب على أي مؤرخ أن يُرتّب أفكاره أو يستوعب ما يحتاج إليه من معلومات ومعطيات يعجز عنها الحاسوب نفسه مهما عظمت قدرته على الخزن والتّجميع والترتيب والتحليل، وهذا هو المعنى الذي ينبغي أن نعطيه لما سماه «فوكوياما» بنهاية التاريخ.

لقد كانت الحرية عند عدد من حكماء الإسلام وبعض فلاسفة الغرب شديدة الارتباط بقيمة الإنسان الخلقية والفكرية، إذ كانت تعني التخلّص من سلطان المادّة والانفلات من سيطرة الغرائز الحيوانية بصورة تتيح للإنسان القدر الضروريّ من طمأنينة النّفس والانسجام مع العالم الخارجيّ من أجل إسهام أفضل في عمارة الأرض والمُحافظة على سلامتها وحسن تدبير شُؤونها بالعدل والنّصفة والحكمة. كان هذا هو المثل الأعلى في تصوّر الحرية، **فأين نحن من ذلك في هذا العصر، وما هو موقفنا من أنفسنا ومن العالم المحيط بنا؟** هذا هو

> « أين نحن ـ في هذا العصر ـ من الحرية المرتبطة بقيمة الإنسان الخلقية والفكرية ؟ »

السؤال الذي ينبغي أن يشغل تفكير الحكماء والفلاسفة المهتمين بالإنسان وبمصير حضارته التي لا يُتصوّر بقاؤها واستمرارها بغير تلك الحرية المثلى وما تقتضيه من عدل راسخ وإيمانٍ واثقٍ بقيمة الإنسان وجدارته بحمل الأمانة والاضطلاع بأعبائها في أمور الدّين والدنيا، أي ما يكفل تكامل العقل والوجدان، وتوازن مطالب المادّة ومزايا الروح، وتعاون العلم والحكمة على قيادة شؤون الحياة. وليس يُهمُّ بعد ذلك أن يتصور الإنسان فيما بينه وبين نفسه أنه قطب الحركة في هذا العالم الأرضي، أو أنه جزء منبثق من الطبيعة ومُتمّم لها لحكمةٍ أرادها صانعُ الوجود، أو أنه مُجرّد وهم عابر، وأن الأشياء المحسوسة المُحيطة به لا وجود لها خارج تخيّله وتصوّراته. المهمّ أن الإنسان موجودٌ، وشعوره بوجوده قائمٌ لا يُريم، وأن العالمَ من حوله موجود أيضًا بوجه من الوجوه.

ومما لا شك فيه أننا في حاجة دائمة إلى تجديد النظر في التّراث الفكري الذي خَلَّفه السّلف بأن نلقي عليه نظرةً نقدية فاحصةً تساير مستجدّات عصرنا ومشكلاته ومتطلباته، فإن من الأفكار الحكيمة ما لا تبلى جدّته، وخصوصًا ما يتعلّق منها بالإنسان وأحواله ومصيره العاجل والآجل.

الفكر الفلسفي والنظريات العلمية

إنَّ الفكر الفلسفي كان له في السابق تأثيرٌ عميقٌ في تطوُّر النظريات العلمية، وقد لَخَّص أحد المفكرين المُعاصرين مناحي هذا التأثير في ثلاثة أشياء:

أولها: أن الفكر العلميّ لم يكن قطّ منفصلاً تمامًا عن الفكر الفلسفي.

الثاني: أن الثورات العلمية الكبرى كانت دائمًا تحدث من جرّاء التغيّرات الحادثة في المفاهيم الفلسفية.

والثالث: أن الفكر العلمي - ولا سيما في مجال علم الطبيعة - لا ينمو في الفراغ بل يتمُّ دائمًا داخل إطارٍ من الأفكار والمبادئ الأساسية والمُسلّمات البدهية التي تُعدّ عادةً من صميم الفلسفة[٥].

والإنسانية في هذا العصر المضطرب أحوج ما تكون إلى إحياء الصّلات القديمة بين الفكر العلميّ والفلسفة، شريطة أن تخرج هذه من قوقعة «المفاهيم» الغامضة والنّظريات العقيمة لتواجه واقع الإنسان ووضعه الحاضر، وما يعتريه من حيرة وقلق في مواجهة حضارة علمية وتكنولوجية يزداد استحكامها، وتتنوّع ضغوطها، وتوشك أن تغير وجه الأرض بتقويض الرّكن الأخير الباقي من أركان التوازن بين الإنسان ونفسه، وبينه وبين بيئته الطبيعية وعالمه الحيوي.

ومع الاعتراف بأنّ اتّصال حبل التفاهم بين الفكر الفلسفي المتّسم بالحكمة والعلوم التجريبية وآفاقها التّطبيقية لن يجعل من الدنيا جنّة يعمّها الحقّ والعدل والخير، فإن هذا الاتّصال - إنْ تمّ - سوف يُساعد البشر - لا محالة - على استعادة قدر من الثقة بأنفسهم وبمستقبل حضارتهم فينظرون إلى الأمور نظرة من يرى أن ما هو مُحتمل خيرٌ مما هو حقيقي، علمًا بأنّ في هذا النظر من التفاؤل بقدر ما فيه من التّشاؤم، لكنّ الأمر المهمّ هو ألا ينطفئ ما بقي من بصيص الأمل في قلب الإنسان، وأن لا تنسدّ في وجهه جميع شعاب التّمنّي.

ومن المسائل التي تستدعي مزيدًا من النظر والبحث في أفق الفكر الفلسفي المعاصر:

- القدرة الإنسانية وحدودها في ميدان المعرفة العلمية والمستجدات التكنولوجية، لا لوقف تيار التقدّم بل للحدّ من غلوائه وانحرافاته، والتخفيف من آثاره السلبية في السلوك الخلقي الأمثل للإنسان وفي علاقات الشعوب والأمم بعضها ببعض.

- تجديد النظر في طبيعة العلاقة بين العلم والإيمان[٦].

- تعامل الإنسان مع محيطه الحيوي والطبيعي في ضوء التقدّم العلميّ والتكنولوجي الزاحف.

- التحوّلات الطارئة على مفاهيم القوة والسلطة والنفوذ في دول العالم، ومصير الإيديولوجيات وأثر ذلك في حريات الإنسان وحقوقه الطبيعية والمدنية[٧]، ومواقفه من الصدمة التي تُحدثها المعارف العلمية بلا انقطاع.

وهذه المسائل - كما ترى - مرتبطٌ بعضها ببعض، وللعلم التّجريبي فيها حظٌّ من نظرٍ، إلاّ أن حظوظ النّظر الفلسفيّ فيها أكبر وأوسع، إذ موضوعها الإنسان وحضارته ومصيره القريب والبعيد.

الروح والجسد

وقبل أن أختتم هذه الخواطر أودُّ أن أعود إلى صاحب كتاب «**نهاية التاريخ**» لأنقل فقراتٍ مُعبّرة من بابه الخامس الذي يحمل عنوان «**آخر إنسان**»، يقول **فوكوياما**:

«لقد صار من أصعب الأمور على سكّان المجتمعات الديمقراطية أن يقيموا حسابًا جادًّا للمشكلات ذات المحتوى الخُلقي في الحياة العامة، لأن الأخلاق تقتضي التمييز بين الأقبح والأفضل، والقبيح والحسن، وهو ما يظهر أنه ينتهك المبدأ الديمقراطي الذي يقوم على التسامح. ومن أجل هذه العلّة فإنّ «آخر إنسان» إنّما يهتم بصحته وسلامته الذاتيتين، لأنهما - على الأقلّ - واقعان لا جدال فيهما. ففي أمريكا، اليوم، قد يكون خارجًا عن اللياقة أن يتقدّم رجلٌ نحو صديقٍ له متزوجٍ يراه برفقة خليلةٍ له في مطعم فيشنّع عليه علانيةً وأمام الملأ لكونه يخون زوجته. فالناس الذي يُقدمون على مثلِ هذا الفعل يُعدون في نظر الآخرين أخلاقيين تُعساء مجردين من أيةِ صفة تُجيز لهم أن يملوا على الناسِ النهج الذي يجب أن يتّبعوه في معيشتهم. على أنّ إنسانًا كهذا يمكنه أن ينهضَ من مكانه ويَطلب من الآخر أن يَكفَّ عن التّدخين. وبعبارة أخرى نحن نشعر بأنه من حقّنا أن نملي على الآخرين دروسًا متى تَعلّق الأمر بصحَّتهم البدنية، وأنّه ليس لنا ذلك إذا كان الأمر متعلّقًا بصحتهم الخُلقية. إنّ الأمريكيين إنّما يستبدُّ بهم الانشغال بصحّة بدنهم - أي بطعامهم وشرابهم، وبالتمرينات التي يزاولونها، وبمظهرهم الخارجي - حتى إنّ ذلك صار بمنزلة وساوسِ أعظم مما كان يعتري أسلافهم تجاه المسائل الخُلقية»[٨].

فهل نَعُدُّ هذا «الوسواسَ» من مبادئ التسامح ومن مزايا «الديمقراطية الليبيرالية» التي يُبشرنا «**فوكوياما**» بوقوف عجلةِ التاريخ عندها، أم إن الإنسان كان - منذ أن برأه الله - وما يزال مُركّبا من جسد وروح، وأن الجسد قوامه الطعام والشراب والهواء والحركة ومُتطلّبات حفظ النوع، وأن الروح قوامها العقل والأخلاق والحكمة وحسن التدبير، وأن الاعتدال في الاستجابة لمطالب الجسد وتوجّهات الروح هو طريق السلامة والعافية؟ وإلاّ فكيف يحافظ المرء على صحّة بدنه إذا انقاد انقيادًا أعمى لشهواته ونزواته بلا وازعٍ ولا رادعٍ يرُدانه إلى العقل وصحّة التمييز؟

الهوامش

(1) Karl Jaspers: Introduction à la philosophie. Plon, (Paris, 1990)

(٢) نورث هوايتهيد، «أهداف التربية»، ترجمة نظمي لوقا (بيروت ١٩٥٨) ص ٣٧ - ٣٨.

(٣) الكشف عن مناهج الأدلة، ص ٦٥ - ٦٦.

(٤) ك. ياسبرز. المصدر السابق، ص ٦٥.

(5) Alexandre koyré, Etudes d'histoire de la pensée philosophique. Gallimard (Paris 1971) P. 256.

(٦) صدر في هذا الموضوع كتاب Dieu et la science - «الله والعلم» وهو محاورة بين الفيلسوف الفرنسي المعمّر Jean Guitton والعالمين الطبيعيين Grichka et Igor Pogdanov Grasset, (Paris 1991)

(٧) من المؤلفات التي تستحق التنويه بها في هذا الباب كتاب Alvin Toffler المسمّى Power-shift، صدرت ترجمته الفرنسية Les nouveaux pouvoirs عن دار Fayard (باريس ١٩٩١).



روضة المقياس (مقياس النيل بالروضة حيث منزله وحيث تكرر هذا المكان كثيرًا في شعره)



محمود سامي البارودي

البارودي

بشير الاتجاه الوجداني في الشعر العربي الحديث

بقلم: أ. د. عبد القادر القط

يُعرف البارودي عند نقاد الشعر ودارسيه بأنه رأس حركة رائدة في الشعر العربي الحديث سميت «حركة الإحياء»، وأنه ـ باحتذائه أنماط الشعر العربي القديم في عصور ازدهاره احتذاءً تسانده موهبة قادرة وتأثر بطبيعة العصر الحديث ـ قد هيأ للشعر نقطة بداية صالحة ينطلق منها إلى أساليب أكثر أصالة وأقل جنوحا إلى التقليد، وأقدر في معجمها وصورها وإيقاعها على التعبير عمّا كان قد طرأ على الحياة في المجتمع العربي من تحول حضاري كبير.

من كتاب العدد



● أ. د. عبد القادر القط.

ـ أستاذ الأدب العربي في جامعة عين شمس بمصر.

ـ حصل على جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م (بالاشتراك).

ـ فاز بجائزة الدولة التقديرية في مصر عام ١٩٨٤م.

ـ له ديوان شعري باسم (ذكريات شباب) صدر عام ١٩٥٨م.

ـ رأس تحرير مجلتي (شعر) التي صدرت في القاهرة عام ١٩٦٤، و(إبداع) منذ صدورها عام ١٩٨٥م حتى أوائل هذا العام..

ـ له إسهاماته النقدية البارزة في الصحف والمجلات العربية.

ـ من كتبه: من فنون الأدب (١٩٧٨م)/ في الأدب المصري المعاصر (١٩٥٥م) / قضايا ومواقف (١٩٧١م)/ قضايا التجديد في الشعر العباسي (١٩٦٢م)/ في الشعر الإسلامي والأموي (١٩٧٦م)..

وقد شاركه في ذلك الصنيع شعراء لاحقون من أقطار الوطن العربي. امتدت بهم الحياة حتى أصبحوا من أعلام نهضةٍ تَلَتْ حركة الاحياء، هي حركة التجديد. وشعر **البارودي** ـ كما هو معروف ـ يشبه إلى حد كبير في معجمه وبناء عبارته وصوره وأخيلته وايقاعه العام شعر كبار الشعراء في العصر العباسي، وشعر العذريين في الدولة الأموية، وإن تميز بلمسات «عصرية» تنم عن انتمائه إلى العصر الحديث. وهي لمسات تظل مجرد إحساس خفيٍّ يشيع خلال كثير من مظاهر التقليد.

والبارودي لا يخفى احتذاءه تلك النماذج القديمة، وهو كثيرا ما يعارضها غير مصرّح أحيانا، ومصرحًا في بعض الأحيان، كما في قوله من قصيدة يعارض بها قصيدة أبي نواس المعروفة في مدح الخصيب:

فلو كنت في عصر الزمان الذي انقضى
لباءَ بفضلي جَرْوَلٌ وجريرُ
ولو كنت أدركت النواسيَّ لم يقُلْ
أجارة بيتنا أبوك غيور



على أن المكانة التي تبوأهـا البارودي في عصره تبين أن الناس قد وجدوا في شعـره شيئا غير مجرد تقليـد القـديم، فقد كـان الشعـر القديم بين أيـديهم في الدواوين وكتب الأدب، يقرأونه فيجدون فيه من الشـاعرية والأصالة ما قد لا يظفرون بمثلـه عند البارودي، إن كـان ما يبتغـون هو مجرد الأساليب الشعـرية القديمة.

فما الذي جعل النـاس يكبرون الشاعر كـل هذا الإكبار، ويتغـاضون عن كثير مما في شعره من مظاهر التقليد البيّنة؟

يعود ذلك - فيما أرى - إلى أن أبناء ذلك العصر قد وجدوا في شعر البارودي وتجاربه تعبيرا — غير مباشر - عن بوادر تغيّرٍ اجتماعـي كان قد بدأ يـرى في بناء المجتمع ويعي الناس أحيانا بعض ظواهره، ويحسون ببعضها إحساسا تلقائيًّا غير واع أحيـانـا أخرى، ويشير إلى أن المجتمع قـد أخـذ يتحـول إلى مـرحلـة حضارية حديثة قوامها - داخل عناصر متشابكة من تحولات ثقافية واقتصادية واجتماعية - وجود جـديد للفرد ينحو إلى أن يكون له كيانـه المتميّز ونشاطه الحر ومشاركتـه في شؤون مجتمعـه ووطنه، وإحساسـه الخاص بالحيـاة. لذا تجاوب الناس مع كل ما يرضي هذا الوعي أو الإحساس التلقائي.

رومانسية جديدة

ولعلّ ممّا يصوّر إحساس الناس الخفيّ بذلك التطور حينذاك، تلك الفكرة التي بنى عليها **المويلحي** كتابه المعروف **«حديث عيسى بن هشام»**، وفيه يبعث أحد الباشوات من القرن التاسع عشر فيهبط إلى القاهرة «الجديدة» ويشاهد ما طرأ على حياة الناس فيها من تغير يصيبه بكثير من العجب والذهول ويدفع به إلى كثير من المفارقـات والمواقف الطريفـة النابعة من اختـلافٍ بين ما كـان قد عـاش عليـه من قيم وسلـوك اجتماعي، ومـا يشهد من قيـم جديـدة وسلـوك حديث يمارسه «الفرد» في مجالات الحيـاة المختلفة على نحو لم يكن معهودا من قبل. ولعلنا نستطيع أن نطلق مصطلح «الذاتية» على مـا وجده الناس في شعر البارودي من مقـومات — وبخاصـة في تجاربه — تنبئ بذلك التطـور الحضاري الذي قُدِّر له أن يتكشف - بعد سنين — عن أكبر حركة تجديد في الشعر العربي الحديث هي حـركة «الاتجاه الـوجداني» — أو «الرومانسيـة» كما يعرفهـا أغلب الناس.

وليس المراد بالذاتية أن يقتصر الشاعر على التعبير عن ذاته وعواطفه وتجاربه الشخصية وحـدهـا — وإن كان ذلك أحد مظـاهر الـذاتية — بل المراد أن يكون للشـاعر كيـان مستقل ونظـرة متميزة للحيـاة والنـاس، ووجـدان يقظ يرصـد المجتمع والطبيعة والنفس البشرية و «يُفْصـح» عن رؤيته الخاصة دون أن يخفي عواطفه بدافع من حرج نفسي أو اتباعًـا لأنماطِ «موضوعية» من التعبير قد تشي بإحساس الشاعر لكنها لا تفصح عنه.

ولم تكن أمثـال تلك التجارب الـذاتية جـديدة على الشعـر العربي لكنهـا كـانت قليلـة فيه بـالقيـاس إلى النـزعـة «الموضوعيـة» التي تختفي وراءهـا ذات الشاعر. على حين كان **عصر البارودي يـؤذن بظهور حـركة محورهـا الأول ذاتية الشاعـر وتعبيره الصريح - الحادّ في كثير من الأحيان - عن وقع الحيـاة على فكره ووجدانه.**

لقد ظل الفرد في العصر الجاهلي وثيق الارتباط بكيانه الاجتماعي القبلي، ولم تكن هناك حدود واضحة تفصل حياته الفردية وتجاربه الخاصة عن حياة قبيلته وتجاربها. وقامـت القصيدة العـربية - في الغـالب — على المزج بين ما يبـدو أنه عواطف ذاتية خالصة، وبعض أمور القبيلة في الحل والترحال والحرب والسلام والقحط والرخاء.

ولم تكن العواطـف الذاتية بعيـدة عن أمور الجماعـة ووجوه نشـاطها ونمط حياتها الحضارية، فلم يكن الوقوف على الأطلال والرحلة إلا تعبيرا - من خلال التجربة الفردية - عن القضايا الوجدانية والروحية والحيوية للجماعة.

> حافظ البارودي على فخامة القصيدة العربية وأضاف إليها لمسات «عصرية» تنم عن انتمائه للعصر الحديث ..

وهكذا اختلطت ذات الشاعر بموضـوعات أعم من تجاربه الخاصة، فلم تدفعه التجربة الشخصية المفردة إلى تميّز واضح في الأسلوب والصور الشعرية، إلا في القليل النادر. واكتفى الشاعر بالأنماط السائدة التي كان قد اهتدى إليها الشعر الجاهلي معبرة عن ذلك الوجود المزدوج.

على أن ذاتية الشـاعر الجاهلي كانت تبدو واضحـة كلما انسلخ عن جماعته بحكم الأحوال انسـلاخا دائما، كـامرئ القيس في حيـاته العـاصفة، وعنترة في كفـاحه من أجل حـريته وحبـه، وكبعض الشعراء الصعـاليك في تمرُّدهم على أعراف مجتمعاتهم، أو انسـلاخًا مؤقتا كطرفة في خصـومته مع «ذوي القربى».

وكـذلك تبـدو ذات الشـاعر عنـد شعـراء مقلّين كـانـوا يقـولون مقطـوعـاتهم وقصـائدهم المعـدودة في وقدةِ شعـورٍ حـاد أثاره حـادث عـارض، وفي بعض قصائد ذاتية لشعراء ذوي تكوين نفسي خاص كالأعشى في قصائده التي تصوّر نزواته وتجاربه الحسّيـة، على أنه - في تلك الأحوال جميعا - ظل الشـاعر حريصا على أن يحقق في شعره - بدرجات متفاوتـة - ذلك الرونق الكلاسيكي الذي يقوم على تحويل «الذاتي الخاص» إلى «عـام مطلق» لا يستدعي التعبير عنه خـروجا

كبيرا على الأنماط السائدة في اختيار المعجم وبناء العبارة وطبيعة التشبيه والمجاز، في إطار من إيقاع عام مشترك.

ولعل هذا هو ما أراده النقاد القدماء بمصطلح «الرصانة» أو «الجزالة».

ومن تلك النماذج الذاتية المتميزة في الشعر العربي القديم ومن أشعار العذريين استمدَّ البارودي غذاءً لتجربته الذاتية المتميزة مستوحيًا كثيرا من أساليبهم وصورهم وإيقاع شعرهم العام.

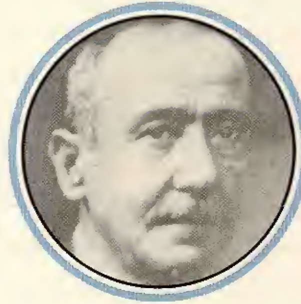
ومن المعروف أن حياة البارودي قد حفلت ـ منذ صباه ـ بالأحداث والتجارب، فخاض وهو شاب حرب كريت، ثم اشترك في حرب البلقان، ثم قُدِّر له أن يضطلع بدوره المعروف في الثورة العرابية، وأن تنتهي حياته بالنفي سبعة عشر عاما، فقد أثناءها زوجه وبعض ولده وأصدقائه في أرض الوطن، ودبّت إلى جسده الشيخوخة، وإلى روحه اليأس بعد معاناة طويلة من مرارة الهزيمة والندم والغربة.

تجارب ذاتية

وقد فرضت هذه التجارب على الشاعر أن يرتدّ إلى ذاته، فينبعث في شعره ـ



خليل مطران



أحمد شوقي

على الرغم من مظاهر التقليد البادية ـ من الحرارة والعواطف الممتزجة بالبصيرة النافذة ما لا ينبع إلا من التجربة والملاحظة الدائبة للنفس والناس والحياة. وقد ظلت تلك الظاهرة ملحوظة من قبل في الشعر العربي عند شعراء كانت لهم تجارب خاصة في الحياة طبعت بعض شعرهم بسمات ذاتية تميزوا بها عن سائر الشعراء. وقد تحققت هذه الظاهرة بعد البارودي عند شوقي، حين فرضت عليه طبيعة المسرحية أن يتمثل مواقف الشخصيات وتركيبها النفسي وشعورها في النصر والهزيمة والحب، فجاء شعره في مسرحياته أكثر أصالة وأصدق تعبيرا من أغلب قصائده في دواوينه. ولعل ذلك كان من وراء اختيار شوقي رئيسا لإدارة «جمعية أبولو» التي كانت وليدة نموّ الاتجاه الوجداني ـ أو الرومانسي ـ واتجاه الشعراء إلى نبذ شعر الأحداث والوقائع والمناسبات والإخوانيات ليعبروا عن تجاربهم الذاتية وإحساسهم بالتحولات الحضارية حينذاك.

والحق أن ديوان البارودي يكاد يخلو من شعر المناسبات والأحداث الجارية و«الإخوانيات» التي كانت محور أشعار كثير من معاصريه، والتي أخذها أصحاب «الديوان» على شوقي بعد ذلك. وليس للبارودي من هذا إلاّ قصائد ومقطوعات قليلة يرثي بها بعض أصدقائه المخلصين في مصر والوطن العربي، كرثائه لصديقه الأديب والشاعر المعروف **عبد الله باشا فكري**، وصديقه **الشيخ حسين المرصفي**، **وأحمد فارس الشدياق**، ورسالتاه إلى الأمير **شكيب أرسلان**. ومدائح معدودة في **الخديوي توفيق والخديوي عباس حلمي** اقتضتها الضرورة. ولا تخلص هذه القصائد القليلة للرثاء أو المديح بل يمتزجان بعواطف الشاعر وفكره.

وهو حين يرثي صديقيه **الشيخ حسين المرصفي وعبد الله باشا فكري** لا يخلص إلى الحديث عنهما إلاّ بعد حديث يبدو كأنه رثاء لنفسه يمتزج فيه الشوق إلى ملاعب الصبا بالشعور المُمِضّ بعجز الشيخوخة والضيق بما يلقاه من لوم اللائمين في أعقاب الهزيمة:

ليت شعري متى أرى روضة المنيل
ذات النخيل والأعنابِ
حيث تجري السفين مستبقات
فوق نهر مثل اللجين المذاب
قد أحاطت بشاطئيه قصور
مشرقات يَلُحن مثل القباب
يا نديميَّ من سرنديب كُفّا
عن ملامي وخلّياني لما بي
كيف لا أندب الشباب وقد أصبحت
كهلا في محنة واغتراب
لم تدع صولة الحوادث منّي
غير أشلاء همّة في ثياب
فجعتني بوالديّ وأهلي
ثم أنحت تكرُّ في أترابي
كل يوم يزول عني حبيب
يالقلبي من فرقة الأحباب!

السيف . . . والقلم

ولعل مما زاد التفات الناس إلى شعر البارودي وإعجابهم به، أن حياته الحافلة بالأحداث ونهايته الفاجعة وكثرة حديثه في شعره عن الفروسية وتحوّل المصائر وخيانة الأصدقاء، جعلت منه ومن سقوطه الفاجع شخصية «مأساوية» مثيرة للوجدان الرومانسي، ممثلة للصراع بين القدرة والعجز، والإرادة والقَدَر، وسقوط «المثال» وانكسار المنتصر. وكلها معان تمثل جوانب أساسية للتصور الوجداني أو الرومانسي للحياة.

ولم يكن غريبا أن يكون من المترددين على ندوة البارودي الأدبية بعد عودته من منفاه بعض شباب الشعراء والأدباء من روّاد الاتجاه الوجداني حينذاك، ومنهم **خليل مطران ومصطفى صادق الرافعي**.

ولعلّ في تعبير **مطران** عن طبيعة تجاربه الشعرية في مقدمة ديوانه الأول عام ١٩٠٨م (بعد وفاة البارودي بأربعة أعوام) ما يشير إلى صلة نفسية ربطت بين البارودي، وبين هؤلاء الشباب المجدّدين الداعين إلى الشعر الذاتي والحركة



الوجدانيـة: «. . . وغاية ما أتمناه لدى القـراء من الجزاء على هذه العبر المروية والغـرائب المحكيـة والنـوادر الممثلـة والصـور المخيّلـة، أن يشـاركـوني في «وجـداني» . . . وأن يستفيدوا من منـاصحتي ويتخـذوا أدوية لجراحـاتهم من «جـراحـاتي» . . . » ولا شك أن التعبير عـن الألم النفسي والأسى العـاطفي «بالجراحات» كـان شيئا جديدا يصـوّر إحساس الشاعر «المأسـاوي» بالحياة، وانجذابه إلى غيره من أصحاب «الجراحات» وعلى رأسهم البارودي.

ولم يكن هؤلاء الشبـاب بغافلين عما في شعر البـارودي من مظاهـر التقليد الغـالبة، لكنهم غفـروا ذلك له، من أجل هـذه القدرة البـاكرة على النهـوض بالشعـر من الوهدة التي كان قـد تردى فيها إبان العصر التركي، وانجـذابا إلى شخصية بعثت في خيـالهم الرومانسي المشبوب صـورة الشاعر الفـارس القديم الذي يقضي حياته بين حرب وحب وصراع، ثم ينتهي به المطاف قتيلا أو أسيرا أو مهزوما، يبثّ مأساته في شعره، وينطق بمرارة اليأس أو حكمة التجربة.

ولعلّ مـوقف العقاد من شـوقي والبارودي يمثل إحسـاس ذلك الجيل من الشباب ممـن كانـوا يتطلعون إلى شعر يعبر عـن تجربة صادقـة ويصوّر مـوقف الشاعر من نفسه ومن المجتمع والطبيعة والحياة، ويأخذون على كثير من شعراء عصرهم ـ وعلى رأسهـم شـوقي ـ تنكّرهم لتجاربهم الخاصة وعـزوفهم عن رصد تجارب الآخرين، والمتـابعة المسرفة للأحـداث السياسية والاجتماعية العـارضة، والمناسبـات التي يتكلف الشاعر الحديث عنها وهي في كثير من الأحيـان بعيدة عن وجدانه.

منتهى الشاعرية

يقول العقاد: (١) «. . . دع مواضع التقليد التي قضى بها حكم العصر أو حكم الصناعة اللفظية، واستعرض ديوان **البارودي** كله لا ترَ فيه بيتا واحدا إلاّ وهو يـدل على البارودي كما عرفنـاه في حياتـه العامة أو الخاصـة، أو يدل على البارودي كما وصفته لنا أعماله وصوّره لنا مـؤرخوه. وهذه آية الشاعرية الأولى، لأن الشعر تعبير، والشـاعر هـو الذي يعبر عن النفـوس الإنسانيـة، فإذا كان القائل لا يصف حياته وطبيعته في قولـه فهو بالعجز عن وصف حياة الآخرين وطبائعهـم أولى. وهو إذن ليس بـالشاعر الـذي يستحق أن يتلقى منـه الناس رسالة حياة وصورة ضمير».

ويقول الدكتور محمد حسين هيكل ـ وهو أيضا من روّاد الوجدانية المعروفين في الرواية ـ مقدّما لديوان البارودي:

«شعـر البارودي حيـاته، فكل قصيـدة في ديـوانه صـورة لحالة نفسيـة من حالات هذا الشاعر الملهَم. والديوان في مجموعه صورة للعصر الذي عاش فيه وللبيئة التي أحاطت به وللنهضة المتوثبة في الحياة من حوله. . . وشعر المنفى، كشعر الشباب وشعر الكهولة، صورة صادقة لهذه الحياة التي أراد لها القدر أن تكون نغما من الأنغام تسمو بها النشوة إلى ذروة السرور والطرب حينا، ويدفعها الطمـوح إلى مضطـرب الثـورة والمثل الأعلى حينـا آخر، ثم تصقلهـا السن ويصقلهـا النفي، فإذا الحكمـة والحنين والحب تبعـث إلى هـذا النغم سكينـة تسمو بها على المألـوف من ألحان الحياة، لا يغيّر من ذلـك ما يدفعـه النفي إلى نفس الشـاعر من ألم تترجم عنـه صيحات ثـائرة تعيد أمـام أذهاننا صـورة من نزوات شبابه وثورة كهولته».


عباس العقاد


د. محمد حسين هيكل

وقد يؤكد أن تقدير رواد الحركة الوجدانية للبارودي كان نابعا في المقام الأول من تقديرهم لتجاربه الشعريـة الذاتية، أنهم في دراستهم للتراث قد عنوا عناية خاصـة بشعراء عُـرفوا بتميُّز شخصيـاتهم وخروجهم على الإطـار «الموضوعي» العام الذي كان يدور فيه كثير من الشعر العربي القديم ليعبروا عن نظرة خاصة أو سلوك متفـرد، من أمثال **أبي نواس وابن الـرومي وأبي فراس** وبعض شعراء الحركة العذرية، وتغاضوا عمّا في كثير من شعر **أبي العلاء المعري** من نزعة عقلية غالبة واتجاهات لغـوية وأسلوبية بعيدة أحيانا عن طبيعـة روح الشعر، إعجابا بمـوقفه الفكـري والاجتماعي واعتزازه بـذاتـه وتمرّده على تلك الموضوعيـة التي فـرضتها طبيعـة العصر على غيره من الشعـراء. ذلك لأنهم كـانـوا يؤمنـون أن «أساليب» الشعر تمليها طبيعة العصر العـامة، وإنما يتميز الشاعر داخل ذلك الإطـار العام بمقـدار إخـلاصه لمشـاعـره وتعبيره عن ذاتـه من خلال تجاربـه الشخصية ورصده للحياة ولتجارب الآخرين. وقد ظلوا هم أنفسهم يتأرجحون زمنا غير قليل بين ما تجلبه التجربة الذاتية من حداثة في التعبير والتصوير، وما تفرضه طبيعة التراث الذي كان ما زال مُنْطلقا أساسيا للنهضة العربية الحديثة.

عناصر جوهرية

على أن إرهاص البارودي بالحركة الرومانسية لا يتمثل في تصويره للتجارب الذاتية فحسب، بل يعـود أيضا إلى طبيعة تلك التجارب، ومـا يبدو فيها من مقومات هي عناصر جوهرية في التجربة الرومانسية.

ومن المعروف أن «الغربة» محور أساسي في كثير مـن القصائد الرومانسية، وقد تكون غربة نفسية أو روحية منذ البداية، أو اغترابا مكانيا يُفضي في النهاية إلى الغربة النفسية والروحية.

وقد اغترب البارودي منـذ صباه الباكر، وكـان في نحو الخامسة والعشرين حين اشترك في حرب كريت، شابا طموحا يتطلع إلى أن يحقق لنفسه من خلال الحرب مكانـة مرموقـة. وعلى الرغم من شبـابه وطموحـه وإقباله على المغـامرة

يمتزج وصفه للحرب بالتعبير عن غربته وحنينه إلى حبه ووطنه . وقد تخلص بعض مقطوعاته للغربة والحب والأشواق دون ذكر للحرب .

وقد يبدأ مقطوعته بتلك اللحظة الأثيرة التي كانت تثير خيال الشاعر الجاهلي وأشواقه إلى البعيد والمجهول حين يلوح له البرق على هدأةٍ من الليل .

لكن البارودي ينسب البرق إلى مصر فيسميه «برقا مصريًا»، ولا يدعو صحابه النيام ـ كما كان يفعل الشاعر الجاهلي ـ ليشاركوه تلك التجربة الفريدة، ولكنه يأرق وحده له!

سرى البرق مصريا فأرقني وحدي
وأذكرني مالست أنساه من عهد

فيا برق حدّثني ـ وأنت مصدَّق
عن الآل والأصحاب : ما فعلوا بعدي

وعن روضة المقياس تجري خلالها
جداول يسديها الغمام بما يسدي

نعمت بها دهرًا، وما كلّ نعمة
حبتك بها الأيام إلاّ إلى السرد

العقاد : آية الشاعرية عند «البارودي» أن كل بيت شعري عنده يدل عليه ..

ثم يمزج أشواقه بالحب في صور تقليدية ـ كأغلب صوره ـ لكنه في بعض الأبيات يطلق القول فيحتمل بعض التأويل الذي يتجاوز التجربة العاطفية ويقترب من لحظات الغربة الروحية المعهودة عند بعض الشعراء القدماء والمحدثين .

مطالع عاطفية

والمطالع العاطفية لكثير من قصائد البارودي الطويلة التي تتطرق إلى تجاربه أو إلى محنته قد تبدو اتباعا لتقاليد القصيدة العربية القديمة التي يتنقل الشاعر فيها من مشهد إلى آخر، لكنها في كثير من الأحيان تبدو ـ عند إمعان النظر ـ مفاتيح لتجربة القصيدة التي تمثل محورها الأساسي . فالشاعر كثيرا ما ينادي في تلك المطالع «سراة الحمى» لكي يعينوه في مأساته العاطفية وينتصروا له من ظلم من يحب . ومثل هذه الدعوة تبدو بيّنة السخف إذا لم نربطها بتجربة القصيدة الأساسية التي تدور حول محنة الشاعر وغربته وهزيمته .

وفي جزء من المطلع العاطفي الطويل في قصيدته المعروفة تلك :

لكل دمع جرى من مقلة سبب
وكيف يملك دمع العين مكتئب

يقول :

وعاد ظني عليلا بعد صحته
والظن يبعد أحيانا ويقترب

فيا سراة الحمى، ما بال نصرتكم
ضاقت عليَّ، وأنتم سادة نُجب

أضعتموني وكانت لي بكم ثقة
متى خفرتم زمام العهد يا عرب؟

أليس في الحق أن يلقى النزيل بكم
أمْنًا، إذا خاف أن ينتابه العطب؟

فكيف تسليني قلبي بلا تِرَةٍ
فتاة خدر لها في الحيّ منتسب؟

وفي البيت الثاني والبيت الثالث، يبدو الارتباط صريحا بين التجربة العاطفية والمحنة النفسية .

عصر جديد

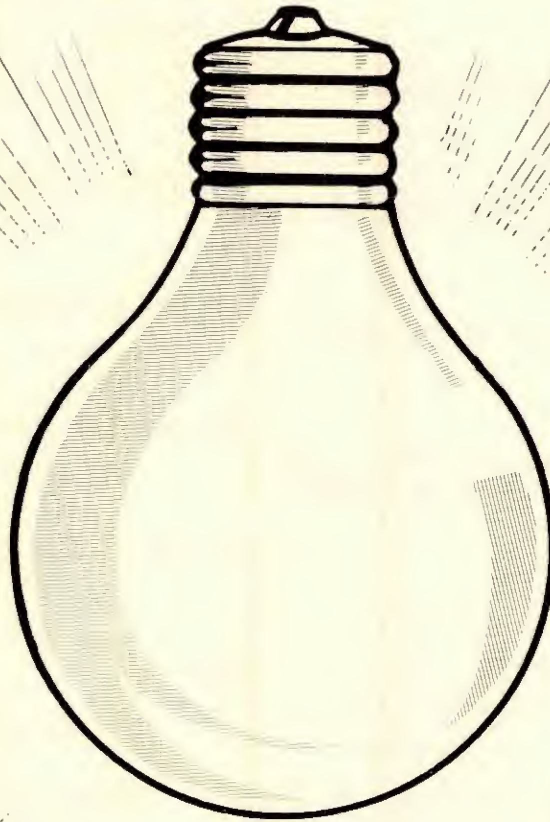
ولا يزعم الدارس أن البارودي كان بشيراً واعيا بالاتجاه الوجداني أو الرومانسي أو داعيا إليه لكنه كان موهبة فريدة أطلعتها تلك المرحلة لتعبّر من خلاله عن طبيعتها وعما يجري ـ تحت السطح ـ من تحولات غير منظورة تؤذن بالانتقال إلى عصر جديد . وللمجتمعات والمراحل الحضارية قانون معروف . فهي تنجب أشخاصا ذوي مواهب وقدرات خاصة يقودون حركة التحول ويستجيبون لحاجات المجتمع ويبشرون ـ واعين أو غير واعين ببوادر الانتقال الجديدة .

وقد كان البارودي واحدا من هؤلاء، أنجبته المرحلة الحضارية العربية في أخريات القرن التاسع عشر ليكون صلة بين الماضي والحاضر وبشيرا بحركة شعرية كبرى بدأت طلائعها منذ بداية القرن العشرين . وكأنما زودته المرحلة بالموهبة وما يغذوها من بواعث لكي «يحس» شباب الشعراء في تجربتها الذاتية صدى لوجودٍ جديد للفرد العربي المثقف الذي يحرص على أن يكون له شخصية متميزة في الإحساس بالحياة والتعبير عنها . ولئن كان البارودي مقلدا للأقدمين في كثير من شعره فإن تجربته التي تدور حول إحساسه ورؤيته الذاتية قد نفذت من وراء صور التقاليد إلى نفوس كثير من شباب الشعراء الذين كانوا ـ بتأثير كثير من العوامل الثقافية الاجتماعية الأخرى ـ مهيئين لاستقبال كل ما يغذو تطلعهم إلى أدب وشعر جديد، وتَمثّل الشعر الجديد في الحركة الوجدانية أو الرومانسية التي اتسعت فشملت شعراء الوطن العربي كله والشعراء العرب في المهاجر الأمريكية وتجاوزت إلى حد بعيد ما كان قد بدأه البارودي، وإن ظل له فضل الخطوة الأولى .

هامش

(١) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ص ١٣٣ .

أخي المواطن ..
افضل التيار عندما لا تكون هنالك حاجة



ترشيد استخدام الكهرباء عمل وطني

مع تحيات



سابك

الشركة السعودية للصناعات الأساسية

والشركات التابعة لها



حديد صلب سافكو سماد ابن البيطار الرازي ابن سينا صدف كيميا ينبت بتروكيميا شرق غاز ابن حيان ابن زهر

الرحلة في أدبنا المعاصر

بقلم: أ.د. سيد حامد النسّاج

دعونا في مقال سابق (الفيصل ـ عدد يونيو ١٩٩٢م) إلى ضرورة دراسة أدب الرحلة فنيًّا وموضوعيًّا. في محاولة لمعرفة خصائص هذا اللون من الكتابة الأدبية الفنية. وقد أشرنا إلى عددٍ من المؤلفات التي جعلت بعض كتاب الرحلة في تراثنا العربي القديم، موضوعًا دارت حوله. لكنَّا لم نعثر ـ حتى الآن ـ على دراسة تتوفّر على ما بين أيدينا من كتابات تأتي في هذا الشكل الفني. ومن ثم فإنا نبدأ في هذا المقال بالإشارة إلى بعض كتابه المحدثين.

وإذا ما خطونا خطوة نحو الأدب الحديث والمعاصر؛ فإنا سوف نجد للأديب الكبير **محمود تيمور** إسهامًا واضحًا في أدب الرحلات فلم يخلف رحلة أو رحلتين كما لاحظنا عند الكتاب القدامى؛ وإنما سجّل أربع رحلات في أربعة كتب. جاءت رحلته الأولى في كتاب (**أبو الهول يطير**) مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٤٧م. والثانية في (**شمس وليل**) مكتبة الآداب ومطبعتها ١٩٥٧م. والثالثة في (**جزيرة الجيب**) مكتبة الآداب ومطبعتها ١٩٦٣م. والرابعة في (**خطوات على الشلال**) مطبعة الكيلاني الصغير ـ القاهرة ١٩٦٥م . . . والرحلات جميعًا تلتقي عند مجموعة من السمات، وقد قام بثلاثة منها على نفقته الخاصة. وكان قد اطلع على تراثنا العربي القديم في هذا المجال. وحاول أن يكون أسلوبه متميزًا، ورؤيته مستقلّة، وصوره أقرب إلى الصور الأدبية في تعبيرها عن الواقع الذي يشاهده وينقله. كما أنه كان شديد التأمّل والوقوف عند كل ما يتصل بالثقافة والفن، من مكتبات، ومتاحف، ودور عرض سينمائي ومسرحي، وما شابه ذلك.

أبو الهول يطير

أمّا رحلته (**أبو الهول يطير**) فإنه أطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى الطائرة التي نقلته إلى **أمريكا**؛ وكانت تسمى «**أبو الهول**». والهدف من رحلته هو


محمود تيمور

علاج زوجته هناك. وقد بدأت رحلته في ٣٠ من مارس. وفي طريقه إلى **أمريكا** مر **بأثينا، وروما، وسويسرا، وباريس**، وبعض المدن الأخرى. علمًا بأنه كان يمكث في كل بلدٍ عددًا محدودًا من الساعات؛ إلى أن تزوّد الطائرة بالوقود؛ أو بقصد الراحة. ولم يبق يومًا واحدًا إلاّ في **باريس**. . ونراه يصف الشوارع، والمباني، وناطحات السحاب، والمتاحف، ووسائل المواصلات، والصحافة، والمجلات، والمسارح، والمطاعم، والطرق؛ وكل ما رآه في **أمريكا**. وقد كتبت هذه الرحلة في شكل مذكرات ورسائل. وقد اتخذت الرسائل طابعًا حزينًا، إذ كان يبعث بها إلى روح ابنه المتوفى. بدأت في ٤/ ٤/ ١٩٤٦م وانتهت ٥/ ١٠/ ١٩٤٦م. تتصدرها دائمًا دعوة (**أي بني**).

ولم تكن الرحلة خالصة للعلاج، ولكنها كانت رحلة سياحية في ذات الوقت، لأنه لو توفر على العلاج وحده ما أتيحت له فرصة وصف ما أشرنا إليها من عادات وتقاليد ومبان. وفي كل رسالة كان يربط ما يصفه بما هو موجود في مصر. كما أن كل رسالة تحمل موضوعًا معينًا. مرة يتحدث عن الأدب والفن. وأخرى عن عادات الناس وتقاليدهم. وثالثة يتناول الفنادق ويقارن بينها وبين ما هو موجود في مصر. وهكذا عن الكتب والسينما والصحافة وأحياء **الصين وإيطاليا والزنوج والروس والأسبان وقد عرض للصراع بين البيض والسود**. واستغرقت رحلته إلى **أمريكا** أربعة شهور؛ بالإضافة إلى شهرين قضاهما في البلاد الأخرى. وقد اقترب في رسائله من الأسلوب القصصي باعتباره كاتبًا قصصيًّا من الدرجة الأولى؛ لكن الرحلة في مجموعها لم تفد من خصائص القصة ولم تقترب منها.

الرحلة الثانية كانت إلى **السويد أو بلاد الشمس** في منتصف الليل؛ مستقلاً الطائرة أيضًا. والرحلة عبارة عن فصول، يحمل كل فصل عنوانًا مستقلاً. عرفنا بآثار **السويد** القديمة والحديثة. وكذلك الحدائق، المتاحف، أشهر القصور هناك.

ونالت **عاصمة السويد** جزءًا من اهتمامه. ولعل أعجب ما في الرحلة ثمانية أيام قضاها في قطار الشمس؛ جعل لكل يوم من الثمانية جزءًا مستقلاً. ووصفه يجعل القارئ يعيش في هذه الأماكن وكأنه يزورها معه، ويتنقل فيها من الشمال إلى الجنوب، **من استكهلم إلى شمال النرويج**، والمناجم، والبحيرات، والسهول، والحقول. وخلال ذلك

الرحلة في أدبنا المعاصر

كله لا يفتأ يقارن ما يراه ونظيره في **مصر**. وعناوين فصوله لا تبعد عن: جـزيرة الأحلام ـ الحضارة في خطوات ـ جزيرة الدفاع ـ خطوات في العاصمة. كما أن كل فصل ينقسم إلى أقسام، تحمل أرقامًا. وفي هذه الرحلة يضيف حديثًا عن أوضاع الناس في العالم الثالث والثروة وكيفية استغلالها، وكيف قضى **الشعب السويدي على الجهل والفقر** والمرض.

والرحلة مكانية في المقام الأول، ككل رحلات محمود تيمور السابقة.

من **السويد إلى إيطاليا** حيث تكون الرحلة الثالثة وقد وصلها قادمًا من **سويسرا**. وهي رحلة سياحية كتبها في فصول متنوعة، وضع لكل فصل عنوانًا يحمل اسم المكان الذي يزوره؛ وهذه الأماكن هي: **قدوم على روما ــ جزيرة الجيب ــ قصر طبريوس (قلعة الامبراطور السجين) ـ إلى الميناء الصغير ـ إلى مغنى سان ميشيل ـ المغارة الزرقاء ـ في مدينة الموتى ــ يوم في نابلي ـ المدينة الخالدة روما**. وكانت **روما** هي أكثر المدن التي مكث بها، وحظيت منه باهتمام ملحوظ؛ إذ إنه تحدث عنها في عشرة أقسام: **الآثار القديمة ــ الآثار العصرية الفاتيكان ــ دور العبادة ــ السفارة المصرية ـ الضواحي ـ وغير ذلك**.

ويبدو أن كل مكان في **روما** أشبه بالجيب الصغير؛ لذا فإنا نرى **محمود تيمور يقول في وصفه هذه الجزيرة. (تحل الميناء فإنه ميناء جيب. وتصعد إلى كابري فإذا هي مدينة جيب**. وتبرحها إلى فوق فإذا هي ضاحية جيب فلا تملك إلاّ أن تقرر إنك في جزيرة جيب) وقد قدم لنا هذه المدينة بنفس الأسلوب والطريقة التي قدم بها المدن السابقة. ووقف عند الأماكن التي أشرنا إليها.

والجديد هنا أنه يسرد ويصف ويحكي كما لو كان يتوجه بحديثه إلى مخاطب يجلس أمامه. مما يثير في نفس القارئ إحساسًا بأن الكاتب يخاطبه هو. وربما اتخذ هذه الطريقة وسيلة تحل محل ابنه المتوفى الذي كان يرسل إليه الرسائل. وهنا أيضًا يدون رحلته على هيئة فصول أو موضوعات يحمل كل موضوع اسمًا أو عنوانًا منفصلاً لأشهر الأماكن التي يتحدث عنها في هذا الفصل أو الموضوع. وهو لم يحدّد الفترة الزمنية التي استغرقتها رحلته هذه.

لا ظل للمرأة في هذه الرحلة. ولا علاقة لها بالقصة الطويلة أو القصيرة. وإن كنا نلاحظ أن لغة **محمود تيمور** في الرحلات السابقة لغة سهلة، لا تعقيد فيها ولا غموض. والكلمات ممَّا يقرؤه القارئ في المجلة السيارة أو الصحيفة اليومية. لقد أدرك **محمود تيمور** أنه ينقل تجارب خاصة من ناحية، وأنه يعرف القارئ بأماكن يرغّبه في الارتحال إليها من ناحية أخرى، لذا اختار لها لغة تختلف إلى حد ما عن تلك اللغة التي عرف بها **محمود تيمور** وحرص عليها في كتاباته الأدبية الأخرى.

السندباد

رحلة أخرى لا يفوتنا أن نشير إليها قام بها لزيارة مدينة **أسوان**، ثم **الأقصر**، وما حولهما من معالم أثرية وسياحية. وكان قد دعى لحضور ندوة عقدتها دار الثقافة **بمدينة أسوان**، تحدث عن **السد العالي ومعبد ايزيس وأبي سنبل ومعبد رمسيس الثاني**؛ وطريقة الوصول بالباخرة أو بالزورق أو بالطائرة. **وجزيرة النباتات ومعبد كلابشة وقصر أغاخان**. وقد دوّن هذه الرحلة بعد عودته بفترة طويلة. تحدث فيها بضمير المتكلمين: «**نحن، رأينا، لاحت لنا**». والرحلة كسابقاتها في كل شيء: لغة بسيطة. الوصف حافل بالحركة لا يثير الملل؛ بل إنه جاذب للقراءة. يستعين بآيات قرآنية. يقسمها إلى فصول أو موضوعات لكل منها عنوان مستقل. هدفه سياحي في الأغلب الأعمّ يحتفل بالفن، ويهتم بالمسرح والسينما. يحتل المكان أهمية بارزة. تدور الرحلة حول ذاته وشخصه؛ وإن وُجد آخرون فإنهم قليلون من ناحية، ولا دور لهم من ناحية أخرى. ومع ذلك فإن أحدًا لم يتناول كتابات **محمود تيمور** في أدب الرحلة بالدراسة؛ في محاولة لمعرفة دوره، واكتشاف وجوه التأثر والتأثير المتبادلة مع فنون الأدب الأخرى التي يمارس الإبداع فيها.



د. حسين فوزي

لكن أحدًا من الدارسين لم ينْسَ الدكتور **حسين فوزي**، وهو من جيل الروّاد الذي ينتمي إليه **محمود تيمور**. ذلك أن جُلّ كتاباته الباقية تدخل في هذا المجال. وهو ينفرد من بين أبناء جيله بهذا الاتجاه. ومؤلفاته تشهد بذلك: «**سندباد في رحلة الحياة**» ١٩٦٨، «**سندباد مصري**» ١٩٦٩، «**سندباد في سيارة**» ١٩٧٢، «**سندباد إلى الغرب**»، «**سندباد عصري يعود إلى الهند**»، «**حديث السندباد القديم**»، «**سندباد عصري**» ١٩٧٦.

لفتت شخصية السندباد في «**ألف ليلة وليلة**» اهتمام الدكتور **حسين فوزي** فاختارها لتتصدر عناوين كتبه التي تدور حول الرحلة. **والسندباد البري** رجل حمّال فقير عاش في زمن **هارون الرشيد** ولم يغادر **بغداد**. بينما **السندباد البحري** من أولاد الذوات وأكابر القوم أضاع ثروة أبيه ثم خرج يطوّف في البحار حتى توفرت له أسباب الثراء والنعمة. وقصة **السندباد** قصة خيالية صيغت في أسلوب محكم، ولم تخل من بعض ما ورد في كتب التاريخ والجغرافيا. حاول **الدكتور حسين فوزي** ارجاعها إلى أصلها بشكل أو بآخر. وهو يعني من وراء استخدام هذه الشخصية كل من حاول القيام برحلة برية أو بحرية، وواجهته بعض الصعاب، لكنه استطاع بالعزم والذكاء والحكمة التخلص منها، ثم العودة إلى وطنه سالمًا. وهذا هو ما صرح به في كتابه (حديث السندباد القديم): «**حكاية السندباد هي قصة جميع الرحالين المستكشفين، أولئك الذين يتركون السبيل المطروق السوي إلى المسالك الوعرة المجهولة رغبة في المعرفة، وتحقيقًا لأحلام نفوسهم الغلابة**».

ويضيف **الدكتور حسين فوزي** إلى ذلك ما يشير إلى الكتب التي تأثر بها والشخصيات التي استهوته: « **من أوائل الكتب التي وقعت في يدي وأنا طفل كتابان «ألف ليلة وليلة»، «عجائب الهند بره وبحره وجزائره» لصاحب بزرك بن شهريار الناخداه. وقد استهوتني من ألف ليلة وليلة بصفة خاصة رحلات السندباد. أمَّا الكتاب الثاني فكله قصص وعجائب بحرية؛ إنه رحلات سندبادية دون أن يرد اسم السندباد**». وفي موضع آخر يقول عن السندباد إنه «**معلمي الأول**» ويشكل «**اللحظات الأولى في غرامي**».

ولم يكن ولاء **السندباد الجديد - الدكتور حسين فوزي - تامًّا لسندباده القديم**؛ فقد اختلفت أهداف رحلته عن تلك التي كان **السندباد البري أو البحري** يسعى لتحقيقها. إنه يبحث في الحضارات القديمة أولاً؛ والحديثة بعدئذ. شغلته **الحضارة الفرعونية**، كما بهرته **حضارة العرب في الأندلس، وفي الهند، وفي بلاد المغرب العربي، وفي أوروبا**.

وهو يدعو إلى الأخذ بما يحدث تغييرًا وتطويرًا في المجتمع من وسائل حضارية؛ ولا يناصر تقديس الحضارات؛ أو عبادتها. وفي كتابه (**سندباد في رحلة الحياة**) يقول إنه كان قد ذهب إلى **أوروبا** ليدرس علمًا من العلوم؛ وليطبق ذلك العلم في تنمية الثروة القومية: « **وقضيت شطرًا هامًّا من عمري أؤدي واجبي في هذه الناحية، ولكنني كنت مدركًا تمام الإدراك بأن وراء مهمتي العلمية والتطبيقية شيئًا يفوقها وهو دراسة الحضارة حتى أغوص إلى أعمق أعماقها**». إنه مولع بدراسة الحضارات؛ والانتقال إلى معالمها وآثارها؛ والقراءة حولها؛ وتقديم أحاديث وبحوث عنها.

وقف عند **حضارة الهند** من خلال رحلته إلى هناك على ظهر سفينة من **ميناء الإسكندرية** في بعثة علمية استغرقت تسعة أشهر. «والسفينة كانت ملأى بمجموعة آلات علمية وشباك وصناديق توجد بها آلاف القنينات الفارغة أو التي تحتوي على مواد كيميائية. أمَّا ركاب السفينة فكانوا «نخبة من شبيبة رقيقة الحواشي، ناعمة الأيدي، يظهر على أفرادها أنهم من خريجي الجامعات، ويغلب فيهم ذوو الشعر الأصفر والعيون الزرقاء؛ قيل: إنهم أعضاء بعثة أجنبية جاءت تستعير سفينة مصرية بضباطها وبحارتها، وتشترك مع بعض الأخصائيين المصريين في دراسة مستفيضة لمياه **البحر الأحمر والمحيط الهندي** وما تكنه من أسرار حية وجامدة». سندباد عصري - المقدمة.

ويستمر قائلاً: «**كان من نصيبي أن أركب هذه السفينة طوال رحلتها الهندية. وأن أشترك في مباحثها العلمية. وأشرف على صحة ركابها.**

وكتابي هذا إنما هو صفحات ضمنتها صورًا وخواطر أوحت بها إليّ جولاتي في أنحاء المحيط الهندي، وحياتي على ظهر السفينة. دون ادعاء أو حذلقة فنية. بسيط العبارة يسرد الحوادث ويصف بعض المناظر لا لقيمة خاصة بها، بل تبعًا لما أثارته في نفسي من إحساس، وفي ذهني من تفكير». ثم يصف المناطق التي يمر بها، ويتحدث عن عادات أهلها وتقاليدهم، متابعًا رحلة السفينة في **البحر العربي إلى خليج عمان**، ثم انحدارها إلى **كراتشي ميناء السند**، وعودتها تذرع المحيط الهندي غربًا وشرقًا، وجنوبًا وشمالاً. ونقرأ له وصفًا **لطائفة الهندوس**.

> إن أردت التعرّف على بلدٍ "ما" فاسأل عن عاصمتها ومجلاتها وكتّابها ومثقفيها..

ولا يخفي الكاتب وجهة نظره التي ينظر بها إلى **الحضارة الغربية**. إنها واضحة يمكن تتبعها بعدئذ في كل ما كتب. نجد انعكاسًا لها في رؤيته للحضارة العربية، وفي موقفه منها.

لكنه في (**سندباد مصري**) يغوص بنا في أعماق **الحضارة المصرية القديمة**، موضحًا كيف نبغ الفراعنة في فن العمارة، وغيره من الفنون، وكيف أن الفنان المصري لم يكن «أرتست» بالمعنى الذي نعرف. لم يصوّر ولم يحفر ولم ينحت لتراها العين في معرض، أو ليقتنيها الأثرياء في بيوتهم؛ إنه يعمل للخلود.

وسرّ رقيّ الشعوب وتقدمها، والأسس التي تستند إليها حضارتها، تكمن جميعا في رأيه في نظام التعليم، وفي الفنون، والآداب، والموسيقى، والمسرح. وقبل هذا وذاك: هل توجد حرية فكر أم لا؟! فالفكر الحرّ هو سبيل التقدم يقول: «عرفت للمرة المائة بعد المائة سرَّ رقي الشعوب؛ فهو في غير الزبد والمدفع، إنما هو في فكر الفيلسوف ومعمل العالم، وريشة المصور، وقلم الكاتب» سندباد إلى المغرب - ١٣١. ويقول: «إنني حينما أريد أن أحكم على بلد أسأل عن عاصمتها، إن كانت فيها جامعة، وكيف تعمل مجلاتهم، وماذا يحقق مثقفوهم في العالم، هل لديهم روائيون ممتازون، وما حال المسرح عندهم؟ وما إلى ذلك» سندباد في رحلة الحياة - ١١٥.

وهو لا يغفل الحديث عن كل عنصر من عناصر بناء الحضارة إلاّ وتناوله بالشرح والتحليل، وطالب به، منتهزًا الفرص لذلك في ثنايا كتبه جميعًا. وهي وإن كانت كتبًا في الرحلة فإن رحلته غالبًا ما تكون في «الزمان»، بالإضافة إلى ربط هذا الزمان بمكان معين؛ مما يسمح له بالحديث عن التاريخ، وصور الحضارة.

ولأنه يستعين أحيانًا بكتابات المؤرخين **اليونانيين، والإنجليز، والفرنسيين، والمصريين في عصر المماليك**؛ فإنه كان يخفف من حدة هذه الاستشهادات والنقول؛ بابتكار مواقف حافلة بالتناقض مما يثير السخرية، ويدفع إلى النقد اللاذع. وقد ضمن رحلاته فقرات وقصصًا وطرائف بهدف الإثارة والتشويق. بالإضافة إلى العناوين اللافتة لنظر القارئ، مثل «طبيب العيون وعيون السمكة»، «الجمعة الحزينة»، «القردة الخطافة»، «الخروف الذي أفلت من خرم إبرة» ولغة **الدكتور حسين فوزي سهلة، وأسلوبه غاية في اليسر، طعّم لغته بكلمات عامية كثيرة كان يتعمدها، تركيزًا لفكرة؛ أو نقلاً لانطباع، أو حكمًا على حدث**. لم يكن هذا غريبًا على **الدكتور حسين فوزي** الذي انفرد بهذه الدعوة منذ ١٩٢٥م، في حين كان رفاقه من الأدباء الكبار

يدعون إلى العربية الفصحى، ويغيرون أعمالهم التي كتبوها بالعامية، ويعيدون كتابتها بالفصحى الخالصة. يقول عن نفسه «وأمّا تحوّلي إلى العامية في بعض الألفاظ، وبعض التراكيب، فهو مذهب لي قديم، وضعته موضع الامتحان في أول كتاب لي نشرته ١٩٣٧ وهو **«سندباد عصري»** وزادتني الأيام تمسكًا به، فهو لا يبدو اليوم ناشزًا كما كان يبدو منذ نيف وعشرين عامًا، لأن الجيل الحي من كتاب اليوم أخذ به، وأبدع فيه».

وكما سبق القول فإن رحلاته يغلب عليها الطابع الحضاري؛ إذ إنه لا يستطيع التقيد بمكان معين مدة طويلة من الزمن؛ وإنما يكتب مرتحلاً في الزمان. ووصفه للمكان يأتي غير واف قد تنقصه الدقة والتفصيل اللذين كنا نلمحهما في رحلات الأقدمين. ولعل للطائرة دخلاً في ذلك. إنه لا يستقر في مكان ما، كذلك فإن السيارة أو الباخرة لا تساعدانه على البقاء طويلاً. وهو في بعض رحلاته استعان بخياله الذي وظفه في خدمة ما قدمه التاريخ له من وقائع وأحداث وقصص وحكايات. مثال ذلك رحلته «حديث السندباد القديم» التي يقول عنها إنها **«رحلة خيالية في الزمان والمكان على السواء، فأنا أعود بخيالي إلى المحيط الهندي لا كما عرفته منذ نحو عشر سنوات. بل كما عرفه البحريون العرب فيما بين القرن التاسع والقرن الرابع عشر)**. ومن هنا وجد فرصته في صياغة بعض رحلاته في شكل حكايات؛ كان دوره فيها هو الحكي والسرد والقص. وهذا ما نلاحظه في رحلته **(سندباد مصري)** ورحلته **(سندباد في سيارة)** التي يسوق لنا فيها تاريخ **المغرب والأندلس** منذ الفتوحات الإسلامية، ويقف بنا عند تلك الحضارة الباهرة، وعند حكام عصر الطوائف؛ في أسلوب أقرب إلى أسلوب القصة والرواية.

حول العالم في ٢٠٠ يوم

الكاتب الصحفي الذي جعل الرحلة همه بالليل والنهار، وحقق عن طريقها انتصارات صحفية، ونال بسببها جائزة الدولة التشجيعية، هو **أنيس منصور**. **ألّف عددًا من الكتب تدور حول رحلاته الكثيرة، وقدم من خلالها معلومات، وشخصيات وطرائف متنوعة.** أداته في ذلك لغة سريعة خاطفة، وجمل قصيرة جدًّا، وعبارات خفيفة لا عمق فيها، ولا تحليل يرهقها. ومع أنه كتب كثيرًا من المقالات، والقصص، والدراسات والمسرحيات، والتراجم الذاتية، فإنه شهر عند الجمهور القارئ محليًّا وعربيًّا، بأنه كاتب رحلات، وصاحب خبرة في نقلها.

من كتبه التي تدخل في دائرة أدب الرحلات: **حول العالم في ٢٠٠ يوم - غريب في بلاد غريبة - بلاد الله خلق الله - أطيب تحياتي من موسكو - اليمن ذلك المجهول - أيام في الجزائر البيضاء — أعجب الرحلات في التاريخ — أنت في اليابان - أوراق على شجر - لعنة الفراعنة.**


أنيس منصور

ومن نافلة القول أن نقول: إنه زار عددًا من الدول **كاليابان وموسكو واليمن والفلبين والجزائر وليبيريا ومعظم دول العالم: شرقًا وغربًا، شمالاً وجنوبًا، عربًا وأوروبيين. عرفنا الفنادق والقصور والمكتبات والمسارح والميادين العامة. والأكثر من هذه محطات المترو والقطارات «وكان طبيعيًّا أن أتجه فورًا إلى محطة طوكيو فقد أمضيت أيامًا طويلة في محطات موسكو ولندن وباريس وميونخ، وأيامًا في محطة روما ونيويورك وسيدني وهافانا»** وعن القطار يقول: «وأجد متعة في النظر إلى القطار متربعًا على الأعواد الحديدية رزينًا حكيمًا. ينفخ ويزمجر كأنه يفكر - أو كأنه قد فكر، ولكن الذي قاله جاء بمفردات أخرى.. لا تهم المفردات.. ولكنه فكر ودبر وتحرك وانطلق ولذلك فأنا لا أحب المترو، ولا القطارات الكهربية — إنها أسرع وأنعم. ولكن ليست فيها المعاني التي أجدها في القطار ولا التي كنت أجدها وأنا واقف في محلات البن، والبخار يتصاعد والروائح القوية للبن تملأ الرأس وتجلو الفكر وتشحذ الخيال.»

وأهم الشخصيات التي يحرص الكاتب على مقابلتها في رحلاته شخصيات سياسية أو أدبية أو فلاسفة ومفكرين. ففي زيارته لروسيا طلب زيارة أحد قصور الثقافة وكان على بعد خمسين كيلومترًا. وخطر له مقابلة الأديب الروسي الكبير شولوخوف مؤلف «نهر الدون الهادئ» والفائز بجائزة نوبل.

وإذا ما كان هناك متحف في بعض المدن؛ فإنه يسارع إلى زيارته، ووصفه كما فعل مع المتحف الكبير بمدينة **لينينجراد** الذي يسمونه متحف المتاحف. وأحيانًا نجده يصف مدينة أعجب بها أو شارع أو ميناء.

ونظفر بتعليقاته الجانبية؛ أو ببثه معلومة هنا أو هناك؛ في ثنايا وصفه أو حديثه. فهو عندما يتحدث عن مدينة **لينينجراد** ومقاومتها **للاحتلال الألماني** يلفت النظر إلى أنه يجب على الإنسان أن يتعلم لغة عدوه؛ من ذلك قوله: **(والروس ينطقون الإنجليزية بلهجة أمريكية مائة في المائة. ومن الممكن أن نتساءل نحن جميعًا كم عدد الذين يدرسون لنا اللغة العبرية في مصر والبلاد العربية؟ وكم عدد الذين يعرفون اللغة العبرية؟! إننا لم نعرف بعد كيف نعرف عدونا)** وعندما قابل الكاتبُ المسلمين في ما كان يُسمّى الإتحاد السوفييتي لم ينس أن يكتب معرفًا ببعض علماء الإسلام، **كالإمام البخاري**، الذي جمع الأحاديث النبوية، والفيلسوف الطبيب **ابن سينا وأبا بكر الخوارزمي** الذي اشتهر بأنه كان يحفظ كل الشعر العربي. كما يعرفنا معنى **«الروشة»** قائلاً: «أمّا الروشة فهي من الكلمة الفرنسية «لاروس» بمعنى الصخرة. وهي صخرة ضخمة في مدخل بيروت. وكثير من الشبان ماتوا عندها. يموت الناس وتبقى هذه الروشة لقمة جامدة في حلق بيروت أو هي دمعة تدحرجت من عين أم حزينة على ولدها.

وصدهـا البحر لكي تبقى على الشـاطئ دليلاً على احتقار البحر لأبناء الشاطئ».

وبعض البـلاد حظيت بـوصف الكـاتب لها جغرافيًّا مثل الفلبين، وجزيرة قبرص، وتـايلاند، ولـوكسمبرج، كما أن بعضهـا شغلته فيهـا الحيـاة الثقافية، والحديث عن الصحف والمجلات محدودة الانتشار.

وإذا كـان قـد قـابل بعـض الـزعماء وكبـار السيـاسيين؛ فإن اهتمامـه الأعظـم كـان بـالمثقفين والكتـاب والشعـراء والفنـانين؛ وهـو يلتقي بهم لقاءات عابرة ليؤكد بها بعض ما قرأه لهم أو عنهم؛ ومن ثم فإنـا لا نستطيع أن نجمع رؤية معمقـة من خلال كتـاباته في أدب الرحلـة. فالشكل الخارجي من الحضارة والثقافة، والمظاهـر السلوكية العامة؛ هي التي تشغله كي يكتب عنها في نفس اللحظة، أو يمليهـا على الصحيفـة أو المجلـة قبل أن تنقضي الليلة. واللغة عنده خاطفة سريعة قلقة؛ لذا فإنها لا تحمل أبعـادًا فكـريـة؛ وإنما تنقل بشكل سريع خاطف بعض المشـاهدات؛ وهـو ينتقل من صورة إلى صورة، ومن مشهـد إلى آخر؛ لأن كثـرة الصور والمشاهد هي التي تهمه؛ وليس التحليل والتعمق.

ولا يمنع هذا مـا قاله الدكتور طـه حسين عنه في مقدمة كتابه (**حـول العالم في ٢٠٠ يـوم**): «حلو الروح خفيف الظـل بعيد أشد البعـد عن التكلف والتـزيـد والإدلال بما يصل إليـه من الغـرائب التي يسجلها في كتـابه. وإنما هو يمضي في الكتـابة مع اليسر والإسماح، مرسلاً نفسه على سجيتها، مطلقًا لقلمه الحرية في الجد والهزل وفيما يشق وما يسهل لا يتكلف الفصحى ولا يعتمد العـامية، وإنما كتـابه مـزيج معتـدل منسجم من اللهجتين، وهـو لا يقصد إلى أن يبهرك ولا إلى أن يغرب عليك في لفظ أو معنى وإنما يظفـر بإرضاء الطباع السمحـة التي تكره التكلف والتحذلق والإسفاف».

الغـابـة

نقرأ عند **مصطفى محمود** كلامًـا مختلفًا عمَّا قرأناه في مؤلفات **أنيس منصور** وغيره من الرحّالة المعاصرين. على الرغم من أن نتاجه في أدب الرحلة قليل قليل.. كتـابـان هما **«الغابة»** و**«مغـامرة في الصحراء»**.. «كان في ذهني أن أروي مـا شاهدت من انطبـاعـات في سيـاق فني قصصي؛ وفي الجزء الأول من الكتاب كان هذا هـو الطابع الملحوظ في الأسلوب. ولكن الموضوع ما لبث أن تحول بين يدي بعد ذلـك إلى دراسة علمية. أتقصَّى فيهـا المراجع وأبحث في بطون الكتب وأحاول أن أجمع إلى شهادة الرؤيا وشهادة الحواس جهود الباحثين الذين عاشوا أعمارهم في هذه المجاهل البعيـدة. وكانت طبيعة الموضـوع هي التي فرضت عليّ هـذا الأسلوب فقـد انفتحت الغابـة أمام عيني على عـالم هائل رهيب. وكـان فضـول المعـرفـة وعطش العلم والـرغبـة في الكشف أقوى من الرغبـة في التجمل الفني. وكان الاكتفاء بـاللمحة العابرة التي تمنحهـا لي سياحتي تقصير لا يليق بجلال الموضوع الذي أتناوله. كنت تواقًـا إلى المعرفـة وكنت أشعر أن القـارئ أكثر مني رغبـة في التعرف على هـذه المجـاهل منه في قضـاء لحظة استرخاء لـذيذة بين انطباعات فنيـة ناقصة. لهذا فضلت أن يكـون كتابي دعـوة إلى معرفـة وعلم أكثر منه دعوة إلى متعة فقط.»

واضح أننـا أمام كاتـب رحلة واع تمامًـا بما هو مقدم عليه. محدد الهدف الذي يريد الوصول إليه. فـاهم الطـريقـة التي تمكنـه من تحقيق هـدفـه، والوسائل التي يمكن استخـدامها في سبيل ذلك.



د. مصطفى محمود

وهـو مـدرك أن النظـرة الخاطفـة لا تكفي، وأن الـدراسة والبحث والاستقصـاء من أهم مـا يؤيـد ويـؤكـد انطبـاعـاته. وأنـه لا تستهـويـه القشـور الخارجية، والصور البرّاقة، والألـوان الزاهية، التي تخطف الأبصار لأول وهلـة. إنه يـريد الـدخول في أعمق الأعماق، وتعـرية المغطى، وكشف المخبـوء. كذلك فإنه لا يسعى من أجل إمتاع القارئ وتسليته والترفيـه عنـه؛ ولكنـه يـدعوه ــ بـالعلم والمعـرفـة والتحليل والنظـرة الصـائبـة ــ إلى المعـرفـة والعلم والبحث.

على هذا النحو نبت أسلوب **مصطفى محمود في «أدب الرحلات»** كما يقول **جلال العشري** في كتابه **(مصطفى محمود شاهد على عصره)** ص ٢٢٢، وهو الأسلوب الذي لا يعتمد على الريبورتاج الصحفي أو الوصف التسجيلي، ولا يعمد إلى الإبهار اللفظي أو التجميل الفنـي، وإنما يتـوخـى التعـريف والتثقيف، والجمع بين شهادة الـرؤية من نـاحية، وشهـادة الحواس من نـاحيـة أخـرى، مع مـزج الشهادتين بجهود الباحثين الـذين استكشفوا هذه العوالم وكشفوا عمَّا فيهـا من خبايا وأسرار؛ **(فالرغبة في المعـرفة هي التـي نفخت شراع قاربـة الصغير في رحلتـه إلى البلـد البعيـد، والرغبـة في المعـرفـة هي المسؤولة عن الشواطئ التي رسا عليها، والجزر التي لجأ إليهـا، بحثًا عن فيروز الشطـآن، وعن اللؤلـؤة ذات الأصـداف السبعـة. ومن هنـا كـان فضـول المعرفـة وعطش العلم والرغبـة في الكشف عن التيه والتعرف عليه أقوى من الرغبة في التجمل الفني).**

الغابة عند **مصطفى محمود** ليست شكـلاً يـوصف، وليست صـورة تشـاهـد؛ وإنما هي **«إحساس، مـذاق، طعم، رجفة في القلب»** ومن ثم فإنها لا يمكن أن تـوصف لأن أي وصف يزري بجلالها. إنها الغابة وهي الغاية أيضًا. وهي ليست شيئًا تمتلكه وإنما هي إحسـاس يتملكك. ورحلة **مصطفى محمود** بهذا الشكل رحلة في الداخل. في ضمير الغابة. وإنسان هذه الغابة هو الإنسان على الحقيقـة. الإنسان يعـانق صبـاح الخلق الأول كما يعانق فجر مسـائه الأخير، دون زيف أو مغالطة. الإيمان بالأسلاف والتناغم مع الطبيعة هما السمتان الرئيستان في حياة الإنسان الإفريقي: إنسان الغابة أمَّا الأسلاف فإنهم رمز البطولة. وأمَّا الطبيعة فإنها رمـز القوة والخير والحيـاة، ومن الزواج بين هـذين العنصرين تقوم كل حياة وينشأ كل وجود.

وفي رحلته إلى الغابة يتحدث عن «الماو. ماو» و«النيام. نيـام» و«الشيلوك» و«الـدنكا» و«النـوير والباري واللانجو والبونجـو والدوبي» و«الدنكا».

القبـائل، العـادات، الحدود الجغـرافيـة لكل، الأقنعة، الأطعمـة، التناغم مع الطبيعـة. وصف الحياة على حقيقتها وطبيعتها وبساطتها وطهارتها كما وجدها عند القبائل البدائية. إنها الغابة الحقيقية أو مناخ الاجتماع، وليست خطـوط الطول والعرض. لذا فإن أقصر الطـرق إلى الغابـة هو الطـريق الذي يسير عبر الخط الإنساني. وهذه هـي نقطة انطلاق **مصطفى محمود** عبر أحـراش الغابـة، بحثـا عن أحشاء الإنسـان، عن روحه الـدفين، عن ضميره الحي، عن الإنسان بما هو إنسان. وكان لزامًا عليه ـ والحالـة هذه ـ لكي يلتقي بهذا الإنسان أن يخلع ثوب السائح، وأن ينزع أغطية المدينة، وأن يتحرر من كل ما من شأنه أن يحول بينه وبين لقاء الإنسان بكل بسـاطتـه، وبكارتـه، وإحسـاسـه الطبيعي الأول. هذا الإنسان هـو الذي غنى معه **مصطفى محمود** في نشـوة، وضحك في إشراق، وارتمى على صدر الطبيعـة مرتـدًا إلى ما في داخلـه من إنسان. يقول: «**طفولة الإنسانية الحلوة، كنت أراها حولي، الطفـولـة بكل بـراءتها، وخطـاياهـا، ومـرحهـا، وانطلاقها النشوان، كانت تغني على نقرات أشجار التيك المجوفة. لم يكن عند واحد من هؤلاء الأطفال الكبـار شيء يخيفـه. كل منهـم كـان يغني من أحشـائه. وكـان يعطي نفسـه كلهـا للحظـة التي يعيشهـا. لا افتعال. لا تمثيل. لا غـرض من وراء أي شيء. وإنما الكل يغني لأنـه فـرحـان. لأنـه يعيش بجماع قلبه**».

ومصطفى محمـود يكتب ذلك معجبًـا راضيًـا مدافعًا عـن القبائل البدائية، ساخـرًا من الحضارة الحديثـة؛ إذ إنـه يؤمن بأن العلم المادي أضـاء لنـا البيت ولكنـه لم يضيء لنـا قلـوبنا، وأنـه قـدم لنـا جاهلية جـديدة أسلحتها الغواصـات والصواريخ والقنابل الذرية، لأنه علم خلا من الدين والروح.

وفي أثناء وداعـه للغابة ورؤيته حفلـة زواج في قبيلة «الزانديي» يقول: «... وكنت أشعر بدوار غريب مسكر. كنت أشعر أني عدت إلى أصلي. إلى أهلي. إلى حضن عائلتي. بعد قرون غريبة عشتها طوافًا. متغربًـا. بين غربـاء لا أعرفهم.. في القـاهرة. في لنـدن. في مـوسكـو. في بـاريس. في كل المدن. النـاس مهمـومـون. شـاحبـون. يسيرون بخطى مثقلات كأنهم على سفر شاق لا ينتهي».

كـان هـذا هـو مـدخلـه إلى (مغـامـرة في الصحراء)؛ محاولاً الكشـف عن الحضارة الغـربية وأثرها في تلك المناطق من حيث مخترعاتها، والنظم الإداريـة للدولـة في منـاطق كانت تحكمهـا شرائع القبيلة. مستعينًـا بما سجله الـرحالـة السابقـون؛ متأثرًا بخبراتـه المتنوعة، وثقـافته الدينيـة والأدبية؛ مستهـلاً رحلته بأسلـوب قصصي حـواري لافت. وقد سيطر عنصر التحليل والمقارنة.. وعندما يتجه إلى الحديث عن ماضي هـؤلاء الناس؛ فإنه يستعين بالدراسات العلمية وكتابـات الرحالة الذين سبقوه من العـرب ومن الأوروبيين. وإن كنـا نـلاحظ أن أغلبهم من الأوروبيين الـذيـن وفـد بعضهم مع جيوش الاحتـلال الأجنبي لتلك البلاد. وهنـا فإن لنا أن نتوقع أن تكون لغته تقريرية وليست أدبية.


محمودالسعدني

لم نصـادف فيمن سبق من الرحّـالة القـدامى والمحدثين واحدًا تستنـد كتابـاتـه إلى السخريـة، والنقد اللاذع، مثل **محمود السعدني**. فهو ساخر عندما ينتقل متخـذًا موضوعه وسيلـة الانتقال وما يحيط بها. وهو لاذع عندما يقدم الشخصيات التي يصـادفها في رحـلاتـه. وهـو ساخـر حين يصـور الحدث الذي ينقله. وهو لاذع عنـد المقارنة بين ما يشـاهده ومـا سبق له أن شـاهده في مجتمع آخـر. والنكتة سـلاحه، حتى وإن استخدمهـا معلقًا بها على سلوكه هو وموقفه هو وكلامه هو.

ولمحمود السعدني أكثـر من كتاب يـدخل في هذه الدائرة. وما كتابه «**الجزائر أرض اللهب**» إلاَّ بـدايـة لنقل مـا كـان يفـور ويمـور على الأرض الجزائريـة. ثم جـاءت كتبـه «**الموكـوس في بـلاد الفلوس**»، «**السعلـوكي في بلاد الأمـريكي**» و«**بلاد تشيل وبلاد تحط**» و«**رحلات ابن بطوطة**». في كل منها كان متميزًا. في الأولى ذهب إلى إنجلترا بهدف عـلاج ابنتـه **هالـة** التي أصـابها الشلـل، في الستينيـات. وصف النوادي والحدائق والشـوارع. إلى جانب صـور من الحياة الاجتماعيـة تكشف عن المجتمع الغربي وحضـارته الماديـة. وفي أثناء ذلك أشـاد بمجتمعـه المصري وتقـاليـد شعبـه والمثل الأخـلاقية التي يتحلى بها؛ وإن بـدا متخلفًـا عن ركب الحضارة. ومع ذلك فإنـه أعجب بتقديسهم للـواجب، والعمل الجاد، وممارستهم الحريـة على كل المستويات.

وقد ساق قصصًا كثيرة في أسلوبه الساخر عن الشاعر الأرزقي، وعن زيه ومعطفه وحذائه وطاقية رأسـه؛ جامعًـا بين العـربيـة الفصحى والعاميـة. وتناول رجـال السياسـة؛ ونقد السلـوك والعادات والتقـاليـد نقـدًا مـرًا لاذعًـا؛ لكنـه وقف معجبًـا بالمعـارضة وأسلـوبها، ومناخ الحريـة الذي تتنفس فيه.

ويمكن الإشـارة إلى كتـابـه (**مسافـر على الرصيف**). إنه لم ينتقل، ولم يرحل إلى مكان بعيد، ولكنه ظل قـابعًا في مقهى كانت موجـودة تتوسط **ميدان الجيـزة** في عصره الـذهبي.

وصف لنـا المقهى وصفًـا دقيقًـا، وتحدث عن كل شخص ارتبط به بشكل أو بآخر، سواء كان من الأدبـاء أو من الناس العـاديين. فهي أشبه بمينـاء يتردَّد عليه الـركاب وأصحاب المصالح والشيـالون والنشالـون والمودعون. وسيـاحة **محمود السعـدني** داخل المقهى هي أطول رحلاته إذ إنها امتدت عشر سنـوات كاملـة.

ويبقى السؤال قائمًا: هل يمكن اعتبار «مسافر على الرصيف» رحلة؟ إذا كانت الإجابة بنعم؛ فإن الأمر يستلزم دراسة مثيلاتها؛ والوقوف عند لغتها؛ وعنصر السخـريـة فيهـا؛ وإلى أي حـد وفقت في تصـويـر المجتمع المصري في الفترة التـي حـددهـا الكاتب؟!

"حديث كابُول"

شعر: محمد التهامي

حديثُكِ لاَ يُحَدُّ ولا يُمَلُّ / ومهْمَا طَالَ لا يكْفيه قَوْلُ

فخلْفَ الدَّهْرِ في واديكِ صَوْتٌ / يُرَدِّدُهُ لنا في العُمْقِ أهْلُ

ومِنْ دَمِنا على الأسْوَارِ طَيْفٌ / قديمٌ في مَشَارِفها يُطِلُّ

يُعِيدُ مَشارِقَ الأنْوارِ فيها / ويَسْري من مآذِنهَا ويَعْلُو

ويُرْسِي الحقُّ في مَغنَاك طَودًا / يُفَلُّ به الحديد... ولا يُفَلُّ

ودُمْتِ وكنتِ قاهرة اللّيالي / فلم يَجرؤْ على لُقْيَاكِ لَيْلُ

وحينَ تَعَمْلَقَ الطُّغْيَانُ يومًا / ودَارَ لجيشِهِ حَوْلٌ وطَوْلُ

وَقَفْتِ وكنت ثالثةَ الأثافي / تُطيحُ بكلِّ عِمْلاَقٍ يَحِلُّ

أريتِ الناسَ كيفَ يميلُ طوْدٌ / وكيفَ الشَّامخُ البَاغِي يَذِلُّ

وكيف يَجُرُّ طُغْمَتَهُ ويَمْضي / فلا يَبْقَى له في الكون ظِلُّ

وصِرْتِ علامةَ الأحْرارِ تَبْدو / فلا يَبْقَى لِطُغْيَانٍ مَحَلُّ

تركتِ لكلِّ أهْلِ الأرْضِ ذكرًا / لكلِّ مسامعِ الأحْرارِ يَحْلُو

يُضيءُ به الدَّمُ الغَالي سُطورًا / يَخُطُّ المَجْدَ صَفْحتَها ويَتْلُو

بلَغْتِ على مَشَارِفِنَا سماءً / كواكبُها على الدُّنْيا تَهِلُّ

نُراعيها ونأْمَلُ في خُطَاها / على دَرْبٍ من الأشْوَاكِ يَخْلُو

فلا تَتحكَّمُ الأشْواكُ فيهِ / ولا يَثْنيهِ عن مَسْعَاهُ مَيْلُ

فكَمْ ذُقْنَا من الأيَّامِ جَوْرًا / وكم أوْدَى بنا وَيْلٌ.. وَوَيْلُ

ونحْيَا في مُمارسةِ الأمَاني / لعلَّ الليلَ يرحَمُنا ويَجْلو

ويَسْطَعُ في مرابِعنا بريقٌ / بِهِ كلُّ المكاسبِ تُسْتَهَلُّ

وتنْداحُ الدَّوائرُ في حِمَانَا / وعُقْدةُ دهْرنا الباقي تُحَلُّ

نُنَاشِدُكمْ بكلِّ دمٍ مُراقٍ / على عُنْوانِ دَارِكُمُ يَدُلُّ

بكُلِّ مَواكب الشّهداء مِنكمْ / تَسيرُ إلى الجنانِ ولا تَضِلُّ

بكلِّ سَنَى لَدَى الأعْمَاق فيكمْ / يُضيءُ وكُلُّه حَقٌّ وَعَدْلُ

بأنْ تَهبُّوا دياركُمُ سلامًا / به تَغْفُو الجراحُ وتَسْتظِلُّ

نُنَاشِدكمْ وفي فَمِنا نداءٌ / «لكُلِّ مُعَقَّدٍ في الأمْرِ حَلُّ»

وأنَّ حرارةَ الإيمانِ فيها / لَدَى أصْحابِهَا قَلْبٌ وعَقْلُ

الذكاء.. كيف نعلمه؟ (1)

ترجمة: د. منى صبحي الحديدي

هل نستطيع التدرب على الذكاء؟ وإذا كانت الإجابة (نعم) فكيف نفعل ذلك؟ إذا كان بمقدورنا أن نجزئ الذكاء إلى العمليات التي يتضمنها وإلى استراتيجيات دمج هذه العمليات فعندئذ يتضح لنا ما نستطيع عمله لتحسين العمليات العقلية. فنحن نستطيع أن نتدخل وأن نعلم الأفراد أي العمليات يوظفون ومتى وكيف يوظفونها وكيف يترجمونها إلى استراتيجيات عملية فاعلة لتأدية المهمات.

وبالإمكان تصنيف هذه العمليات ضمن ثلاث فئات. **الفئة الأولى هي فئة العناصر العليا** (Metacomponents) والتي تشير إلى العمليات المعرفية العليا أو العمليات التنفيذية التي تستخدمها للتخطيط لما نفعله ولمتابعته وكذلك لتقييم ما فعلناه، وهكذا فإن اختيار استراتيجية محددة لحل مسألة حسابية إنما هو مثال على هذه الفئة من العمليات.

وفي حين أن العناصر العليا تقرر ماذا نفعل، فإن العناصر الأدائية (Performance components) هي المسؤولية عما نفعل عمليًا. مثال على ذلك الخطوات الفعلية التي نستخدمها في حل مسألة حسابية. أما عناصر اكتساب المعرفة (Knowledge-Acquisition Components) فهي التي تستخدم في تعلم الأشياء الجديدة كما هو الحال مثلا عند تعلم طريقة حل مسألة حسابية لأول مرة.

وفيما يلي وصف موجز لثلاثة برامج معروفة على نطاق واسع لتعليم هذه العناصر.

برامج الإثراء الوسيلي

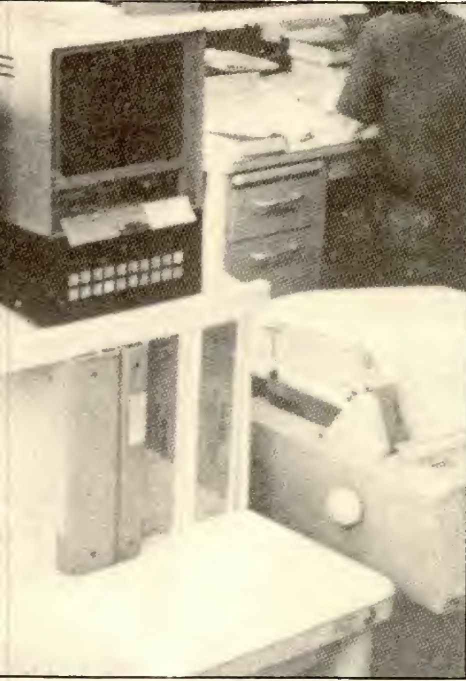
يسعى هذا البرنامج إلى تحسين الأداء المعرفي وتطويره فيما يتصل بإدخال المعلومات ومعالجتها وإخراجها. فالمواد تنظم على هيئة سلسلة من الوحدات أو الأدوات، يركز كل منها على وظيفة معرفية معينة وعلى علاقة هذه الوظيفة بجوانب الضعف المعرفية المختلفة. والأداء باستخدام المواد هو وسيلة لغاية وليس غاية بحد ذاته.

وينصب الاهتمام في تحليل الأداء وفقا لبرنامج الإثراء الوسيلي على العمليات وليس على النواتج.

وتُعامل أخطاء الطالب بوصفها مصادر للاستبصار حول الطرق التي يستخدمها الطالب لحل المشكلات. فهذا البرنامج لا يحاول تعليم الطالب معلومات محددة أو تعليم التفكير الإجرائي أو التجريدي من خلال قاعدة معلومات ذات بناء واضح المعالم ودقيق التعريف، ولكن البرنامج طليق من المحتوى إلى الحد الأقصى الممكن. ويأخذ هذا البرنامج ١٣ شكلا من التمارين تتكرر دوريًا طوال عملية تنفيذه.

ومن الناحية الإيجابية، فإن برنامج الإثراء الوسيلي يمكن استخدامه مع أطفال من مراحل عمرية متباينة (حيث إنه يصلح للأطفال في المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية) وذوي قدرات متباينة (متخلفين عقليًا وموهوبين) وفئات اقتصادية - اجتماعية مختلفة. ويعبر الأطفال عادة عن ولع شديد به، ويبدو أنه فعال في استثارة دافعيتهم الداخلية وزيادة مستواها ويرفع مستوى التقدير الذاتي. كذلك يتوفر البرنامج على شكل رزم يمكن الحصول عليها. علاوة على ذلك فهو كما تشير الدراسات يقود إلى ارتفاع درجات الأفراد على اختبارات القدرات (فمعظم التمارين التدريبية تتصل بفقرات مماثلة أو مشابهة للفقرات التي تتضمنها اختبارات الذكاء أو اختبارات القدرات المتعددة الأوجه). من ناحية أخرى؛ فإن هذا البرنامج يتطلب تدريباً مكثفاً للمعلم الذي يقوم بتنفيذه على يد شخص خبير به طوال عملية التنفيذ. كذلك فإن عزل المشكلات التي يعالجها عن المعرفة العملية يجعلنا نطرح الأسئلة حول إمكانية نقل أثر التدريب وتعميم المهارات المتعلقة إلى المهارات الأكاديمية والواقعية وخاصة على المدى البعيد، حيث إن البرنامج يركز على القدرات التي تغطيها اختبارات الذكاء.

وبالرغم من هذه المحددات المتصلة بمدى المهارات المتعلمة وباحتمالات تصحيحها، إلا أن برنامج الإثراء الوسيلي برنامج جذاب من عدة جوانب، فهو من ناحية أحد أفضل البرامج التي تركز على تدريب مهارات التفكير، ولعله الأكثر استخداما حاليًا لا في الولايات المتحدة الأمريكية فحسب وإنما في العديد من الدول، ونتيجة لذلك فهو مناسب للفئات الثقافية المختلفة.



برنامج الفلسفة للأطفال

يحاول هذا البرنامج تنمية نفس مهارات

التفكير التي يسعى برنامج الإثراء الوسيلي لتنميتها ولكن بطـريقـة مختلفـة تماماً. **فبرنامـج الفلسفة لـلأطفال يتضمن سلسلـة من الكتب يقضي فيهـا أطفـال غير حقيقيين أوقـاتـاً مطـولـة في التفكير** بالتفكير وبطرق التمييز بين التفكير الجيد والتفكير غير الجيد. ومفتاحا التعلم هما التوحد والمحاكاة،

فمن خـلال قراءة الكتب والمشاركة في المنـاقشات والتمرينـات الصفية التي تلي القـراءة، فإن الهدف الذي يتوخّى المؤلف تحقيقه هـو أن يتوحد الأطفال مع شخصيات الكتاب وممارسة أنماط التفكير التي وصفها البرنامج. **وبرنامج الفلسفة للأطفال يحاول تنميـة ثـلاثين مهـارة من مهـارات التفكير لـدى الأطفال في المرحلة الابتدائية والمرحلة الإعدادية.** إن كلا من بـرنامج الإثراء الوسيلي والفلسفـة للأطفال يحاول تعليم مهارات التفكير خاصة العناصر العليا

هنالك ثلاثة برامج لتحسين الأداء المعرفي وتنمية مهارات التفكير واكتساب المعرفة

المناقشـات الصفية فثمـة تأكيد أكبر على المنـاقشة وتبـادل المعلومـات والأفكـار في بـرنامج الفلسفـة للأطفال مقارنة ببرنـامج الإثراء الوسيلي. وبالمثل، فإن التمارين الكتابية أقل أهميـة في برنامج الفلسفة للأطفـال. وكان بـرنامج الإثـراء الوسيلي قـد طوّر

أصـلا للأطفـال المتخلفين عقليًّا ولكن تطبيقاتـه سرعان مـا امتدت إلى جميع الأطفـال دون استثناء، أما برنامج الفلسفة للأطفال فهو يبدو موجها نحو



والعناصر الأدائية، ولكن في حين أن برنامج الإثراء لا يهتم بدور قاعدة المعلـومات والمحتوى الدراسي التقليـدي، فإن بـرنـامج الفلسفـة لـلأطفـال يستخـدمهما إلى أقصى درجة ممكنـة. كـذلك ففي حين أن برنامج الإثراء يؤكد استخدام اللغة المكتوبة فإن بـرنـامـج الفلسفة لـلأطفـال مجرد من الناحيـة المفهـومية، ولكنـه يقـدّم للطفل بـرمته من خـلال كتاب لفظي يتعامل مع مـواقف ملموسـة تماما.

وعلى الـرغم مـن أن كـلا البرنـامجين يتضمنـان الأطفـال الـذين لا تقل قـدراتهم العقليـة عن المتوسط.

إن القصص المتضمنـة في بـرنـامـج الفلسفـة للأطفال مثيرة للاهتمام وتستثير بقـوة الدوافع لدى الأطفال في المرحلة الإعدادية، والبرنامج أيضا يتوفّر على هيئة رزم جميلة ويمكن الحصول عليه بسهولة، **وقـد أظهرت الاختبـارات أنـه بـرنامج فعـال لـرفع مستوى مهارات التفكير لدى الأطفال.** ومن شأن دمج مهارات التفكير بالمقررات الدراسية أن يعمل بمثـابـة ضمـانـة للمحافظـة على المهارات المكتسبـة وكذلك نقل أثر التعلـم المكتسب أثناء التدريب. ومن الـواضح أن مهـارات التفكير التي يهتم هـذا البرنامج بتعليمها هي المهـارات الصحيحة بالنسبة للعمل الأكـاديمي ولمعـالجة المعلومـات في الحيـاة اليومية.

وعلى أية حـال، فإن الطلاب الـذين يمتلكون قدرات عقلية دون المتـوسط أو حتى قدرات عقلية متوسطـة منخفضة قد يـواجهون صعـوبات في كل من القــراءة والتعليل اللّــذين يتطلبها البرنــامج كــذلك فإن الطــلاب ذوي التحصيـل الصفي المتـدني، بـل وحتى الـذين ينتسبــون إلى الفئـات الاقتصـادية المتـوسطة المتـدنية قـد يصعب عليهم التوحد مع شخصيـات القصص كونها تتمتع بقيم وتوجهـات تعكس خصائص الفئات الاقتصـادية المتـوسطـة بل وحتى العليـا. **ولعل نجاح بـرنامج الفلسفة لـلأطفال يتـوقف ليس على المواد التعليمية التي يشتمل عليهـا فقط وإنما على المعلم أيضـا،** فـالبرنامج قـد يفشل فشلا ذريعاً إذا قام بتطبيقـه معلم ذو قدرات محدودة؛ لأنـه قد لا يعكس اتجاه البحث الصفي الذي يتطلبه البرنامج. **وفي الواقع فإن بعض المعلمين قد يواجهون هم أنفسهم بعض الصعـوبات في التعـامل مع مهـارات التفكير التي يتضمّنها البرنامج.**

وبرغم أن البرنامج محدود نسبيًّا بسبب الفئات الطـلابيـة التي يكون مـلائما لها، فليس هنـاك أي برنامج آخر أكثر قدرة من برنامج الفلسفة للأطفال على تعليم مهــــارات التفكير التـي يتصـف بالديمقراطية النسبيـة والتي يمكن نقلها وتوظيفها في المواقف الأخرى.

برنامج شيكاغو في التعلم القرائي المتقن

يـؤكـد هـذا البرنـامـج على أن استراتيجيـات ومهـارات الـدراسـة (عنـاصر اكتسـاب المعـرفـة) ضرورية للنجاح في المدرسة وفي الحياة اليومية. وقد أعد البرنـامج للمرحلة الابتـدائية المتأخـرة والمرحلة الإعدادية، وهو يتضمن استخدام أربعة كتب؛ كل واحد منهـا يعلّم مهارات مختلفة نسبيًّا وإن كانت كل الكتب تركـز على تعلم التعلم. **وهنـاك نوعان** من الوحدات لكل مستوى صفي هما: الاستيعاب **ومهارات الدراسة.**

إن برنامج شيكاغو يقوم على افتراض مفاده أن

www.ahlaltareekh.com

آن الأوان لدعم المناهج الدراسية ببرامج لتحسين المهارات العقلية للطفل



جميع الطلاب تقريبًا بمقدورهم أن يتعلموا ما يتعلمه أفضل الطلاب فقط في الوقت الحالي إذا ما أُعطي الطلاب العاديين أو الأقل قدرة فرص التعلم المناسبة . وفي كل وحدة من وحدات البرنامج هناك استخدام منظم ومتكرر للاختبارات الشخصية . والتعليم يحدث في مجموعات مع توفير التصحيح الفردي والمساعدة الفردية عند الحاجة . **وتبدأ الوحدات بمواد بسيطة ومألوفة وملموسة وتنتقل تدريجيًا إلى المواد الأكثر تعقيدا والمجردة وغير المألوفة وتشمل كل وحدة عدة أجزاء منفصلة هي :** نشاطات الطلبة ، نشاطات تعليمية اختيارية ، الاختبارات ، نشاطات إضافية ، نشاطات إثرائية ، وتطبيقات عملية . وهكذا فإن كلاً من الطلاب والمعلمين يزودون بمواد متنوعة .

إن برنامج شيكاغو يشبه برنامج الإثراء وبرنامج الفلسفة من حيث تركيزه على تعليم المهارات المعرفية ، ولكنه يختلف عنهما من عدة جوانب .

أولا: إنه يشبه المنهاج الصفي التقليدي أكثر من برنامج الإثراء وبرنامج الفلسفة اللّذين يتم تنفيذهما وفقاً لقرار واضح بتعليم مهارات التفكير كجزء إضافي في المنهاج ، في حين أن برنامج شيكاغو يمكن تنفيذه كجزء من برنامج مدرسي كمنهاج القراءة مثلا .

ثانيا: إن برنامج شيكاغو يتلاءم تماماً والمناهج المدرسية في حين أن برنامج الفلسفة لا يمكن تنفيذه إلا من خلال منهاج فلسفي تتبناه المدرسة ، وبرنامج الإثراء لا يمكن تطبيقه إلاّ ضمن المناهج المعينة مباشرة بتعليم مهارات التفكير.

ثالثاً : إن برنامج شيكاغو يهتم باستراتيجيات التعلم في حين أن برنامج الإثراء وبرنامج الفلسفة للأطفال يركزان على مهارات التفكير.

وأخيراً فإن برنامج شيكاغو يمكن استخدامه مع فئات متباينة من الطلاب حيث إنه ملائم للطلاب من مختلف مستويات القدرات المعرفية .

التعليمات

١ - يجب أن يعتمد البرنامج على نظرية سيكولوجية حول العمليات المعرفية التي يهدف إلى تدريبها وعلى نظرية حول الطرق التي سيتم استخدامها لتعليم العمليات . فالنظرية النفسية والنظرية التربوية تحددان العمليات التي يجب تدريبها ، وطرق تعليمها بحيث يتم تعميم المهارات المكتسبة . إن معظم برامج التدرب على الذكاء لا تستحق أي اهتمام ونسبة كبيرة منها يمكن استثناؤها مباشرة من خلال التحقق من استنادها إلى أساسا نظري ، أما البرامج الثلاثة التي تم وضعها في هذه المقالة فلها أسس نفسية وتربوية متينة .

٢ - يجب أن يكون البرنامج ملائما من الناحية الاجتماعية الثقافية . فأفضل العناصر في البرامج تصبح عديمة الجدوى إذا كان من المتعذر على الطلاب ربطها ببنائهم المعرفي وبالعالم الذي يعيشون فيه .

٣ - يجب أن ينصب التدريب الذي يقدمه البرنامج بوضوح على العمليات المعرفية المستخدمة في تأدية المهمة (العناصر الأدائية وعناصر اكتساب المعلومات) وفي استراتيجيات التنظيم الذاتي اللازمة لاستخدام هذه العناصر (العناصر المعرفية العليا) .

ولكي يتحقق التعلم طويل المدى ، يجب أن يتعلم الطلاب الاستراتيجيات التي عليهم استخدامها ومتى يستخدمونها وكيف يوظفونها في المواقف الجديدة .

٤ - يجب أن يراعي البرنامج الحاجات الدافعية والحاجات المعرفية للطالب . فالبرنامج الذي لا يستثير دوافع الطلاب لن يكتب له النجاح بصرف النظر عن جودة العناصر المعرفية فيه .

٥ - يجب أن يراعي البرنامج الفروق بين الأفراد ، فهم يتفاوتون إلى حد بعيد من حيث مهاراتهم وقدراتهم ، والبرنامج الذي لا يراعي هذه المسألة سيخفق حتما في إفادة أعداد كبيرة من الطلاب .

٦ - يجب أن يوفر البرنامج روابط مباشرة بين التدريب الذي يقدمه والأداء في العالم الحقيقي . فلا ينبغي أن نتوقع تعميم المهارات بدون اتخاذ إجراءات محددة لتحقيق ذلك .

٧ - يجب أن يعتمد اختيار البرنامج على نتائج الدراسات التجريبية السابقة فمفتاح النجاح يتمثل في اختيار البرنامج الذي اتضحت فاعليته في المواقف المماثلة .

٨ - يجب أن يتوفر مع البرنامج منهاج لتدريب المعلمين وتدريب الطلاب . فأفضل البرامج قد تفشل إذا لم يحصل المعلمون على التدريب الكافي .

٩ - يجب أن تكون التوقعات مما يستطيع البرنامج تحقيقه مناسبة . فكثيراً ما تنتهي جهود المعلمين والمديرين بالفشل ؛ لأن توقعاتهم غير ملائمة أو مرتفعة جدا .

وهكذا ، فهناك العديد من البرامج التي تستطيع تحسين المهارات العقلية للأطفال . وقد آن الأوان لدعم المناهج المدرسية بمثل هذه البرامج . فباستطاعتنا الاستمرار باستخدام اختبارات الذكاء ، ولكننا نخدم الأطفال أفضل من خلال تطوير وتنمية ذكائهم بدلا من الاكتفاء .

المصدر

(1) Sternbcrg, R. J. How to Teach Intelligence ?

Educational Leadership, XL 11, 38 - 48, 1984.



الشرق في عيون الغرب





شريان الثقافة بين الشرق والغرب :

الحياة تعود إلى طريق الحرير

أعلنت منظمة اليونسكو منذ سنوات ؛ وبالتحديد عام ١٩٨٨م ؛ خطة لمدة خمس سنوات، ترمي إلى بعث مشروع كبير لدراسة وإبراز طريق الحرير البرّي والبحري الذي كان منذ القرن الثاني قبل الميلاد شريان الثقافة والتجارة على امتداد آلاف الكيلومترات بين الشرق والغرب، وكان، بالتالي، أهم وسيلة للتكامل الدولي، وانتشار وتبادل السلع والمعارف والثقافات بين الأمم والشعوب، وقد أبدى العالم كله اهتمامًا كبيرًا بهذا المشروع، حتى إن شركات السياحة عمدت إلى استثماره، فقدمت للسياح برنامجًا للمشاركة في الرحلات البرية على طريق الحرير العظيم.

وفي إطار هذا المشروع الدولي، شكلت اليونسكو لجنتين، واحدة لتحديد طريق الحرير البحري، والموانئ التي ستتوقف عندها بعثة علمية وإعلامية خاصة، بعد أن تقرر أن تقوم هذه اللجنة من خلال الرحلة البحرية، بإعداد جداول وموضوعات لندوات دولية علمية، واستعادة تاريخ العلاقات الإنسانية بين الشعوب عن طريق التجارة والتبادل الثقافي، وقد وضعت حكومة سلطنة عمان سفينة شراعية خاصة للرحلة تدعى «**فلك السلامة**» وهي شبيهة بالسفن الشراعية القديمة التي كانت تقوم بالتنقّل بين موانئ المحيط الهندي والمحيط الهادي في الحقب التاريخية الماضية.

وقد ظهر هذا الطريق البحري بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية وهو يمتد من السواحل الجنوبية، والجزر الممتدة في المحيط الهندي، ثم بحر العرب، فالبحر الأحمر، ومن الاسكندرية كان يتابع مسيرته باتجاه القسطنطينية، أو باتجاه صقلية وروما.

الرحلة البحرية

نفذت الرحلة البحرية عام ١٩٩٠م، وكان تحديد الطريق البحري أقل صعوبة على الدارسين، فالمراكز التي تمتد عبرها هذه الطريق تسهل معرفتها لاضطرار الملاحة البحرية في الماضي، بسبب الصعوبات التقنية للجوء لطريق محدد هو الطريق ذاته ــ طريق الحرير ــ بالإضافة إلى رغبة التجار في تبادل البضائع في هذه المواقع، وإذا كان هناك تغيير في طريق الرحلة البحرية فهو تغيير جزئي تفرضه طبيعة الإبحار، وسلوك طرق الأمان، وتجنب سبل المهالك.

وقد وسعت منظمة اليونسكو مفهوم الطريق البحري وجعلت امتداده من شواطئ الصين الشرقية إلى شواطئ البحر المتوسط الشرقية والجنوبية، وشواطئ أوروبا الجنوبية، وجعلت معظم الموانئ الشهيرة من بحر الصين الشرقي والجنوبي، وشواطئ آسيا الجنوبية الغربية، وشواطئ المحيط الهندي الجنوبية، وشواطئ أفريقيا والبحر المتوسط، مراكز مهمة على طريق الحرير البحري، **وجعلت من إسهاماته القديمة الوصل بين حضارات أمم متنوعة في القارات القديمة الثلاث : آسيا وأفريقيا وأوروبا منذ زهاء ثلاثة**


الأبواق تعلن بداية الرحلة

الحرير

بقلم: جان ألكسان

آلاف عـــام، ورأت ضرورة إعـــادة الحوار السلمي بين الشعوب، والذي حمل العرب لواءه، خاصة في القرنين الثـامن والتاسع، ومن بعـدهم تعلم الملاحة وصناعة السفن البرتغاليون في القرن السادس عشر.

وفي تظـاهـرة إعـلاميـة أبحرت سفينة (فلـك السلام) العمانيـة طوال أربعـة أشهر من مـدينـة البندقيـة، مدينـة البحار **ماركـو بولـو،** لتمر بشـواطئ خمس عشرة دولـة أوروبيـة وآسيوية، لتصل إلى مدينة **أوزاكا،** ميناء نـاليفا القديم الذي كـان يبحر منه في القرن الثامن الرهبان اليابانيون إلى الصين. . **وقـد حملت هــذه السفينة فريقًا من العلماء والمصورين** ليعيـدوا إلى الأذهـــان أمجاد الطريق البحـريـــة القـــديمـــة عن طـــريق المشـاهـدات الميدانيـة، واللقـاءات العلمية، والنـدوات التي عقدت في الموانئ.

الطريق البري

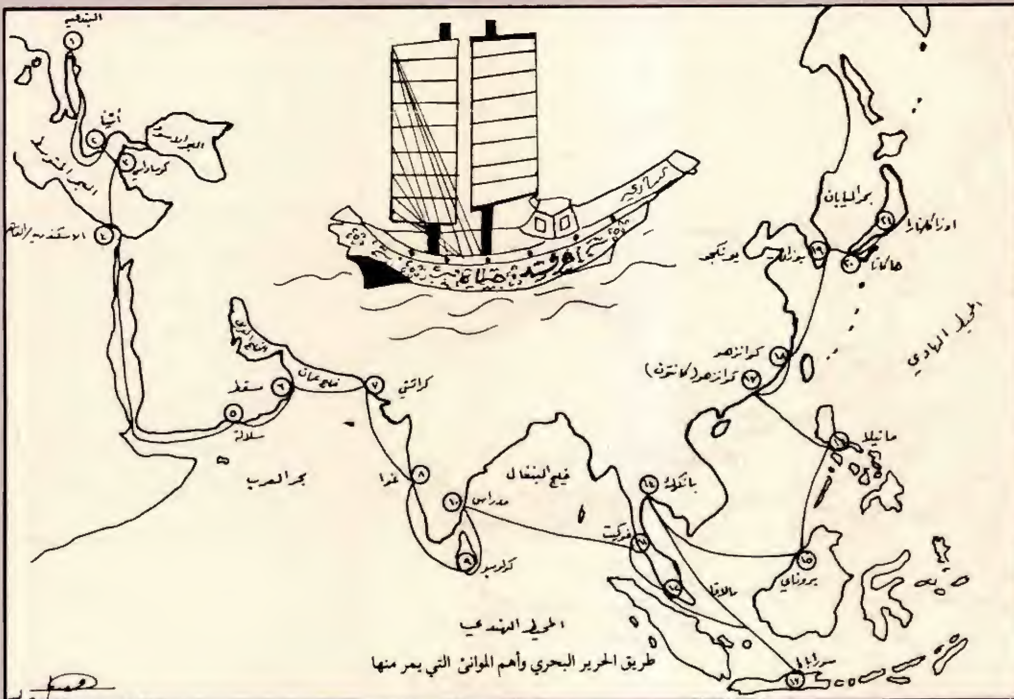
واللجنة الثانية لتحـديد الطريق البري **ولهذا الطريـق أهمية خـاصة في التـاريخ العـــربي الإســلامي،** ، وقد شهد أكثر المنجزات العربية الإسلامية التي بـدأت بـالفتوح العـربيـة ونشر الإسلام في بلاد آسيا الوسطى، وكان يتألـف من محور رئيسي يعبر القـــارة الآسيـــويـــة من الغـــرب إلى الشرق، وتتفرع عنه شبكة من الطـرق الثانوية بـالتـــوازي أو بـالتقـاطـع تتجـه من الجنـوب إلى الشمال، نظـرًا لاتسـاع القارة، وتنوع الشروط المناخية، وتنوع التضاريس ومصادر المياه.

وقـــد استـدعى المشروع إجـــراء اتصالات مكثفة بين عدة دول تشترك فيما بينهـا بعلاقـات تـاريخية تجاريـة كالصين، والجمهـوريات الإسـلامية في الاتحاد الســـوفيتي (ســـابقًـــا)، وإيران، والعراق، وسورية، وتركيا، وأوروبـا، وبخـاصـة إيطـاليـا حيث كانـت نهاية هذا الطـريق الـذي كان يمر من البندقيـة وجنوى أو من مدن الهانـزا التجاريـة في الشمال (هولنـدا حاليًا)

وكان مقررًا، في إطار هذا المشروع الإنساني والتاريخي، التركيز على أخذ



ازدهرت فنون صناعة السجاد على هذا الطريق



طريق الحرير البحري وأهم الموانئ التي يمر منها



العبر من الجانب الحضاري للتجارة والتبادل الثقافي الذي يحمل العديد من المؤثرات التاريخية والثقافية لشعوب هذه المنطقة حيث انتقل عبره الدين الإسلامي من الشرقين الأدنى والأوسط إلى مناطق بخارى وسمرقند وأقاليم الصين، إما بشكل مدّ حضاري أو بتأثير الفتوحات، وكذلك انتقال الجاليات الإسلامية أو تجار المسلمين عبر الواحات والمدن التي تقع على طريق الحرير.

لقد ظهرت على طريق الحرير الامبراطوريات المنغولية، والسلجوقية، والعباسية، ونشأت علاقات سياسية ودبلوماسية.

وعمومًا فإن طريق الحرير ومراكزه الحضارية كانت بمثابة مراكز انتقال وراحة لمسافري تلك العهود عن طريق القوافل، وما يرافقها من تقاليد ونظم لتسيير وتسهيل التجارة العالمية التي كان الحرير والتوابل أهم موادها بين العالم القديم (الصين والهند) وأوروبا، وقد لعب العرب فيها دورًا مهمًا كوسطاء ومنظمين لهذه التجارة الدولية.

بدأت الرحلة البرية يوم ١٩ أبريل (نيسان) من عام ١٩٩١م من مدينة عشق أباد وامتدت حتى ١٧ يونيو (حزيران) ١٩٩١م. حسب البرنامج التالي:

- ٢٢ ــ ٢٤ أبريل: زيارة آثار مدينة ماري ومعالمها الهامة وتنفيذ مهمات علمية والاطلاع على فولكلور المنطقة.

- ٢٥ - ٢٦ أبريل: زيارة مدينة خاردرنه، ورحلة اتنوغرافية إلى منطقة هالاج.

- ٢٧ أبريل: في تاشاوز وزيارة كونور اوغينش

- ٢٨ أبريل: زيارة نوكوس وبحر ارال وفردخار وطبركالا ومتحف نوكوس.

- ٣٠ أبريل: زيارة (اوغينش كيفا وعقد مؤتمر علمي حول أهمية محطات القوافل والمدن الواقعة على طريق الحرير الشمالية، وزيارات لمتاحف كيفا المتنوعة وزيارة أكاديمية العلوم في جمهورية الأوزبك.

- ٤ مايو: زيارة مدينة بخارى ومتاحفها ومكتبتها

- ٨ مايو: زيارة غارشي، وزيارة مسرحها، وحضور حفلة موسيقية

- ٩ مايو: زيارة نيرميز

على طريق القوافل القديمة



طريق الحرير البري وأهم المحطات التي يمر منها



ـ ١٠ ـ ١٣ مايو: زيارة أوشابنى الوادي والمسرح ووادي كارسوب

ـ ١٤ ـ ١٧ مايو: زيارة سمرقند ـ المتاحف ـ الآثار ـ المدينة القديمة.

ـ ١٨ ـ ٢٤ مايو : زيارة لينين اباد ـ أوش ـ وادي فرغانا

ـ ٢٥ ـ ٢٨ مايو : زيارة طشقند ـ لقاء في معهد الدراسات الشرقية.

ـ ٢٩ ـ ٣٠ مايو : زيارة إلى تركستان.

ـ ٣١ مايو : زيارة مدينة شيكنت ومدينة اترار القديمة.

ـ ١ ـ ٧ يونيو : زيارة كل من حامبول ـ فرونزي ـ شولبول أتا.

ـ ٨ ـ ١٤ يونيو : زيارة الماراثا وبانفيلوف

ـ ١٥ ـ ١٦ يونيو: انعقاد المؤتمر العلمي: العلاقات بين الثقافات الحضرية والثقافات البدوية على طريق الحرير.

"سفن السلام العُمانية تتهادى مستعيدة أمجاد العرب والمسلمين في البحر"

ميناء بحري على طريق الحرير البحري



النول البدوي لحياكة خيوط الحرير في الصين



طريق ذو اتجاهين

لقد تطلب هذا الطريق وبضائعه الغالية الثمن، تنظيماً خاصًا في شؤون المواصلات، أي وجود وسائط نقل أمينة، وأماكن استراحة ملائمة، ومترجمين حاذقين يمكن بوساطتهم الاتفاق مع المشترين، ومصلحة المواصلات، وقد كتب (هيرودوت): «إن التاجر حين ينطلق في طريقه كان يأخذ معه ما بين خمسة وسبعة مترجمين يعرفون اللغات: «اللاتينية ـ اليونانية ـ العربية ـ التركية ـ الصينية» وكانت الطريق من روما إلى تشانانا، أو من القسطنطينية إلى لويان، تستغرق بضعة أشهر في القرون الوسطى، وكانت أهم مراكز المرور: فرغانا ـ وفوتان، وكاشغر ـ وصغد، وسمرقند.

وكان دور الحرير عظيماً على هذا الطريق بحيث استعيض به عن النقد في حالات كثيرة، ولم يعمل الطريق باتجاه واحد، بل كان طريقًا ذا اتجاهين بين الشرق والغرب، وكان شبكة معقدة من الطرق أهمها الشمالية والوسطى والجنوبية، وكانت بينهما شبكة كاملة من دروب القوافل الفرعية القصير نسبيا، والتي كانت تربط بين هذه الطرق الرئيسة الثلاث.

وهكذا أصبح الحرير معروفًا في

ممالك كثيرة من العالم، حتى أصبح في روما، في القرن الأول للميلاد سوق خاصة لبيع الحرير، حتى إن ملك القوط الغربيين طلب من سكان روما لدى حصارها عام ٤٠٨م أربعة آلاف قميص من الحرير كفدية.

التجارة «الدبلوماسية»

كانت تجارة الصين مع البلدان الأخرى تشكل جزءًا من سياستها الخارجية، ولم تكن تجارة رسمية بحتة، فقد اتخذت كل البضائع شكل هدايا، ولم تكن الدول الأجنبية تستطيع الحصول على الحرير إلا في شكل هدايا صينية مقابل الاتاوة الممنوحة، ويسمي الاختصاصيون هذا النوع من التجارة بالنوع «الدبلوماسي»، وهناك روايات مختلفة عن تطور تربية دود القز في آسيا الوسطى والغرب، وتقول إحدى الروايات أن شرنقة هذه الدودة جلبتها إلى خوتان سرًا داخل خصلات شعرها عروس صينية هدية إلى خطيبها حاكم خوتان (سنة ٤١٩)، وأرسل الامبراطور البيزنطي يوستينيان (أواسط القرن السادس) أفرادًا إلى الصين وجلبوا معهم في عصيهم الخيزرانية المجوفة دود القز، ونبات شجرة التوت التي تتغذى بها.

وأصبح طريق الحرير في القرون الوسطى مكانًا لتبادل اقتصادي وثقافي نشيط مع الدول الواقعة في أراضي آسيا الوسطى، وهي خوارزم، وطورفان، وصغد، وأصبح للثياب والآلات الموسيقية الصغدية، والخزف الخوارزمي، والرسم الزيتي من بيانجكنيت، شعبية عظيمة في الصين... **وفي أواسط القرن الثامن بدأت الصين تنمي علاقاتها التجارية مع الخلافة العربية**، وأرسل العرب عبر طريق الحرير إلى الصين النسيج المشجر والسجاد والمصنوعات الزجاجية السورية.



نقوش على الحرير

> "الفتح العربي الإسلامي للبلدان على هذا الطريق ساهم في إشاعة تقاليد أصيلة في المعاملات"



صناعات يدوية متميزة

الفتح العربي الإسلامي وطريق الحرير

كان الفتح العربي الإسلامي لبعض الدول الواقعة على امتداد طريق الحرير وتفرعاته، سريعًا وسلميًا، من خلال حرص الفاتحين على المحافظة على التقاليد والعادات والمعاملات والأصول الإدارية لتلك الدول، والإسهام في تعزيز التبادلات التجارية، وهي المهمة المألوفة لقوافل طريق الحرير.



وامتد الفتح الإسلامي إلى أكثر المناطق ازدهارًا وخصبًا، وإلى أكثر المدن والمرافئ فعالية، **وأصبحت الدولة العربية الإسلامية مسيطرة على تقاطع الطرقات الكبرى، كما كان طريق الواحات سبيل انتشار الإسلام في إيران وتركستان واندونيسيا والصين.**

وفي القرن الثامن زادت أهمية الطريق البحري الممتد من الخليج العربي إلى كانتون في الصين، حيث أقام بعض العرب المسلمين، ويعود نشوء الطوائف الإسلامية في الصين إلى هذا العهد، **وكان أول رحالة عربي مضى إلى الصين عام ٧٥٠م أبا عبيدة عبد الله القاسم** الملقب بـ



من الآثار التي تشاهد على طريق الحرير



قطعة من الحرير الفاخر

(السندباد).

احتفال اليابان بطريق الحرير

قامت هيئات ثقافية وإدارية في اليابان بإحياء ذكرى هذا الطريق في مهرجان ضخم استمر عامًا كاملاً بدءًا من ربيع عام ١٩٨٨م في مدينة (نارا) والمركز الياباني لطريق الحرير، وقد ضم الآثار القديمة التي ترجع إلى مجموعة من الدول التي كانت ممرًا لطريق الحرير وذلك من خلال عرض ضخم رافقه تظاهرات ثقافية أخرى من أهمها المسلسل التلفزيوني الذي يتضمن سبعًا وعشرين حلقة،

كل حلقة خاصة بمنطقة من مناطق الحرير، وفيها عرض مثير لآثار تلك المنطقة، وعرضت على هامش معرض الفنون اليدوية، وأسواق صناعتها، وعروض مسرحية مختلفة،

ونشرت ثلاثة مؤلفات ضخمة عن طريق الحرير.

طريق الحرير على الشاشة

تحت عنوان (طريق الحرير العظيم) عرضت شاشات التلفزيون في أكثر دول العالم، ومنها الدول العربية، مسلسلاً يجمع بين الطرافة والمتعة والثقافة والفائدة، وبخاصة من خلال المشاهد الحية المنقولة من مختلف المناطق التي كان يمر منها الطريق.

وفي دمشق، تحدث خير الدين حكمت آليف مخرج المسلسل وكاتب السيناريو عن هذا المسلسل أثناء زيارة له مع الفريق الفني لتصوير الجزء الثاني منه. قال: إن الرحلة الأولى على هذا الطريق بدأت عام ١٣٨ق. م، ومنذ ذلك الوقت بدأت القوافل تعبر عليه بين الصين وآسيا الوسطى إلى بلاد الشام، حتى القرن السادس عشر حتى اكتشف الطريق البحري.

المراجع والمصادر

- وثائق ومنشورات اليونسكو
- موجودات المتحف السوري.
- تحقيق: اليونسكو تستكشف تاريخ العلاقات بين الشعوب (الموقف العربي - العدد ٣٨٠ - تاريخ ٢٤ - ٣٠ يوليو - تموز ١٩٨٩م - ص ٧٤-٧٥
- المخطوط الذي أعده الدكتور ساطع محلي لينشر في كتاب عن المشروع.

د. عفيف البهنسي: «طريق الحرير دولي قبل قيام الدول» مجلة الكويت - العدد ٨٨ - ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٩ - ص ٨٤-٩٠

- طريق الحرير الكبرى وأثرها في تاريخ الحضارة البشرية - مجلة المدار - موسكو - العدد ٣٠٢ - العدد السادس لعام ١٩٨٨م - ص ٤٦ - ٤٩
- مخطوطات مختارة من المكتبة الظاهرية في دمشق.
- مخطوطات مختارة من مكتبة الأسد في دمشق.
- لوحة (على امتداد طريق الحرير القديم) - مجلة الصين المصورة - العدد الرابع لعام ١٩٨٨م.
- رحلة للسياح على طريق الحرير الكبير - نشر وكالة نوفوستي - طشقند.
- جمال عبود: طريق الحرير العظيم - حوار مع مخرج مسلسل طريق الحرير - جريدة البعث - دمشق - العدد ٨١٩١ تاريخ ٢٧ - ٢ - ١٩٩٠م.
- مصادر تاريخية وجغرافية مختلفة.
- المسلسل التلفزيوني (طريق الحرير العظيم).

ذكراك يا بردى

شعر: د. محمد إياد صلاح الدين العكاري

لي في الشـــام معـــالمٌ ومغـــانِ ... ومشـــاعـرٌ وعـــواطفٌ وأغـــانِ
شـــوق المحبِّ إلى الحبيب يخطـــه ... قلبٌ يـــرفُّ بلهفـــةٍ وحنـــانِ
نـــامت عيـــون العـــاشقين بليلنـــا ... وعيـــوننـــا بـــاتت بـــلا أجفَـــان
ذكـــرى تـــداعب مهجتي وخـــواطـــري ... أُخـــرى تَهيج بمقلتي و جَنـــاني

بـــردى ذكـــرتـك في صفـــاء مشـــاعـري ... أشكـــو إليـك بلـــوعـــةٍ أشجـــاني
كـم من محب قـــد أذقت ســـلافـــة ... فجعلتَـــه كـــالعـــاشـق النَّشـــوانِ
كـــالسلسبيـل عـــذوبـــةً ونقـــاوة ... والـــزنجبيل مـــزاجُـــهُ بلســـاني
تسقـي رحيقًـــا خـــالصًـــا ومحبَّـــة ... لنعيـش في رغَـــدٍ وفي تحنـــانِ

بـــردى ذكـــرتُكَ شـــاديًـــا ومـــؤرِّقًـــا ... يـــا منبعًـــا للخيْر في أوطَـــاني
إنّي ذكـــرتـــكَ في روائع خُضْرة ... في أجمل الأثـــواب والألـــوان
بـــالغـــوطتينِ تـــرى جمالاً ســـاحـــرًا ... والـــرَّبـــوتين وأعينِ الـــزَّبَـــداني
روضٌ وأشجـــارٌ وعُـــرْسٌ خمائلٍ ... متعـــانـــقٌ في محفـل وتهاني
والحَوْرُ والصَّفْصَـــافُ ظـلٌّ وَارفٌ ... يـــا روعـــة الجَنَّـــاتِ والشطْـــآنِ
فالفـــلُّ مبيضٌ يُـــداعبُ خِلَّـــهُ ... واليـــاسمين ودردُجـــورٍ قـــاني
وشقـــائق النُّعْمان تعشق دوحـــة ... فتخيـلَ في طـــربٍ وفي خفقـــان
والـــزَّنبَـقُ الخَلَّاب يهوى نـــرجسًـــا ... وأريجُهُ بلهـــو مع الـــريحان
فـــالعطـــرُ فـــواحٌ حـــدائقُ بهجـــة ... والـــزَّهـــر في ألـق بكـل مكـــان
والغـــوطـــة الفيحـــاء يـــا عُـــرسَ الهوى ... ظلَّ الشـــآم وطـــوقهـــا كجنـــانِ
فكـــأنّ جلـق غـــادة نسجـتْ لها ... حلـل الجمالِ وأرصع التيجـــانِ

بـــردى ذكـــرتك هـل بـــذاك غـــرابـــة!؟ ... تسري عـــن الأرواح والأبـــدان
تمشي بحـــاشيـــة تميس غصـــونها ... كتحيـــة للنّهـــر في عـــرْفـــان
والغصـن ممتـــدٌّ بمـلء أكفـــه ... أوراقـــه جـــزلى مـن اللقيـــانِ
والجَذْرَ تحت الأرض في شركِ الهوى ... فكـأنّـــه كـــالهائم الـــولهانِ

والطَّيْرُ يغـــدو شـــاديًـــا ومغـــرِّدًا ... من أعـــذبِ الأنغَـــام والألحانِ
في كـلِّ يـــوم يبتـــديك بغنـــوةٍ ... ممـــا ارتـــوى من مـــائك الـــرَّيَّـــان

والشمسُ تُـــرسلُ ضـــوءَهَـــا وشعـــاعهـــا ... للنَّهـــر في ألَـق وفي لَمَعـــانِ
فكأنَّ ضـــوءَ الشمـس ينهلُ شـــاربًـــا ... حتى يَعُـــودَ شعـــاعُـــهُ كَجُمَانِ

ولقـــاسيـــون فما يُغَـــادرُ بَـــارحًـــا . . ... فـــوصـــالُـــهُ بَـــردَى مَـــدَى الأزمـــانِ
أشـــواقـــه تترى يهبُّ نسيمُهَـــا ... عَبَقَـــا يجوبُ معـــالم البُلْـــدانِ

بـــردى نَـــدَاكَ فما يُفَـــارق خـــافقي . . ... والشَّـــوقُ يُلهِـبُ أضْلُعـي وكيـــاني . .
بـــردى وِصَـــالك لا يُبَـــارحُ أُنْسُـــهُ . . ... فـــاسقِ المحبَّ بـــرقـــةٍ وحنَـــانِ





بقلم الشيخ: حمد الجاسر

في تايلند..

في الحلقة السابقة من مذكراته وصف الشيخ حمد الجاسر مشاهداته في سنغافورة، وانبهاره بالمسجد الجامع في ماليزيا؛ وهربه من الكرم الجامح للشيخ محمد الحمد الشبيلي - رحمه الله - سفير المملكة العربية السعودية هناك . وفي هذه الحلقة يواصل مذكراته في تايلند والهند.

المسافة بين (كوالا لمبور) و (بانكوك) ليست طويلة، ولهذا لم نحسّ بشيء من التعب، واسم (تايلند) أطلق على هذه البلاد حديثاً فقد كانت معروفة إلى عهد قريب باسم (سيام) وكان حجاج سيام لهم شأن عند أهل مكة من المطوّفين وغيرهم.

ومدينة (بانكوك) تقع في براح من الأرض ولهذا فهي واسعة ولكنها غير نظيفة، ويخترقها نهر عظيم تتسرب إليه الأوساخ، وعلى شواطئ هذا النهر تقام أسواق من صناديق مصنوعة من الخشب يقصدها السواح الذين تحملهم زوارق صغيرة، فتسير بهم بقرب الشواطئ، التي تمتد حولها أمكنة عرض البضائع.

ذهبت في صباح اليوم التالي لمشاهدة معالم هذه البلاد، ولكنني عندما شاهدت شدة الزحام على القوارب مع عدم نظافتها بل عدم الاطمئنان على السلامة، رجعت من الشاطئ بعد أن دفعت أجرة الرحلة كاملة.

وأجمل ما في هذه المدينة فنادقها، ومن أشهرها فندقان اثنان أحدهما يدعى (فندق مونتين) والثاني فندق الشرق (أورينتال) وهذا الأخير على شاطئ النهر وفيه بركتان للسباحة.

كان الجو في الأيام التي أقمناها في هذه البلاد (من ١٠ أبريل إلى ١٣ منه) شديد الحرارة ولهذا فالمرء لا يرتاح إلاّ في داخل الفندق حتى في المساء، وبعد غروب الشمس حاولت في إحدى الليالي أن أجلس على الشاطئ في (فندق الشرق) في مكان واسع صُفّت فيه مئات الكراسي وأُضيئ بالأنوار القوية، ولكني وجدت مضايقة من البعوض.

وأجور الفنادق في حدود عشرين دولاراً أمريكياً للغرفة الواحدة.

لم يلفت نظري في هذه المدينة سوى منظر الرهبان من البوذيين ونحلة هؤلاء هي الشائعة في تايلند مع انتشار مختلف النحل.

لقد كان من عادتي الخروج من الفندق صباحاً، وإمضاء ما يقرب من ساعة في رياضة المشي فأبصرت على مقربة من الفندق طائفة من الناس غريبي الزي والمظهر، إنهم يلبسون حُلَلاً صفراء غير مخيطة تتكون الحُلَّة من قطعة من قماش قد ارتدى الواحد منهم بقسم منها واتزر بالقسم الثاني والرؤوس مكشوفة قد حلق شعرها، والأقدام عارية. كان اجتماعهم قرب معبد من معابدهم، وكانوا وقوفاً مصطفين، فذهبت حتى توسطتهم، لأنظر علام اجتمعوا، فإذا بنسوة تأتي كل واحدة منهن بإناء كبير، مملوء طعاماً وفاكهة، فتقف بقرب مدخل المعبد أو تجلس، فيقبل إليها أولئك واحداً واحداً وكلّما وقف عندها واحد منهم انحنت فقدّم لها إناءً مجوفاً له علاّقة يحمله بها، فتغرف من الطعام وهو في الغالب من الأرز، وتضع فوقه شيئًا من التوابل، ثم تضع حبة برتقال أو منجة في ذلك الإناء وتناوله للرجل، بعد أن تنحني له مرة أخرى، فيأخذ إناءه ويمضي، وقد تُقَدِّم له غصناً فيه زهرة أو زهرتان من زهور كانت أحضرتها معها ثم يأتي من بعده فتفعل معه كما فعلت للذي قبله وعندما ينفد ما في إنائها يكون هناك من النسوة من يحلّ محلّها.


الأسواق على الشواطئ في بانكوك

لقد حاولت أن أقدم لواحد من هؤلاء نقوداً فلما مددت يدي بها أدار لي متنه وانصرف بعيداً عني، فحاولت مع شيخ كبير السن كان جالساً فلما مددت

يدي إليه أغمض عينيه، فطرحتها في حجره فنفض رداءه وقام مهرولاً وتركها، بعد أن نظر إليّ شزراً.

لقد كان منظر هؤلاء مؤثراً في النفس، إنه يعبر عن عدم الاكتراث بالجسم بل بالحياة كلها ولا أدري كيف لا ينقرض هؤلاء الذين لا يرى المرء أي أثر في أجسامهم للعناية بصحتهم؟.

لقد وجدت نوعاً من التسلية في الذهاب صباح كل يوم إلى هذا المكان، والناس في هذه البلاد في ما يظهر - طيبون - فأنت حين تجلس في أحد الأمكنة العامة تشاهد هدوءًا تاماً وعندما تسير في الشوارع لا تجد شيئًا من المضايقات التي قد تحسّ بها في كثير من البلاد الشرقية.

ولا أدري فقد يكون هذا ناشئًا من بعد الفندق الذي سكنت فيه عن الأحياء الواقعة وسط البلدة.

وأذكر أنني حين رجعت من شاطئ النهر - حين ذهبت لمشاهدة معالم المدينة - اضطررت للذهاب إلى الفندق مشياً على القدم، لأنني لم أعرف اسم الفندق الذي أسكنه بعد، وكنت تركت عنوانه مع الرفاق الذين ذهبوا في النزهة النهرية، ولكنني في الصباح عند الخروج منه شاهدت بقربه مكتبي طيران هما مكتب الطيران الياباني، ومكتب الطيران الهولندي، فسرت في اتجاه القصد إليه حتى تعبت من المشي، فصرت أسأل من قابلت عن هذين المكتبين فما كنت أجد إجابة وخاصة من أصحاب المحلات الذين يظهر أنهم يجهلون الكلمات الإنجليزية القليلة التي أتحدث بها ملحونة غير واضحة، حتى اهتديت إلى محل للسياحة، فلما سألت شاباً كان واقفاً عند مدخله سار أمامي بعد أن أشار إليّ لأرجع مع شارع طويل كنت قد أتيت منه، وأن أتبعه ثم أشار نحو جهة كنت أظنها بعكس الجهة التي أقصدها، وفهمت منه أن المكان بعيد، فطلبت أن يكتب اسم الشارع الذي يقع فيه مكتبا الطيران واسم الفندق القريب منهما ففعل ووقف بجانبي حتى مرت بنا سيارة أجرة فأوقفتها فركبت فيها حتى أوصلتني إلى المكان الذي أقصده.

والحياة في هذه البلاد تتسم بالبساطة في كل شئ، ولا شئ يكدر صفوها سوى الاستهانة بالنظافة. وأكثر من يعمل في الأمكنة العامة - كالمطاعم والمقاهي - من النساء.

ولن يعدم المرء مشاهدة مختلف الأجناس من الشرق والغرب، ولا سيما العرب، في الفنادق الكبيرة، ولهذا فليس غريباً أن يرى بعض المحلات المعنونة بالعربية.

إلى مدينة دلهي

وفي صباح الجمعة ١٦ جمادى الأولى ١٣٩٩هـ (٢٣ أبريل ١٩٧٩م) كان السفر من (بانكوك) قاعدة (تايلند) إلى مدينة (دلهي) والمفروض أن تقلع الطائرة في العاشرة إلا ربعاً فتأخرت إلى الساعة الثانية عشرة، فبقينا في المطار البعيد عن البلدة، حتى حان وقت السفر. وبعد ساعتين هبطت الطائرة في مدينة **(دكا)** في **(بنقلاديش)** وكان البقاء داخل الطائرة ساعة كاملة ثم كان الاقلاع والوصول إلى مدينة **(دلهي)** بعد ساعتين والبقاء في الجمرك أربع ساعات لم أشاهد في حياتي معاملة أسوأ مما شاهدته من موظفي الجمارك هنا، لم يتركوا شيئًا من أمتعتنا نحن الثلاثة بدون تفتيش دقيق، بل لم يتورّعوا عن النظر إلى ما تتحلّى به ابنتي وأمها، وتسجيل جميع ذلك، مما حملني على التفكير في عدم النزول في هذه المدينة ولكنني لم أجد أية وسيلة أتمكن بها من تحقيق ما فكرت فيه، إذ لا بد من إكمال عملهم سواء بقيت أو سافرت.

> ”أُعجبت بمنظر حديقة تحيط بالفندق وعندما هاجمتني أسراب من الحشرات الطائرة عدت مسرعًا إلى الفندق“

كان النزول في فندق يدعى (موريا) والأجرة لغرفة تسعنا نحن الثلاثة (٥٧٥) روبية، ويقع هذا الفندق في منتصف الطريق بين المطار وبين المدينة وهو نظيف ومريح.

وكان مما أذهب عن نفسي بعض أسباب الكدر والتعب - من جراء معاملة



موظفي الجمرك السيئة أنني بعد أن أصبحت وخرجت من الفندق كعادتي مبكراً - أعجبت بمنظر حديقة جميلة تحيط بالفندق وبعد أن خرجت منها واصلت السير بين مروج خضر - متجهاً صوب المدينة غير أنني لم أسر قليلا حتى هاجمتني أسراب من الذباب بحيث اضطررت للعودة إلى الفندق .

إن مدينة **دلهي** الجديدة جميلة من حيث سعة شوارعها وحداثة منازلها المنتشرة بين الحدائق التي تنتشر في جميع أرجاء المدينة ، ولكن النظافة هنا كغيرها في كثير من المدن الشرقية وتكاليف المعيشة ليست مرتفعة فنحن الثلاثة تناولنا عشاءً في الفندق بنحو ١٥٠ روبية ما يقارب ٢٠ دولاراً (الدولار = ٨ روبيات) وطعام الإفطار لنا الثلاثة يكلف ٢٦ روبية ولكن الأكل يعتبر من أجود الأنواع .

وفي صباح اليوم الثاني خرجت من الفندق مبكرا اتقاءً لما ضايقني بالأمس ، فسلكت الطريق المتجه إلى المدينة ، وهو شارع واسع ، تحيط به الحدائق ذات الأشجار السامقة التي تنتشر فوقها في الصباح أسراب من الغربان الصغيرة ، ولكن أصواتها مزعجة بدرجة لا تتلاءم مع صغر أجسامها مما ذكّرني بدعاء بعض البادية : **(يا الله سنة ذباب ولا سنة غراب)** ، فالذباب عند البادية يكثر في أيام الخصب ، حين يكثر اللبن والسمن وأنواع الغذاء الأخرى التي يحصل عليها البدوي من جراء سمن أبله أو غنمه ، واستفادته منها للاستعاضة من أثمان ما يبيعه لشراء ما يحتاج إليه .

تاج محل



أما الغراب فإنه لا يكثر في البادية إلاّ في زمن القحط عندما لا تجد الماشية ما تقتات به فتموت جوعاً فتتكاثر الغربان على جيفها ، ولهذا كان أبناء البادية يتشاءمون بالغراب .

والتشاؤم من الأمور التي أبطلها الإسلام ، بخلاف التفاؤل ، فالرسول عليه الصلاة والسلام يحب الفأل الحسن .

وفي ضحوة هذا اليوم وكنت جالساً في بهو الفندق أبصرت أخانا **الأستاذ محمد أنعم غالب** الذي عمل معي في صحيفة **«اليمامة»** ما يقرب من عام حتى نزعت مني وكان يتولى الإشراف على إدارتها وكنت غائباً في **بيروت** .

كان **الأستاذ** أنعم جاء إلى هذه المدينة لحضور أحد المؤتمرات ممثلا لحكومته **(الجمهورية العربية اليمنية)** وقد أنست بالاجتماع به ، وأمضيناها سويعات قصيرة في المساء ثم في اليوم الثاني حتى سافرت .

للملوك المسلمين في الهند آثار عظيمة ومنها **(تاج محل)** في بلدة **(أكرا)** وبإلحاح من **أم محمد ومن ابنتنا** كان الذهاب إلى **(أكرا)** في القطار ومسيره نحو ساعة ونصف ، ثم بالسيارة مثل ذلك ، وكانت رحلة شاقة لم يخفف من مشقتها ما شاهدناه من عظم الآثار في تلك المدينة بل زادنا تعبا على تعب مع عدم الحصول على غذاء تطمئن إليه النفس من حيث النظافة .

ولا أدري هل لي أن أنصح من يزور تلك البلاد ألا نفوته مشاهدة آثار **(أكرا)** ولكن عليه أن يرتب أمر رحلته ترتيباً يحقق له أن يكون سيره وطعامه وشرابه وفق رغبته هو ، إذا أراد الراحة ومشاهدة أجمل ما ينبغي أن يشاهد في هذه البلاد .

وفي مدينة **(دلهي)** القديمة - وهي متصلة بالجديدة - **آثار إسلامية** كثيرة من **المساجد والمدارس** وغيرها ولكن عدم الارتياح وشدة الحر هنا مما حال دون زيارة شيء منها .

ولقد استأجرت سيارة أجرة في يوم السبت وبعد أن مررت بمكان يدعى **(نظام الدين)** فيه مسجد عظيم قديم أدركني الظمأ وكنت قد عرفت بأن دار **السفارة السعودية** ليست بعيدة لأنني زرتها يوم الجمعة فقيل لي : إن اليوم عطلة ولم أقابل أحداً أعرفه ، فذهبت في هذا اليوم ، ولكن الحارس أبى أن يسمح لي بالدخول قائلاً : إن اليوم عطلة أيضًا إذ يوافق أحد الأعياد الرسمية هنا وغدًا يوم الأحد عطلة أيضا ، وحتى الماء قال بأنه لا يوجد لديه ماء للشراب .

ما كانت إقامتنا في هذه المدينة مريحة ، فالحر شديد ، وعلى ما تتصف به من جمال في مظهرها بحدائقها الكثيرة فإن المرء عندما يتوغل داخل المدينة لا يشاهد شيئا مما يثير في نفسه الإعجاب أو الاستحسان .

وقد يكون منشأ هذا أنني صدمت عند وصولي إليها فأصبحت متأثراً بما حدث لي يوم وصولي للمطار أو أن الوقت ما كان ملائماً لشدة الحر .

إلى بمبي

ولم تكن الرحلة متعبة لقصر المسافة ، وإن كانت الطائرة من نوع يروض

الجسم، وإن لم يكن محتاجاً للرياضة، ولن يحتاج المرء في المطار عند الوصول إليه سوى حدّة النظر إلى أمتعته إن لم يستطع إمساكها بكلتا يديه، مع الاستعانة ببقية جوارحه إن أمكن.

كان السكن في فندق على ساحل البحر، متوسط في المدينة يعتبر من خير فنادقها وما كانت زيارة هذه المدينة مقصودة، ولكن منها سيكون الاتجاه للعودة إلى **الرياض**.

سارعت في صباح اليوم الثاني لزيارة **(القنصلية السعودية)** لأقابل **الأخ عبدالله الحمد الشبيلي** وهو أخ حبيبنا **أبي سليمان**، فكيف لا يزار، وقد وجدت القنصلية تغص بمن فيها من طالبي سمة الدخول للعمل في المملكة، لذلك كان التريث للانتظار وما كان طويلاً ثم كان اعتذار من الأخ **عبدالله** بأنه عندما أبلغ اسمي توهمني شخصاً آخر، شاركني في الاسم واللقب، وليست المرة الأولى التي يجني عليّ هذا الاسم أو أجني به علي غيري. أذكر أنني في عام ١٣٧٣هـ وكنت إذ ذاك **معاوناً لمدير المعهد العلمي في الرياض الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله** - وكان مقر المعهد إذ ذاك في بناية **(أم قبيس) في الشمسية**، على مقربة من مقر **مجلس الوزراء** وكان في **(قصر الحمراء)** وفي صباح يوم من الأيام بعد أن تكلّم **الشيخ عبداللطيف** بالهاتف مجيباً التفت إليّ هامساً وقال: إن مدير الشرطة أخبره بأنه سيبعث ضابطين ليأخذاني إلى السجن ثم استوضح مني عن السبب، فأفهمته بأنني لا أعرف سبباً، ومن الخير لي أن أذهب الآن قبل حضور الضابطين إلى مجلس الوزراء للاستيضاح عن الأمر ولكنني حين ما قابلت **الشيخ صالح العباد** - رئيس الديوان - إذ ذاك وأخبرته قهقه ضاحكاً بأعلى صوته واتصل **بمدير الشرطة** وأفهمه أن المطلوب للحبس شخص آخر، وهو سميّ لي وأذكر مرة أخرى أنه حدث مني ما استدعى ادخالي السجن فألقي القبض على سميٍّ لي كان صاحب دكان لا صلة له بالأمر الذي عوقبت من أجله بالسجن وبقي فيه حتى حللت محله.

رأيت عند **الأخ الشبيلي الأخ رشيد رضوان** وكان من تلاميذي حين كنت أدرس في **(مدرسة تحضير البعثات) في مكة المكرمة** وكان مديراً **للخطوط السعودية في بمبي** فأخبرته بأنني أريد السفر إلى **الرياض** وقد اتصلت بقسم الحجز في **مكتب الخطوط** فوعدني الموظف وعداً غير مؤكد لوقت السفر وأحب أن أتأكد من ذلك فقال: تذهب الآن إلى مكتب الخطوط لتقابل المدير الذي حل محلي فقد نقلت إلى **جدة** وأصبح **الأخ محمد العصيل** هو المدير.

ولقد أكرم اللقاء وأحسن المساعدة ويسر لي ما أنا بحاجة إلى تيسيره في الرحلة إلى الرياض بل غمرني بفضله، وكرم خلاله - **أعني الأخ محمد العصيل**.

وكرم **الأخ أحمد بن عبدالله القاضي** من الأسرة الكريمة وهو ذو محل تجاري في مدينة **بمبي** كرم فزاري في الفندق، وأخبرني بأن كثيراً من **العرب** الموجودون في هذه المدينة يجتمعون في المساء في **(المدرسة العربية الكويتية)** وهي مدرسة أنشأتها **حكومة الكويت** في أول الأمر لتدريس **أبناء العرب** اللغة العربية، ولكن لقلة الطلاب أصبحت نادياً يضم مكتبة ترد إليها **الصحف العربية** وبعض الكتب،



صبي هندي في طريقه إلى مدرسته وكله إصرار وتطلع للمستقبل

ويرتادها الزوار كل يوم، ويشرف على إدارتها **الشيخ عيسى ابن عالم الكويت الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، والشيخ عيسى يشتغل بالتجارة وله ابن هو الشيخ يوسف وهو قنصل الكويت في بمبي**.

لقد زرت تلك المدرسة وكانت غير بعيدة من الفندق الذي أسكنه فقابلت **الشيخ عيسى وابنه يوسف** كما قابلت تاجراً من **اليمن هو الشيخ أحمد زيد اليماني من عدن** وكان ذا اطلاع على ما ينشر من الكتب التاريخية وقد قرأ بعض مؤلفاتي واطلعني على مقال له نشره في مجلة **«الحوادث»** اللبنانية تعقيباً على مقال كتبه **الشيخ محمد بن أحمد النعمان** حول مذكراته. وممن عرفت في **بمبي** والفندق الذي أسكنه يجتمع فيه بعض **مشاهير العرب** المقيمين هنا - **الأخ عبدالله الحسيني - قنصل حكومة قطر**، أنه هو الذي عرفني فأتى إلي وأخبرني بأنني كنت من مدرسيه في مدرسة الإحساء. ثم اتصل **بالسيد أزهار صديقي مدير الفندق - فندق شرتون** الذي أسكن فيه فأوصاه بي خيراً فكان أن صار يتعهدنا دائما برعاية خاصة.

مع التاريخ

ارتحت كثيراً أثناء إقامتي في **بمبي** ولعل هذا يرجع إلى أمرين أحدهما أنني كونت مجتمعاً من هؤلاء الأخوة الذين عرفتهم، وصرت ألتقي بهم في الفندق أو خارجه، والأمر الثاني: أنني وجدت على الشاطئ الممتد أمام الفندق المكان الملائم لممارسة الرياضة المحببة إلى نفسي وهي المشي، فهذا الشاطئ ممتد آلاف الأمتار، وقد حددت المسافات بالأرقام، فكنت أبدأ السير من محاذاة باب الفندق واتجه على الشاطئ حتى أبلغ رقم ٢٠٠٠ متر ثم أعود فاقطع أربعة أكيال (٤٠٠٠ متر) في أقل من ساعة، إنني، أقطع الكيل الواحد بثلاث عشرة



آثار مدهشة في الهند لكن بعض المتشردين يشوهون جمالها

"انتخبني علماء جامعة عليكرة الإسلامية عضواً في المجمع العلمي الهندي فرسمت صورة في مخيلتي لذلك الديوان.."

دقيقـة، وأسرع في المشي ولا أخشى أن ينظـر إليّ أحـد نظـرة فيهـا شيئ من الاستغـراب أو الانتقـاد، وطـالما شاهـدت كثيرا من النـاس من رجـال ونسـاء يسيرون في ذلك المكان ومنهم من يجري جريا فأقلدهم.

أثناء زيارتي **للمدرسة العربية الكويتية** جرت أحاديث حول الكتب وكنت طوال الرحلة منصرفاً عنها وقدم لي **الشيخ عيسى القناعي** بعض مؤلفات والده، وقال لي **الشيخ أحمد زيد اليماني** إن في مكتبـة الجامع الكبير في **بمبي** مخطوطات فحـرك كل هذا في نفسي زيـارة بعض المكتبـات ومنها المكتبـة العامـة في **بمبي** ومكتبة الجامعة ولكنني لم أجـد فيها من المخطوطات مـا أثار رغبتي في الإطلاع عليه ثم ذهبت يوم الجمعة إلى **الجامع الكبير ويدعى (جامع القصاب)** ذهبت مبكراً فـرأيت مكتبة ملحقة به تـابعة **للمدرسة المحمدية**، ووجدت في المكتبـة شيخـاً كبير السن سمى لي نفسـه (**محمد إسماعيل كـافري**) وأخبرني بأنه كان صديقاً **للشيخ يوسف الفوزان - رحمه الله** - وزميلاً له وقت الدراسة، ثم اطلعني على فهرس المكتبـة، فرأيت من بين مخطوطـاتها ديوان **الشاعر اليمني محمد بن** حمير وهذا الشـاعر من أشهر شعـراء عصره يقول فيـه أحدهم مقارنـاً بينه وبين شاعر المخلاف السليماني القاسم بن هتيمل:

أما قصائد قاسم بن هتيمل   فمذاقها أحلى من الصهباء

هو شاعـر في فنه فطـن ولـ   كن ابن حميـر سيد الشعـراء

وديوان **ابن حمير** رقمه في المكتبـة (٤٢٠) وقد كتب في هامش الـورقة الأولى منه (الـذاهب من أولـه اليسير) وأول ما فيه قصيـدة من قـافية الباء وآخـره (تم الديوان في ٢٥ ربيع الآخر سنة ٧٨٦ برسم مالكه... **عمر بن المعافا بن خليفة ابن الوحاري**). وملحق به «**شرح الخمر طاشية**» والخط جيد.

ومن الكتب التي طالعتها في تلك المكتبة «**تاريخ اليمن**» **للرازي** أوله الجزء الثالث من كتـاب التاريخ فيه ذكـر قدم **صنعاء** وفضلها وذكر بنـائها وآخره في التراجم (**تـرجمة زياد بن جبل وروايتـه**) وهو مخطـوط سنة ١١٣٤ - وقـد طبع الكتاب بتحقيق **حسين العمري** ورأيت في المكتبة العامة في **بمبي** - وقد زرتها - مجموعا يحتوي على كتاب (**طيب أهل الكساء والفلك الذي على جودى النجاة رسى**) في سيرة **الإمام القاسم** وأولاده وآخرهم **المهدي**، وقد ألـف سنة ١١٣٣ ومؤلفه هو **محسن بن الحسن بن القـاسم بن أحمد بن الإمام القـاسم وآخره**: (تم الجزء الأول ويتلـوه الجزء الثـاني في شهـر جمادى الأولى سنـة ٦٥ بعـد الألف بمحروس **صنعاء** بقلم مؤلفه **محسن بن الحسـن بن القـاسـم بن أحمد بن أمير المؤمنين**) ويتحدث فيه إلى حوادث سنة ٩٢ بعد الألف. وهو مجلد ضخم يقع في ٤٣٢ ورقة.

ورأيت في تلك المكتبـة مع الكتاب الأول الـذي رقمه فيهـا (٣٤٢) كتاب «**الجوهـرة المنيرة في جمل من السيرة**» في أخبار مولانا... **أمير المؤمنين المنصور بـالله القـاسم بن محمد بـن علي جمعها الفقير... مطهـر بن محمـد بن المنتصر الهادي الجرموزي**، ويحوي تاريخه مفصلا وفيه: (**فصل في سيرته نسبه ومولده**) وذكر قبل ذلك (تقرر مع **محمد باشا الصلح** الذي كان قد عقده ولده سلام الله عليه) وذكر فيه الحوادث إلى سنة ١٠٥٤، وذكر وفاة المترجم ومراثيه وأولاده وهو مخطوط ١٠٦٥، ويقع في مجلـد ضخم، ورقاته ٣٦٣ وقد أصـاب بعضها بلل أثّـر في الكتابـة. لقـد حرصـت على الحصول على صـورة من «**ديوان ابن حمير**» فذهبت مع ناظر المكتبة (**الكفوري**) إلى رئيسه، فبالغ في مقدار الأجرة - ولعله فعل ذلك ليصرفني - ولكنني أبـديت له استعدادي لـدفعها فقـال: لا بد من الاستئذان مـن جهة أخرى، وهـذا لا يتم قبل أسبوع، ووعـدني بأن يكتب إليّ لكي أحول الأجرة بعد الموافقة على التصوير.

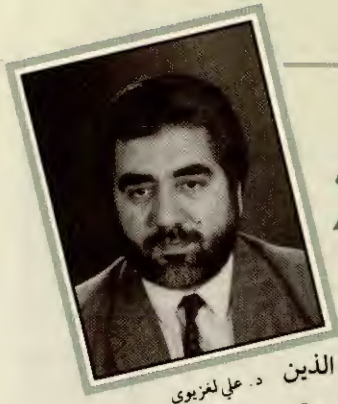
وقد أكرمني علماء (**جامعة عليكرة الإسلامية**) بانتخابي عضواً في (**المجمع العلمي الهندي**) قبل رحلتي هذه - فكان أن طلبت من **الأخ الأستاذ مختار الدين أحمد، أمين المجمع وعميـد كلية الآداب** في تلك الجامعة المسـاعدة في الحصول على صورة لذلك الديوان، الذي كان أخي **مؤرخ جازان الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي** حريصا على الاطلاع عليه.

«**للحديث صلة**»

لقاء مع

د. علي لغزيوي

تأثير ملموس للحضارة العربية الإسلامية في أوروبا



د. علي لغزيوي

الدكتور علي لغزيوي واحد من روّاد الفكر والنقد الأدبي الإسلامي الأندلسي وهو من الأساتذة الجامعيين الشباب الذين ساهموا ويساهمون في إثراء الفكر والنقد والتراث العربي الإسلامي. وقراء «الفيصل» يعرفونه من خلال أعماله الأدبية المتنوعة. وفي هذا اللقاء مع الدكتور علي لغزيوي يدور الحوار الفكري والأدبي حول القضايا النقدية والأدبية والفكرية والحضارية.

● **لقد قدمتم أطروحتكم مؤخرًا لنيل درجة الدكتوراه في موضوع (مناهج النقد الأدبي في الأندلس بين النظرية والتطبيق خلال القرنين السابع والثامن للهجرة) والموضوع له أهميته حيث إنه يتناول مناهج النقد الأدبي في الأندلس ـ ذلك الفردوس المفقود ـ الذي يذكرنا بالمجد الأثيل للحضارة العربية الإسلامية العريقة. ما آثار هذه الحضارة؟ وما هي طبيعة المناهج النقدية التي سلكتموها في تحليل موضوعكم؟**

> **الدكتور علي لغزيوي.. في سطور**
>
> 
>
> ● من مواليد إقليم فاس في المغرب عام ١٩٤٨م.
> ● دكتوراه الدولة في النقد الأدبي.
> ● يجيد الفرنسية مع إلمام بالإنجليزية والأسبانية.
> ● يعمل حاليًا أستاذًا للأدب الأندلسي والنقد بكلية الآداب في جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس.
> ● شارك في مؤتمرات جامعية مغربية وعربية.
> ● عضو رابطة الأدب الإسلامي.
> ● عضو مؤسس وكاتب عام الجمعية المغربية للتراث، عضو هيئة تحرير مجلة «المشكاة».
> ● يعد ويقدم برامج إذاعية منها ـ حاليا ـ برنامج بعنوان «أبحاث جامعية» من إذاعة فاس الجهوية.
> ● من مؤلفاته: أدب السياسة والحرب في الأندلس ـ المنهج الإسلامي في النقد الأدبي (التأسيس ـ الامتداد). ومناهج النقد الأدبي في الأندلس بين النظرية والتطبيق. وهو في الأصل أطروحة دكتوراه الدولة. فضلا عن أبحاث ودراسات ومقالات متنوعة.

□ **الأندلس** تجربة فريدة من نوعها في تاريخ **الإسلام**، وربما في تاريخ البشرية، لأن الانهيار الذي عرفته هذه الجهة من **العالم الإسلامي**، بعد تألّق حضاري متميّز، وعطاء ثقافي هائل ينبغي أن يُدرس دراسة مختبرية لاستخلاص العبر والدروس، حتى لا تتكرر المأساة ونفقد فردوسًا آخر لا يُجدى البكاء عليه.

وإذا كانت قيمة **الأندلس** كبيرة في نفوس كل المسلمين، فقد تزيد درجتها في نفوس **المغاربة** الذين يعدّون ورثة حضارتها، بحكم قربهم منها، وإسهامهم في بنائها، ولكون عدد من سكان **المغرب قد وفدوا عليه بعد عملية الطرد الجماعية التي تعرّضوا لها بعد تسليم مفاتيح** غرناطة ـ آخر معاقل المسلمين في **الأندلس** ـ وتضييق الخناق عليهم بواسطة **محاكم التفتيش** المشؤومة، ولا يزال كثير من المغاربة يحملون أسماء **أندلسية** إلى اليوم تذكّرهم بأنسابهم وبماضيهم المجيد.

أما تراث **الأندلس** فمعظمه قد ضاع خلال النكبات التي توالت على البلاد، وهو ما يطول الحديث عنه، ولذلك تُعدّ العناية بالباقي منه دراسةً وتحقيقًا إنقاذًا له من الضياع، وواجبًا على الباحثين المهتمين في **المشرق والمغرب** على السواء.

د. عبد السلام الهراس



د. محمد بن شريفة



وقد بُذلت جهود مشكورة في هذا المجال من قبل المحققين والدارسين المسلمين، وكذلك من قبل **المستشرقين**، وفي مقدمتهم **المستشرقون الأسبان** الذين يرتبطون **بحضارة الأندلس** وتراثها ارتباطًا تاريخيًّا وقوميًّا في الوقت ذاته. وقد سبق لي أن درست جانبًا من التراث الأدبي في **الأندلس**، في رسالتي لنيل دبلوم الدراسات العليا (الماجستير) منذ سنوات وهو: **(أدب السياسة والحرب في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع الهجري)** وهي مرحلة تمثل عصر الازدهار والبناء والانتصارات المتوالية، وتوصلت إلى نتائج مذهلة ليس هذا مجال عرضها، ولكنني أشير فقط إلى أن بذرة الضعف، ربما تكون قد تسربت إلى جسم **الأمة الإسلامية في الأندلس** خلال عهد قوتها وعزّها،

ولكنها لم تنتبه إلى ذلك في البداية على الرغم من أصوات التحذير التي سرعان ما تعالت تنبّه على الخطر، وتدعو إلى الوحدة ومعالجة الداء قبل أن يستفحل ويستشري في الجسم بكامله، ولكن هيهات.

وبحكم اهتمامي بالتراث النقدي الذي حببه إليّ بعض أساتذتي، منذ المرحلة الجامعية، وفي مقدمتهم **الأستاذ الدكتور أمجد الطرابلسي**، فقد لاحظت أن حظ التراث النقدي الأندلسي من العناية قليل، لدى الدارسين وذلك على الرغم من غنى هذا التراث وتنوّعه وتعدد اتجاهاته ومدارسه، وهو ما تأكد لي حين انفتحت على تراث **الفردوس المفقود**، وأخذت أناقش بعض أساتذتي في هذا المجال، أمثال **الدكتور عبد السلام الهراس، والدكتور محمد بن شريفة، والدكتور عباس**

الجراري، ولكل منهم إسهام مشكور في التحقيق أو الدراسة أو فيهما معا.

وحين أُسند إليّ تدريس مادتي **الأدب الأندلسي والنقد الأدبي** منذ سنوات، في **جامعتي وجدة ثم فاس** زاد اهتمامي بالنقد الأندلسي، وتبين لي أننا حين نتحدث عن **الأدب العربي**، أو النقد الغربي ينبغي أن نستحضر إسهامات كل الأجيال في جميع البيئات من المشرق والمغرب، لتكتسب التسمية مصداقيتها، ولكن ما أثار انتباهي أكثر هو التقليل من شأن **الأدب الأندلسي** إبداعًا ونقدًا، والحكم بتبعيته الحرفية **للأدب المشرقي** والنسج على منواله. وهو رأي جماعة من الدارسين في مقدمتهم **الدكتور شوقي ضيف**، وكأنه قد غاب عن هؤلاء الذين نقدرهم كثيرًا أن **الأديب الأندلسي** حين كان يبدع، إنما كان يعبِّر عن نفسه وعن النفس الإنسانية في إطار مجموعة من المقومات والروابط التي تربطه بأمته، لغةً وعقيدة وتقاليد دون أن ينسلخ عن بيئته المحلية. ومن ناحية أخرى لاحظت أن الدراسات التي أُنجزت عن النقد الأدبي في **الأندلس**، على أهميتها وموضوعيتها، قليلة معدودة من جهة، ولم تستطع استيعاب قضايا هذا النقد ومناهجه، ولم تقف على كل نصوصه، ولذلك ظلت صورة هذا النقد باهتة إلى حدما، وحتى لا أقع في ما وقعت فيه بعض الدراسات السابقة من تقصير في الإلمام بجميع جوانب النقد الأندلسي الذي تتعدَّد اتجاهاته وتتنوع قضاياه، فقد حصرت مجال دراستي في أطروحتي في المرحلة المتأخرة، خلال القرنين السابع والثامن للهجرة، كما ركّزت على المناهج التي سلكها النقاد في معالجة قضاياهم، مُميِّزًا بين ما مال منها إلى التنظير وتقديم التصورات، وبين ما آثر الدراسة التطبيقية، أو جمع بين الأمرين معًا. وعلى الرغم من أن دراستي قد انصبّت على نصوص نقدية معظمها مخطوط غير متداول، فقد آثرت أن أتعامل مع جميع النصوص المعتمدة وفق منهج يقوم على قراءة النص قراءة تستوعب كل جوانبه وقضاياه، بطريقة مباشرة وبدون واسطة، وذلك ما حقق لي تجنب اجترار الأحكام السابقة من جهة وأتاح تصحيح مجموعة من الآراء والنظرات من جهة أخرى، ولكن دون اغفال لجهود السابقين بطبيعة الحال وفي مقدمتها **جهود الدكتور محمد رضوان والدكتور إحسان عباس والدكتور مصطفى عليان** وغيرهم ولا تخفى قيمة النقد الأدبي باعتباره مظهرًا من مظاهر **الحضارة الأندلسية يتمثل فيه ذوق الأندلسيين** ونمط تفكيرهم ومناهج تحليل النصوص، وطبيعة الأحكام النقدية، وكل ذلك لا يتم إبرازه إلاّ وفق مناهج مستمدّة من طبيعة المادّة النقدية الأندلسية.

مناهج البحث في النقد الأدبي الأندلسي

● **ما النتائج التي توصلتم إليها في أطروحتكم فيما يتعلق بالمناهج؟ وما الجديد الذي أضافته إلى النقد الأدبي في الأندلس بين النظرية والتطبيق؟**

□ قد يصعب على الدارس تحديد الجديد الذي أضافه بنفسه، فذلك موكول للدارسين والنُّقّاد الآخرين، لأن حديث الباحث عن جهوده قد يدخل في باب الادّعاء والمبالغة. ولكن حسبي أن أشير إلى جملة أمور متواضعة منها:

أ ـ اعتماد الدراسة على مجموعة من النصوص النقدية المخطوطة التي لم يعرفها المتخصصون إلاّ على نطاق ضيق جدًا، وهذا من شأنه أن يتيح تعديل بعض الأحكام العامة التي سبق إصدارها انطلاقًا من نصوص معدودة على النقد العربي.

ب ـ إبراز الحلقة أو الحلقات المفقودة التي من شأنها أن تسد بعض الثغرات في الحقل المعرفي عامة، وفي الدرس النقدي خاصة.

"أختلف مع د. شوقي ضيف في الحكم على الأدب الأندلسي بتبعيته للمشرق.."



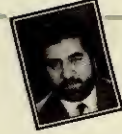
جـ ـ كشف مفاتيح بعض النصوص النقدية تيسيرًا لفهم نظريات النقد ومناهجها عند نقاد هذه المرحلة في **الأندلس**. وذلك عن طريق كشف آليات الناقد وجهازه المفهومي، وإدراك الخلفية الفكرية التي يستند إليها، وهو ما تحقق شيء منه بالنسبة **لحازم القرطاجني** على سبيل المثال في نظريته الشعرية ومكوناتها، فقد تبين أن البحث في شعرية **حازم** لا يمكن أن تستقيم في غياب قانون التناسب الذي يحكم جميع مكونات الشعر في إطار منهج شمولي متميز. وكذلك الأمر بالنسبة **لأبي المطرف أحمد بن عميرة** في كتابه **(التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات)**.

ردًا على كتاب **(التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن)**. **لابن الزملكاني** الذي رد بكتابه هذا أيضا، على **عبد القاهر الجرجاني** في كتابيه **(دلائل الاعجاز)** و**(أسرار البلاغة)**.

فبالإضافة إلى ما يحقّقه نص **أبي المطرف** من تواصل بين **المشرق والمغرب** فإنه يتيح إدراك الاختلاف بين توجه **ابن الزملكاني** (ت٦٥١هـ) الذي نحا نحوًا منهجيًا حين انتقد على **عبد القاهر الجرجاني** افتقاره إلى التبويب الدقيق والمنهج المضبوط، وبين توجّه **أبي المطرف** (ت ٦٥٨هـ) الذي نحا نحوًا معرفيًا. إذ صبَّ نقده على مضمون كتاب **ابن الزملكاني** ووقف عند أوهامه وفق منهج شخصي واضح وانطلاقًا من خلفية فكرية متميزة، تؤكد أنه سبق **حازمًا إلى الانفتاح على الثقافة النقدية اليونانية** عند أفلاطون وأرسطو وغيرهما.

وبذلك مهّد الطريق للتيار النقدي المنفتح على النقد **اليوناني**، وهو التيار الذي رسخه في **الغرب الإسلامي حازم القرطاجني** في كتابه **(منهاج البلغاء وسراج الأدباء)** ثم عزّزه كل من **أبي محمد القاسم السجلماسي** في كتابه **(المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع)**. وابن البناء المراكشي العددي في كتابه **(الروض المربع في صناعة البديع)**. وكلاهما مطبوع متداول منذ سنوات قليلة فقط.

د ـ لفت الانتباه إلى مجموعة من المصادر النقدية والبلاغية لم يكن الدارسون يعيرونها الاهتمام



اللازم، على الرغم من كونها تتضمن مادة نقدية مهمة، وفي مقدمتها الشروح الأدبية، والبديعيات والاختيارات بما يرتبط بها من أذواق ومعايير ومناهج وتصورات تعكس الشخصية الأندلسية وخصوصيتها إلى حد كبير.

هـ ـ إذا كان التراث غنيًا ومتنوعًا فإن الدراسات التراثية، مهما أخلصت في التراثية غير مقصودة لذاتها، وقد سعيت في هذه الدراسة إلى انتهاج نهج يتيح تهيئة المادة النقدية التراثية من أجل الربط بين الماضي والحاضر أو بين الأصالة والمعاصرة في درسنا النقدي، بدل القطيعة الحاصلة والاتجاه نحو الاقتباس من الغرب. و لعل المشكلة المزمنة التي يعرفها المصطلح النقدي الحديث، وما يسوده من خلط واضطراب وقصور، لن تُحَلّ إلاّ عن طريق المزاوجة الواعية بين الاستفادة من التراث، ومن انجازات الغرب، وهناك نتائج أخرى متعدِّدة، منها ما هو جزئي، وما هو عام، سواء تعلّق الأمر بالجزء الخاص **بحازم القرطاجني**، ويمثل نصف الدراسة، أم بالقسم الثاني الذي تغلُب عليه الصبغة التطبيقية، وإذا كان من الصعب اختصار كل تلك النتائج فإن عنوان الدراسة كفيل بإبراز الجدّة فيها، وهو **(مناهج النقد الأدبي في الأندلس بين النظرية والتطبيق)** لأن مباحث الأطروحة سارت على هدى من عناصر الصيغة التي يتشكل منها العنوان.

المنهج الإسلامي في النقد الأدبي

● **سبق لكم أن أصدرتم كتابًا يتعلق بالمنهج الإسلامي في النقد الأدبي، لو حدثتمونا عن هذا المنهج النقدي ومقوماته.**

□ جوابًا على هذا السؤال أقول في البداية إنّ هذا الكتاب لم يصدر مجموعًا بعد، ولكن فصوله ألقيت محاضرات، ونُشر بعضها في الجرائد والمجلات المغربية والمشرقية مثل **(العلم)** و**(المشكاة)** و**(المسلمون)**. وأشير إلى أنني كنت قد انشغلت بهذا المشروع منذ السبعينيات، ثم تبلور في أوائل الثمانينيات، وينقسم إلى جزءين، يُعنى أولهما بمرحلة التأسيس ويقوم على رصد حركة النقد التي تنظر إلى الانتاج الأدبي كما تنظر إلى غيره من ألوان الانتاج والسلوك، وفق التصوّر **الإسلامي**، وتراعى جماليات الشكل وأخلاقيات المضمون في الوقت ذاته، وهذا الجزء هو المهيّأ للطبع. أما الجزء الثاني فهو سلسلة من الدراسات تُعنى بالامتداد منذ صدر الإسلام إلى اليوم، وهذا القسم قيد الانجاز، وهو يسير في اتجاهين اثنين وإن كانا متعارضين، أولهما: **رصد معالم هذا المنهج عند الملتزمين به،** تمهيدًا لاستخلاص أبرز مقومات **المنهج الإسلامي** الذي ينبغي أن يسود في دراساتنا لأنه ينبع من تصوراتنا وقيمنا وثقافتنا وحضارتنا، وهذا هو المنطلق، ولا ضير بعد ذلك إن أفاد من المناهج والتصورات الأخرى ما لم تناقض روحه وصميمه. وثانيهما: تقوم بتتبّع النماذج الخارجة عن هذا التوجُّه خلال العصور الإسلامية المتعاقبة، ويسعى إلى تحليلها وتعليل منحاها، وإبراز سرّ انحرافها.

> „ أغلب مناهج البحث السائدة لدينا لا تنسجم مع رؤيتنا الحضارية.. "

إن الأهداف الكبرى لهذا المنهج متعدّدة، منها تحديد مجموعة من المعايير التي ينبغي أن يقوم عليها **النقد الأدبي الإسلامي،** تنبع من ذاته وتصوّراته ومنها السعي إلى وضع ضوابط إسلامية **لإعادة كتابة تاريخ الأدب العربي. ويهدف هذا المنهج إلى إعادة ربط الدارسين** المسلمين بالمصادر الأصلية التي تعمل على تعميقه في النفوس، كالانفتاح على الإعجاز البياني في **القرآن الكريم**، والاستفادة من جهود المفسرين، بالإضافة إلى ما تحفل به كتب الشروح من نظرات وإشراقات من شأنها أن تنبه على قيمة النصوص الإبداعية الشامخة التي تساعد على صقل المواهب وتهذيب الأذواق بما توافر لها من مستوى إبداعي رفيع.

إن معظم مناهجنا السائدة مستعارة، مع أنها لا تنسجم كثيرًا مع رؤيتنا الحضارية، لكونها تستند إلى خلفيات فكرية متناقضة لواقعنا الثقافي.

والمنهج أيا كان ليس بريئًا ولا محايدًا، بل هو جهاز مفهومي يحمل خطاباً معيّنًا، صريحًا أو ضمنيًّا، لا يناسب تربتنا في الغالب، فيكون إفساده أكثر من إصلاحه، شأنه في ذلك شأن المذاهب الأدبية التي اهتبلناها وإن كانت تخالف طبيعة أدبنا إلى حد كبير، مثل **الكلاسيكية والرومانسية، والواقعية الاشتراكية والوجدانية،** وما شابه ذلك مما أفرزه **الفكر الغربي** خلال حقب متوالية، وتبنينا كثيرًا منها في انبهار لا يخلو من غباء وعمى، وإلاّ فما الذي يدعو النفس المؤمنة المطمئنة التي لا يزيدها التشبع بالتصور الإسلامي إلاّ سموًّا إلى تبني **الوجودية** التي يهيمن عليها القلق والعبثية والتحرر من القيم. وهكذا بالنسبة للمذاهب الأخرى التي وجدت في عالمنا **العربي والإسلامي** ميدانًا للتجريب على التوالي. وكانت النتيجة هي ما نراه ونلمسه في واقعنا الثقافي من شكوى وتبرم وانحدار. ومنذ عقود من السنين ونحن نردد أن أزمتنا أزمة منهج.

هي نقطة ضعفنا، وسر تخلفنا، ولا شك أننا سنظل كذلك، بل سنعود القهقرى بعد فشل المناهج المستوردة، ما لم نتدارك الأمر، ونبحث عن مناهجنا الأصيلة، في كل مجالات المعرفة وفي مقدمتها الدرس الأدبي الذي يشمل كل مجالات الحياة، ويعكس الدرجة الحقيقية للوعي الفكري لدى الأمة، كما يعكس طبيعة رؤيتها الحضارية، وحظها من إدراك أسرار الجمال الفني وقدرتها على الإبداع والإضافة.

المدرسة الأندلسية والشعر المغربي

● **اتصل المغرب بالأندلس في القرن الرابع الهجري اتصالاً وثيقًا، ونجد في بعض الأغراض الشعرية مظاهر تعكس ملامح المدرسة الأندلسية، إلى أي حد استطاعت**

هذه المدرسة أن تؤثر في الشعر المغربي ولا سيما في فني الوصف والرثاء؟

□ إن اتصال المغرب بالأندلس قديم سابق على القرن الرابع الهجري، يعود إلى سنوات الفتح الإسلامي للأندلس على يد جيش معظمه من **المغاربة** الذين استقروا بها بعد الفتح، وتوالت الهجرات بعد ذلك لأسباب متعددة إلى البيئة الجديدة. ولكن يمكن القول: إن هذا الاتصال قد أخذ طابعًا آخر منذ القرن الرابع وما بعده فقد نشطت الهجرة والهجرة المعاكسة، لا بين العدوتين فقط **(المغرب والأندلس)** ولكن حتى بين **المشرق والأندلس، فبعد زرياب** الذي دخل **الأندلس** في القرن الثالث، وفد عليها **أبو علي القالي وصاعد البغدادي** وغيرهما في القرن الرابع الهجري. وكانت الرحلة تتم في الغالب عبر المغرب، ولا سيما عن طريق **سبتة التي ازدهرت فكريا بالتدريج، مستفيدة من تلك الرحلات العلمية المتوالية، بالإضافة إلى فاس ومراكش وتلمسان والقيروان** وغيرها من حواضر **المغرب الإسلامي**.

لقد كان **الأندلسيون** يرحلون إلى المشرق، عبر المغرب، من أجل أداء فريضة الحج أولاً، ثم من أجل تحصيل العلم والاتصال بشيوخ الدرس في **مكة والمدينة، وبغداد والقاهرة ودمشق** وغيرها، وكان **المغاربة** يشاركونهم في ذلك، ولكنهم أيضا كانوا يرحلون إلى **الأندلس** التي تألقت حضارتها وقويت مكانتها وزاد إشعاعها، وزاد حرص المغاربة على الرحلة إلى **الأندلس** لأنها سبيل إلى تخليد أسمائهم في التاريخ، فمعظم كُتُب التراجم، وفي مقدمتها كتاب **(الذيل والتكملة) لابن عبد الملك المراكشي**، اتخذت دخول **الأندلس** شرطًا للترجمة.

والمهم أن الرحلة المتبادلة قد أثمرت تبادل التأثر والتأثير، بل أصبح بعض الأعلام يتنازعون النسبتين **الأندلسية والمغربية**، وذلك ما حدث بصفة خاصة منذ **العصر المرابطي فالموحدي ثم المريني**. إذ تعددت الروافد التي غذت الأدب **المغربي** بفضل الوحدة مع **الأندلس**، وترتب عن ذلك ظهور بعض السمات والخصائص المشتركة، لا في الشعر وحده، ولكن حتى في النثر أيضا.

حتى أنه ليمكن الحديث عن المدرسة **الأندلسية المغربية** في الأدب، وفي الزخارف والفنون العمرانية وغير ذلك وهذا أمر طبيعي جدًا. وعلى الرغم من أن الأدب شعره ونثره في المغرب والأندلس معًا كان في بداية الأمر يعنى بالتعبير عن مظاهر الصراع السياسي والاجتماعي أكثر من غيرها، فسرعان ما توجّه الشاعر هنا وهناك إلى ذاته، بعد انصهار العناصر المكونة للمجتمع في بوتقة الإسلام وخفوت الشعور بالعصبية فالتفت إلى الطبيعة حوله، يتغنّى بها ويرسم لوحاتها، فازدهر شعر الوصف وحين شارك الشاعر في الجهاد كان لا بد أن يصف المعارك والأسلحة، ويتغنى بالنصر ويرثي الشهداء.

أما الرثاء الذي تميزت به **الأندلس** فليس رثاء الأشخاص، وإنما هو رثاء الممالك الزائلة، ولا سيما بعد **عصر الطوائف** في القرن الخامس الهجري، ورثاء المدن والقلاع التي كانت تسقط تباعًا في أيدي الأسبان وذلك ما حول شعر الرثاء في هذا المجال إلى أدب بكاء، فكان بحق أدب النكبة الأندلسية. **والرثاء في حد ذاته تعبير عن العواطف الجياشة الصادقة، ودليل على الوفاء، وقد كان المغاربة** يشاركون بصدق إخوانهم **الأندلسيين** في الجهاد والدفاع عن المقدسات، كما كانوا يشاركونهم أحزانهم ونكباتهم عند سقوط هذه المدينة أو تلك، ويصفون جوانب من المآسي الإنسانية التي يتعرّض لها المسلمون هناك ــ وهم اخوانهم في الدين، وأحيانًا في الدم والنسب أيضًا ــ من أسر وتقتيل وتحريق، وهدم للمساكن، وتحويل المساجد إلى كنائس، وغير ذلك مما يذوب له القلب كمدًا كما قال الشاعر الأندلسي أبو البقاء الرندي في نونيته البكائية الشهيرة:

لمثل هذا يذوبُ القلبُ من كَمَدٍ
إن كان في القلب إسلامٌ وإيمانٌ

أثر الحضارة العربية الأندلسية في أوروبا

● **لقد شهدت أسبانيا مؤخرًا (مؤتمر الأندلس ملتقى عوالم ثلاثة) بمناسبة مرور ٥٠٠ سنة على سقوط غرناطة، وشارك في المؤتمر ما يزيد عن ٦٦ مستعربًا وأكاديميًّا عربيًّا من جامعات عربية عديدة، وقد جاء على لسان مؤرخ بريطاني: (لولا الحضارة العربية الأندلسية لبقيت أوروبا سابحة في جهل العصور الوسطى حتى اليوم). الرجاء منكم أن تحدثونا عن تأثير الحضارة العربية الأندلسية في أوروبا.**

□لقد اغتنمت بعض **الدول الأوروبية**، مثل أسبانيا، وإيطاليا، وبعض **دول أمريكا اللاتينية**، فرصة مرور خمسمائة سنة على سقوط **الأندلس**، وربطتها باكتشاف **أمريكا**، فاتجهت إلى عقد الندوات والمؤتمرات، وتنظيم المعارض، وفي مقدمتها معرض **إشبيلية**: ٩٢ وهي فرصة لالتقاء المفكرين من مختلف الجنسيات من أجل النقاش وتبادل المعلومات حول موضوع واحد، هو **الأندلس** و تراثها وحضارتها، وذلك عمل إيجابي من عدة وجوه، لأنه يذكر بالدور الحضاري وما استفادته **أوروبا** منه وهي تبني حضارتها، وهو ما أخذت الشهادات والاعترافات تبرزه بالوثائق والمستندات. وذلك مثار فخر **للمسلمين جميعًا**. غير أن **للأندلس وجهًا مأساويًّا** ينبغي ألاّ يغيب عنّا، يثير فينا مجموعة من الأسئلة، في مقدمتها لماذا سقطت الأندلس؟

ولذا كان **الأسبان** و غيرهم يحتفلون بهذا السقوط لأنه انتصار لهم، فينبغي لنا معشر المسلمين ألاّ نجاريهم وننساق معهم؛ لأننا منهزمون، ولكن إذا كان ذلك تاريخيًّا ولَّى، فينبغي أن نتعاون معهم من أجل نفض الغبار عن تراث **الفردوس المفقود**، وتصحيح بعض التصورات والأحكام الخاطئة التي صدرت في حقه. وإبراز مظاهر تأثير **الحضارة الإسلامية الأندلسية في أوروبا**. وهي مظاهر متعدّدة يصعب حصرها في كلمات معدودات، ويكفي أن نشير إلى أنها تشمل **الشعر والنثر، والفلسفة والفكر بصفة عامة**، بما في

> ”معظم التراث الأندلسي ضاع خلال النكبات.. وواجبنا العناية بما تبقى منه“



ذلك الجانب العلمي. في الطب والفيزياء والرياضيات والفلك دون أن ننسى الموسيقى والطبخ، وبعض العادات والتقاليد. وفي اللغة الأسبانية قدر كبير من العربية، وفي كل مجال من هذه المجالات مؤلفات وبحوث عربية وأجنبية ترجم بعضها إلى العربية مثل بحوث بعض المستشرقين الأسبان، ودراسات كل من غوستاف لوبون وأبي بروفي وليفي بروفنسال عن الحضارة العربية الإسلامية وأثرها في أوروبا. ويكفي أن نقرأ الكوميديا الالهية لدانتي، وشعر التروبادور، وشعر جوته، وفيكتور هيجو وغيرهم للوقوف على الآثار العربية الإسلامية وفلسفة اسبينوزا المتوفى سنة ١٦٧٧م للوقوف على تعدد مواطن الالتقاء بينهما، وهكذا. إن الشهادات متعددة، ويكفي أن نمثل لها بتلك الشهادة التي وصفها المستشرق ليفي بروفنسال بأنها اعتراف عفوي مؤثر، وقد جاءت على لسان المستشرق الأسباني السياسي العالم المؤرخ: كلاوديو سانتشيث البرنس - وفيها يرفض الحديث عن ظلمات العصور الوسطى بصفة مطلقة، لأنه في مواجهة أوروبا التي كانت ترقد في التعاسة والانحطاط والبؤس الفكري والمادي، كان (الأسبان) المسلمون يبنون حضارة رائعة، واقتصادًا مزدهراً كما ينوّه بجهود المستشرقين الأسبان في كشف الدور الحاسم الذي اضطلعت به الأندلس في تطور الفن والفلسفة والعلم والشعر، وجميع ثقافة أوروبا المسيحية، والبرهنة على أن ا لحضارة الإسلامية الأندلسية تركت طابعها في أعلى قمم الفكر المسيحي منذ القرن الثالث عشر الميلادي، مثل القديس توماس الأكويني. والشاعر الإيطالي دانتي، وأستاذه جويدو جينتسللي. وغيرهم

تأثير الأدب الأسباني في الأدب العربي

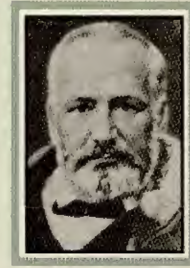
● **شهدت رحاب كلية الآداب بالمحمدية الندوة الدولية عن الأندلس، وكان موضوعها: الحضارة الأندلسية في الزمان والمكان، فما تأثير الشعر الأندلسي؟ وما دوره الحضاري في الرؤية الاستشراقية؟. وما تأثير الأدب الأسباني في الأدب العربي؟**

□ نعم، لقد شاركت في الندوة العالمية التي نظمتها كلية الآداب بمدينة المحمدية بالمغرب وكان موضوعها: حضارة الأندلس في الزمان والمكان، وتوزعتها أربعة محاور كبرى هي:

«أعمال "جوته" و"هوجو" و"دانتي" تأثرت كثيرًا بالحضارة العربية الإسلامية في الأندلس»



جوته



هوجو

التراث الأندلسي والاستشراق ـــ التاريخ الأندلسي ـــ العلوم بالأندلس، استمرار الحضارة الأندلسية بعد سنة ١٤٩٢م في شبه الجزيرة الأيبيرية والقارة الأمريكية.

ونوقشت موضوعاتها في ست جلسات على امتداد ثلاثة أيام (١٦ ـ ١٨) أبريل ٩٢، وشارك فيها باحثون ينتمون إلى جامعات ومؤسسات من خمس عشرة جنسية، وألقيت العروض بالعربية والأسبانية والفرنسية أما موضوع مشاركتي فكان عنوانه: «الشعر الأندلسي ودوره الحضاري في الرؤية الاستشراقية - دراسة مقارنة بين ايميليوغرسيا غومس وأغناطيوس كراتشكو فسكي». وقد اعتمدت في عرضه على ما يمكن تسميته بالمنهج الحضاري المقارن، باعتباره الإجراء المناسب والطبيعي لمعالجة الرؤية الاستشراقية للوظيفة الحضارية للشعر الأندلسي، لأنه منهج يقوم على مبدأ الحوار والتفاعل بين مختلف الحضارات بعضها وبعض، لإبراز سمات التفرد والخصوصية، والسمات الإنسانية العامة المشتركة، ورصد مظاهر التأثر والتأثير، ذلك بأن المنجزات الحضارية الأصيلة بقدر ما تغرق في الذاتية وتعكس نفسيات أبنائها، تعمل في الوقت نفسه على تحقيق العمق والشمول. ولا شك أن عالمية الحضارة أو إنسانيتها وقدرتها على التأثير في الحضارات الأخرى، كل ذلك متوقّف على درجة قوتها واكتمالها الذاتي، وتبعًا لذلك نقول مع المستشرق غوستاف فون غرنباوم: إنّ ما حققته الحضارات المختلفة من حيث ارضاؤها للحاجات النفسية عند أصحابها، قد يستنتج، بطريقة مباشرة، مما قالوه في وصف أحوالهم وذواتهم، وذلك هو حال الشعر الأندلسي، فقد أكد كل من غومس وكراتشكوفسكي أنه بصرف النظر عن النماذج التقليدية المعروفة، فإن الشاعر في الأندلس غالبًا ما كان يتناول المشاعر الإنسانية.

ولأن الشعر الأندلسي ليس مجال للتفاعل الثقافي بين مشرق الإسلام ومغربه من ناحية، ولأنه بمكوناته المختلفة قد انصهر فيه الوافد بالمحلي إلى درجة يعسر معها تبيُّن الخيوط المشرقية من الخيوط المغربية، كما يعسر تبيُّن هذه الخيوط مجتمعة من الخيوط الأسبانية التي امتزجت بها من ناحية أخرى، فإنه ليس مجرد حقبة في تاريخ الأدب العربي، لأن صورته قد استمرت في الحياة حتى بعد سقوط غرناطة، واتسع انتشارها خارج شبه جزيرة أيبيريا. فأسهم هذا الشعر في خلق وتكوين الأدب العالمي كما يقول كراتشكوفسكي. ولذلك دعا إلى عدم خنق هذا الشعر في إطار محليته الضيّقة، وعدم الاقتصار على دراسته بالقياس إلى أدب المشرق وحده، بل إنه وسّع الدائرة فنبّه على أن الأدب العربي بأكمله، كثيرًا ما يكون مخنوقًا في الحدود التي يقيدونه بها عندما يقصرون فهمه عادة على نطاق الآداب الشرقية دون غيرها من العالمية.

ولا شك أن من يقرأ الشعر الأسباني أو الفرنسي، ولا سيما في عصر النهضة سيعثر على ومضات وإشراقات عربية إسلامية لا يمكن تجاهلها، وذلك ما يعني تبادل التأثُّر والتأثير، وهذا ما يقتضي الاستعانة بالمنهج الحضاري المقارن لتحقيق هذه الأهداف. ولا سيما ونحن اليوم نأخذ ونتأثر بالآداب الأسبانية والفرنسية والانجليزية والألمانية وغيرها أكثر مما نؤثر فيها.

مَنْ لليالي بَعْدَنا؟

شعر: إبراهيم عيسى

صار الهوى مليكَنَا ... فَمَنْ إليه دَلَّنا

مازال يُغْرِينا بِهِ .. ملاعبًا .. وموطنا

حتى ركبْنَا الشوقَ .. واجْتَزْنَا إليه الزمنا

وفوق شَطِّهِ دَنَا بشوقِهِ ... وضَمَّنَا

وفي مَدَائنِ الظلالِ والجمالِ خَصَّنا

وقال: إنني الهوى ... هل للورَى ما عندنا؟

حرائِقِي حدائقٌ مِنَ الجنونِ تُجْتَنَى

وقال كَحَّلْتُ العيونَ لهفةً وشَجَنا

فقلتُ: قد رأيْتُها .. حتى عَشِقْتُ الأعْيُنَا

وقال: ذُبْتُ رِقَّةً ... أَجَبْتُهُ: وإنَّنا

كلُّ الحنينِ بعضُنا ... كل الصِّبَا موسِمُنَا

يا حُبُّ عانِقْ عَطَشِي .. ظَمِئْتَ إنْ لم تَسْقِنَا

وإنْ رأيتَ حيرتي ... خُذْ بيدي وغَنِّنا

ففي مآذِنِ الحنانِ كَبَّرَتْ أشواقُنَا

وعند محرابِ الجمالِ كم وقَفْتُ مُؤْمِنا

شاب الزمانُ .. والهوى بين الحنايا ما انْحَنى

لعلَّنا نَعْبُر بالحبِّ المَدَى .. لعَلَّنَا

حبيبتي .. يَدُ الهوى تَدُقُّ فوق بابنا

يُريد منَّا جذوةً من نارِنا .. يُريدنا

فكم جَنَى اللَّهْفَةَ منا .. مِن هنا .. ومن هنا

وما الهوى .. وسحْرُه؟ .. لولا الذي ما بيننا

الحبُّ أنتِ دِفْئُهُ .. ولَفْتَةُ الشوقِ أنا

باللَّهِ يا حبيبتي .. مَنْ لليالي بَعْدَنا

فجر القصة الشعرية في العصر الجاهلي

بقلم: د. جابر قميحة

في مقام الحديث عن «الشعر القصصي»[١] علينا أن نفرق بين لونين متقاربين من هذا الشعر، وأعني بهما «القصة الشعرية» و«القصيدة القصصية»، وهو تفريق يغفله أو لا يتنبه إليه أغلب النقاد. فالقصة الشعرية يجب أن تَسْتَوْفِيَ كل أركان القصة النثرية أو أغلبها من سمو في الخيال بالنسبة لابتداع الموضوع أو ابتداع الطريق الموصلة إليه، وقوة التشويق أو جمال التدرج في عرض الحادثة والبراعة في رسم الشخصيات وإيجاد التفاعل الحي بينها وبين الأحداث لتحقيق العقدة ثم الخلوص ـ دون تكلف ـ إلى الحل أو لحظة التنوير، زيادة على «حيوية النظم أو قوته، وقدرته على إثارة فكر القارئ وعاطفته وخياله»[٢].

وقد تجنح القصيدة لجانب الوصف والتصوير، وتخف فيها العناصر القصصية وملامح الحكاية ولكنها لم تحرم الصبغة القصصية على فُصولها. وفي هذه الحال لا نكونُ بصدد «قصة شعرية» توافرت لها الشرائط والأبعاد السابقة، ولكن «قصيدة قصصية» تخالف القصيدة العربية التقليدية بما فيها من موضوعية ولمحات قصصية، وإن لم تَرْقَ بلمحاتها هذه إلى مستوى القصة الشعرية.

وعقر مطيته

والعصر الجاهلي لم يخل من الشعر القصصي، ولكن أغلبه يعتبر من قبيل القصيدة القصصية لا «القصة الشعرية» ذات العناصر والملامح المتكاملة، وقد لا تضم القصيدة القصصية على طولها ـ إلا مشهدًا قصصيًا أو مشهدين، مع غلبة الذاتية عليها مما يضعف من الحبكة القصصية «لأن الموضوعية هي أهم خصائص الشعر القصصي»[٣].

ومن هذا القبيل ما تراه في شعر **امرئ القيس** من مشاهد قصصية لاهيَة تعتمد على «**الحادثة**» البسيطة التي تعالج بطريقة مسطحة، مثل هذا المشهد اللاهي في قوله:

ألا ربَّ يوم لك منهنّ صالحِ ... ولا سيما يوم بدارة جَلْجَلِ

ويوم عقرت للعذارى مطيتي ... فيا عجبا من رحلها المتحمل

تظل العذارى يرتمين بلحمها ... وشحم كهدَّابِ الدمقسْ المفتّل[٤]

وإذا كان هذا المشهد يمثل نوعا من اللهو ظاهره البراءة فإن المشهد الثاني الذي يبدأ بدخول امرئ القيس «**خدر عنيزة**» يمثل الحسية الفاحشة التي يحرص الشاعر على إبرازها، وينقل الحدث الآثم في خمسة أبيات بها حوار حسي صارخ بينه وبين **عنيزة**[٥].

أما المشهد الثالث فأكثر تفصيلا وأوْغَلُ في الحسية، وفيه نرى الشاعر المعربد ينفذ إلى فتاته المنيعة التي لا يرام خباؤها، ويتجاوز إليها حراسًا، ومعشرًا يُسرُّون مقتله، فلما زاد إحساسه بالخطر أصر على التسلل بفتاته إلى «بطن خبت» حيث يقضي وطره في أمنة وطمأنينة[٦].

ومن هذا القبيل تلك المغامرة الغرامية التي صاغ تفاصيلها الشاعر الجاهلي «**المنخل اليشكري**» في «رائيته المشهورة»[٧] التي مطلعها:

إن كنتِ عاذلتي فسيري ... نحو العراق ولا تحوري

ويقال إنها مغامرة حقيقية بينه وبين **هند بنت عمرو بن هند**، وبلغ خبرها **عمرا** أباها فقتله. وقيل إن الذي قتله هو **النعمان بن المنذر** لغرام بينه وبين زوجته[٨].

وفي الأبيات نلمس الصدق والبساطة، ونراه يشير إلى الجو الذي تمت فيه المغامرة الغرامية، حيث كان الجو باردًا مطيرًا، ولم يجنح الشاعر إلى مادرج عليه غيره من أمثال **امرئ القيس** ـ من تصوير الأخطار التي يتخطاها وصولاً إلى المحبوبة، كما أنه فاق سابقيه في تصوير الملامح والأبعاد النفسية:

١ ـ فلوعة الحب استبدت به حتى سيطرت على جسده حرارته التي لم تخفف منها برودة الجو.

٢ ـ والحب زاد وفاض وتخطى الحبيبين إلى الحيوان الأعجم.

من كتاب العدد

● **د. جابر قميحة**

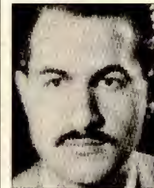
ـ من مواليد المنزلة / دقهلية بمصر عام ١٩٣٤م

ـ أستاذ مشارك للأدب العربي بجامعة الملك فهد بالظهران.

ـ قام بالتدريس في الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد بباكستان لمدة سنوات، وبجامعة ييل **Yale** بالولايات المتحدة الأمريكية.

ـ درس القانون بكلية حقوق القاهرة ونال الليسانس ودبلوم الدراسات العليا.

ـ حصل على الدكتوراه في الأدب العربي الحديث من جامعة القاهرة.



ـ من مؤلفاته:

ـ منهج العقاد في التراجم الأدبية / أدب الخلفاء الراشدين / أدب الرسائل في صدر الإسلام / المدخل إلى القيم الإسلامية / الشاعر الفلسطيني الشهيد عبد الرحيم محمود / صوت الإسلام في شعر حافظ إبراهيم.

وأحبُّهـــــــا وتحبنــــــــي ويحب نــــــاقتَهـــــا بعيري

٣ ـ والشاعر إذا لعبت الخمر برأسه عابثته الأحلام حتى يرى نفسه ملكًا واسع الثراء يملك قصري «**الخورنق والسدير**». أما الإفاقة فتصدمه بالواقع المر، فإذا هو الراعي الفقير: رب الشويهة والبعير.

فنحن هنا أمام لون يغلب عليه الطابع النفسي الصادق الذي افتقر إليه امرؤ القيس في حسيته المنهومة.

اذبحني يا أبي

واتسعت دائرة الشعر القصصي في العصر الجاهلي، فلم تتجمد عند هذا اللون العاطفي، بل تناولت بعض الخلائق الإنسانية التي اشتهر بها العربي من قديم وأهمها الكرم، ومن أولى هذه القصائد وأوفاها قصيدة **الحطيئة**[٩] التي مطلعها:

وطاوي ثلاثٍ عاصبِ البطن مُرْمِلِ ببيداءَ لم يعرف بها ساكن رسما

وهي قصيدة من خمسة عشر بيتًا تمثل «قصة شعرية» بالمفهوم الفني الدقيق إذ تغلب عليها «الموضوعية»، وتتخلى عن الطابع الذاتي الذي كان يهيمن على القصيدة الجاهلية. وهي من ناحية أخرى «**قصة مستقلة**» استغرقت القصيدة من أولها إلى آخرها، ولم يشترك معها ـ في سياق القصيدة ـ أغراض أو أفكار أخرى من مدح أو غزل أو فخر أو غير ذلك.

فالأحداث تقع في صحراء موحشة «**لم يَعرف بها ساكنٌ رسما**»، وملامح البيئة القاسية تنعكس على شخصيات القصة التي وُفّق الشاعر في رسمها وتحديد ملامحها: فالشخصية الأولى أو المحورية هي شخصية الأعرابي البدوي الجافي الذي حرم متع الحياة في بيداء لا ترحم، وأسرة الأعرابي من أم عجوز وثلاثة أبناء عراة جياع يعيشون على الحرمان.

وبعد هذا العرض البسيط الواضح يرتقي الشاعر إلى لون من التعقيد والتركيب، إذ يظهر فجأة شبح ضيف غير متوقع، ويقع الأعرابي نهبًا لصراع نفسي فادح: هل يعتذر للضيف بالعُدْم والحرمان فيظن الضيف به بخلاً، أم يذبح ابنه ويقدم للضيف وجبة من لحم ولده.. فلذة كبده:

فقـــــال ابنُـه لما رآه بحـــيرة «أيـا أبتِ اذبحني ويسِّر لَـهُ طُعْما

ولا تعتذر بالعدْم علّ الذي طَرا يظـــن لنـا مـالاً فيوسِعُنا ذمـا

ويتصاعد الموقف إلى قمة التأزّم، ونجد أنفسنا أمام «**عقدة**» حقيقية ـ بالمفهوم الحديث ـ حين نرى الأعرابي المضيف يهم بذبح ابنه ليفي الضيف الطارق حقه في الضيافة، حتى لا يدركه العار والمذمة في بيئة أرفع قيمها الكرم والأريحية.

وبعد أن بلغت العقدة قمة التأزم يأتي الحلّ أو «لحظة التنوير» في صورة طبيعية لا تكلف فيها إذ يظهر قطيع من حمر الوحش، يصيد منه الأعرابي «**أتانًا**»[١٠] «ذات جحش سمينة».

وباتُوا جميعا قد قضوا حق ضيفهم وما غَرِموا غُرْمًا وقد غنموا غُنْما

وبات أبوهم من بشاشته أبًا لضيفهمُ والأمُّ من بشْرها أما

والحل هنا يتسق مع طبيعة «البيئة» ويتسق مع طبيعة «**الشخصية العربية**» التي تحرص على التحلي بالكرم والشهامة والأريحية. ونرى الشاعر يخلع على «**الشخصية المحورية**» شخصية الأعرابي بُعْدًا إنسانيًّا جديدًا لم يعهد في البدوي الجافي الخشن، وأعني به الرحمة بالحيوان. فهو ـ مع شدة حاجته للصيد كي يقدم القِرى لضيفه ـ يترك الحمر الوحشية على الماء، ويمهلها حتى ترتوي قبل أن «**يرسل فيها من كنانتِه سَهْمًا**».

ويستعين الشاعر في تصوير «الصراع النفسي» بالحوار الداخلي الذي يدور في نفس الأعرابي حين يفاجأ «**بضيف ولا قِرَى**» كما يوظف الحوار الخارجي حين يدخل الابن «مسرح القصة» ليمثل «الشخصية الثانية» ويعرض نفسه ليكون طعامًا للضيف، فيذكرنا بقصة «الفداء» قصة إبراهيم وإسماعيل الذبيح عليهما السلام:

فقال ابنه لما رآه بحيرة أيا أبت اذبحني ويسر له طعما

ولا تعتذر بالعدم علّ الذي طرا يظن لنا مالا فيوسعنا ذما

والأحداث ـ كما ألمحنا من قبل ـ تتلاحم في صورة عضوية لتحقق «**حبكة**» تتدفق بالتشويق وتجعل من القصيدة «**قصة**» أو «**أقصوصة**» شعرية كاملة ناضجة فيها العرض الناجح والتصوير الدقيق البارع والصراع النفسي، والحوار بنوعيه الداخلي والخارجي، وكذلك العقدة والحل.

ولكن القصيدة تعد بهذا النضج «**فلتة**» من فلتات الشعر الجاهلي سبقت عصرها بقرن من الزمان ـ على الأقل ـ فهي لا تمثل اتجاها فنيا في شعر الجاهلية، ولا حتى في **شعر الحطيئة**، ولا نستطيع أن ندعي أنها تمثل الشعر الجاهلي من الناحية الفنية، وإن مثلت البيئة من الناحية الاجتماعية والنفسية. وما عثرنا عليه من شعر قصصي في العصر الجاهلي كان من قبيل «القصائد القصصية» لا «القصص الشعرية». وفرق كبير بين اللونين ـ كما ذكرنا من قبل.

الهوامش

(١) الملحمة نوع من الشعر القصصي، ولكننا لن نعرض لها في مقالنا هذا. ويقسمها النقاد إلى طبيعية وصناعية [انظر: أحمد أمين: النقد الأدبي ٧٦، مكتبة النهضة المصرية. القاهرة ١٩٦٢م].

وانظر كذلك: أحمد حسن الزيات: في أصول الأدب ٣٥٠، ٣٥٣ ط (٣) مطبعة الرسالة القاهرة.

(٢) أنيس المقدسي: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ٣٩١ ط (٢) بيروت ١٩٦٠م.

(٣) سعد الدين الجيزاوي: الملحمة في الشعر العربي ٢٦ (القاهرة ـ سلسلة المكتبة الثقافية ١٨٦).

(٤) التبريزي: شرح القصائد العشر ٦٢ (المطبعة المنيرية. القاهرة ١٣٦٩).

(٥) انظر الأبيات في التبريزي السابق ٦٢.

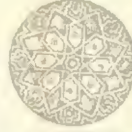
(٦) انظر الأبيات في السابق ٦٩.

(٧) الأصمعي: الأصمعيات ٥٨ ـ ٦١ ط (٢) دار المعارف. القاهرة ١٩٦٤.

(٨) خير الدين الزركلي: الأعلام ٨/ ٢٢٥ ط (٣) بيروت ١٩٦٩م.

(٩) ديوان الحطيئة: ١٥٩ ـ ١٦١ (تحقيق عيسى سابا) دار صادر. بيروت (د. ت).

(١٠) الأتان: أنثى الحمار.



الطريق إلى الله

الشيخ إبراهيم السويسري

يذكر المسلمون في سويسرا بكل فخر اسم **الشيخ إبراهيم السويسري**، ليس فقط باعتباره واحدًا من أعظم الرحالة السويسريين في القرن التاسع عشر الميلادي، ولكن بصفته أيضا أحد رواد المسلمين الأوائل في بلاده.

ولد **جوهان لودفيج بوركهارت** - وهذا اسمه قبل إسلامه - في العاشر من محرم عام ١١٩٩هـ الموافق عام ١٧٨٤م، في مدينة **لوزان**، المدينة المشهورة بمناظرها الطبيعية الخلابة، وتلقى دراسته العليا في **جامعة نيوشاتل** السويسرية، ومنها انتقل إلى ألمانيا ليدرس الكيمياء في **جامعتي ليبتزج وجوتنجن**، ثم الطب والفلك في **جامعة كامبردج** البريطانية.

كانت دراسة **بوركهارت** للطب بداية تعرفه على الإسلام، فمن خلال تلك الدراسة رغب في التعرف على العلوم الطبية في مؤلفاتها الأولى، وهي مؤلفات العلماء المسلمين مثل **ابن سينا والرازي** وغيرهما، التي كانت معتمدة كمصادر تدرّس للطلاب في جامعات أوروبا، ودفعته هذه الرغبة إلى السعي لدراسة اللغة العربية كي يتمكن من الاطلاع على تلك الأصول العلمية بلغتها الأم، والتعرف على القيم والسلوكيات التي تحكم العرب الذين سمع بهم كثيرًا ولم يتعرف على أحد منهم.

رحلته إلى حلب

يمكن القول إن بداية طريق **لودفيج بوركهارت** نحو اعتناق الإسلام كانت حين ارتحل إلى **مدينة حلب الشهباء في سورية** لدراسة اللغة العربية، حيث انكب على دراستها حتى أتقنها إتقانًا مدهشًا في فترة قصيرة نسبيًا، وخلال تلك الفترة لم يفته أن يتابع بملاحظة دقيقة السلوكيات والقيم التي تحكم الشعب السوري المسلم، وأعجب بتلك السلوكيات الإسلامية الأصيلة، وبصفة خاصة الكرم والسماحة والشهامة والحرص الشديد على أداء الفروض الدينية في أوقاتها، وحببه كل ما لاحظه في دراسة القرآن الكريم، الذي شده بإعجازه البياني الفريد، فأعجب به أيما إعجاب وحرص على التفقه في علومه، خاصة بعدما تبين له بطول عشرته لأهل سورية مدى كذب وزيف ما يروج له الغربيون عن أن الإسلام دين عنف، وأن أتباعه قوم همج يعشقون الدماء.

التفكير في اعتناق الإسلام

ما أن بدأت الحقيقة تنجلي بوضوح أمام **الرحالة السويسري**، حتى بدأ التفكير جديًا في اعتناق الإسلام، خاصة أن **قراءته للقرآن الكريم قد أسهمت كثيرًا في توضيح الجانب الحقيقي لقصة عيسى عليه السلام**، وطبيعته كنبي من أنبياء الله، وهو ما وجد قبولاً في نفس لودفيج المؤمنة التي كانت دومًا تتشكك في صحة عقيدة التثليث


بوركهارت

وتتساءل في صمت **«ثلاثة في واحد! كيف؟»**

لم يحل عام ١٨٠٩م حتى كان **لودفيج بوركهارت** قد قطع الشك باليقين واتخذ قراره بإشهار إسلامه، وتسمى باسم **«إبراهيم المهدي بن عبد الله»**، وإن عُرف واشتهر - فيما بعد - باسم **الشيخ إبراهيم السويسري**.

رحلاته بعد إسلامه

أدى **الشيخ إبراهيم** بعد إسلامه خدمات جليلة لبلاد العرب والمسلمين، فقد زار **سورية، وفلسطين، وشمالي الجزيرة العربية، وليبيا، ومصر، والسودان، مستكشفًا آثارها وجغرافيتها، ومن ذلك كشفه «لوادي موسى» المؤدي إلى آثار البتراء. و«قصر ابنة فرعون»**. وحين أدى مناسك الحج عام **١٨١٤م لم يفته أن يسجل وصفه للحج ومناسكه، وطبيعة حياة سكان مكة المكرمة والمدينة المنورة**، واستقى الكثير من المعلومات بهذا الصدد من المسافرين والتجار والحجاج، وسجل ذلك في كتاباته.

اطلاعه على التراث الإسلامي

قرأ الرحالة السويسري التراث العربي والإسلامي، واهتم - بصفة خاصة - بكتب **الرحالة العرب وعلى رأسهم ابن بطوطة وابن فضلان** وغيرهما من الرحالة الذين جابوا الآفاق وأثروا المكتبة العربية الإسلامية بمؤلفاتهم ومعلوماتهم الجغرافية والإنسانية، وكان تأثير هؤلاء الرحالة الرواد عليه كبيرًا تبدى في طريقة معالجته وتناوله لرحلاته. كذلك **اهتم بجمع الأمثال العربية وتسجيلها**، باعتبارها تمثل جانبًا من جوانب الفكر الحضاري العربي، وقد **ترجم ما جمعه من أمثال إلى اللغة**

الإنجليزية بعد أن قام بشرحها شرحًا مفصلاً يوضح أصل المثل ومصدره وسبب شيوعه .

نقل للغرب صورة صادقة

رغم ما عاناه الشيخ إبراهيم من مخاطر جمة خلال رحلاته ، وما تكبده من مشاق إلا أن حبه الشديد للكشف قد أعطاه القدرة على التحمل ، إذ عشق الحياة العربية ورغب في تسجيل دقائقها ، ليطلع المجتمع الغربي على ما تتميز به حياة المسلمين من بساطة وعفوية ، وما يتحلون به من صفات كريمة يندر أن تتوفر لشعب آخر ، إذ رأى في المجتمع الإسلامي مجتمع العدالة والمساواة ، مجتمعًا يحيا في محبة وتعاطف وإخاء ، لا يعرف التنافر الطبقي ، أو العوز ، فالغني يسد حاجة أخيه الفقير ، والقوي يسند الضعيف ، وشرع الله هو الحكم بين الجميع .

مؤلفاته

رغب الشيخ **إبراهيم السويسري** في نقل كل هذا إلى المجتمع الغربي لعله بذلك يسهم في تصحيح الصورة الخاطئة عن الإسلام والمسلمين المترسبة في أعماق بسطاء الناس في الغرب ، كنتيجة منطقية لما سمعوه من القسس والمستشرقين والحاقدين على الإسلام من أكاذيب ، فجاءت كتبه الأربعة لتعطي صورة صادقة لواقع حياتي صحيح ، إذ كتب الكتب التالية : **«رحلة إلى بلاد الشام»** ، **«رحلة إلى الجزيرة العربية»** ، **«أسفار في الشرق الأدنى والاتصال بالبدو الوهابيين»** ، و**«رحلة إلى بلاد النوبة والسودان»** ، إلى جانب كتاب **الأمثال العربية** الذي تحدثنا عنه .

التعريف ببلاد المسلمين

كان دافع الشيخ **إبراهيم** لوضع تلك الكتب منطلقًا من رغبة المسلم الصادق مع نفسه وغيره في تصحيح الفهم المغلوط لحقيقة الإسلام والمسلمين ، ومن ناحية ثانية فقد استهوته الحياة العربية وهو القادم من بلاد الثلج والضباب ، فانفعل بها انفعال المثقف الواعي لدوره الذي لا يقصر معرفته على نفسه بل يحرص على أن يشاركه غيره تلك المعرفة .

ورغم نشأته الأوروبية إلا أنه لم يجد صعوبة وقد هدى الله قلبه إلى الإيمان في أن يتحمل مشاق الصحراء وشظف عيشها ، من أجل الغاية النبيلة التي نذر لها نفسه ، ألا وهي التعريف ببلاد المسلمين وتقديم صورة حقيقية عنهم وعن واقعهم .

كانت كتاباته عن بلاد العرب بمثابة تصحيح لصورة مغلوطة ، أفاد منها الكثير من الرحالة الغربيين ـــ فيما بعد ـ كما أسهمت كشوفاته في التعريف ببعض جوانب التاريخ العربي ، مما أفاد الباحثين الآثاريين .

لقدأحب إبراهيم الوطن العربي بأناسه وأماكنه وتاريخه وحضارته حبًا جمًا وتعلق به تعلقًا شديدًا جعله يعده موطنه الأصلي ، وينظر إليه على هذا الأساس ، ومن هنا يمكن لقارئ كتبه أن يفهم سر تلك الحماسة التي تتجلى بوضوح حين يكتب بتأثر عميق عن قيم الصحراء وآدابها .

وبلغ من حبه للبلاد العربية أن أوصى بأن يتم دفنه في مدينة القاهرة ، في حال وفاته ، كي يمكن أن تراعى أحكام الشريعة الإسلامية في جنازته ودفنه ، وقد تحققت وصيته ونفذت بالفعل .

دفنه في القاهرة

ويطالع الزائر لمقابر «باب النصر» في العاصمة المصرية شاهدًا مكتوبًا عليه : **«هذا قبر المرحوم الشيخ الحاج إبراهيم المهدي بن عبد الله بوركهارت اللوزاني ، تاريخ ولادته ١٠ محرم ١١٩٩هـ وتاريخ وفاته إلى رحمة الله بمصر المحروسة في ١٦ ذي الحجة ١٢٣٢هـ ، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه»** .

رحم الله **الشيخ إبراهيم السويسري** وجزاه عما قدم للإسلام والمسلمين خير جزاء ، فقد أسلم وصدق في إسلامه ، وسعى لأن يخدم إخوانه في الدين ما استطاع جهده ، وصدق **رسول الله ﷺ** إذ يقول : **« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : «صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له»** .

ترتيب الفرائض

● **رجل فاتته صلاة الفجر لكنه قام من النوم فهل يصلي الظهر أولاً لوجوب وقتها ؟**

حمد محمد سليمان - جيزان صبيا

□ بل يُصلي الفجر أولا لأولويتها ولمقتضى لازم الترتيب بين الفرائض، ولأن وقت الظهر متسع، ثم بعد ذلك يُصلي الظهر.

قضاء دين المتوفى

● **إذا كان على الإنسان دين فتوفي فهل يقضي عنه الورثة هذا الدين ؟**

محمود : م. م. أ. . الكويت

□ ينظر أولاً فإذا كان له مال تركه بعده فإن دينه يقضى منه، وهو مقدم على توزيع المال على الورثة لقوله تعالى ﴿**من بعد وصية توصون بها أو دين**﴾. النساء/ ١٢ ولأنه مال للغير وجب في ذمة المتوفى فوجب أداؤه قبلا، فإن لم يكن قد ترك مالا [تركة] عيناً أو عقاراً أو حيواناً فإن الورثة يؤدون هذا الدين عن مورثهم ولا أعلم في هذا خلافاً، والله أعلم.

قضاء السنن وقت النهي

● **هل تقضى سنة الظهر في وقت النهي ؟**

وسنة الوتر هل يُفسَّقُ تاركها ؟

حـ . م . ل - المدينة . . المعهد العلمي

□ سنة الظهر أربع ركعات اثنتان قبلها واثنتان بعدها - وصح الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أن الرواتب عشر ركعات قبل صلاة الفجر ركعتان وقبل الظهر وبعدها ركعتان فهذه ستة وبعد صلاة المغرب ركعتان وبعد صلاة العشاء ركعتان فهذه عشر ركعات راتبة كان ﷺ يحافظ عليهن.

والسنة هي ما يثاب فاعلها ولا يُعاقب تاركها. لكن من حسن الإسلام وزيادة الحسنات المحافظة على مثل هذه الركعات ففي هذا أجر وتكفير لما قد يحدث للعبد أثناء صلاة الفريضة دون قصد من تفكير ونحوه.

وهذه السنة حسب ما أعلم لا تقضى في وقت النهي لأنها ليست من ذوات الأسباب لكن إن شاء فعلها في غير وقت النهي. ولو ترك المرء سنة الوتر بعد العشاء لا يُعتبر فاسقاً ولا أعلم أحداً قال بهذا ممن يُعتد بقوله لكن **قال أحمد بن حنبل رحمه الله : «من ترك صلاة الوتر فهو رجل سوء»** ولعله يقصد الحض عليها. فضل هذه السنة المؤكدة عظيم، وقد وردت عدة نصوص بالمحافظة عليها ومالها من مزية، وحريٌّ بالمسلم المحافظة عليها وعلى الرواتب فهذا آجر له وأكثر للحسنات.

زكاة الحبوب

● **نحن زرّاع لدينا مساحة كبيرة، نزرع القمح وكذلك بعض الحبوب الأخرى التي تؤكل، وسؤالنا هل ننقيها من القشرة عند الزكاة أو نتركها هكذا؟**

حمود بن علي بن داود، سليمان بن فهاد الدحيمي . . القصيم

محمد . م . أ . عناد . ل . ل - حائل .

□ الزكاة واجبة في الحبوب كلها سواءً كانت مما يُقتات به أو مما لا يُقتات به كالقمح وفصيلته، والأرز، والرشاد والكمون وفصيلتها لأنه يؤكل ويحتاجه الناس للعلاج لهم ولأنعامهم وطيرهم الداجن المستفاد وقد دل على هذا عموم ما رواه **البخاري** رحمه الله في الصحيح **أن ﷺ** قال **«فيما سقت السماءُ والعيون العشر»** وكذا في كل ثمر يكال ويدخر لقوله ﷺ **«ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة»** مثل التمر ونحوه مما يدخل تحت معناه.

أما فيما يتعلق بالحبوب كما جاء في السؤال فإنها إذا بلغت نصاباً فإنها تزكىٰ للحديث المتقدم **«ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة»** وهو صحيح والوسق معروف وهو:

١ - ألف وستمائة رطل عراقي.

٢ - أو. . ألف وأربعمائة وثمانية وعشرون وأربعة أسباع رطل مصري.

٣ - أو. . ثلاثمائة واثنان وأربعون رطلا وستة أسباع رطل دمشقي. والوسق والمد والصاع يعتبر فيها عادة أهل كل بلد، والأصل الصاع وهو الذي يقدر به الحال حال الزكاة في كل بلد ويلزم قبل الزكاة تنقية الحبوب من قشرتها ثم تُصفى بعد ذلك وتزكىٰ والله أعلم.

حديثان ضعيفان

● **ما صحة هذه النصوص، وهل ورد في التاريخ الكبير للبخاري رجال ضعاف؟**

١ ـ نية المؤمن خير من عمله

٢ ـ طلب العلم فريضة .

٣ ـ كان خلقه القرآن .

ح . م . أ ـ جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة

□ الحديثان الأولان ضعيفان وتمام الثاني «على كل مسلم» وأدرج بعضهم «ومسلمة»، ولم ترد هذه الزيادة بالسند الضعيف، لكني رأيت بعضهم قال إنه حسن، أي طلب العلم فريضة . . . إلخ. و«التاريخ الكبير» للبخاري كتاب ضخم جدًا، ومحتواه أنَّه يترجم لكثير من الرجال فيوثق بعضهم ويجرح بعضهم الآخر، ويسكت عن كثير منهم، وهو كتاب صعب في تناوله لكنه درة من الدرر النادرة لا يستغني عنه علماء الرجال، ودارسو الأسانيد، والجرح والتعديل.

أما الحديث الثالث عن عائشة رضي الله عنها فهو حديث صحيح ورد في صحيح البخاري.

من تجاربهم



بقلم: محمد إبراهيم أبو سنة

الغريبُ الذي جاء كالظلِّ
. . منتظرٌ والدخانُ الكثيفْ ! !
. . يصعدُ الآن من جمرة القلبِ . .
. . هذا بريق العيونْ
. . راحلُ في زفير الضبابْ
آهِ. لا أستطيعُ التكهن بالغد . .
. . هذى القطاراتُ زاعقةٌ . .
والمطاراتُ خانقةٌ . . .
والليالي طيورْ

الغريب الذي جاء كالظلِّ
. . يسقط بين أيادي الرياحْ
حاملا جرحه للأغاني التي عاهدتْ قلبَهُ . .
ثم خانَتْهُ قبلَ انبلاجِ الصباحْ

الغريب الذي جاء كالظلِّ . .
. . يمضي حاملا خيبةَ الحب
. . حسرة هذا الزمانِ المباحْ
جِسْمُهُ = أرضُهْ
فارةٌ للجراحْ
محمد إبراهيم أبو سنة

تجربتي مع الشعر

يعتصر الشعراء أرواحهم لكي تتفتَّح من دمائهم هذه الزنابق المشبعة بالضوء واللون والموسيقى والتي تُسَمَّى بالقصائد. والتي تعود إليها أرواحهم لتسكنها من جديد بعد أن تنعتق من حدود المكان الضيقة وعرضيه الزمان الذي يتدفق عبر هدير النهار، منسربًا عبر سكون الليل. وكأن الشعراء (تلك الكائنات القلقة) قد عرفوا منذ اشتعال اللحظة الشعرية في أغوار وجدانهم أن الغربة قدرهم. الشاعر كائن مفارق على مستوى الزمان والمكان والفعل. إن إدراك العالم شعريًا يبدأ بانفجار عاطفي أو حماسي أو تأملي. بنوع من التماس العفوي يقود المشاعر إلى مسالك وعرة بحثًا عن المألوف والدائم والجميل. إن لحظة التنوير الشعرية تبدأ بهذا الانخطاف الذي يسبق الاكتشاف أو يصاحبه. ومحاولة الشاعر الكشف عن أبعاد جديدة في الوجود هي لون من المفارقة والاغتراب والانخراط في معايشة المستحيل وترويض المجهول وحين نقرأ قول مجنون ليلى:

وأجهشت للتوباد حين لقيته
وكبّر للرحمن حين رآني

نعرف أن قيس بن الملوح قد رأى في الجبل رفيقا أو صاحبًا أو عالمًا آخر يحنو عليه ويتفهم حبه لليلى. وحين يقول مالك بن الريب التميمي وهو يغالب سكرات الموت:

تذكرت من يبكي عليّ فلم أجد
سوى السيف والرمح الردينيّ - باكيا

ندرك أن هذه هي لحظة الحقيقة وقد حانت حيث يواجه الموت وحيدًا غريبًا بعيد الدار ثاوٍ بقفرةٍ «يد الدهر معروفا بأن لا تدانيا»

إن الاغتراب يبدأ بإدراك الشاعر لوجوده ذاته وهو قد يحتضن الوطن في محاولة لخلع إحساسه بالمنفى كما يقول شوقي:

وطني لو شغلت بالخلد عنه
نازعتني إليه في الخلد نفسي

وقد يأخذه الهلع حين يحس أنه على أعتاب المجهول كما يقول امرؤ القيس عن صاحبه عمرو بن قميئة:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه
وأيقن أنّا لاحقان بقيصرا

ولكن الشاعر في لحظة الانخطاف أو الإكتشاف يوجز اغترابه المكاني والزماني والوجودي في لون واحد يغلق به الدائرة وينتقل منه إلى القصيدة كما يقول الشريف الرضي وكأنه وهو يخاطب نفسه إنما يخاطب الإنسان في كل مكان:

راحل أنت والليالي نزول
ومُضِرٌّ بك البقاء الطويلُ

ثم يصور تبدُّد شمل الإنسان في صورة نادرة فيقول:

فهو كالغيم ألَّفته جنوبٌ
يوم دجن ومزقته قبولُ
عادة للزمان في كل يوم
يتناءى خلٌّ وتبكي طلولُ

وهنا يعكس الشاعر الصورة التقليدية فبدلاً من البكاء على الأطلال تبكي الأطلال نفسها. تبدأ الغربة بالمكان ثم تتجاوزه إلى الزمان ثم تفضي إلى الاغتراب الوجودي.

كان الظلام يجعل من الكون قوقعة سوداء تلمع في سقفها نجوم غاربة حين كانت السيارة التي أقلتني مع أخي الأكبر من قريتي الصغيرة على ضفاف النيل إلى القاهرة تذرع طريقها وسط سكون مريب. كان السائق خائفًا لأن

من تجاربهم



السيارة لم تكن مخصصة للركوب وقد اضطررنا لركوبها بسبب انقطاع المواصلات بين **الأقاليم المصرية** بسبب تفشي وباء الكوليرا عام ١٩٤٧ وكان والدي يصر على أن نلتحق بمدارسنا في الموعد المحدد أكتوبر من نفس العام. كنت في العاشرة. كنت قد خلفت ورائي قريتي وأسرتي وكانت أمي قد توفيت قبل ذلك بثلاثة أعوام. كان المجهول أكبر من وجداني ولهذا فقد تناقص إدراك حواسي حتى أنني أصبحت على حافة الوسن طوال هذه المدة التي استغرقتها الرحلة ولو أنني حاولت التعبير بصدق عن إحساسي بما فقدته ووطأة المجهول الذي ينتظرني لما جسدته سوى صرخة كانت جديرة أن تشق سكون الليل كما يشق خنجر مشحوذ لحم غزالة مذعورة. لم تكن حواسي قادرة على أن تخوض لحظة الانخطاف وإنما أحالت اللحظة إلى أغوار الوجدان الذي ظل يتفتح ببطء على عالم المدينة الصاخب المفاجئ وحين استقر بي المقام في مدرسة **«شيوه كار قادن»** لتحفيظ القرآن الكريم بدأت في نسج عالمي بصعوبة نادرة. لقد تشبثت كطفل عنيد بصورة القرية المرتعشة في ذاكرتي

صغيرة.. صغيرة وترتعش
تمد في البعيد مقلتين طينتين من خزف
مريضة كقطة تكاد لا تقف
تمر من أمامها المياه كاندفاعة الصبا
وقلبها يجف.

لقد كانت **البيئة الأزهرية** التي انتقلت إليها بعد أن حفظت **القرآن الكريم** والتحقت بالمعاهد الدينية بيئة ريفية تعج بأقاربي الذي يكبرني بعضهم ويصغرني البعض الآخر. وقد حاولت أن أصنع من المدينة قرية صغيرة وذلك بالتحديق المستمر في اللافتات المعلقة على المباني. لافتات تحمل أسماء الشوارع والمحلات والأطباء والمحامين ولكن حادثًا مفزعًا قد أنهى محاولة التعرف البلهاء هذه على المدينة فقد تعرّضت وأنا أتجول في **شارع الموسكي بالجمالية** للاختطاف بالقرب من **ميدان العتبة الخضراء**. لقد لجأت إلى خداع الرجل الذي أمسك بيدي وحاول أن يسلمني لعصابته فقد غافلته وسللت يدي من يده في لحظة مباغتة وانطلقت أركض حتى **الجامع الأزهر** وارتميت أجهش

> بعيدا عن قريتي أعيش غربة قاتلة وأفتقد العلاقات الإنسانية والحميمية

بالبكاء على كتف قريب لي كان يدرس **بكلية دار العلوم**. ومنذ ذلك اليوم أدركت أن هذه المدينة لا يمكن ترويضها أو الاطمئنان إلى غدرها. وبدأت القرية تغيب عن عيني ولكنها كانت تنزلق ببطء في وجداني. كنت في القرية قد تعرفت على صور درامية للتعاسة البشرية. وكان الناس في القرية في ظل بؤسهم وفقرهم وقصر أعمارهم لا يمثلون لي طوق النجاة. فكان ابحاري عن القرية بلا ملاذ أو مرافئ وإنما كنت أكتوي بنار غربتهم هم أيضا. وكان الريفيون الذين يعيشون في المدينة مثار عطفي مثل هذه الريفية التي تعمل خادمة في مدينة الغرباء والتي تصيح

أنا يا أماه مذ جئت إلى هذي المدينة
أصنع الشاي لناس غرباء
أمسح الأرض بثلج في الشتاء
أنا يا أماه مذ جئت سجينة
ووجوه الناس يا أمي حزينة
ربما أفتح في قلبي بابًا للرياح
أتمنى أن أرى في قريتي وجه الصباح

لم تعد غربتي وحدي تلك التي تؤرقني بين جدران هذه المدينة بل غربة القرية التي خلفتها ورائي وغربة التعساء الذين لا تعترف بهم المدن.

إن المدينة لا تعبأ بهؤلاء الذين ينشدون السكينة والألفة والتعرف وها أنا في قصيدة **نرجس والمدينة** ينكشف لي البعد الأناني للعلاقات الإنسانية حين أقول:

خرجت أنشد الصحاب
رأيتهم جميعهم يحلقون في المرآة
مدينتي. مدينة المرآة
تحدق العيون في مرآة
مدينتي من الصباح للمساء
تطل في المرآة
فنحن يا حبيبتي نعيش في حضارة المرآة
في البيت في الصباح
في الشارع الكبير
في السقف والحانوت في المقهى
وإن رأيت صاحبًا يطل في عيون صاحبه
رأيته هناك معجبا بشاربه
ويعدل الياقات فوق كتفه وينصرف

إن إدراك نرجسية المدينة كانت بالنسبة لي لحظة انخطاف مُرَّة في مطلع الشباب. وكان للزمن دلالته المختلفة بي التي تؤثر في مضمون التجربة الإنسانية. كان التعاطف وهو حلم الشباب الأول يترنح تحت سنابك الزمن الذي لا يتمهَّل حيث تطوي خيوله الجامحة بساط الأيام في هرولة وارتباك ويسقط التعاطف مضرجًا بدماء الأيام والليالي

لكن يا حبي أعرف أن مدينتهم
لا تعطي إن جادت أكثر من عطف واحد
أعرف أن مدينتهم سقطت بين عقارب ساعة

الكل يطيل النظر لساعته :

«عفوًا إن الزمن يمر»

لقد عصف شتاء المدينة بسكينة الروح وغابت القرية في أرديتها التي تسربل أيامها بالأزهار الذابلة.

تأوهت جذورنا، وأسلمت أنفاسها في هدأة المساء

لا شيء عندنا

أبقته رحمةً بنا

أظافر الشتاء

لا شيء كي نزوره يا أيها الربيع

سوى جديلة تخاصمت على مصيرها الرياح.

وجدت كإنسان صحبة مقنعة في أترابي ولداتي في الأزهر، غير أن الشاعر في كياني كان يضيق بالحدود المغلقة. وفي بداية تفتح البرعم الشعري حملتني سفينة الخيال إلى عصور الشعر الذهبية، إلى عالم عمر بن أبي ربيعة وامرئ القيس. كانت المدينة تفسح مكانا للقرية، والقلب يفسح مكانا للعاطفة، والخيال يفسح مكانا للسفر من جديد. لم تكن القرية وحدها فرارا لأحلامي بدأ وعيي الشعري يرشدني إلى عوالم خالدة. ولكن فكرة التمرد كانت تشتعل معبرة عن نفسها في تنوع القراءات وتجاوز البدهيات والابتعاد عن الثوابت والمألوفات حتى غدا الرحيل المطلق في فضاء المعرفة الإنساني بديلا لعناق الوطن. انبسطت كرة أرضية كانت مطوية وبدأت أكسر الأفق المحدود للثقافة التقليدية للدخول في مدار جديد.

غير أن إحساسي المبكر بأن التكيف نوع آخر من الموت وأن الوصول إلى الميناء ليس وعدًا بالراحة، كانت الغربة هاجسًا مستمرًا يتحول شيئا فشيئًا إلى هاجس إرادي. ولأن الممكن قد انتفى فقد أصبح المستحيل هو الممكن البديل. من هناك لا توجد القرية الرومانسية التي يحن إليها شعراء جيلي في قصائدي. توجد قرية واقعية لا أمل في أن تحمل لي خلاصا بل أحاول أن أصنع لها أملاً في خلاصها هي. ذابت غربتي إذن في كون جديد من العواطف الجياشة والحلم بالخلاص العام برؤية عالم أقرب لعالم المدينة الفاضلة، تحولتُ إلى دون كيشوت جديد:

خرجت باحثًا عن الإنسان

وجدته في عين أجمل الظباء

«دولسينة» البعيدة

حلمت بالجزر

طليقة تطوف بالبحار

بعالم من الفرسان

بالأمن للجميع والعدالة

بالصدق سافرًا بلا غلالة

حلمت لو وضعت قرطبة

على تلال نجمة خضراء

تطير بين الظل والضياء

ويكتب السحاب فوق خدِّها

أشعاره الحمراء والصفراء

تتحول الغربة وتلد ذرية من الكائنات الجديدة. يلح هاجس الوحدة والانتظار. تصبح المدينة قدرا صخريا محتوما.

في الحفل التقليدي ليوم العيد

وجهت الدعوة للأصحاب والخلان

لم تحضر إلا الأحزان

في عام ١٩٨٠ أتيح لي أن أشارك في نشاط البرنامج الدولي للكتابة في جامعة «أيوا» بمدينة «أيوا» بالولايات المتحدة الأمريكية لمدة أربعة أشهر. كانت المدينة فوق مستوى السحر. فالطبيعة تتألق في آلاف الأشجار وملايين الأزهار، والنهر يخترق المروج الخضراء، والسماء في سبتمبر صافية كعين ديك - كما يرى شاعرنا القديم - ووسط هذا الجمال الخلاب نزلت ضيفا محفوفا بالرعاية والحرية والتكريم. وذات مساء وبينما كنت أعبر أحد شوارع المدينة الرائعة خطف بصري قمر ساطع

> عندما شاهدت القمر في سماء "أيوا" بأمريكا صحت مهللًا : ها هو البدر يأتي من الشرق !

الضوء يتهادى من الشرق هائما فوق لجة سماوية زرقاء. فجأة حدث الانخطاف الذي حدث لآلاف الشعراء الذي يحنون لأوطانهم!! وإذا بروحي تجيش بآلاف المشاعر تصب كلها في نار الشوق الجارف إلى وطني «مصر» تضاءل القمر وارتسم على السماء نهر النيل، وإذا بالمآذن والعمائر وشوارع القاهرة تزحم سماء مدينة «أيوا» وانهمرت قصيدة «أسافر في القلب»

. . وهذا هو البدر يأتي من الشرق . .

أخضر مثل اليمام الذي في الأساطير .

أزرق مثل المياه التي في البحار . .

وأحمر كالصدق. أصفر كالموت في بلد لا يريدك

أبيض مثل النهار.

وهاهو وجهك يقبل نحوي

يعاتبني

ثم يملأ روحي بشوق اللقاء

وحلو الغناء . . فلا تعذليني

فإني أسافر في القلب ليلا

إلى حيث أنت

وحين يجيء النهار

أسافر أقطع هذي الفيافي

إلى حيث يسطع نورك

تحت سماء المقطم و النيل

والهرم الأكبر والأصغر

حيث يصير الزمان . .

حديقة أفراحنا

والرحيل الجنون

الغربة إذن منفى الذات . وإذا كانت الغربة تكتسب معانيها من وعي الشخصية بذاتها وعصرها فإن تتسع بقدر ما يطمح الشاعر. هناك الغربة البسيطة التي عرفها الرومانسيون والتي تتمثل في البحث عن الطهارة في الوطن أو الطبيعة أو التاريخ أو عالم الأساطير، وهناك الغربة الواعية التي تسعى لتحرير الإنسان من كل ما يعوق اكتمال قدراته وتأصيل هويته وتسعى إلى وسيلة للتناغم الإنساني في أنشودة الجمال ويحدوها الأمل وتدفعها إلى الأمام قوة الإيمان وهاجس الحرية. إن الغربة هي النقيض لما يمكن أن نسميه بالوجود المبدع.

قصة قصيرة

الصحراء

بقلم: محمود حنفي

زفر بعد أن مسح عرقه للمرة الثانية، وقال مستنكرا:

- عشرون ساعة سوف نقضيها داخل تلك السيارة؟ غير معقول.

وخلال ذلك كان يتطلع إليّ يستجير بي. ابتسمت في صعوبة وأجبته مجاملا:

- المعين هو الله.

وكان صوتي خارجًا من حلق يشققه الجفاف.

عاد مرة أخرى إلى الحديث فور أن تحركت السيارة العتيقة بنا وببقية ركابها. قال متبرمًا:

- سيارة خردة، وطريق طويل محفوف بالمخاطر، وسائق عجوز يخشى عليه ومنه في مثل تلك الرحلة المهلكة.

نظرت إلى السائق، فلمحته راسخًا فوق مقعد القيادة مجللا بكبر يشبه كبر الجبال وصمتها العتيد، فداخلني اطمئنان مناقض لكل ما يحيط بي. لم أرد عليه، وإنما تشاغلت بمسح قطرات العرق المتصبب فوق جبهتي وصدغي وعنقي، بينما كنت أتجول ببصري في الصحراء التي تفتح فاها اللانهائي تلتهم خطوات السيارة العجلى، وحدود الأرض البكر، والصخر الصموت، وزرقة السماء التي تقذف لهبًا. وفي رأسي كان سؤال يرتج: إلى أين، ولماذا؟ من أحشاء القرى ودروب المدن الضيقة المتعرجة جئنا جميعا، قذفنا إلى تلك الصحراء بحر وزقاق ضيق وتلقائية المغامرة دفاعا عن النفس، والإصرار على حق اللجوء إلى الحرية في معناها الفطري الأول.. حلم شرعي بسيط: لقمة العيش الآمنة فوق بقعة من أرض الله الواسعة.

في رأسي كان السؤال يرتج: إلى أين، ولماذا؟ وذات يوم قال لي رجل حكيم: إن أرض الله واسعة، ولكنه كان حكيماً يستمد الحكمة من بطون الكتب وحدها داخل صومعة موشاة بنقوش قديمة.. لم تكن أنباء ضيق الأرض وتناحر الأقوام فوقها قد وصلت بعد إلى سمع ذلك الحكيم، ولكنه كان واثقا أن أرض الله واسعة، فصدقته.. وها هي الصحراء العارية تشهد بدورها على صدق ذلك الحكيم، فماذا جرى، وما معنى كل هذا الضيق الطارد؟ لا يزال السؤال يرج رأسي، يطن في تلافيف الأعماق الغائرة.. ومفازة في الصحراء تفتح فاها العميق فيبتلع الزمان والمكان على حد سواء.

حين حُشرت في السيارة، تحت الصهد المتساقط من سقفها، وغارقا في العرق موزعا بين التشوش والضجر، لم أكن مهيأ لتبادل الحديث، فغطست في شرودي. ولما ألقى السلام وجلس إلى جواري، شدني إليه للحظة إيحاء مبهم، ولكني لم أكن قد تبينت منه سوى وجه طفل وقامة معتدلة وجسم بادي القوة.

- اسمي عاطف.

- أهلا وسهلا.

واختلست حينذاك نظرة ثانية إليه صادفت خلالها فوق وجهه الطفولي شيئا نادرا لا أراه وسط الهجمة السوقية التي انتشرت في معالم الوجه البشري الأخير.

الآن، وعلى استرسالي الذي لا ينقطع دفعا للكآبة والضجر، بدأت استكشف غور الحقيقة الناصعة وأتلمس جمالها المطمور. ببساطة تكلم عن وجهته وغايته، وسأل أسئلة عارضة لم ينتظر إجابتي عنها، وأجاب هو عن أسئلة كثيرة ما كنت سأجرؤ على توجيهها تكلم فاسترسل فأسهب.



«سليمان الله يجازيه.. الله يسامحك يا سليمان، أنت ولا أحد غيرك السبب وراء كل ذلك الخراب الذي حل بي وهذا الضياع الذي رميتني إليه. خمسة أطفال يا مفتري يأكلون الزلط، وزوجة بنت ناس أصيلة حمولة، وأنسباء أقارب لا يعوضون في دنيا صعب.. ومع ذلك لا تعقل وترتدع. سليمان الله يجازيه، زوج أختي وابن خالتي وصديقي، ولكنه بني آدم متعب ومخرب للبيوت العامرة. ابن حلال صحيح وطيب القلب، ولكن مخه مقفول.. متلاف ولا يستقر في عمل. وكلما ادخرت قرشين للمستقبل اضطرني إلى بعثرتهم - أعباء البيت كبيرة: الأب مات دون أن يترك لنا سوى الستر والحمد لله، وأمنا كبيرة ومريضة، والإخوة صغار ومعلقين في عنقي، وفوق هذا كله سليمان ومصائب سليمان. ابن خالتي وزوج أختي لحمي ودمي، وأولاده عصافير من الجنة يتقافزون من حولي مثل القطط الصغيرة.. خمسة - خمس قطط. الله يجازيك يا سليمان - خمسة عصافير بريئة ولكن تقول لمن؟ يرتكب كل مصيبة ومصيبة وعاطف يدفع الثمن ويصلح ما انكسر. وأمي تقول لي لماذا لا أتزوج لكي تفرح بي. أتزوج؟ كيف؟ طيبات جدا أمهاتنا وسليمات

النية. أنا لا أفكر بالزواج الآن. أريد سيارة نصف نقل آكل منها عيش وأبدأ بها حياتي. العمر صار ثلاثين ولا بد من تأمين المستقبل. ومهنتي حلوة وتؤكل عيش وحلوى وسمعتي طيبة والحمد لله بين الناس. المهنة حلوة والله: ميكانيكي سيارات، سواعدي تصنع الذهب، منك لله.. منك لله يا سليمان. قررت أن أهرب منه، أجل، منه شخصيًّا، من سليمان، لعله يستشعر المسؤولية مرة واحدة في عمره. وسيكون مصروف البيت وأنا غائب في يد أمي، توزعه بحكمتها، هي تعرف كيف تصنع من الفسيخ شربات، سنتان أو ثلاث وأشتري السيارة وأعود، ولعل الله أن يوفقني في نفس الوقت لادخار مبلغ إضافي أفتح به ورشة تؤمن المستقبل. مستحيل أن أبقى على هذه الحال: الحياة نار والعمر يجري وسليمان لا ينوي أن يعقل.. مستحيل أن يعقل طالما وجد مغفلاً مثلي يسدد عنه التزاماته.. مستحيل إلا أن يهديه الله. أليس كذلك يا أستاذ؟».

كان يتطلع إليّ يستحثني على الإجابة، ورددت عليه:

ـ يهديه الله بمشيئته يا أخي.

ولكني في داخلي أجبته بكلمات لم يسمعها: هو كذلك يا أخي ولله الحكمة والتدبير. ولكنك نمط منقرض في هذا الزمان، مثل طفولتي الخضراء، وأحلام الأبرياء، وبساطة العيش، وهذه السيارة العتيقة التي تقاوم الشيخوخة والعطب وتتحدى الأخطار المحدقة مندفعة وسط مفازة في الصحراء مهلكة.

ـ يا ساتر. قف يا عم السائق، قف.

ـ ماذا حدث؟

السيارة التي سبقتنا منذ دقائق، انقلبت هناك على ظهرها.. انظر.

ـ استر يا رب..

ـ هيا يا جماعة.. تعالوا نحاول أن نفعل لها شيئا.

وهم يركضون متقافزين علق واحد منهم لاهثا:

ـ سائقنا عجوز حكيم.. لولا تمهله لانقلبت سيارتنا بدورها..

بدأنا ـ فرادى ومجتمعين ـ نطل على هول الكارثة: سيارة صغيرة منكفئة على ظهرها وعجلاتها لا تزال تدور ودخان يتصاعد منها، ومن حولها صحراء قفر تتحدى الأمل. تلاشى الزمن وعطلت المدارك، ولكن صوت عاطف تردد في الفضاء المهيب صائحا:

ـ هيا يا جماعة.. ماذا تنتظرون؟ تعالوا ساعدوني في إخراج الناس المساكين من داخل السيارة.

وحينئذ تدافعت الأقدام والسواعد.

حين عدنا جميعا إلى سيارتنا، كان عددنا قد ازداد: جثة لا حركة تنم عن دبيب الحياة فيها، وإثنان جرحى يختلط أنينهما بالكلمات التي يردان بها على استفسارات المستفسرين.

انطلق السائق العجوز بسيارته المنهكة. جلس فوق مقعده، راسخًا صموتًا كما كان، مجللاً بمهابة الكبر كما لمحته أول مرة. وران من حول الجميع صمت مفاجئ محفوف بالقلق وانقباض الصدور إثر عبارة نطق بها أحد الراكبين:

ـ نقطة الإسعاف تبعد عنا مسافة تستغرق ثلاث ساعات.

كنا ـ ولا شك ـ نفكر جميعا في ذلك المسجى بأرضية السيارة.. لا ينطق، ولا تصدر عنه نبضة أو اختلاجة.

همس عاطف في أذني بنبرة أسى طفولية:

ـ سيموت الرجل، إن لم يكن قد مات بالفعل.

وكنت مطرقا برأسي، فرفعتها ولم أجب. ظللت على صمتي أحدق في فراغ مطلق.

هبط علينا الغروب ونحن واقفون أمام نقطة الحدود وحولها بناية الإسعاف الصغيرة، وعيوننا إما قلقة بفعل الانتظار أو متهدلة جفونها أسى وتسليما. بعد فترة خرج من البناية الصغيرة واحد من رفاقنا وقال وهو يندس بيننا:

ـ البقية في حياتكم.. الرجل مات.

استقبلنا جميعا النبأ بصمت. أقعى الرجل وأسند ظهره إلى حائط صغير واطئ واستطرد:

ـ وجدوا في جيبه جواز السفر وبعض أوراق مدونة بها عناوين وسبعة وثلاثين دولارًا.

ثم دفن رأسه بين ذراعيه.

وسمعت عاطف بجانبي يشهق ويقول باحتجاج مكتوم:

ـ فقط؟؟

فرفع الرجل رأسه من جديد وأطل على عاطف بعينين قد اختلطت بهما المعاني، وردد مؤكدا:

ـ فقط.. سبعة وثلاثون دولارًا.

ومرت فترة صمت، قال الرجل بعدها:

ـ مكتوب بجواز سفره وأمام خانة المهنة: بدون عمل. والإثنان الآخران ذكرا في التحقيق أنهما رقا لحاله حين أوقفهما في الطريق ورجاهما أن يركب في سيارتهما لأنه لا يملك أجرة السفر، وأضافا أنهما كانا قد اطمأنا إليه من قسمات وجهه المنكسر، فسمحا له بالركوب.

ران من حولنا صمت جديد كثيف، قطعه صوت جريئ مفعم بالثقة قائلا:

ـ وحدوا الله.. هذا قضاؤه وقدره.. وكلنا تركنا البيت والعيال وأسلمنا مصيرنا لله.

قبض عاطف على ذراعي بكفه القوية، وجذبني بشدة وهو يقول:

ـ اسمع.. هيا بنا نتجول قليلا حول المكان لحين انتهاء الإجراءات.. الهواء الآن صار عليلا ومنعشا.

وتنبهت إلى أن عاطف يعاملني معاملة صديق له معه تاريخ مشترك ومواقف متراكمة.

نادى السائق العجوز آمراً بالعودة إلى السيارة، فرجعنا جميعًا متمهلين، واستأنفت السيارة بعد قليل سيرها تحت سماء داكنة وليل آخذ في التوغل. عم صمت مشبع بالرهبة أول الأمر وسرى بيننا، ثم ـ وتدريجيًا ـ لم يلبث هذا الصمت أن أخذ يتقطع بشخير الذين استسلموا للنوم.

وناموا جميعا إلا أنا، استعصى عليّ النوم. كنت قد عدت أتساءل: إلى أين، ولماذا؟ وانصرم الوقت إلى أن شاهدت ضوء الفجر يبزغ عند الأفق الشرقي.







د. سعيد بن علي بن ثابت

- **العنوان : الحرية الإعلامية**
- **المؤلف : د. سعد بن علي بن ثابت**
- **الناشر : دار عالم الكتب للنشر والتوزيع**

وسط الصخب الإعلامي الضّاج بتياراته المتعددة وأهدافه المتنوعة؛ يقف الإعلام الإسلامي لبناء الرأي العام الإسلامي بناءً صحيحا وسليما وليزيل التناقضات بين ما يؤمن به الإنسان المسلم من قيم ومبادئ إسلامية رفيعة وما يحيطه من ممارسات تحتاج إلى ترشيد وتنبيه.

والميزان هنا ميزان الشرع دون هوى أو غي، فلا مجال لسبق من أجل نجومية، أو تعريض ببريءٍ دون تثبّت، أو ترويج لمنكر أو فكر منحرف.

هذا هو المحور الأساسي لكتاب: «الحرية الاعلامية في ضوء الإسلام» للدكتور سعيد بن علي آل ثابت أستاذ الرأي العام المشارك في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية؛ والذي صدر حديثا في الرياض.

في البداية يذكر المؤلف أن قضية الحرية الإعلامية شغلته أكثر من غيرها من القضايا منذ أكثر من سبع سنوات عندما كان يعد أطروحته للدكتوراه في موضوع «الرأي العام في عهد النبوة والخلفاء الأربعة» حيث لمس - وقتذاك - البون الشاسع بين حرية القول والتعبير عن الرأي بين النظام الإسلامي والنظم الوضعية المعاصرة، ثم ازدادت الصورة وضوحًا بعد قيامه - المؤلف - بتدريس بعض المواد العلمية فوجد أن النظريات الغربية تلقّن لأبناء الأمة الإسلامية على أساس أن مفهوم الحرية الإعلامية مفهوم محايد بين كل النظم الإعلامية..

وعبر ١٥٧ صفحة يناقش المؤلف قضية الحرية الإعلامية: لُغويا واصطلاحيا، وفي مصادر الشرع وكتابات السلف، ثم مفهومها - الحرية - في الاصطلاح الإعلامي، والأساس الفلسفي للحرية الإعلامية في الفلسفة المادية، إلى أن يصل إلى أسس الحرية الإعلامية في الرؤية الإسلامية فيحدد أن أساسها الأول هو الإيمان بالله الواحد الأحد، والأساس الثاني: الكتاب والسنة، أما الأساس الثالث فهو الفطرة الإنسانية السوية.

يقول الدكتور سعيد ثابت: إن الحرية الإعلامية ترتبط بالركائز الفكرية للنظام الإعلامي السائد، وهو أيضا - النظام الإعلامي - يرتبط بأصول النظام الاجتماعي العام ونظراته للكون والحياة والإنسان والقيم.. وتكاد الدراسات الإعلامية والاجتماعية تُجمع على أن إعلام كل أمة إنما هو في الحقيقة انبثاق من عقائدها وإطارها الفكري العام، وتتفاوت نظرة الناس لقيمة الحرية بين النُظم الإعلامية المختلفة؛ إلاّ أن أسس الحريّة الإعلامية لا تخرج عن أساسين هما:

١ - الأساس الفلسفي: المرتبط بالفلسفة المادية من لدن «أفلاطون» و«أرسطو» إلى «جون رسكين» و«جون ستيوارت مل» و«جفرسون» و«وليم كنج» و«ملتون» ومرتكزات «واطسون» و«بافلوف» و«وفرويد» حيث إن هناك أسسًا مشتركة بين هؤلاء الفلاسفة جميعهم من حيث النظرة المادية للإنسان والنظرة المادية لقيمة الحرية، ولذا فإن طرح هذا الأساس في مثل هذه الدراسة التأصيلية؛ إنما هو من قبيل: بضدها تتميز الأشياء.

٢ - أما أساس الحرية الإعلامية الحقة فهو الدين الحق.. وبعد أن يفنّد المؤلف الأسس الفلسفية والدستورية والقانونية لهذه النزعة المادية؛ يتناول الإعلام الإسلامي على أن له معياره الخاص في الجوانب المنهجية والمهنية، حيث تهيمن عقيدة التوحيد على العمل شكلا ومضمونا، كما أن معيار تحديد الأولويات والاهتمام قائم على أساس الولاء والبراء وهو من لوازم عقيدة التوحيد الخالص، أما معيار تلقي الأخبار فلا يقوم على أساس المصلحة الدنيوية أولا؛ وإنما على أساس القرب الفكري والعقدي للأمة الإسلامية..

وهكذا - كما يقول المؤلف - تحدد الحرية الإعلامية في الرؤية الإسلامية غايات الإعلام وطبيعة النظام الإعلامي وآثار الممارسة الإعلامية، وذلك عندما يتم الاهتمام بالأحداث على أساس القرب العقدي والفكري وليس على أساس المصالح الدنيوية أو القومية أو غير ذلك من المعايير، كما يفسر الصراع والأحداث على أساس الآيات والسنن، كما أن محاكمة الأفكار تقوم على ربطها بأصولها الفكرية وبالخصائص النفسية لمن تُعد هذه الأفكار انعكاسا لخصائصهم، وعلى هذا تعد الحرية الإعلامية قاعدة العمل الإعلامي في الإطار النظري والتطبيقي في مجتمع وصفه الحق بقوله تعالى: ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشّر المؤمنين﴾ (التوبة/ ١١٢)

وإذا كانت هذه الدراسة المهمة للدكتور سعيد بن علي آل ثابت قد قدمت جهدًا تأصيليًا لفكرة الحرية الإعلامية في المجتمع المسلم؛ مقارنة بالمجتمعات المادية؛ فما أحوج المكتبة الإعلامية إلى جهد للكاتب نفسه يقدم فيه رؤيته للساحة الإعلامية الضاجة هذه الأيام والتي تلف أغلب بلادنا الإسلامية بتدفق إعلامي وافد لا تستطيع أعتى الجهود له صدًا أو ردًّا.





د. عبد الله أحمد باقازي

- **العنوان : أوصاف الشعر عند العرب**
- **المؤلف : د. عبد الله أحمد باقازي**
- **الناشر : نادي جيزان الأدبي. ط أولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م. ١١٨ص.**

قال الحجاج الثقفي للشاعر المساور بن هند: «مالك تقول الشعر وقد بلغت من العمر ما بلغت؟» فأجابه: «أرعى به الكلأ، وأشرب به الماء، وتُقضى لي به الحاجة، فإن كفيتني ذلك تركته».

أراد الشاعر أن يقول إن الشعر هو حياتي ذاتها لا استطيع الانفصال عنه، بصرف النظر عن ظاهر كلامه حين قال: «فإن كفيتني ذلك تركته» لأنه ذكر «الماء» ضمن ما ذكر، وليس الماء مما يُطلب عند السلطان.

فالشعر عندالعرب ـ خاصّتهم وعامّتهم - جزء من الحياة، يقولونه وكأنهم يتنفّسون، من هنا استطاع الباحثون أن يضعوا أيديهم على الكثير من جوانب الحياة العربية - قبل الإسلام - من خلال التراث الشعري، دون حاجة إلى «آثار» من الحَجَر أو رسوم - كما في الحضارات الأخرى. ولعل المتتبّع لنقائض الفرزدق وجرير وحدهما، سوف يعثر على الكثير مما كانت تزخر به الحياة العربية في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام من أسماء القبائل

وتحركاتها، ومعاركها وتحالفاتها وقيمها ووصف مناطقها وملابسها وأنواع أطعمتها، بحيث يجد فيها الباحث الاجتماعي بغيته، ويجد المؤرخ ما يستهويه، ويعثر القاصّ الروائي على المادّة الدرامية التي تثير خياله، كما يعثر على التفاصيل الصغيرة للحياة اليومية.

في هذا الكتاب الذي بين أيدينا، غلبت موهبة القاصّ الذي يبحث عن التفاصيل الصغيرة في الحياة اليومية على الدكتور عبد الله باقازي فتتبّع أوصاف الشعر عند العرب لكي يدلنا - دون أن يفطن - على القاصّ الذي في داخله والذي يبحث عن «الأشياء» التي كانت موجودة في البيئة العربية.

بدأ الكاتب فصله الأول بوصف الشعر بالأشياء الثمينة حيث ربط العرب بين جَوْدة الشعر وحُسْن صياغته بكل ما هو ثمين - من ذلك ما رواه صاحب الأغاني عن وصف قريش لشعر «علقمة بن عبدة الفحل» بأنه «سمط»، والسمط هو السلك الذي يجمع حبّات اللؤلؤ - أو غيرها من الأحجار الكريمة - في عقد أو قلادة.

هذا فضلاً عن تشبيههم الشعر بالجوهر أو الذهب حيث ربطوا بين الشاعر البارع في «الصياغة» الشعرية ومهمة «صائغ» الذهب، كما وصف أبو عبيدة شعر النابغة الذبياني بالديباج - وهو نوع من الثياب الفاخرة - وقال عديّ بن الرقاع عن شعر كثير عزّة: «هذا شعر حجازي مقرور إذا أصابه قرّ الشام جمد وهلك» إشارة إلى الثلوج المتراكمة في بعض جبال الشام.

ومما جاء في وصف الشعر بملمح بيئي - كما يقول الكاتب - قول جرير يتحدث عن نفسه وعن الفرزدق والأخطل حيث وصف نفسه في النهاية بقوله: «إني لمدينة الشعر التي منها يخرج وإليها يعود» حيث (المدينة) هنا دلالة بيئية واجتماعية.

ومن ذلك قول «المتنبي» يصف التوافق بين الشعراء ويصف الشعر:

«الشعر جادّة، وربما وقع الحافر على الحافر». وقيل إن الجادّة هي الطريق الأعظم الذي يجمع الطُرق ولا بدّ من المرور عليه، وإن كان أبو حنيفة قد قال إن الجادّة هي الطريق إلى الماء. أما الحافر الذي يقع على الحافر، فليس في حاجة إلى شرح عن حياة الفروسية العربية، أو صلة العربي بجواده.

ومما جاء في وصف الشعر بلمح بيئي واجتماعي قريب من «الجادّة» ما وصف به الأصمعي شعر أبي العتاهية بقوله: «شعره كساحة يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف». كذلك وَصْف أبي العلاء المعري لشعر ابن هانئ الأندلسي: «ما أُشَبِّهه إلاّ برحى تطحن قرونًا لأجل القعقعة التي في ألفاظه».

والثياب، أو الملابس، ملمح حضاري اجتماعي جاء وصف الشعر به حيث وصف صاحب طبقات فحول الشعراء شعر النابغة الجعدي بقوله:

مثله مثل صاحب الخلقان: يُرى عنده «ثوب عصب» وثوب خزّ وإلى جانبه سمل كساء».

وصاحب الخلقان هنا هو الذي يبيع الثياب القديمة، والعصب من أجود برود اليمن، والخزّ هو الحرير، والسمل هو المتهرئ من الثياب.

وكان الأصمعي يمدحه بهذا وينسبه إلى قلّة التكلّف فيقول: «عنده خمار بواف، ومطرف بآلاف»، يعني مطرف بآلاف الدراهم، وخمار زهيد الثمن حيث كان «الواف» من العُملات التي لا تزيد قيمتها عن الدرهم إلاّ قليلا.

ووصْف الشعر بالثياب هنا جاء من واقع المناخ الاجتماعي والحضاري للبيئة العربية وقتذاك.

ولما كانت «الخطابة» من مميزات وجوه العرب، فانظر إلى قول الشريف الرضي في أبي تمام: أما أبو تمام، فخطيب منبر»، ونفس هذا الرأي قاله دعبل الخزاعي: «لم يكن أبو تمام شاعرًا، إنّما كان خطيبًا وشعره أشبه بالكلام منه بالشعر».

أما أوصاف الشعر التي تتعلق بالحروب ودلالاتها من أسلحة وفروسية، فتأمل قول جرير يصف شعر الأخطل: «أما الأخطل، فأشدنا اجتراء وأرمانا للفرائص». كذلك وصف ألفاظ أبي تمام الشعرية بقوله:

«ولهذا ترى ألفاظ أبي تمام كأنها رجال قد ركبوا خيولهم، وحملوا أسلحتهم، وتأهبوا للطراد».

ونجد أيضا وصف الشعر بالحيوان الذي تعرفه البيئة العربية، انظر قول الفرزدق يصف الشعراء:

«إن الشعر كان جَمَلاً بازلاً عظيماً فنُحر فجاء امرؤ القيس فأخذ رأسه، وعمرو بن كلثوم سنامه، وزهير كاهله، والأعشى والنابغة فخذيه، وطرفة ولبيد كركرته، ولم يبق إلاّ الذراع والبطن فتوزعناهما بيننا».

وهناك آراء ساخرة - مستمدّة من البيئة - حيث وصفوا شعر أحدهم بأنه «كبعر الكبش» ووصف البحتري شعر سهل بن نوبخت بقوله: «شعره يشبه مضغ الماء، ليس له طعم ولا معنى».

وبجانب السخرية نجد الإعجاب، يصف الشعر بما حوله من ملامح البيئة حيث قال الأصمعي يصف شعر النابغة الذبياني:

«إن قلت ألْيَن من الحرير صدقت، وإن قلت أشدّ من الحديد صدقت». وقول ابن الأثير يصف شعر البحتري: «وترى ألفاظه كأنها نساء حسان عليهن غلائل وصبغات وقد تحلّين بأصناف الحلى» كذلك قول حماد الراوية يصف شعر عمر بن أبي ربيعة: «ذلك الفُسْتُق المقشَّر الذي لا يُشبع منه».

والكتاب حافل بكل ما تمور به الحياة العربية من أشياء جاءتنا من خلال وصفهم الشعر بها.



د. محمدين محمدين يوسف

● العنوان: قراءات نقدية تحليلية لنماذج من القصّة السعودية في جيزان.

● المؤلف: د. محمدين محمدين يوسف

● الناشر: نادي جازان الأدبي. ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

يقول في مقدّمته: إن القصّة العربية تعيش الآن أزهى أيامها، بعد أن غابت القصيدة التي كان العرب يردّدونها معا كلما ألمّت بهم نازلة بسبب تغيّر شكل القصيدة، لكنه استثنى الشعر السعودي الذي يحافظ أكثر شعرائه على الشكل الذي اعتاد عليه محبّو الشعر، وإن كانت القصّة السعودية لم تبلغ شأو الشعر إلاّ أنها تستدرك الآن ما فاتها حيث نجد في ساحاتها مختلف تيارات القصة القديمة والجديدة. وبعد أن يستعرض روّاد القصة والرواية في الأدب السعودي، وبعد أن يتطرق إلى فرسانها اليوم في مختلف أرجاء المملكة، يقول إن أهل جازان - مثل غيرهم - بعد أن تشرّبوا فن القصة، مزجوه بقيم الكيان السعودي ورموزه، ثم أدخلوه إلى دائرة الإقليمية الأشدّ خصوصية، ويقول لعل القاص محمد منصور المدخلي أكثر الجميع إيغالاً في سراديب هذه الإقليمية ذات الأصباغ الجازانية المحضة، وعلى كل فإن من تناولهم في دراسته هذه، كما يضيف، ينطبق عليهم هذا القول حيث إن لكل منهم عبيره الخاص ونكهته ولونه.

تتناول الدراسة خمس عشرة أقصوصة يقول

الكاتب: إنها برغم محدوديتها تمثّل مدارات القصّة السعودية بشتّى مدارسها تقريبًا وتحمل سمات هذا الفن أو تنبئ عن تشكيلاته الفنّية العامة، بعضها قد نضج واستوى واستقام عوده، وبعضها ما يزال في أول الطريق ولكنه أدرك ما يريد وتكوّنت لديه بصيرة أدبية استقر عليها ويسعى لامتلاك وسائلها، حيث تحمل هذه المجموعة سمات القصّ الكلاسيكي التراثي المتأثر بالحكاية الشعبية «الليالي والمقامات»، كما أن في بعضها خيوطًا من رومانسية عاطفية ممزوجة ببُعد واقعي أو رمزي، وفيها شيء من القصّ الوصفي الجديد المعني بالصورة والتشكيل، وفيها لمسات من الواقعية وما بَعْد الواقعية، ويشتمل معظمها على بُعد نفسي، وفي أكثره اقتراب من التحديث والقصّ الجديد، ويشتمل المضمون فيها على السِّمات المحلية وقضايا البيئة والإنسان..

تناول الكاتب في دراسته أعمال ستّة من القاصّين هم: طاهر عوض سلام، عمر طاهر زيلع، عبد العزيز الهويدي، سهلي سهلي عمر، عمرو العامري، محمد منصور المدخلي. ويقول إن قراءته النقدية لأعمالهم امتزجت بالتحليل والانطباعية، ويضيف في شيء من الدُّعابة أنها قراءة (مُتَلَبِّسة) بالنقد التقليدي مع جانب إبداعي أحيانًا، هي تحليل ومحاولة فهم ثم تفسير، قد يحكم على بعض الأمور إلاّ أن الجانب التفسيري من خلال استنطاق النصوص فقط هو الغالب على هذه الرؤية النقدية.

قدّم الباحث في نهاية كتابه قصتين قصيرتين لكل قاصّ - كنماذج تدل على أعمالهم باستثناء طاهر عوض سلام الذي كتب الرواية ولم يكتب القصة القصيرة. وفي تناوله لأعماله - وبالتحديد آخر رواياته «عواطف محترقة» - يقول إنها ذات مَنْحى واقعي وتشتمل على بصمات من الواقعية النقدية أحيانًا في البناء، وفي النهاية المحبطة التي أبانت أن القاصّ منحاز إلى إرادة التغيير للسلوكيات السلبية التي أدّت إلى افتراق المحبّين على غير توقّع، ويرى أن المؤلّف كان واقعيًا - بالمعنى الفني لهذا المفهوم - خلال وصفه للعواطف المحكومة بضوابط أخلاقية يستدعيها في الوقت المناسب، وفي رأيه أن الرواية ترتكز على التراث في بعض محاورها وحبكتها وبنائها وأخلاقياتها التي تتدخل في الحوار بطريق مباشر لدى أدنى جنوح عاطفي يتعارض مع رؤية المؤلّف، فنحسّ فيها بذورًا من التراث القصصي الشعبي التي يُراعى فيها التوازن الأخلاقي والعاطفي مع النتائج المفعمة بالعظة والنقل من المأثورات نقلاً تسجيليًا، كما أن حِكَمَهُ ليست مُستخلَصة من المقدمات أو المواقف الدرامية حتى كادت لوحاته أحيانًا أن تقترب من المقالة القصصية الاجتماعية.

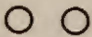
وفي تناوله لأعمال عمر طاهر زيلع يرى أن قصصه ولوحاته تمتح من بئر الرومانسية الجديدة التي لا تختلف إلاّ قليلاً عن التيار الرومانسي القديم، أما لغة القاص فهي شاعرية محلّقة، مكثّفة بالانفعال والمنولوج الداخلي والصور الفنية والجملة الشعرية، يكثر فيها التعليق ويقلّ السرد والأسلوب الخطابي، ويكاد الحوار أن يتحول إلى رموز وشفرات تومىء إلى داخل القاص وتنبىء عنه، بل يكاد الأسلوب الشعري أن يقضي على الحدث القصصي ويدوس على جثمانه، لولا أننا ندركه بمعاناة، يتنفّس بصعوبة خلال عوائق لغوية جمّة، المونولوج الداخلي «الاستبطان» له السيادة والولاية على مجريات الأمور، نرى القاصّ ينكفئ على نفسه بحسرة ولكنه بارع جدًا في نقل إحساسه للآخرين من خلال هذه اللغة الخاصة وليس من خلال دراميّة الحدث القصصي، فهو يكتب القصة الحديثة بأسلوب متفرّد، يسيطر به على الحدث ويمسك بتلابيبه.

حين يتحدث عن أعمال عبدالعزيز الهويدي يرى أنه يشترك مع عمر طاهر زيلع في بعض منعطفات الطريق الوجداني الرمزي ذي الموقف القصصي المحدود، ويبقى العمل مجرد «لوحة قصصية» توحي بأشياء وأبعاد وتُنبئ عن وجهة نظر وخطاب أدبي، لكن الأمر يختلف في لوحات أخرى أوشك فيها أن يستقر على اتجاه جديد، لعله الواقعية النقدية ذات الرؤية الميتافيزيقية، أو الأسطورية السحرية، وإن كانت الاتجاهات الجديدة في القصّة والرواية والشعر وفنون الدراما تَسْتَعصي على التقعيد. فالقصة لدى الهويدي تنطلق من مرتكز واقعي صرف، ثم لا تلبث أن تثير الحيرة والإدهاش، لأنها تمضي إلى مدارات خاصة وأفلاك بعيدة يتعذّر على الناقد تتبُّعها إلى هذه المسارات حيث إنها إعادة جديدة لموجات اللامعقول التي استشرت وعمت الفنون الدرامية والتشكيلية في أواخر الستينيات ثم انحسرت بعد أن خلّفت بقايا.

يلاحظ الكاتب على قصص سهلي عمر أنها ذات طابع تصويري حركي مقرون بكثرة الضجيج الخارجي وصخب الحركة الوصفية، ويضرب مثلاً بقصته «هند والأحلام» التي - كما يقول - تأطّرت في نطاق الصورة التأثيرية التي تُعنى بالهندسة الخارجية ولا يرى فيها حدثًا ما، بل يشاهد حلمًا يكاد يتكافأ مع الحدث الخارجي حيث شكّل القاص هذا الوسط الأدبي المعهود (الحلم) وجعله ذريعة لأحداث مفارقة مقصودة عندما جسّد في الحلم التصويري كل ما تتمناه الشخصية الرئيسة في إطار مشروع، وجعل «الحلم» بديلاً عن المنولوج الداخلي «الاستبطان» لاستخراج مكنونها النفسي من خلال منظور بانورامي حاول فيه القاص - بملكته التصويرية - التي تشبه ريشة الرسام التأثيري الذي يُعنى بالضوء والهندسة وتوضيح المسافات، أن يجعل التصوير كناية تصريحية تُعبِّر عن الداخل العارم بالشوق واللهفة ولكن بطريقة إشباع محترمة.

ينتقل إلى عمرو العامري فيقول: إنه نموذج آخر من كُتَّاب القصّة ذات الرؤية الحديثة، قد يلتقي مع السهلي أحيانًا، إلاّ أنه يفترق عنه أكثر مما يلتقي، لأنه ذو مستوى تحليلي عميق، فعندما يتجه السهلي إلى الخارج نحو الصورة الشاملة الموحية بما يمور في الداخل دون استبطان أو تحليل، يرى العامري يتجه إلى الأعماق ويستنطق الوجدان ويسري إلى أغوار المجهول، نستمع إلى لغته الهامسة وحواره النفسي (المنولوجي) يستبطن الذات بأسلوب شعري، متأثر كثيرًا بالجُملة القرآنية، خلال نقد ذاتي عنيف لا يرحم، لديه حركة متناقضة تولّد الصراع وتؤجّجه، وبطل قصته هذا الفارس العائد من أعماق المجهول استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، داس دونها اكتراث على ماضيه الوارف الظلال.

يقف مع القاص محمد منصور المدخلي، أمام قصته «عرس القرية»، ذات البُعْد الواقعي النقدي الممزوج بالرّمز التي تنحو منحى ما فوق الواقعية في بعض محطاتها، يراه ينطلق من مرتكز واقعي واضح - مشكلة اجتماعية عامة - أجاد ادخالها إلى دائرة الحدث بأسلوبه الشاعري الوصفي - دون تقريرية - من خلال جُمل قصيرة سريعة، تبثّ أحكامًا معرفية، إلاّ أنها تصبّ في دائرة الإشكالية القائمة ولا تحيد عنها، برغم ادّعائها أنها تلتقط أنفاسها خارج دائرة الشكل، إنها إحدى حيل القصّ البنائية الكثيرة التي زرعها في دائرة الحدث المألوف حتى ينأى عن الرتابة.



المآذن في آفاق المدن الإسلامية

○ زعم المستشرقون أن إقامة المآذن هي لتخليد انتصارات سلاطين المسلمين
○ دورات الأذان في مآذن المشرق تختلف عنها في المغرب

بقلم: د. عبد المجيد وافي

ما يزال المسافر في مدن المشرق والمغرب الإسلامية، يرفع بصره كلما مر بمسجد من المساجد، متابعا علو مآذنها، متأملا سمتها وسموقها، مستمتعا بقراءة ما شغل أبدانها من آيات القرآن الكريم، حفرت في الحجارة، أو رصعت بصفائح الخزف الملون «القاشاني»، أو بلاطات الزليج المغربي ـ الخزف الأندلسي ـ. تتخللها زخارف التوريق النباتي، وتغطي نوافذها، وأسوار دورات الأذان فيها مشبكات الرخام أو الحجر، مفرغة ومخرمة على شكل شموس ونجوم تتلاقى أقطارها وأوتارها وتتفرع في استمرار وتتابع بديع. وربما انتشرت في أركانها أعمدة دقيقة الصنع من رخام أو حجارة منقوشة أو مجردة.



فن إسلامي خالص

المئذنة.. ذلك الفن المسلم الخالص، الذي لا ينتسب إلى حضارة سابقة على الإسلام. وربما أخذها عن المسلمين شكلا لا موضوعا، كثير من المعماريين في أوروبا(١). بعد أن عمتها النهضة الحضارية، في القرون المتتابعة منذ القرن الرابع عشر الميلادي إلى





مسجد عمر بن الخطاب في دومة الجندل: عرف الشكل البدائي لمئذنة المسجد النبوي من مئذنة هذا المسجد

مطلع القرن العشرين، بعد أن لمستها يد الإسلام ومرت بعقول علمائه، وعمتها أنوار الثقافة، وبهرتها أشكال العمارة، وأيقظتها حياة الدرس، وصفقت في أرجائها وأرجت آفاقها بعطر العلوم والمعارف.

كيف ومتى ظهرت ؟

ينسب كثير من مؤرخي العمارة الإسلامية وباحثيها (٢) المئذنة في إصرار إلى أحد أصلين: أبراج المعابد الرومانية، أو كنائس سورية والأردن، وهم في ذلك مخطئون جملة وتفصيلا.

لأن الحاجة أم الابتكار، والوظيفة تملي إرادتها وتفرض نفسها على ساحات التنفيذ، والساحة الإسلامية الأولى التي ظهر فيها الإسلام، ونودي فيها بالأذان، كانت خالية من كل المؤثرات المعمارية التي أشار إليها هؤلاء الكتّاب، وفي هذه الساحة كان ظهور بواكير المآذن، ورسول الله ﷺ ما زال بين ظهراني صحابته المؤمنين، يفيض عليهم من وحي الله ويبصرهم بأمور دينهم.

وهذه الدعاوى من هؤلاء الكتّاب، لم تخص المآذن وحدها، بل ابتلعت كل أصالة في عمارة المساجد وعناصرها لتنسبها جملة أو تفصيلا إلى غير المسلمين.

أصل إسلامي ووظيفة تعبدية

والأصل الإسلامي لهذه الأبنية العالية، والذي اشتق من وظيفتها اسمها، هو الأذان: أي النداء إلى الصلوات الجامعة، في كل يوم خمس مرات.

وبدء الأذان كانت له قصة دونتها كتب السنة ومسانيدها، وكملت تفاصيلها كتب السيرة المشرفة. فمن ذلك ما رواه الإمام مسلم بسنده عن نافع عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال:

«كان المسلمون حين قدموا المدينة، يجتمعون فيتحينون الصلوات، وليس ينادي بها أحد، فتكلموا يوما في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: قرنا مثل قرن اليهود ـ قرن حيواني كبير مفرغ كان اليهود يستعملونه بوقا ـ فقال عمر ـ أي ابن الخطاب ـ: لولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة، قال رسول الله ﷺ: يا بلال: قم فناد بالصلاة».

وهكذا تخلص المسلمون من مظنة التقليد والاقتباس واستعمال وسائل غيرهم للإعلام بالصلاة، فصار بلال رضي الله عنه ينادي عند كل صلاة: الصلاة.. الصلاة.. حتى يجتمع الناس للصلاة الجامعة والجماعات الخمس.

ولم يلبث الأمر عند حد النداء على المسلمين، ليجتمعوا لصلواتهم أن لحقه تعديل رباني، عندما رأى بعض الصحابة رؤيا صالحة، استحسن رسول الله ﷺ دلالتها، وأمر أصحابه بعدها بالأذان، وصار يعلمهم إياه.

وكان ذلك التعديل الرباني فيما رواه الإمام أحمد، وأبو داوود ـ بسندهما ـ عن عبد الله بن زيد بن عبد ربه، قال: «طاف بي من الليل طائف وأنا نائم، رجل عليه ثوبان أخضران، وفي يده ناقوس يحمله، فقلت: يا عبد الله: أتبيع الناقوس؟ فقال: وما تصنع به؟ قلت ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على خير من ذلك؟ فقلت: بلى، قال: تقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله. قال: ثم استأخر غير بعيد، قال: ثم تقول إذا أقيمت الصلاة: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، قد



جامع الزيتونة في تونس

قامت الصلاة قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله».

وفي بعض روايات الحديث: لما أمر رسول الله ﷺ بالناقوس ليضرب به الناس في الجمع للصلاة، وهو كاره لموافقته النصارى، طاف بي وأنا نائم. . . إلخ.

قال عبد الله بن زيد: فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ، فأخبرته بما رأيت، فقال: «إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال، فألق عليه ما رأيت فإنه أندى صوتا منك». قال فقمت مع بلال، فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به، فسمع ذلك عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وهو في بيته، فخرج يجرّ رداءه، يقول: والذي بعثك بالحق، لقد رأيت مثل الذي أُريَ، فقال رسول الله ﷺ: «فلله الحمد».

تتابع الأحداث

والخبران يكمل أحدهما الآخر، فمذاكرة النداء كانت واردة، ولكن المسلمين وقد تواردت أمامهم صور نداء الأمم الكتابية وغير الكتابية إلى صلاتها، فلم يستحسنوا تقليد غيرهم في حضرة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فأشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإرسال من ينادي: الصلاة. . الصلاة. . كدعوة إلى حضور الجماعات مع رسول الله ﷺ وجماعة المسلمين.

فلما رأى عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ما رأيا، كان ذلك إيذانا من الله وإلهامًا منه، بانفراد أهل الإسلام بإعلام خاص، ونداء حوى عناصر التوحيد وتمجيد الله تعالى وإكباره، وثنى عليهما بالدعوة إلى الصلاة والفلاح، وأقر ذلك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فأمر بلالا أن يتعلمه من عبد الله بن زيد، ثم لم يلبث الوحي أن أكده، وعلمه رسول الله ﷺ لأكثر من واحد من أصحابه.

هذا بالنسبة للأذان وهو أصل المسألة، والأذان يحتاج إلى مكان ينادى به من عليه، وفي ذلك يحكي ابن سعد صاحب الطبقات متمما صورة الأحداث فيقول فيما ينقله عنه ابن عابدين: يقول: يروي ابن سعد ـ بسنده ـ عن أم زيد بن ثابت رضي الله عنهما: كان بيتي أطول بيت حول المسجد، فكان بلال يؤذن فوقه، إلى أن بنى رسول الله ﷺ مسجده ـ لعلها تقصد إعادة بناء المسجد في السنة السابعة من الهجرة، والتي ذكرها السمهودي فيما ذكر من أخبار عمارة المسجد النبوي. تقول أم زيد: فكان بلال يؤذن على ظهر المسجد وقد رفع له شيء فوق ظهره، يرقى على أقتاب فيه. . . »(٣).

تتمة الدلالة

لكن السمهودي، في كتابه وفاء الوفى (جـ ١ ص ٣٧٥)، يذكر خبرا يعطينا فكرة عن الأماكن الأولى التي كان بلال يؤذن على بعضها، وعن أشكال هذه الأماكن التي أصبحت فيما تلا من الزمان أصلا للشكل المعماري الذي تطور فيما بعد، وعرف باسم المئذنة نسبة إلى الأذان.

يقول السمهودي: إن بلالا رضوان الله عليه، كان يؤذن على عهد رسول الله ﷺ، على منارة في دار حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، التي تلي المسجد، وأنه كان يرقى على أقتاب فيها ـ الأقتاب درج يصعده ـ وإن كان بدار عبد الله بن عمر أسطوان في قبلة المسجد ـ أي خلف جدران القبلة ـ يؤذن عليها وإنها كانت مربعة.

ويبدو من كلام السمهودي أن بلالا كان يؤذن مرات من دار حفصة ومرات في دار عبد





جامع عمرو بن العاص في القاهرة

الله بن عمر، أو كما ذكر ابن سعد في دار أم زيد ابن ثابت، وذلك كله قبل عمارة المسجد النبوي في السنة السابعة من الهجرة، حيث جددت جدران المسجد وسقوفه، ووسع فيه، وعندئذ جُعل في عمارة المسجد مكان فوق سطحه كان يرقاه بلال رضي الله عنه ليؤذن من فوقه.

وهكذا تبين الأمر

وهكذا كانت الحاجة الوظيفية، وهي الإعلام بوقت الصلاة، تقتضي مكانا مرتفعا يرقاه المؤذن صاحب النداء، حتى يرفع به صوته ليبلغ أكبر عدد من جماعة المؤمنين، وكان المرتفع موجودا ومتعددا حسب ما ذكرت الأخبار في كتب السيرة، بعد ما حددت كتب السنة ورواياتها ألفاظ الأذان والنداء.

وتعطي الأخبار أول صورة لأحد هذه الأماكن المرتفعة، وهو أسطوان بيت عبد الله ابن عمر، أنه كان مربعا.

وهكذا شاء الله تعالى ألا يلجأ المسلمون إلى وسائل إعلام أهل الكتاب لصلاتهم، من بوق أو ناقوس، حتى لا تقوم دعاوى مستشرقي العمارة الإسلامية، محتجة على صدق دعاواهم بأداة النداء، واختار الله للمسلمين نداء فذا صادق الانتماء، معبرا عن إكبار الله وتوحيده. والإيمان برسالة محمد ﷺ، ثم الدعوة الرقيقة إلى الصلاة والفلاح كإعلام خارجي من فوق مكان عال مرتفع يسمعه كل الناس، ثم نداء مماثل داخل المسجد عند تمام اجتماع الناس فيه، وهو إقامة الصلاة بنفس الألفاظ مع زيادة عبارة «قد قامت الصلاة».

○ كانت قصاع البخور توضع في الطوابق العالية بمآذن مصر المملوكية.

في عهد عمر بن الخطاب

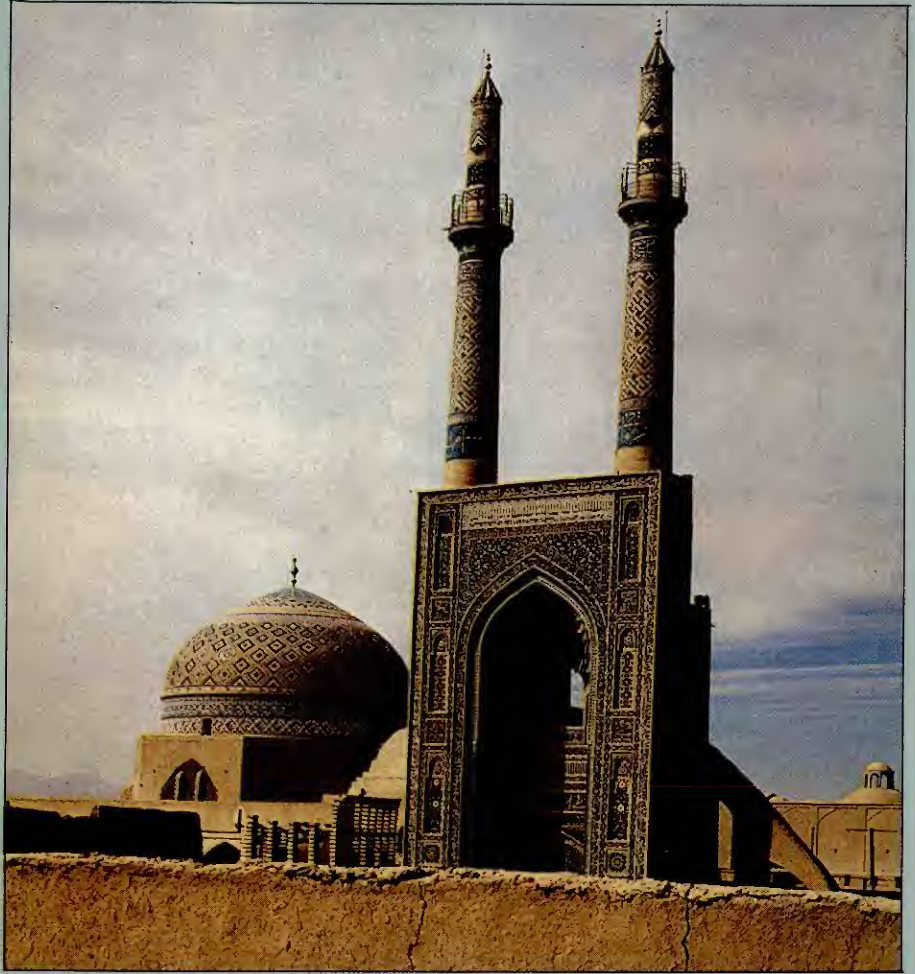
في السنة السابعة عشرة للهجرة، أعاد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه تعمير المسجد والزيادة في أروقته، باستعمال مواد معمرة بدلا من اللبن وجذوع النخيل والسعف وأوراق الإذخر(٤)، فاستعمل خشب الساج والحجارة والقصة ـ الجص ـ وكان للأذان مكان على سطح المسجد.

ويشاء الله أن نعرف شكل هذا المكان المخصص للأذان، من مسجد في دومة الجندل ـ واحة الجوف ـ شمالي الجزيرة العربية، حيث بني مسجد الواحة من الحجارة المنضودة. وفي أحد أركانه المئذنة ذات الطباق الأربع، مربعة البناء تعلوها قبة صغيرة لطيفة، يعزى بناء المسجد وبناؤها إلى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والمسجد وما حوله من خرائب من مكتشفات إدارة الآثار في المملكة العربية السعودية وتسجيلها.

ولعل هذه المئذنة هي أقدم مثال على المآذن الإسلامية في هذا العصر المبكر في شكلها وارتفاعها وخامات بنائها، ومن البديهي لمن يراها أنه لا صلة بينها وبين دعاوى النقل أو الاقتباس من عمائر الرومان أو النصارى في سورية أو الأردن، فهي شكل ينم عن خصوصية عمارة محلية.

المآذن الإسلامية الأولى

فلما كان عام ٢٩ هجرية، أعاد عثمان بن عفان توسعة المسجد النبوي بمواد معمرة عن مواده الأولى على عهد رسول الله ﷺ، بالحجارة المنقوشة والقصة (إعلام الساجد بأحكام المساجد) وكتب بعض آيات من القرآن الكريم بماء الذهب في جدار



أحد جوامع أصفهان، إيران

القبلة، .وكان للأذان مكان مرتفع فوق سطحه ومن فوقه كان يرفع الأذان.

وكـان عمـرو بن العـاص قـد بنى في مصر مسجده العتيق سنة ٢٢هـ بعد تمام الفتح، وبنى مئذنة لمسجده، إلا أن مسلمة بن مخلد الأنصاري لما تولى على مصر سنة ٥٣هـ ٦٢٧م، وجدد جامع عمرو العتيق وقد ضاق بالناس فوسعه توسعة كبيرة، وجعل له أربع مآذن في أركانه الأربعة، وكانت مربعة الإهاب.

وإذا كانت دومة الجندل قد حفظت لنا أطلال مسجد عمر بن الخطاب بمئذنته ذات الطوابق الأربعة **فإن جامع عقبة بن نافع رضي الله عنه بمدينة القيروان في تونس الذي أسسه عقبة سنة ٥٠ هـ ـ ٦٧٠م كأول شيء خطط في ساحة القيروان، ما زال يحتفظ بمئذنته التي بناها بشر بن صفوان عامل الخليفة هشام بن عبد الملك، بناها ١٠٥هـ/ ٧٢٣م ولا تزال محتفظة بشكلها الرباعي المرتفع، دون أن تغير الترميمات المتعاقبة من شكلها الأساسي.**

وفي المدينة المنورة جاء أمر الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨هـ/ ٧٠٦م وكتابه إلى عمر بن عبد العزيز واليه على المدينة، **بإعادة تعمير المسجد النبوي وتوسعته** فتمت العمارة بإشراف صالح بن كيسان معلم عمر ومربيه، فتمت العمارة عام ٩١هـ/ ٧٠٩م، وجعل صالح بن كيسان للمسجد أربع مآذن، في كل زاوية من زوايا البناء واحدة، وتقول كتب السيرة: وكانت بناء مصوما ـ أي مرتفعا عن سطح المسجد.

ولم تلبث أن صارت المئذنة عنصرا معماريا من عناصر المساجد في الأمصار الإسلامية على انبساط رقعة العالم الإسلامي، من أقصى الصين شرقا إلى بلاد الأندلس والمغرب العربي غربا، واختلفت في أشكالها وارتفاعاتها وخامات عمارتها بما سنفصله بعد.

بين المنارة والمئذنة

يطلق بعض المعماريين كلمة المنارة على المئذنة، وذلك لتشابه ارتفاع بنائهما، وإن اختلفت وظيفتهما، والمنارات معروفة لسكان شواطئ البحار، وربابنة السفن الطوافين في بحار الدنيا، حيث تعمل المنارات ليلا على بيان مواقع الموانئ، أو تحذر من أماكنها على الصخور المرتفعة، من خطورة الملاحة في الشواطئ الوعرة، فضلا عن عكس المرايا لأضوائها إلى مسافات بعيدة. ولقد اشتهرت منارة الإسكندرية قبل الفتح الإسلامي لمصر وبعده، حتى دبر الرومان تخريبها على عهد الوليد بن عبد الملك، فتهدم نصفها الأعلى، وظل الجزء الباقي حتى منتصف القرن الخامس الهجري(٥).

وقد استعملت قمم المآذن في بعض المساجد الجامعة استعمال المنائر، في الإعلام بدخول وقت المغرب في رمضان، فكانت ذراها تضاء بالمشاعل وكبار القناديل والشموع الضخمة، فيرى ضوؤها من أنحاء المدن وأحيائها، وتطفأ هذه الأنوار مع أذان الفجر وطلوعه.

ولا تزال بعض رؤوس المآذن المملوكية، في مصر وسورية، يحتفظ بعضها بالكوابيل الخشبية التي كانت تعلق بها القناديل منذ مئات السنين، قبل اختراع الكهرباء. أما الآن فقد استدارت المصابيح الكهربائية، حول دورات الأذان في المآذن، تقوم بما كانت تقوم به قناديل الزيت، وأصبحت الأموال التي كان يوقفها كرماء المسلمين للزيت والفتيل وأجور الوقادين، أصبحت تؤدى لمؤسسات الكهرباء.

ولذلك أطلق اسم المنارة على المئذنة، لما أخذت من وظيفتها، مضافة إلى طبيعة وضعها ووظيفتها من عمارة المسجد.

الصَّومعة

أهل المغرب العربي يطلقون على المئذنة اسم «الصومعة»، ولذلك أصل في كتب اللغة، حيث يقال: صمع البناء جعله عاليا، وجعل له ذروة، وهذا أقرب الأوصاف إلى أشكال المآذن، وخصوصًا المآذن الإسلامية الأولى، قبل أن تتشكل



بـالتشكيلات المعمارية المختلفة عبر دول الإسـلام وعصوره المتعاقبة.

وتطلق الصـومعـة على خَلَـوات الـزهـاد والعباد والـرهبان، التي كـانت تبنى في أماكن عـالية بعيـدة عن العمـران، وكـذلك كلمـة صومع، وتجمعـان على صوامع، وقـد أشارت إلى ذلك المعنى الآية الكريمة: ﴿ولولا دفعُ الله النـاسَ بعضهم ببعض لهدِّمت صـوامع وبيَعٌ وصلوات ومسـاجـد يُـذكَر فيهـا اسمُ الله كثيرا..﴾ سورة الحج / ٤٠.

فإذا جمعنا علو بناء المنارة أو المئذنة، أو الصومعة - كما يسميها إخواننا المغاربة - وانتهاء أعلاها - الصوامع المغربية - بسفافيد (أسياخ الحديد المدببة) في ذراها، إلى غرف المؤذنين تقام في أصلاب هذه الأبنية المربعة العالية، وخصوصًا الغرفة العليا حولها دورة الأذان، كأنها خلوات العباد الزاهدين، ربما كان ذلك كله سببا في تسميتها بالصوامع عندهم.

وتعلو قمة الصوامع المغربية، أعلام ترفع ساعة حلول وقت الأذان نهارا، ليراها من كان على بعد لا يبلغه صوت المؤذن، وليلا ترفع مكان الأعلام قناديل الضوء لتؤدي نفس الوظيفة وهي الإعلام بوقت الصلاة ليلا.

مئذنة جامع القيروان في تونس، ويُرى العلم المرفوع علامة دخول وقت الصلاة وفوقه قائم تعليق القناديل ليلا

وقد ذكر المقري - صاحب نفح الطيب - في الجزء الثاني (ص ٨٩ ـ ٩٠) وصف الاحتفال بليلة القدر في جامع قرطبة الأعظم وحديث ابن صاحب الصلاة - إمام المسجد الجامع - ووصفه لمنارة الجامع القرطبي في الأندلس: «والشموع قد رفعت على المنار رفع البنود، وعرضت عرض الجنود، ليجتلي طلاقة روائها القريب والبعيد، ويستوي في الهداية بضيائها الشقي والسعيد».

وكانت الشمعة الواحدة ربع قنطار أو تزيد وزنا.

أبراج الرباطات ومناراتها

وقد كانت الرباطات - مراكز الحراسة الساحلية والحدود - ومواقع حاميات الجنود في الثغور البعيدة، يشتمل تخطيطها المعماري الحَربي على أبراج وصوامع، فتستعمل للأذان وتذكر الجنود والمرابطين بمواقيت الصلاة، كما تستعمل للحراسة ومراقبة الآفاق، وتستعمل

الظالمين﴾ الأعراف / ٤٤، وقوله عز من قائل: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر..﴾ الحج / ٢٧.

تطور عمارة المآذن

والآن وقد تبينا أصالة وسيلة الإعلام لصلاة المسلمين دون تقليد أو اقتباس، وكيف أملت الحاجة صورة المكان عند بدء الأذان، وكيف تعددت الأماكن أول الأمر حول المسجد النبوي الشريف، ثم توحد المكان ببناء مرتفع على سطح المسجد، يرقى إليه بعدد من الدرجات، وأصبح هذا المكان المرتفع عنصرًا لازما لرفع الأذان من فوق كل مسجد صغير أو جامع، نعود إلى دعوى الاستشراق المعماري لنقول إنها دعوى مردودة تردها حقيقة التجارب التي مرت بالمسلمين منذ هاجر رسول الله ﷺ، وسرعة تطور خامات بناء المساجد وحرية استخدام المساحات المتاحة ورقعة الأرض، بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى، واستمرار الخلفاء الراشدين على خطو رسول الله ﷺ وهديه حتى صار تخطيط المسجد النبوي الأول نبراسا يحتذى، وإن تطورت الخامات والمواد، حتى إننا لنعلم الآن أن كل سارية في مسجد الرسول ﷺ هي في موضع مثيلة لها من جذوع النخيل على عهد الرسول ﷺ وأبي بكر من بعده أو من الخشب المنجور على عهد عمر، أو من الحجارة المنقوشة على عهد عثمان أو عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليهم أجمعين.

وكما فعلت المواد وتطورها في ساحة المساجد وعمارتها، فعلت فعلها في المئذنة التي أصبح تخطيطها جزءا من حساب مخططي المساجد، كما رأينا في مسجد عمر بدومة الجندل «واحة الجوف» بشمالي المملكة العربية السعودية، وقد بنيت وبني المسجد بحجارة منضودة، غير منجورة أو مسواة، وكما رأينا فارق الزمن الذي قارب قرنا من الزمان إلا ربعا، وفعله في مئذنة «صومعة» المسجد الجامع في القيروان والتي بنيت بالطابوق «الطوب المحروق» وكسيت جدرانها بالحجارة



مئذنة جامع أحمد بن طولون في القاهرة

○ ليس صحيحًا أن أبراج المعابد الرومانية أو الكنائس هي أصل المأذنة.

ليلا أو نهارا في المخابرات بالدخان نهارا، وبالنار ليلا كبديل عن وسائل أسلحة الإشارة في الجيوش الحديثة.

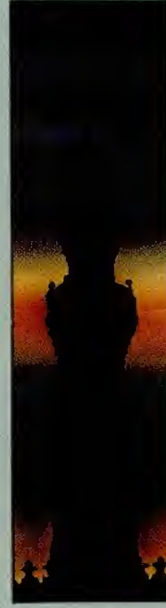
وفي ذلك يقول ابن خلدون في الجزء الرابع ص ٢٠١ من كتابه «العبر، وديوان المبتدأ والخبر»: «إن إبراهيم بن أحمد ــ ٣٦١ هــ/ ٨٧٥م ـ بنى الحصون والمحارس من سواحل البحر، حتى كانت النار توقد في ساحل «سبتة» للنذير بالعدو، فيصل اتقادها إلى الإسكندرية في الليلة الواحدة». وليس معنى هذا أن نيران صوامع سبتة في المغرب الأقصى ترى في الإسكندرية، ولكن صوامع الرباطات وأبراجها، تضيء نيرانها تباعا للإنذار، حتى ترى بالإسكندرية نار أقرب الرباطات إليها.

المئذنة اسم وعلم

ويظل اسم المئذنة هو العلم الأغلب على هذا العنصر المعماري الإسلامي الابتكار، العربي الاشتقاق، على أسطح المساجد الجامعة وغير الجامعة وأكتافها وأركانها.

واشتقاق الاسم من الأذان بمعنى الإعلام بدخول الوقت للصلوات الخمس، وإن استعمل الأذان بمعنى مطلق الإعلام، وذلك ما قصد في قول الله عز وجل: ﴿ وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسولُه﴾ سورة التوبة/ ٣. وقوله تعالى: ﴿ثم أذّن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون﴾ سورة يوسف / ٧٠، وقوله جل شأنه: ﴿فأذّن مؤذن بينهم أن لعنة الله على

المآذن في آفاق المدن الإسلامية



المنجورة المسواة في ارتفاع يقارب ستين مترا.

والمثالان لا شبه بين أحدهما أو كليهما، وبين الأمثلة المدعاة من أبراج الكنائس أو الأبراج الرومانية.

عناصر بناء المئذنة

الناظر إلى بناء أي مئذنة من المآذن الإسلامية ـ على امتداد رقعة بلاد المسلمين ـ وعلى اختلاف طرز عمارتها، يجدها تختلف سمتا وشكلا ووظيفة عن الأشباه المدعاة من أبراج المعابد والكنائس، وذلك لأن الوظيفة والوسيلة مختلفتان، وهما اللتان حكمتا على المعماري باتخاذ عناصر معينة لتحقيق الوظيفة: وهي شمول البلاغ بالنداء، وتمكين الوسيلة وهو المؤذن من أداء النداء كأصدق وأعلى ما يكون النداء، وتدخل هنا إمكانات المؤذن الصوتية مع طول النفس ونداوة الصوت ـ التي اختارها الرسول ﷺ في بلال ـ رضي الله عنه ـ.

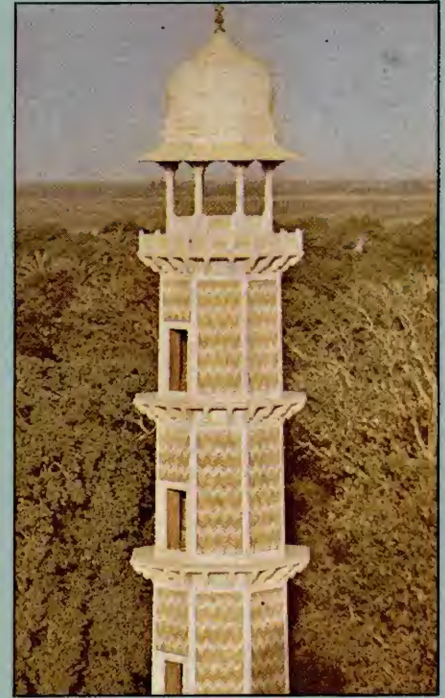
وعلى هذا كان الارتفاع بالبناء أول غرض يفرض نفسه على البناء أو المعماري المصمم، ولبلوغ ذروة البناء للبلاغ ورفع الأذان لزم وجود السلم المدرج، في بناء قد بلغ في المآذن أكثر من ستين مترا ارتفاعا، في مآذن عمرها أكثر من ستمائة سنة في آسيا الوسطى والعراق والقاهرة المملوكية، بينما ترتفع مآذن الحرم المكي الآن فوق التسعين مترا.

ولذلك اعتمد البناء المرتفع على محور هو نفسه قلب درجات السلم المتعاقبة في الارتفاع حتى أعلى نقطة في البناء.

ولا يرتفع البناء مصمتا بلا فتحات في جوانب بدنه، فالهواء والضوء مطلوبان لمعاونة الصاعد إلى هذه الارتفاعات داخل البناء.

وقد عالج البناءون الأوائل ذلك المطلب ـ كما نشاهد في مئذنة مسجد عمر بواحة الجوف السعودية «دومة الجندل» ـ بأن قسموا البناء طوابق، وجعلوا عند قاعدة كل طابق فتحة في الجوانب الأربعة، وذلك حتى آخر البناء. وكان المؤذن يدور على هذه الفتحات، ليلقي كلمات الأذان وحتى يسمع الناس في كل جهة من الجهات الأربع إلا أن المعماريين لم يلبثوا أن أدخلوا عنصرا جديدا على ذلك البناء المرتفع،

منارة قطب الدين أيبك في دلهي بجوار مسجد قوة الإسلام، بنيت ٥٨٨ هـ ـ ١١٩٢م، ارتفاعها يفوق سبعين مترا، بها أربع دورات للأذان تحملها بروز المقرنصات، ويتخلل ارتفاعها نطاقات من الآيات القرآنية بالكتابة الكوفية، والمنارة كلها من الحجارة (تصوير: د. محمد وهبي الحريري)



مئذنة مسجد جهانجير في لاهور، باكستان، من القرن الثامن الهجري.

وهو دورة الأذان التي كانت تعد ثورة في تخطيط المآذن وبنائها في المشرق الإسلامي حتى حدود برقة.

وبرزت الدورة عن بدن المئذنة تطيف بها، ولها سور متوسط يحجب الواقف فيه عن السقوط، يحمل بروزها كوابيل مبنية، أو أكتاف البناء من أدنى بينما يضيق البدن بعد كل دورة عما أدناه.

ثم لم يلبث المعماريون المسلمون أن ابتكروا عنصرا معماريا، صار وسيلة للانتقال بين مستويات الواجهات والارتفاعات، متخذا شكلا زخرفيا رغم أنه عنصر وظيفي، ذلك العنصر هو حنايا المقرنصات التي يمكن اتخاذها في السطوح المجوفة أو المقببة أو المسطحة على السواء، فاكتسب ارتفاع المآذن جمالا ببروز الدورات على مدرجات المقرنصات.

فنون المعماريين

ولم يكتف البناؤون ومخططو عمارة المآذن بالسُلّم في داخل المئذنة كعنصر ارتكاز ووسيلة للارتفاع، حسبت ارتفاعات النوافذ مع تدرج

مسجد الشاه جهان في دلهي، الهند (تصوير: د. محمد وهبي الحريري)

ارتفاعه على جوانب البدن، بل زادوا الأمر تعقيدا هو في حقيقته تمكن حِرفي رائع بديع، حينما صار السلم المحوري في المئذنة الواحدة، محورًا ومرتكزا لسلمين يدوران داخل المئذنة من أدناها إلى أعلاها، ولكل فتحات على دورات الأذان، دون أن يلتقي الصاعد في أحدهما مع الصاعد في الآخر، والخارج من باب مع الداخل في الآخر.

وجد هذا الابتكار في بعض مآذن الأندلس، والمآذن المملوكية في مصر، وأقرب مثال لذلك مئذنة السلطان الغوري (٩١٥هـ/١٥١٥م) ذات الرأسين المطلة على صحن الجامع الأزهر الشريف.

مئذنة سامراء ومئذنة ابن طولون

وعندما أمر المتوكل العباسي (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ، ٨٤٧ ـ ٨٦١م) بتخطيط مدينة سر من رأى ـ سامراء ـ كان المسجد هو قلب

المآذن في آفاق المدن الإسلامية



التخطيط العمراني، وبدأت مئذنة المسجد في الارتفاع إلى جانبه ٢٣٥هـ - ٨٥٠م في شكل لم تعرفه المآذن قبلها، حيث كان السلم يدور حول بدن المئذنة دورانا متدرجا إلى أعلى، كأنه حلزون، ولا تزال بقايا هذه المئذنة بجوار أطلال المسجد في سامراء وقد اشتهرت بالملوية.

وتروي بعض الأخبار أنه كان باستطاعة فارسين متجاورين صعود مدرجات السلم الدائري. ولكن الرياح التي تعصف بقمة المئذنة على ارتفاع ستين مترا ربما أطاحت بالفرسان وما يركبون. وقد بنيت هذه المئذنة بالطابوق ــ الطوب المحروق ـ كأغلب مباني العراق وآسيا الوسطى.

ولما خطط أحمد بن طولون مدينة القطائع ـ أحد أحياء القاهرة الآن ـ جعل مسجده الشهير قلب المدينة، وكانت عمارته ٢٦٥هـ/ ٨٧٩م حيث بنى المسجد الجامع من طوب محروق، وأروقته من عقود (أقواس) حملتها أكتاف مربعة من الطوب المحروق كسيت بعد ذلك بزخارف الجص. وللمسجد منارة ـ مئذنة ـ ذات سلم خارجي، تختلف في بنائها من حجارة منجورة كبار عن بناء المسجد، والمشهور فيما ذكره المقريزي وغيره من مؤرخي مصر الإسلامية، أن سلم المئذنة ـ منذ أول عمارتها ـ كان من خارج البناء، حتى شبهوها بملوية سامراء.

إلا أن مظهر المنارتين والسلمين الآن يختلفان تماما، ذلك أن جامع ابن طولون كان قد وصل إلى حالة من الخراب الكامل في بداية العصر المملوكي، وصار مأوى للفارين أثناء غارات المماليك بعضهم على بعض.

ويومًا نذر «لاجين المنصوري» ـ بينما هو يحتمي بخرائب المسجد ــ لئن مكنه الله، ليعيدنّ إلى هذا المسجد العظيم رواءه وبهاءه، ويعيد إليه عمرانه، وقد مكنه الله، فتم ذلك سنة ٦٩٦هـ-١٢٩٦م.

ولعل ذلك الاختلاف الظاهر في المنارتين الآن راجع إلى ذلك الترميم الذي احتفظت بعده مئذنة أحمد بن طولون بشكلها الحالي دون تغيير، فالمئذنة مربعة القاعدة من الحجارة الكبار إلى ارتفاع أكثر من عشرين مترا، يتخلل واجهاتها الأربع نوافذ توأمية «أندلسية» مزدوجة مصمتة، ويرتفع بدن المئذنة بعد ذلك مستديرا إلى ارتفاع يقرب من عشرة أمتار، والسلم يدور حولها من الخارج، ثم ترتفع المئذنة مثمنة مبنية بالطوب إلى طابقين على طراز المآذن المبخرية ـ مما سنورد ذكره بعد ـ ينتهيان بقبة مفصصة صغيرة، قمتها على ارتفاع أربعين مترا من سطح الأرض.

والجمع بين الحجارة المنجورة والطوب المحروق كان من أساليب البناء في العصر المملوكي والعصر الأيوبي قبله.

دورات الأذان

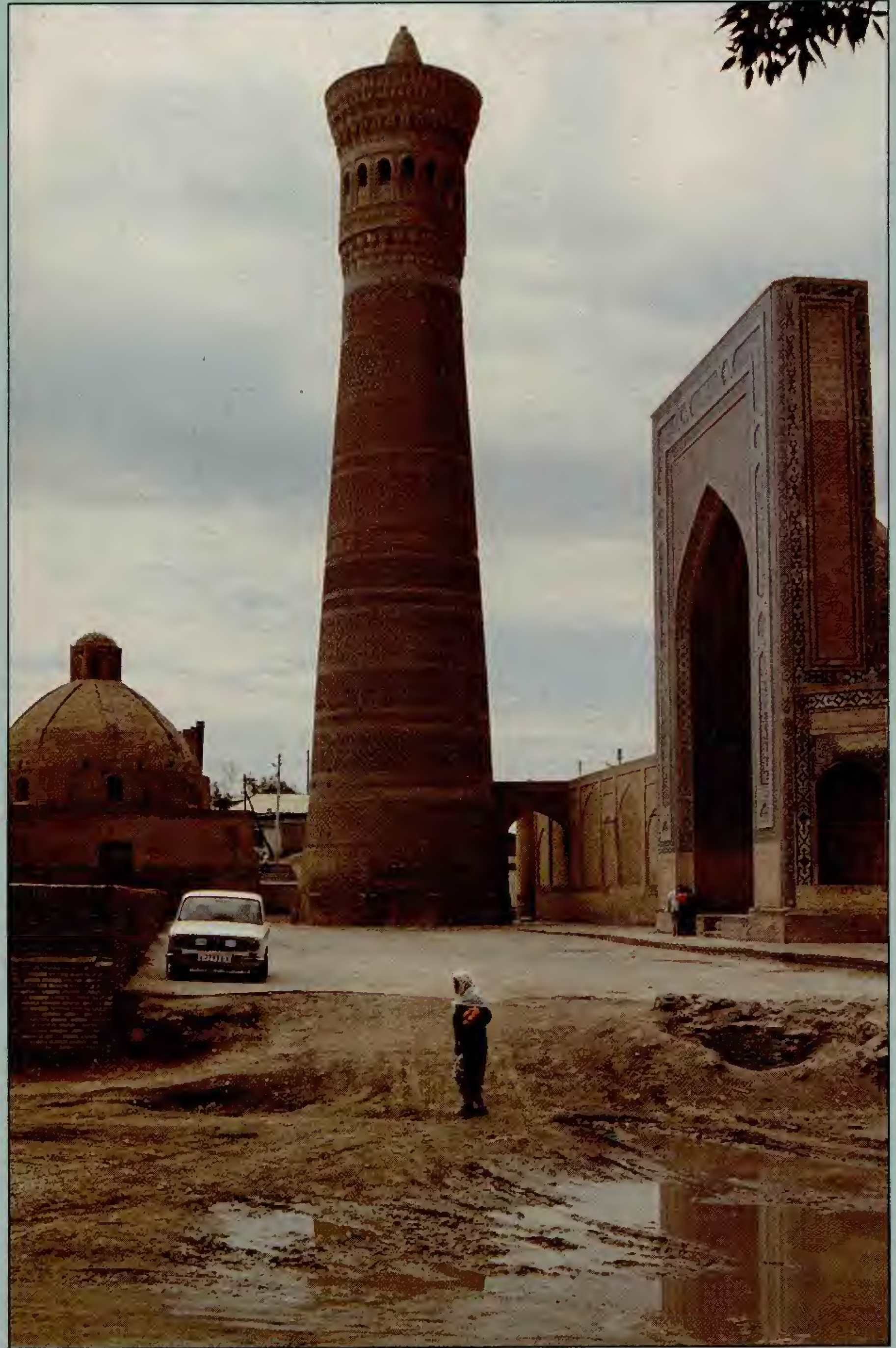
اتفق توارد الخواطر بين المعماريين والبنائين، لمساجد الإسلام الأولى، على ابتكار دورة المؤذنين، ولكنهم اختلفوا في طريقة التنفيذ. ومن هذا الاختلاف، مع تغاير الشكل العام لكل مئذنة، عرف طراز المآذن وانتسابها إلى عصورها، وبلاد الإسلام شرقا وغربا.



مئذنة لأحد مساجد الجزائر

فالمآذن المغربية، أو الصوامع كما يطلقون عليها، مربعة الأبدان من قاعدتها إلى قمتها ـ اقتداء بالنماذج المبكرة لمآذن الإسلام ـ ومرتفعة البناء بحيث بلغ ارتفاع صومعة جامع القيروان فوق الستين مترا، وارتفاع صومعة مسجد أشبيلية الجامع بالأندلس فوق سبعين مترا.

ودورات المؤذنين في هاتين المئذنتين هي قمة البناء، يتوسطها الجوسق العلوي، وهو



جامع ومدرسة ومنارة كايلان في بُخارى، من القرن ١٢ ـ ١٦ (تصوير: د. محمد وهبي الحريري)

مربع أيضـا تعلوه قبة الذروة، يتـوسطها سفود معدني بـارتفاع مترين تقـريبا يحمل تفـاحات نحاسية مـذهبة، متدرجة في الحجـم أصغرها أعـلاها، لها بـريق في ضوء الشمس يبـدو من أبعاد كبيرة.

والمؤذن عنـدما يصعـد للأذان نهارا، يبـدأ برفع علم على قائم متصل بأعلى الجوسق، يُرى من أبعـــاد وأبعـــاد، لمن لا يسمع صـــوت المؤذنين، ولا تزال هـذه العادة قائمـة في تونس والجزائر والمغـرب، حتى بعـد ظهـور مكبرات الصـــوت، وبعـــد ذلـك يسترسل المؤذن في النداء، يطـوف بقمة الصومعـة حول الجوسق العلوي ليـواجه الجهات الأربع، ويُـرفع مكان العلم ليلا قنديل كبير.

وعلى ذكر صومعة المسجد الجامع بأشبيلية الأندلسية، فإنها إحدى ثلاث مآذن، بنيت في عصر أبي يعقـوب المنصـور الموحـدي، أشهـر أمراء الموحدين الذين حكموا المغرب والأندلس معـا، بنيـــت ـ ٥٩٣هـ/ ١١٩٧م ـ هـذه الصوامع الثـلاث هي مئذنة جـامع الكتبية في مـراكش، ومئذنـة جامع حسـان في الربـاط، ومئذنة جامع أشبيلية بـالأندلس، بناها جميعا العـريف أحمد ابن بـاسـة «المهنـدس» الـذي خطط المساجد الثلاثة.

ويشاء الله أن تبقى صومعـة جامع الكتبية في مـراكش، يتردد أعـلاهـــا اسم الله والنـداء للصلاة حتـى الآن، بينما هدم الزلـزال نصف صـومعة حسـان وخرب الجامع، وظل جـامع أشبيلية، حتى احتل القشتاليـون أشبيلية سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م، وهدم الإسبـان المسجـد الجامع وبنوا مكـانه كاتدرائية، وبقيـت ساحة المسجـد «صحنـه المكشـوف» بعقـوده وأزيل الجوسق العلوي للصومعـة، وبني مكانه بيت الأجـراس، ثم وضع على ذروة بيت الأجـراس تمثال دوار مع الرياح وذلك عام ١٥٦٨م.

وصومعة أشبيلية يصعد إلى أعلاها بمدرج قرميدي بدلا من السلم عريض يمكن لفارس راكب أن يصعده مستريحا إلى أعلى الصومعة، يصعده المؤذن ـ رغم علوه ـ دون إجهاد.

ومؤذنـو المغرب والأنـدلس يصعدون قبل الفجر بمدة، وفي قلب الجوسق العلـوي غرفة للمـــؤذنين، ومـن ذلك الارتفـــاع الشــــاهق يشاهدون الفجر الصادق فينطلقون بالأذان.

مآذن المشرق

لكن دورات الأذان في مآذن المشرق أخذت وضعا مختلفا في أكثر هذه الأبنية العالية، حيث طـوّر البنـــاءون أشكـال المآذن من القـــاعـدة المربعـة، إلى أبـراج بعضهـــا دائري وبعضهـــا مثمن، وبــرزت الـدورات عن أبــدان المآذن محمولة على كوابيل البناء أو حطّات «درجات» المقرنصات.

وأبدع كل بناء في إقليمه في استخدام المواد البنائية المتاحة له، فرأينا على امتداد المشرق من

المآذن في آفاق المدن الإسلامية



جنوب الاتحاد السوفييتي حيث الجمهوريات المسلمة، إلى سورية ومصر مآذن بنيت بالطوب المحروق، وأخرى بنيت بالحجارة وغيرها بنيت بالرخام، وفي المملكة العربية السعودية مآذن ومساجد بنيت بالبازلت الأسود.

وارتفعت المآذن تحمل دورة واحدة على الارتفاعات الشاهقة في مآذن بخارى وسمرقند وأذربيجان، بينما تعددت الدورات في المئذنة الواحدة في باكستان وأفغانستان، واشتملت مآذن أصفهان وغيرها من مآذن إيران على دورة واحدة في قمة المئذنة يغطيها ساتر من الأمطار والسيول. وقصرت مآذن العراق عن مآذن إيران، وإن شاركتها في الدورة الواحدة.

كل ذلك في المآذن التي بنيت بين القرن الثالث الهجري إلى مطلع القرن الماضي، بينما تناقلت الطرز في هذا القرن نتيجة انتقال الخبرات والمصممين والمهندسين، وانتقال الأساليب والتصميمات.

مآذن مصر المملوكية

تعتبر المآذن المصرية طرازا رشيقا بين المآذن في العالم الإسلامي. وتحتفظ القاهرة باعتبارها عاصمة لمصر الإسلامية بنماذج متعددة تحكي تطور المئذنة في مصر، ولذلك رأينا مآذن أيوبية ومآذن مملوكية ومآذن تركية الطراز وأقدمها جميعا المآذن الأيوبية، التي ألقت ظلها وتأثيرها على بداية العهد المملوكي، ومئذنة الصالح نجم الدين أيوب في نهاية الصاغة وبداية النحاسين من شارع المعز لدين الله، ومئذنة بيبرس الجاشنكير بالجمالية، تعدان مثالا على الطراز الأيوبي في مآذن القاهرة، وإن كانت الأخيرة من العصر المملوكي.

وقد سميت قمم هذه المآذن بالقمم المبخرية حيث تشكل فتحات الجوسق العلوي شكل مبخرة ضخمة، وكانت قصاع البخور توضع في هذه الطوابق العالية في المواسم الدينية والأعياد ورمضان، ويشعل البخور بينما يرتل المنشدون آيات القرآن وأشعار الصوفية من أعلى دورات الأذان، وكانت تلك المآذن قصارا بحيث لم ترتفع إلى أكثر من ثلاثين مترًا.

المآذن الحجرية

ولم تلبث عمارة المدارس والمساجد أن تطورت وأدت حجارة المقطم والجبل الأصفر دورها في العمارة المملوكية ـ مدارس ومساجد وخانقاوات وقصور ـ وبرزت فنون النحت الحجري في واجهات المدارس والمساجد والخانقاوات والبيمارستانات، وكلها منشآت مسجدية أضيفت إليها وظيفة عامة إلى جانب الصلوات الجامعة.

وأصبحت المآذن شامخة الارتفاع تحمل دورتين أو ثلاث دورات بنيت بتعاقب الحجارة الرملية «الصفراء» والحجارة الجيرية البيضاء، تتخلل ارتفاع البدن من الخارج النوافذ والشرفات الجانبية، بين تتابع الدورات، دون أن يخلو مسطح من مسطحات البدن من آيات القرآن الكريم حفرت حفرا بارزا على حجارة البناء بخطوط الثلث أو الكوفي، من أدنى قاعدة المئذنة إلى أعلى ذروة فيها.

وقد ذكرتُ ابتكارات البنائين من تعدد السلم داخل المئذنة الواحدة، ولكن أعجب ما يروق الناظر إلى المآذن المملوكية، تلك الجواسق العليا من المآذن ذات الذرا البصلية الرشيقة الرقاب، محمولة على أعمدة رخامية أو حجرية ثمانية رشيقة، في توازن رائع لم تؤثر عليه الزلازل أو السنون، بينما سقطت غيرها لخلل في التوازن المعماري عند البناء أو بعده بقليل، كما حدث لمآذن مدرسة السلطان حسن بالقلعة حيث كان في تخطيط المدرسة أربع مآذن، اثنتان على جانبي المدخل، واثنتان على الواجهة الشرقية، ويذكر المقريزي أن مئذنة من مآذن المدخل سقطت في ربيع الثاني ٧٦٢هـ فعدل السلطان حسن عن بناء الثانية، وبقيت المنارتان على أكتاف الواجهة الشرقية وافتتحت المدرسة في حياة السلطان الذي قتل في جمادى الأولى ٧٦٢هـ/ ١٣٦١م. وفي سنة ١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩م أي بعد ثلاثمائة عام ونيف، سقطت المنارة البحرية وبقيت القبلية شامخة حتى الآن، وارتفاعها عن مستوى الطريق حول المدرسة قريبا من ٩٠ مترًا وعن صحن المدرسة ٦٠ , ٨١ مترا وهي من أضخم المآذن المملوكية وأكثرها ارتفاعا، وقد حفلت واجهاتها المثمنة بالروائع من الحفر الحجري، بينما تناسقت نسب ارتفاعات قطاعاتها بين الدورات.

ورغم دخول العصر التركي في مصر بين العصر المملوكي والعصر الحديث فقد دأبت الإدارة الهندسية في وزارة الأوقاف على الالتزام في مساجدها بالمآذن المملوكية ذات الأعمدة الرشيقة الحاملة للجوسق العلوي، وإن اختلفت مواد البناء حيث دخلت الخرسانة المسلحة والحجر الصناعي في عمارة المساجد ودور المناسبات (الأفراح والعزاء) التي أصبحت تبنى بجوار بعض المؤسسات المساجدية الحديثة.

ويعتبر شارع المعز لدين الله من أحفل شوارع القاهرة القديمة بنماذج المآذن الحجرية المملوكية، وفيها نرى إبداع الحجارين والبنائين، في أشكال البدن المستدير أو المثمن أو المربع القاعدة، أو الكامل التربيع من قاعدته إلى قمته.

مدرسة بي بي خانم في سمرقند، من سنة ١٣٩٩ ـ ١٤٠٤م (تصوير : د. محمد وهبي الحريري)

ذرا المآذن المملوكية

ومما تميزت به مآذن الحجارة المملوكية، افتنان الحجارين والبنائين في إنهاء الجواسق العلوية بأشكال متعددة، فرأينا الذروة ذات الشكل البصلي مفردة رشيقة الرقاب، أو متعددة متنوعة الأحجام.

ومئذنة السلطان الغوري المطلة على صحن الأزهر، مثال للمآذن ذوات الرؤوس المزدوجة، وتماثلها مئذنتا قاني باي الرماح بميدان القلعة، وحي الناصرية بالسيدة زينب.

وميدان القلعة ميدان حافل بحشد من المآذن المملوكية الشامخة الارتفاع، الحافلة بالحفر الدقيق.

ولقد كانت مئذنة مدرسة السلطان الغوري ـ أول الغورية ـ ذات رؤوس أربعة، ولكن القمة تهدمت في العصر التركي فرممت بالطوب ولكن على غير طرازها الأصلي، وتعتبر مآذن السلطان الغوري ومسجد محمد بك أبي



جامع الكتبية في مراكش، المغرب، ومئذنته إحدى ثلاث مآذن بناها المهندس ابن باسه.

الذهب ومسجد السلطان الحنفي، مآذن فريدة في عصرها إذ بنيت مربعة الأبدان منذ إنشائها.

مآذن شرق آسيا

أبدع بناءو المساجد في سمرقند وبخارى وأفغانستان وباكستان في استعمال الطوب المحروق، كعنصر بنائي، لم يلبث في أيديهم أن أصبح عنصرا زخرفيا وبنائيا معا، غنيًا بالتشكيلات الهندسية والنباتية، ساعدهم على ذلك ضخامة المآذن وارتفاعها، واتساع واجهات المساجد وسعة أبوابها ونوافذها، حيث ترتفع بعض هذه المآذن إلى أكثر من ثمانين مترا، تعلوها دورة واحدة مسقوفة، تنتهي بقبة مناسبة.

والبناءون قد برعوا في تشكيل العبارات الدُعائية وآي القرآن الكريم، مكتوبة بقوالب الطوب بأساليب متعددة من القلم الكوفي المربع والمزهر والمضفّر، تارة على أشكال نطاقات وأفاريز دائرة على بدن المئذنة، على مسافات متناسبة مع الارتفاع، وتارة كغشاء يلف البدن كله من أدناه إلى أعلاه، وربما عمد صناع الطوب المحروق ـ وبطلب من البنائين ـ إلى طلاء الطوب في الحريق الثاني (٦) بألوان



متعددة حتى تبدو قوالب الطوب متميزة بألوانها المتناسقة، تبدو لامعة براقة من آفاق بعيدة.

القرآن الكريم على أبدان المآذن

ولعل أبدع ما بنى بناءو الطوب المحروق من أفغانستان، في عصر سلاطين الأويغوريين ـ منتصف القرن السادس الهجري ومطلع القرن الثالث عشر الميلادي ـ هي المئذنة الفريدة الشامخة، في طريق القوافل شمالي أفغانستان، بين أطلال مدينة «جام» عاصمة الغوريين.

والمنارة من قاعدتها إلى ذروتها ترتفع قريبا من ٨٠ مترا، ذات دورات ثلاث سقطت شرفاتها، وبقي البدن المخروطي سامق الارتفاع، حافلا بأشغال الزخارف والكتابات، عمادها الطوب عنصر البناء.

وقد برزت قدرة البناء المعمارية والزخرفية متجلية من خلال حافظته القرآنية، حيث كتب البنّاء على ثلث البناء الأدنى، في تشكيل هندسي رائع، سورة مريم، بخط كوفي زخرفي فائق الإبداع، توزعت آياتها في نطاقات متقاطعة ومتعاقبة تتخللها زينة زهرية وهندسية خارقة الجمال دونها وشي الثياب «الدنتلا» المفرغ.

وأفرد البناء لاسم الآمر بالإنشاء: «قطب الدين أبو الفتح محمد بن شاه غياث الدين» بافريز عريض يبلغ ارتفاعه ثلاثة أمتار، تحت كوابيل «حوامل» الدورة الأولى للمنارة، وقد طليت قوالب الطوب الكاتب باللون الأزرق الفيروزي «التركواز»، كما تميزت الحروف المؤرخة بحجمها الكبير عن كتابات آي سورة مريم التي شغلت ما يعادل طراز التاريخ أكثر من خمسة أضعافه مساحته.

ويحلـــو لكثير من مستشرقي العمارة الإسلامية، أن يعتبروا إقامة مثل هذه المآذن العظيمة من أساليب تخليد انتصارات سلاطين المسلمين وأمرائهم، فقد نسبوا ذلك في منارة «جام» الأفغانية، ومنارة أو صومعة المنصور في أشبيلية(٧)، وكأنما المساجد لا تنشأ إلا تخليدا للانتصارات، عجبا لهؤلاء المستشرقين.

مآذن الخزف الملون

عندما ينتقل المسافر من أفغانستان غربا إلى إيران والعراق، يجد أن عمارة المساجد والمدارس قد كسيت واجهاتها ـ من الداخل والخارج ـ بألواح الخزف الملون، وارتفعت على جوانب واجهاتها المآذن المستديرة ذات الدورة الواحدة، ارتفعت كأذرع الداعين لرب العزة، وهي فعلا ذراع المسجد التي ترتفع بالنداء للصلاة، وبين كل مئذنتين قبة ضخمة كسيت بالبلاط الخزفي الملون «القاشاني».

والبلاطات الملونة ليست مجرد لون، إذ إن بريقها يخطف الأبصار من أبعاد كبيرة، ولكن القادم لا يلبث أن تشده رشاقة الحروف المتشابكة، تقرأ سورا بأكملها من سور القرآن، يشاهد ذلك في تبريز وأصفهان وكرمان وطهران وقم، وتنتهي الرحلة في كربلاء والنجف ومشارف بغداد.

ولقد تميزت بعض المآذن والقباب بلون الغضار المذهب في قباب مساجد الأئمة ومآذنها، واللون الغالب على البلاط الخزفي هو الأزرق واللازورد، تتميز في صفحاته سطور الكتابة باللون الأصفر الذهبي أو الأبيض، بينما زخارف التوريق النباتي والتشبيك الهندسي عمادها الأحمر القرمزي وفروع الأخضر والبرتقالي.

والعجيب أن مؤرخي العمارة يعرفون أن هذا الغنى الفني والإبداع اللوني، وروعة التشكيلات الكتابية والزخارف الهندسية، كانت الملهم الحقيقي لفنون الباروك والركوكو عند الغربيين، مما ظهر في كاتدرائيات القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين في أوروبا. ورغم معرفتهم هذه الحقيقة، فإنهم ينكرون أصالة العناصر المعمارية الإسلامية، كالمآذن والمحاريب والعقود والقباب، وأساليب تخطيط المساجد التعليمية ودور الإيواء ـ الخانقاوات ـ والمساجد العلاجية ـ البيمارستانات.


المئذنة الملوية في سامراء بالعراق

وقد نافس عرفاء البناء «المهندسون» المسلمون في آسيا الوسطى إخوانهم في الشرق الأوسط، في نكت العمارة وطرائفها الوظيفية في تنويع دورات الأذان، وازدواج السلالم، بين الدورات، وإبداع سواتر دورات الأذان،

وسلالم المآذن المزدوجة أو مداخلها المتعددة من أدنى المنارات أو أعلاها.

والخزف الملون كانت لـه وظيفـة جمالية ووظيفـة معمارية، وذلك لأن الشتاء في هـذه البلاد مدرار المطر لأيام طويلة، وربما تخلله البرد والثلج، وعماد البناء هو الطوب المحروق، وبقاء سطوحه بلا ستائر يؤثر على طبيعة البناء، ولذلك عمد البناءون إلى كساء الأبنية المساجدية - وهي عمائر واسعة وشامخة بذلك البلاط لينزلق المطر والثلج على أسطحه الملساء إلى مسارب وصهاريج خاصة.

ويعتبر مرأى هذه الساحات ساعة المطر أو بعده من الرؤى التي تهز القلوب حيث تكاد الآيات المكتوبة على المآذن والواجهات تنطق بآيات إبداع البنائين، من خلال آيات إبداع القدرة الإلهية في بهاء المباني ورهبة الجبال وعنف الأمطار والثلوج ولمعان البرق وهزيم الرعود، حيث يصب كل ذلك خشوعا لله وخضوعا خلال الصلوات في هذه الساحات المباركة.

مآذن الأتراك

وإذا انتقل المسافر إلى ساحات الأناضول وآسيا الوسطى وشرق أوروبا حتى يستقر في «إستانبول» حيث حكمت الدولة العثمانية ونشرت حضارتها الإسلامية، وتركت بصماتها على المدن المفتوحة، وخصوصًا القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية، والتي تحولت إلى إستانبول «إسلامبول» بعد فتح السلطان محمد لها ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م إلى أعظم العواصم الإسلامية، بما أقيم فيها من مساجد ومعاهد وخانقاوات وبيمارستانات.

حيثما ينتقل المسافر يواجه مشاهد رائعة لانتشار المآذن في الآفاق والهضاب والتلال، في وديان الأناضول ورباها وشواطئ الدردنيل والبوسفور، تلك المآذن الشاهقة الدقيقة الأبدان، تحيط مثنى ورباع وسداس بالقباب العثمانية المشهورة.

وترتفع هذه المآذن من المرمر الأبيض الناصع في إستانبول، ومن الحجارة الرملية في قونية وأزمير وأرضروم وأنقرة، مضلعة الأبدان أو مستديرة، يقطع ارتفاعاتها بروز الدورات عن البدن السامق في رشاقة منقطعة النظير، منتهية بعد دورتين أو ثلاث برأس مخروطي ينتهي بالبيرق والهلال المذهبين.

○ الإبداع الفني للمسلمين كان الملهم الحقيقي لفنون الباروك والركوكو عند الغربيين



مئذنة بأصفهان

وإذا كانت مآذن إيران والعراق كلها مسقوفة الدورات، فإن المآذن التركية ظلت بلا غطاء، مما دفع إلى التساؤل عن السر في هذا مع كثرة الأمطار والثلوج. وقد كشف عن السبب إيمان الأتراك الشديد - حتى في عصر الحقبة الكمالية وما تلاها من بلاء - مما دل على تمسك الأتراك بالإسلام، والمؤذنون يعتبرون أنفسهم بالأذان من هذه الارتفاعات الشاهقة مجاهدون في الحفاظ على شعائر الإسلام الحنيف.

وفي أجواء الشتاء العاصف كان المؤذنون يصرون على الأذان من أعلى الذرا ولهم رواتب من أوقاف خاصة، منفردة عن أوقاف كل مسجد، مايزال هؤلاء المؤذنون قائمين على عملهم حاضرين عند كل صلاة، حتى بعد انتشار - مكبرات الصوت.

تعدد المآذن وتعدد دورات الأذان

عندما تحدد الأذان وسيلة للإعلام بدخول وقت الصلاة، كلف رسول الله ﷺ بلالاً بالأذان لنداوة صوته، ولكنه ﷺ لم يلبث أن علّم الأذان لغير واحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

فقد روى مسلم بسنده عن نافع عن ابن عمر قال: «كان لرسول الله ﷺ مؤذنان بلال وابن أم مكتوم الأعمى».

قال النووي في شرح مسلم، مؤذنان يعني بالمدينة وفي وقت واحد، كما كان أبو محذورة مؤذنا لرسول الله ﷺ بمكة وسعد القرظ أذن لرسول الله ﷺ بقباء.

ولما اتسعت المدن الإسلامية، واتخذت للمساجد مآذن متعددة وقد تفرقت المآذن في أركان المساجد، استحب العلماء اتخاذ عدد من المؤذنين قدر حاجة البلاغ، وكان الليث بن سعد - إمام أهل مصر - لا يمنع أذان المؤذنين جمعا في وقت واحد وبصوت واحد، وبذلك قال النووي، إن لم يكن في اجتماعهم تشويش، فإذا كان المسجد متسعا كبيرا أذنوا



في أقطاره، وإن اتسع الوقت ترتبوا في الأذان، وجرى العمل بذلك في المدينة المنورة إلى عهد قريب.

ثم تعددت الدورات وحبست الأوقاف بعدد الدورات للمؤذنين في المنارة الواحدة كل يؤذن منفردا متتابعين، أو مجتمعين كما ذكرنا. ولما تعددت المآذن والدورات، رأينا المؤذنين يكثرون في المسجد الواحد كما ذكرت عن جوامع إستانبول.

تعدد وظائف المآذن

ولم تقتصر المآذن على البلاغ الشرعي وهو الأذان، بل كان المؤذنون يسبقون أذان الفجر بأشعار المدائح النبوية والتسبيح، فإذا حان وقت الصلاة صاحوا جميعا من أعلى المآذن «طلع الفجر»، ثم بدأوا بالأذان. وفي رمضان كانوا يبشرون بمقدمه ويودعونه في العشر الأواخر قبل أذان الفجر.

وفي ذكرى الهجرة والمولد النبوي والإسراء وليلة القدر، كان المؤذنون يرددون المدائح النبوية وقصة الإسراء من أعلى المآذن بين المغرب والعشاء، بينما الدروس والأحاديث تعمر المساجد بالذكر في هذه المواسم. وكم مات عالم أو محدث أو إمام فنعاه المؤذنون من فوق المآذن بالذكر وتلاوة القرآن. واختفى كل ذلك مع بداية هذا القرن الميلادي، واقتصرت المآذن على النداء فقط، حتى انتشرت مكبرات الصوت على دورات الأذان، فأصبحت من علوها ترتفع أصوات المؤذنين.

ولقد كان التجانس والتجاوب طابع النداء قبل انتشار المكبرات الصوتية، حيث كان المؤذنون يحاولون ضبط طبقات أصواتهم كلما اقتربت المآذن حتى لا ينفر الناس من التشويش، وفقد هذا التجانس الآن بين مكبرات الصوت وأصوات الهواة من عامة المصلين.

وبعد، فهذا هو الأذان وهذه هي المآذن، ورحلة معها منذ نشأتها بعد اتخاذ الأذان نداء مشروعا للدعوة إلى الصلاة.

والحمد لله الذي جعل النداء فذا معبرا عن شريعة الإسلام وطبيعته أصدق تعبير، وكما عمرت المساجد بناء وصلاة، أصبحت المآذن عنصرا ثابتا ترتفع قاماتها سامقة في السماء، كأنها أكف الأرض تبتهل إلى الله أن يحفظ الإسلام وأمة الإسلام. إنها عنصر فريد أصيل يمثل أصالة الإسلام وتفرده بالتوحيد الصادق.

الهوامش

(١) أبراج الأجراس في كنائس إيطاليا وفرنسا في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين وأبراج كنائس شرق أوروبا بعد أن انعكست عليها تأثيرات الفتوح العثمانية.

(٢) أمثال الباحث الإنجليزي كرومويل كريزويل الذي عاش في مصر الثلاثين عاما الأخيرة من عمره الذي بلغ نيفا وتسعين عاما، وأمثال: كيتاني وسوفاجه، وأوليج جرابار، وارنست جروبه، وتيتوس بوركهارد ومن نقل عنهم، وأكثر هؤلاء ينفي بناء المسجد النبوي الشريف جملة وتفصيلا.

(٣) حاشية ابن عابدين جـ ١ ص ٣٦٠.

(٤) لنا عودة إن شاء الله - في بحث مستقل - إلى روايات السنة والسير عن عمارة المسجد النبوي وإنكارات المستشرقين.

(٥) مروج الذهب. جـ ١ ص ٢٣٣.

(٦) يصنع الطوب من الطين: يخمر حتى يلزب ﴿من طين لازب﴾ ثم يقطع، ثم يجفف ثم يحرق الحريق الأول، وبعد خروجه من الأفران يبرد ثم يدهن بألوان تصبح طلاء زجاجيا بعد الحريق الثاني.



تفصيلات بعض النقوش والكتابات على منارة قطب منار - انظر الصورة ص ٧٤ (تصوير: د. محمد وهبي الحريري)

(٧) يذكر ذلك توريس بالباس في «تاريخ الفن الإسباني»، وأنريك سوردو في كتابه «العرب في إسبانيا»، أما منارة أبو الفتح محمد أولج شاه فيذكر ذلك برنار لويس في كتابه «انتشار الإسلام»، وأوليج جرابار في كتابه «العمارة الإسلامية وزخارفها».

(٨) هناك ظاهرة فريدة انفردت بها مآذن تركيا في شهر رمضان، حيث تكتب عبارات الدعاء بالضوء المعلق بين كل توأمين من المآذن على ارتفاع ما بعد الدورة الأولى، وكان ذلك فريدا قبل اختراع الكهرباء، فلما تيسرت الكهرباء لعبت الإضاءة الملونة والمتحركة دورها في ذلك الترحيب الرمضاني.

المراجع

صحيح مسلم بشرح النووي

مسند الإمام أحمد.

السلوك للمقريزي

حاشية ابن عابدين

وفاء الوفى في أخبار المصطفى للسمهودي.

المساجد الأثرية لحسن عبد الوهاب.

مساجد القاهرة ومدارسها لأحمد فكري.

العرب في إسبانيا (أنريك سوردو)

Morish Spain by Enrique Sordo

العمارة الإسلامية وزخارفها لأوليج جرابار

Islamic Architecture and its Decoration By Oleg Grabar

الفن الإسلامي لتيتوس بوركهارد

Art of Islami by Titus Burckharde

الوعل

ناطح الصخرة

بقلم: إحسان جعفر

● استأنسه الفراعنة قبل ستة آلاف سنة وكان يُهدى إلى مكة أيام الجاهلية

في اللغة والشعر

الوَعْل والوَعِل والوِعِل والوُعِل (بضم فكسر، وهو نادر): تيس الجبل، Ibex ، وقال ابن فارس هو ذكر الأُرْوِيّة، وهي شاة الوحش الجبلية، وقال الثعالبي: الوعل ولد الأروية، وجمعه أوعال ووعول ووُعُل ومَوْعِلة ووَعِلة أو الموعلة والوعلة اسما جمع[1]، والأنثى وَعِلة، والجمع وعلات ووعال، ومن أمثال العرب: أزهى من وعل!، وأحمق من ناطح الصخرة! أي الوعل، ويُنشد للأعشى:

كناطحِ صخرةٍ يوماً لِيُوهِنَها

فلمْ يضرْها وأوهى قرنه الوعلُ

وأصله كوعلٍ ناطح فحذف الموصوف، وأبقى الصفة، ويقولون: أتّى عليه الأزلم والجَذَع!، يعني الدهر؛ وأصل الأزلم والجَذَع الوعل، والوعول والظباء لا تسقط لها سنّ فهي جُذعان أبداً.

ويُضرب المثل في امتناع الوعل ومن ذلك قول الشاعر:

لو أن عُصْمَ عَمَايَتَيْنِ ويذبُل

سمعا حديثك أنزلا الأوْعالا

والوعل من المعز الجبلية، من رتبة مزدوجات الأصابع، وفصيلة البقريات التي تضم - فضلاً عن ماعز الجبل - البقر، والظبي والغَزال، وعلى هذا فهو حيوان مجتر، وله قرنان قويان منحنيان كسيفين أحدبين، يلتقيان حول ذنبه من أعلاه، وهما السلاح الرئيسي له، ينموان من الجمجمة كغطاء فوق عظامها، ومادتها شبيهة بمادة أظافر الإنسان أو أظلاف الحيوانات الحافرية، ويبدأ نموهما كنتوءين مخملين طريين سريعي النمو، وخلال أشهر يصبح القرنان كاملين، لكن يظل يُغَشِّيهما جلد ناعم حساس يمنعه من استخدامهما، وبعد فترة أخرى يجف الجلد فوق قرني الوعل وينقشر، ويتم بذلك «نضجهما»، ومن

الوعل
نــاطح الصخـرة

ثَمَّ يأخذ قرناه بالنماء، بصفة مستمرة، طيلة فترة حياته.

أسماء الوعل

ونوع الوعل الذي في جزيرة العرب وسيناء وصحراء مصر الشرقية والسودان الشرقي يعرف بالبَدَن، ووعل عيسو، وله بالعربية أسماء كثيرة تجدها في السفر الثامن من «**المخصص**» **لابن سيده**؛ منها:

القِرْمِيد والقُرْمود: الذكر من الوعول.

العَنْز: انثى الوعل.

البَدَن: الوعل المُسِن.

الثَّيْتل: الذكر المسن من الوعول

الفادر والفَدور: الذي تمّ سنه وذكاؤه.

الأعصم: الوعل الذي في يديه أو احداهما بياض كالسوار.

الصَّدَع: الوسط في خلقه والأنثى بالهاء.

الوقيفة: الوعل تلجئه الكلاب إلى صخرة فلا يمكنه أنْ ينزل حتى يصاد.

الموقفة: التي فيها خطوط سوداء في بياض.

المُخذَّمة: البياض فيها في موضع الخلاخيل.

الوعل الأدفى: الذي يعوج قرناه، وينعطفان على ظهره، والأنثى دفواء.

وعل ناخس: الذي يطول قرناه.

وعل صعلود: الذي يعلو في الجبل.

وعل وقِل: سريع العدو في الجبل.

الوعل العاقل: الذي يمتنع في الجبل، وعن ابن دريد في الاشتقاق، المَعْقل أعلى الجبل حيث يعقل فيه الوعل، أي يمتنع فيه).

الجهبل: الذي يكون عظيم الرأس.

القنعان: العظيم من الوعول.

العميثل: الذيال بذنبه.

وعل رِفلّ: كذلك.

اليأمور: جنس من الأوعال أو شبيه بها.

جِلدُ: المسن من الوعول حين يسلخ.

التألب: الوعل، والأنثى تألبة.

الغفر: ولد الأروي.

أم غفر: كنية الأرويّة.

الأرخية: ولد الثَّيْتل.

المرشق: التي معها ولدها من الوعال.

الفُرْهد: ولد الوعل.

الأزمولة: المصوت من الوعول.

الأمعوز: الجماعة من الوعول.

المفدرة: موضع الوعول.

وقد ورد ذكر الوعل في **التوراة**، وهو في **العبرية** «**يعل**»، واللفظتان العربية والعبرية مشتقتان من التوعل أي الصعود في الجبال، واسمه «وَعْتِي» في اللغة المصرية القديمة، واللفظة كما لا يخفي شبيهة بالاسم العربي، وفي سيناء يسمونه ثيتل، أما البَدَن، فهو كما قال **ابن دريد**: الوعل المسنّ. وكان يهدى إلى مكة أيام الجاهلية.

ونرى أنَّ اسم الوعل مركب على حرف العين، من محاكاة صوته: ع ع ع، زيدت الواو في أوله لمد الصوت: و ع، وزيدت اللام في آخره كسعاً كما زيدت في كثير من الألفاظ العربية كزيدل وعبدل وسلسل وغيرها، وهذه اللام المزيدة إنما هي بقية من «أل» التعريف التي كانت تزاد على الأسماء العربية في آخرها، وذلك قبل استقرار لغة العرب على ما هي عليه الآن، يؤيد ذلك اسم الوعل في المصرية القديمة «وعتي» فالتاء منقلبة عن هاء الواحدة والياء تولدت من إشباع الحركة؛ وهذا ما يومئ إلى أنّ العربية هي أم المصرية القديمة.

عند قدماء المصريين

وذكر **أحمد كمال** في «بغية الطالبين» نقلاً عن «لونورمان» في شرح أصناف الظبي: أنّ الأوعال ترى مرسومة على آثار الطبقة الأولى لفراعنة مصر، مما يدل على استئناسها في زمانهم حيث رسموها داجنة «ممسكاًبها» وقال: وهي الآن: (النصف الثاني من القرن التاسع عشر) كثيرة الوجود في الجبال التي بين النيل والبحر الأحمر ومرتفع مصر الوسطى وجبل الطور في سيناء.

وقد استأنس **المصريون القدماء** ثلاثة أنواع من الظباء، وهي الـ «جحسو» ومعناها الظباء، والـ «ماخرو» ومعناها الماريات جمع مارية وهي البقرة الوحشية، والـ «ننُو» ومعناها الآرام جمع رئم، وتوصلوا إلى إذلال الوعول، وأقتنوا منها القطعان، وربوها في مزارعهم زمن الأسرة الرابعة والخامسة والسادسة قبل الميلاد بنحو ٤٠٠٠ أو ٣٥٠٠ سنة، ولم يسبقهم في ذلك أحد، أما أهل الطبقة الوسطى الذين كانوا قبل الميلاد بنحو ٣٠٠٠ سنة فلم يستأنسوا سوى الماريات، وهي الظباء العربية البيضاء، ثم أهملوا تربيتها حين انحازت الرعاة على مصر ومنذ ذلك الوقت انقطع استئناس الظباء والوعول، ولم يُرَ لها أي أثر في النقوش الفرعونية منذ سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد[٢].

أنواع الوعول

ومن أنواع الوعول الثَّيْتَل، وهو عاشب كالوعل، له قرنان جميلان يشبهان القيثارة، غير أنه يتميزّ عن الوعل بطول وجهه وانخفاض مؤخرة جسمه، وتلد أنثاه عادة فرداً واحداً في المرة، وعدوه الرئيسي السبع، وهو ينشد الحماية ضمن قطعان مختلطة من الظباء وحمر الوحش، بعضها يرتاح بينما الآخر يأكل أو يحرس.

ومن أنواع الوعول أيضاً: اليأمور؛ جنس من الأوعال أو شبيه بها، له قرن واحد متشعب في وسط رأسه، وقيل إنه الذكر من الأيّل له قرنان كالمنشارين، وأكثر أحواله تشبه البقر الوحشي يأوي إلى المواضع التي التفت أشجارها، وإذا شرب الماء ظهر به نشاط، فيعدو ويلعب بين الأشجار وربما يُنشِب قرنيه في شعب الأشجار فلا يقدر على خلاصهما، فيصيح، والناس إذا سمعوا صوته، ذهبوا إليه، وصادوه.

وهناك وعل كريت، والوعل الفارسي المعروف بالعربية بالبُزْل، وفي الفارسية بـ «بازَن» وهو

المستخرج منه البازهر الحيواني، **ومن أسمائه عند الأوروبيين** «بازَن» أيضاً، وهي لفظة فارسية معناها: التيس الجبلي، وحرفياً «صخري القدم»، والبُزْل في كتب اللغة العربية «عنز»، وفي كتاب الألفاظ الفارسية المعربة لأدي شير الكلداني هذه اللفظة من «بازَن» الفارسية، ومن أشهر أنواعه المنقرضة الوعل الأزرق Blue buck، وكان قبل قرنين مضيا كثير الشيوع في أقاصي جنوب أفريقيا.

هل الأيَّل ذكر الوعل؟

وقد خلط الدميري بين الأيـّل والوعل الفارسي، ولا بأس من إيراد عبارة الدميري حيث قال: «الأيّل ذكر الأوعال»، ويقال هو الذي يسمى بالفارسية «كوزن»، وأكثر أحواله شبيهة ببقر الوحش، وهو إذا خاف من الصياد يرمي نفسه من رأس الجبل، ولا يتضرر، وعدد سني عمره عدد العقد التي في قرنه، وإذا لسعته الحية أكل السرطان، وهو مولع بأكل الحيات يطلبها حيث وجدها وربما لسعته فتسيل دموعه إلى نقرتين تحت محاجر عينيه يدخل الأصبع فيهما فتتجمد تلك الدموع وتصير كالشمع، فتتخذ ترياقاً لسم الحيات، وهو البازهر الحيواني، وأجوده الأصفر، وهذا الحيوان لا تنبت له قرون إلاّ بعد مضي سنتين من عمره، فإذا نبت قرناه نبتا مستقيمين كالوتدين في رأسه، وفي الثالثة يتشعبان، ولا يزال التشعب في زيادة إلى تمام ست سنين، فحينئذ يكونان كالشجرتين في رأسه، ثم بعد ذلك يلقي قرنيه في كل سنة مرة ثم ينبتان، فإذا نبتا تعرض بهما للشمس ليصلبا . . . وقرنه مصمت لا تجويف فيه . . . » وقد أصاب في وصف القرون فقط مقتبساً ذلك من كتاب النعوت **لأرسطو** حيث سماه أرسطو «إلافوس» باليونانية، وهو الحيوان المعروف عند الإنجليز بالأيل الأحمر. فالأيل عند العرب هو هذا الحيوان المتشعب القرون التي تتجدد سنوياً وهو ينتمي إلى فصيلة الظباء التي تضم الأيل والرنّة والكاريبو والإلكة، وليس الوعل أو ذكره، وذلك للأسباب التالية:

(١) لأن الأيل باللغة الآشورية «ايلو» وقد وجد مرسوماً على الآثار الآشورية متشعب القرون.

(٢) لأن الأيل باللغة المصرية القديمة هو «ايول»، وهو مرسوم على الآثار المصرية بقرون متشعبة أيضاً.

(٣) لأن أطباء العرب نصوا على أن قرن الأيل متشعب.

(٤) ويظهر من وصف الأيل في المصنفات العربية أنّ قرونه متشعبة ومصمتة كما جاء في آخر العبارة من وصف الدميري للأيل. وكذلك في وصف اليحمور حيث قال: «وقرونه كقرون الأيل يلقيها كل سنة وهي صامتة لا تجويف فيها» واليحمور نوع من الأيائل إلاّ أن قرونه صغيرة، وقد وصف الجاحظ الأيل وصفاً حسناً عندما قال: «والأيل ينصل قرنه كل عام فيصير كالأجَمّ وقرنه مصمت وليس في جوفه تجويف ولا هو مصمت إلا على أجوف الأسفل»، وقال أيضاً «ورأينا بعضها ينصل قرنه في كل سنة كما تسلخ الحية جلدها وتنفض الأشجار ورقها وهي قرون الأيايل»، ولا عبرة بما جاء في كتب اللغة من أن الأيل ذكر الأوعال(٣)، والجاحظ من أئمة اللغة وهو أقدم مؤلفي كتب اللغة التي بين أيدينا.

طباع الوعل

البغام صوت الظباء والوعول، وهو دعاؤها ولدها بأرخم ما يكون الصوت، قال **أبو زيد**: والنزيب صوت تيوس الظباء عند الهباب، والوعول التي تجتمع معاً في قطيع تتفاهم فيما بينها عن طريق الرائحة، إذْ عندما تتغذى على الحشائش تترك أنوفها رائحة على الأرض، وكذلك عندما تسير تترك أقدامها أيضاً رائحة على الأرض، فإذا حدث وتاه وعل فإنّه يستطيع تعرّف مكان رفاقه إذا اقتفى أثر هذه الرائحة.

والوعل يقظ يتنبه إلى كلّ حركة، ويشم كل نسمة ليتأكد أنه وبقية الوعول في سلامة وأمان إذْ الهواء ينقل رائحة البشر والحيوانات، وبعض الحيوانات تشم الرائحة وتتخذ الحيطة لذلك كان الصيادون منذ الأزل يسعون وراء الطريدة عكس الهواء.

وقال صاحب حياة الحيوان: وفي طباع الوعل أنّه يأوي إلى الأماكن الوعرة الخشنة، ولا يزال مجتمعاً فإذا كان وقت الولادة تفرق، وإذا اجتمع في ضرع أنثى لبن امتصه، والذكر إذا ضعف عن النزو أكل البلوط فتقوى شهوته.

ومن طباعه إنه إذا أصابه جرح طلب الخضرة التي في الحجارة فيمتصها ويجعلها على الجرح فيبرأ، وإذا أحسّ بالقناص وهو في مكان مرتفع استلقى على ظهره ثم يزج نفسه فينحدر، ويكون قرناه وهما في رأسه إلى عجزه يقياه ما يخشى من الحجارة ويسرعان به لملوستهما على الصفا.

الهوامش

(١) وفي كتاب الاشتقاق لابن دريد: الوَعْلة أعلى الجبل وقنته، وأرض مَوْعَلة: كثيرة الأوعال.

(٢) في العصر الحاضر استأنس اللابيون في أمريكا نوعاً من الوعول يسمى الكاريبو Caribo ويستخدمونه في النقل وإنتاج اللحوم والألبان وتجدر الإشارة إلى أن هناك من يتحفظ من كون الكاريبو من الوعول؟!!

(٣) الوعل لا تسقط قرونه كل عام كالأيل، وعلى هذا فالوعل تنمو قرونه بصفة مستمرة طوال حياته، بينما الأيل يفقد قرونه كل عام وينتظر مقدم الربيع حتى تنمو من جديد، وقرنا الوعل لا يتشعبان، والأيل يتشعب قرناه.

أهم المصادر والمراجع

(١) الاشتقاق لابن دريد (بغداد ١٩٧٩م).

(٢) بغية الطالبين في علوم وعوائد وأحوال قدماء المصريين، تأليف العلامة أحمد كمال (طبع مدرسة الفنون والصنائع الخديوية ببولاق سنة ١٣٠٩هـ).

(٣) جمهرة اللغة لابن دريد (طبع دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد سنة ١٣٤٥هـ).

(٤) حياة الحيوان للدميري. (طبع المكتبة الإسلامية ببيروت).

(٥) الحيوان للجاحظ.

(٦) فرهنك خيام، معجم عربي - فارسي (طبع تهران).

(٧) فقه اللغة للثعالبي (طبع مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٩٥٤م).

(٨) القاموس المحيط للفيروز آبادي.

(٩) محيط المحيط للبستاني.

(١٠) المخصص لابن سيده (المطبعة الأميرية الكبرى ببولاق مصر سنة ١٣١٨هـ).

(١١) معجم الحيوان لأمين المعلوف (مصر ١٩٣٢م).

(١٢) المعجم الذهبي للألتونجي.

(١٣) موسوعة «المعرفة» العلمية.



علوم البحار في خدمة الإنسان

بقلم: د. مجدي محمد أبوزيد

اهتم الإنسان منذ العصور القديمة بالوسط المائي بوصفها بيئة تلازمه في حياته وتعتبر مصدراً هاماً لمعيشته ورزقه، فقد ضاعت الأرض وازدحمت بالبشرية وأوشكت ثرواتها ومعادنها وبترولها على النضوب، فلم يكتف الإنسان بالبقاء على سطح اليابسة بل ازدادت محاولاته المتكررة للتعرف على معالم الحياة حوله فاستهواه الوسط المائي وجذبه إلى النزول والسباحة والغوص في أعماقه لاكتشاف معالمه، فبدأ العلماء يوجهون أفكارهم ودراستهم نحو المسطحات المائية، والبحث والدراسة في قاع البحار والمحيطات واستغلاله، وهو يحتوي على العديد في الثروات الهائلة من المعادن وخزانات الغاز الطبيعي وخام زيت البترول والمعادن الثمينة من ذهب ولؤلؤ، وأيضا استغلال تلك المسطحات المائية وأعماقها كمصدر من المصادر الرئيسة للغذاء بما يحتويه من كائنات عضوية يستخدمها في غذائه أو كمواد هامة لاقتصاده الصناعي والتجاري.

ومن الطريف أن الرقم (٧) شاع في أعداد الظواهر الكبرى في العالم منذ القدم، فالأيام سبعة في الأسبوع، والسموات سبع، وعجائب الدنيا سبع، **وكذلك البحار السبعة**.

البحار السبعة في عالمنا المعاصر هي:

(١) المحيط الأطلسي الشمالي N. Atlantic Ocean

(٢) المحيط الأطلسي الجنوبي S. Atlantic Ocean

(٣) المحيط الهادي الشمالي N. Pacific Ocean

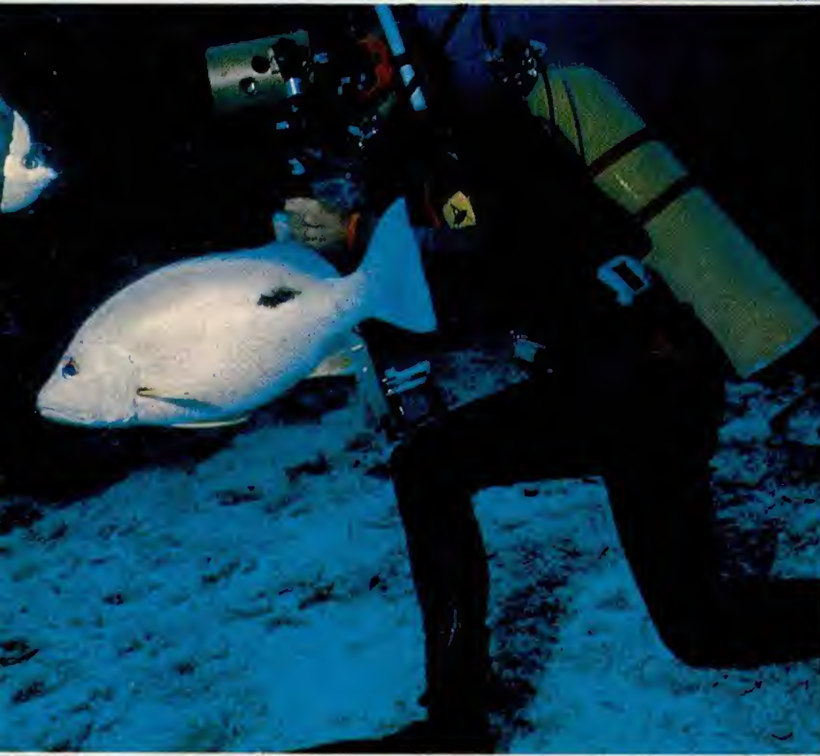
(٤) المحيط الهادي الجنوبي S. Pacific Ocean

(٥) المحيط الهندي Indian Ocean

(٦) المحيط القطبي الشمالي N. Actic Ocean

(٧) المحيط القطبي الجنوبي S. Actic Ocean

وفي الوقت نفسه يصعب التمييز بين كلمتي «بحر sea» ومحيط ocean، إلا أن التعبير الأخير يطلقه الباحثون على المحيطات السبعة السابقة، وجرى العرف على تسمية الأجزاء الداخلية شبه المغلقة وشبه القارية من هذه المحيطات بحاراً مثل **البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط وبحر الشمال وبحر اليابان والبحر الأسود**. وتبلغ مساحة المحيطات هذه عدة ملايين من الكيلومترات المربعة، على أنها تتفاوت في مساحاتها تفاوتا كبيراً، فالمحيط الهادي مثلا يزيد على ضعفي المحيط الهندي.





أ - على الرغم من انعدام الضوء على عمق ٥٠٠م إلا أن الظهر العلوي للأسماك أكثر دكنة من باطنها الذي يواجه قاع البحر.

ب - يغلب على لون ظهر الأسماك التي تعيش فوق سطح الماء اللون الأزرق مثل سمك **التونة والماكاريل**، بينما تنتشر الأسماك الفضية اللون بالمياه العميقة (٣٠٠م : ٥٠٠م).

أهمية البحار والمحيطات اقتصاديا

اهتم الإنسان باستغلال المسطحات المائية البحرية، وحاول منذ فجر التاريخ استغلال ما بها من غذاء ومواد ومعادن، واتجه نشاطه إلى الموارد التالية:

أولاً: استغلال بعض الكائنات العضوية مثل الأسماك والثدييات البحرية:

تكثر في مياه البحار أنواع مختلفة من الكائنات العضوية الحية التي يستخدم الإنسان معظمها في غذائه، أو مواد هامة لصناعات. ويؤكد الباحثون بأن الإنسان لم يستغل مياه البحر استغلالاً اقتصادياً كافياً، وأن نشاطه حتى الآن مازال يمثل مرحلة أولية تشابه مرحلة **«جمع الطعام»** التي بدأ بها الإنسان نشاطه عند استغلاله لسطح هذا الكوكب.

وقام الإنسان منذ القدم باصطياد **الأسماك** من مياه البحر وإدخالها في وجباته الغذائية - ولكن العائلات السمكية لا تشكل إلا جزءًا محدوداً من الكائنات العضوية بمياه البحار والتي يمكن أن تساهم في تطور الاقتصاد البشري. ولا يقتصر دور الأسماك البحرية في غذاء الإنسان فقط، بل يستخدم في الوقت الحاضر في عمليات استخراج زيت السمك، وصناعة دقيق السمك والأسمدة العضوية وعلف الحيوان.

وتنتشر العائلات السمكية في الأعماق البعيدة (أبعد من ٥٠٠م وأكثر من سطح الماء) حيث تتصف هذه الأسماك بظواهر فسيولوجية خاصة، حيث يؤثر الضغط والأعماق وكمية[1] الضوء القليلة في تنوع أشكالها العامة التي وهبها الخالق سبحانه وتعالى - ويمكن أن نلخص **الخصائص العامة لتلك الأسماك بالتالي:**

وإذا كان للضوء تأثير قويّ في تشكيل ألوان أجسام الأسماك، ولعدم وجود الضوء أثر أيضا - بقدرة الخالق - في التركيب الفسيولوجي لهذه الأسماك، فقد خلقت هذه الأسماك وتشكلت عند هذه الأعماق بخصائص متنوعة تساعدها على البقاء تحت هذه الظروف الطبيعية للمياه، فتتميز أسماك المياه العميقة بصغر أحجامها وقدرتها الفائقة على السباحة بسرعة شديدة كما يمكن لبعضها أن تولد الضوء من أجسامها. ومن الأسماك التي تعتمد على الحس واللمس عند تحركها بالمياه العميقة مجموعات أسماك **مكروفيرنكس Macropharynex**: طولها ١٥ سم وتعيش على عمق ٣٥٠٠م، وتتميز بأجسامها الطويلة واحتوائها على شعيرات حساسة وأذيال تبدو على شكل الخيط المشدود لتساهم هي الأخرى في زيادة

قوة الحساسية واللمس - كما تتميز تلك الأسماك التي تعيش في الأعماق البعيدة بكبر حجم أفواهها بالنسبة إلى حجمها الصغير. واحتوائها على أسنان حادة وأن لها القدرة على أن تبتلع بعض الأسماك الأخرى التي قد تفوق ثلاثة أمثال حجمها.

واستغل الإنسان كذلك بعض الثدييات البحرية مثل **الحيتان وعجول البحر** أما الحيتان فتستخدم أساسا لاستخراج الزيت منها، ويتراوح كمية الزيت التي تستخرج من الحوت من (٧٠ : ١٣٠) برميلاً بينما تستخرج من بعض الحيتان الأخرى (**حوت العنبر**) بعض المواد التي تدخل في صناعة العقاقير الطبية والعطور الفاخرة، ويستخدم أيضا زيت الحوت في صناعة الدهون «**المارجرين» والبويات والصابون والجليسرين**، واعتادت بعض الشعوب (**اليابان والنرويج**) إدخال لحم الحوت في وجباتهم الغذائية.

ثانيًا: ـ استغلال الأسفنج والطحالب: يعتبر **الأسفنج** من الحيوانات البحرية التي تعيش في المياه الدافئة الصافية التي تتصف بوسطها المائي المرتفع النسبة في الملوحة، ويعيش الأسفنج في الأعماق ما بين (١٠ و ٥٠م) حيث تتسم هذه الأعماق بوجود القاع الصخري حتى يمكن أن يثبت حيوان الأسفنج نفسه فوقه، ومن أهم أنواع الأسفنج الكأس وأسفنج أقراص العسل وأسفنج الزيوكا. وتستغل تلك الأنواع في الصناعات المختلفة المهمة.

بينما تنتمي **الطحالب** إلى النباتات الوحيدة الخلية، ومنها **الطحالب الزرقاء والخضراء والحمراء** ومنها **العشب الإيرلندي**، وقد استغل سكان السواحل منذ القدم بعض مجموعات من هذه الطحالب في الأغراض الغذائية، فيعتمد **اليابانيون** على الطحالب كغذاء وعمل الحساء منه - إلا أن أعظم أنواع الطحالب أهمية هي **الطحالب الحمراء** حيث تستخرج منها **مادة الآجار Agar والطحالب البنية التي يستخرج منها الألجين Algin** وتستخدم مادة الآجار في صنع أطباق الحلوى و«الجيلي» والمسهلات الطبية كما تدخل في صنع بعض العقاقير الطبية **ومركبات السلفا والفيتامينات**. أما مادة الألجين فهي مادة حمضية (**حامض الألجينك Alginic Acid**) الذي يتميز بعظم درجة لزوجته وتستخدم هذه المادة في تنشية الأقمشة وصنع المواد والغطاءات غير المنفذة للمياه.

ثالثًا: المحار والأصداف واللؤلؤ والقشريات: تزخر بعض المياه الساحلية بأنواع مختلفة من المحارات والأصداف واللؤلؤ والقشريات، حيث تعد المحارات من الوجبات الشهية لمعظم سكان **اليابان** والمناطق الساحلية في البلدان المختلفة. أما **اللؤلؤ** فينتشر في المياه البحرية الدافئة والتي ترتفع فيها نسبة الملوحة، وتتمثل أشهر مناطق تكاثره **بالخليج العربي ومياه البحر الأحمر وبحر اليابان**. ويتكون **اللؤلؤ الطبيعي** داخل أجسام المحار عندما يتسرب إلى داخل أحشائها بعض حبات الرمل ففي هذه الحالة تعمل الكائنات على إفراز بعض المواد التي تتجمع تدريجياً حول حبيبات الرمال فتكوّن في النهاية جسم اللؤلؤة.



يقوم الإنسان باستغلال مياه البحار في استخراج ملح الطعام عن طريق التبخر..

وقد سعت **اليابان إلى زرع اللؤلؤ** وذلك بتربية المحار في أحواض بحرية خاصة، ثم يوضع بداخل أحشائها حبيبات من الرمال حتى تتجمع عليها الإفرازات المحارية المكونة للؤلؤ. ويلاحظ أن **حرفة صيد اللؤلؤ** قد اضمحلت في منطقة الخليج العربي خلال السنوات الأخيرة بعد **ظهور البترول** في المنطقة.

أما القشريات المعروفة باسم **عائلات كرستاسيا** ومنها **الجمبري - الكابوريا والأستاكوزا** وكلها تعيش في المياه الدافئة ذات الملوحة العالية ــ وتمتاز القشريات **بالفسفور واليود**، كما تستخدم قشورها في صنع غذاء الدواجن.

رابعًا: ـ استخلاص بعض الأملاح والمواد واستغلال المعادن من البحار والمحيطات: لم تقتصر فلاحة البحر على استغلال بعض الكائنات العضوية به، بل نجح الإنسان في استخلاص بعض الأملاح. **والمعادن الفلزية واللافلزية** ونذكر منها:

(١) ملح الطعام: Salt يعد ملح الطعام من أهم **الأملاح الاقتصادية** التي يقوم الإنسان باستغلالها من مياه البحار - ويقدر الباحثون بأن **ملح الطعام (كلوريد الصوديوم)** يمثل نحو ٨٧٪ من كمية الأملاح بمياه البحار حيث يستخلص من مياه البحار الساحلية الضحلة ذات الحرارة المرتفعة ونسبة الملوحة العالية، وذلك بأن تحجز مياه البحر الضحلة في أحواض مائية وتترك مدة من الزمن حتى تتعرض المياه لعمليات التبخر المستمرة ومن ثمّ تتركز الأملاح وتتجمع فوق أسياخ حديدية تثبت بقاع هذه الأحواض المائية.

(٢) اليود والبروم والمغنسيوم: - عمل الإنسان كذلك على استغلال بعض **اللافلزات** التي تتمثل بأجسام الكائنات العضوية البحرية، ويعد **اليود** من أبرز هذه **اللافلزات** على الرغم من أن يتمثل بنسب متفاوتة من كل الكائنات العضوية البحرية

نجح العلماء في تحلية مياه البحر لمواجهة الزيادة المطردة في تعداد السكان في العالم.



وتعتبر الحيوانات البحرية الأسفنجية والمرجانية وكذلك بعض الأعشاب البحرية المصدر الرئيسي لليود.

ويستخلص **عنصر البروم** من مياه البحار وتتلخص منافعه في صنع **الجازولين** المانع لدوي السيارات والجرارات ويستخدم أيضا في صناعة المسكنات ومطافئ الحريق والمواد الكيماوية والأصباغ والمواد الكيماوية الحربية

ويستخلص **فلز المغنسيوم** كذلك من مياه البحار ويقدر أن بكل ميل مكعب من مياه البحر ما يقرب من (٤) ملايين طن من المغنسيوم، ويعد المغنسيوم أخف الفلزات المعروفة ومن أكثرها قدرة واحتمالا، ومن ثم أدخل في صناعة الطائرات والآلات الحربية والمفرقعات، ويطلق الباحثون على فلز المغنسيوم اسم **«فلز المستقبل»** لأنه يأخذ بالتدريج مكان الحديد والصلب في الصناعات الحديدية الحديثة.

(٣) زيت البترول: ومن المعلوم أن **زيت البترول** قد يتكون تبعاً لاندثار الكائنات البحرية الحية وتراكمها فوق قاع البحار ثم تحلل هيا كل هذه الكائنات وأجسامها تدريجياً إلى تلك المادة التي تشكل مقياس الحضارة البشرية الحديثة والتي تعرف باسم **«الذهب الأسود»**. إن مواقع الخزانات الحالية لزيت البترول تمثل في الواقع مناطق كانت مغطاة بالبحار القديمة التي انحسرت عنها خلال فترات متعاقبة، ومن ثم عنيت شركات البترول بإجراء الأبحاث الجيولوجية بمناطق المسطحات المائية للبحث عن البترول.

خامسًا: استغلال مياه البحار في توليد الطاقة المحركة: حاول علماء الطبيعة توليد الطاقة الميكانيكية من مياه البحار، وتتلخص طريقة توليد الطاقة، تبعاً لفرق المد والجزر، في إنشاء سد صناعي مزود ببوابات للتحكم في عملية حصر المياه وانسيابها، وعند وصول أعلى منسوب للمد العالي تقفل بوابات السد بإحكام، ومن ثم يمكن استخدام كمية المياه المحصورة التي تمثل أعلى منسوب للمد وأقل منسوب للجزر في إدارة توربينات أو طواحين تعمل على إيجاد طاقة محددة **للإضاءة** أو إدارة مصانع صغيرة.

سادسًا: تحلية مياه البحر: تحتل مياه البحار والمحيطات نسبة ٩٨٪ من جملة حجم المياه فوق سطح هذا الكوكب. كما أن الصحاري الحارة الجافة تستغل أكثر من ٤٠٪ من جملة سطح اليابسة، ومن ثمّ كان من الضروري البحث عن مصادر أخرى جديدة للمياه العذبة تقابل الزيادة المطردة في تعداد سكان العالم، تُعنى باحتياجاتهم اليومية من المياه العذبة وتكفل إمكان التوسع في الإنتاجين الزراعي والصناعي.

وقد نجح العلماء في إعذاب مياه البحر أي تحويلها إلى مياه حلوة، وتبيَّن أن عملية تحلية مياه البحر تحتاج إلى طاقة حرارية كبيرة، وقد أمكن حساب هذه الطاقة الكهربائية اللازمة، حيث تبين أنه لكي نحصل على (٣٣٨٥م٣) من المياه العذبة يلزم إيجاد طاقة كهربائية لا تقل عن (٢,٨) كيلو وات ساعة لفصل هذه المياه العذبة عن مياه البحر.

وتجرى عملية تحلية مياه البحر في الوقت الحاضر بطرق علمية حديثة منها:

(أ) **التقطير**: وذلك باستخدام الطاقة الشمسية أو مواد الوقود كالبترول أو الفحم أو الكهرباء أو المفاعلات الذرية.

(ب) **التجميد**: أي تبريد مياه البحر فجأة، ومن ثم تنفصل بلورات الثلج عن بلورات **الملح**، ثم يصهر الثلج للحصول على المياه العذبة.

(جـ) التحليل **الفشاني الكهربائي**: وذلك بتمرير تيار كهربائي في أوان تحتوي على مياه البحر بين أقطاب كهربائية تعمل على استخلاص كلوريد **الصوديوم (الملح)** من مياه البحر ويصبح الماء بعد ذلك عذب المذاق.

وقد اهتمت **هيئة الأمم المتحدة** باستغلال المسطحات المائية لخدمة الإنسان وفي أغراض السلم، وتفرعت من **اليونسكو** عدة هيئات علمية تختص بالإشراف على مجال علوم البحار والمحيطات، ومنها **لجنة مشاكل التغذية والزراعة** التي تشرف على تنظيم عملية استغلال مصايد البحار.

والأمل كبير في اكتشاف وسائل جديدة تساعد على استغلال الثروات الطبيعية للبحار والمحيطات لخدمة الإنسان حتى تتوافر مورد الرزق لأفراد العائلة البشرية جميعها. ويرتفع مستواهم الاقتصادي والاجتماعي في أنحاء العالم أجمع.

المراجع

١ ـ أنور عبد العليم: البحار والمحيطات ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ ١٩٦٤ ـ القاهرة.

٢ ـ حسن سيد أحمد: جغرافيا البحار والمحيطات ـ مكتبة مكاوي ـ ١٩٧٩ ـ بيروت.

٣ ـ مجدي محمد أبو زيد: «رياضة الغوص ـ مفهومها ـ تطبيقاتها» ـ الدورية العلمية للرياضات المائية العدد الثامن ـ ١٩٨٨ ـ كلية التربية الرياضية بالإسكندرية.

4 - Encyclopedia of science and Technology. Vol.4. New York. Mc Graw-Hill. 1971

الرُّمان الثمرة العجيبة



بقلم: د. أحمد عبد المنعم عربود

الـرُّمـان ثمــر عظيم الخلق، عجيب الصنع، تكوينـه غريب محفـوف بالأسرار، متفرد في تـركيبه يوحي بعظمـة خالقـه وعجيب ما انطـوى عليه من أسرار. ألم يستهـوك منظـر تلك الثمـرة العجيبـة؟ ولماذا كانت بهذا الشكل؟ وذلك التكوين؟، ولماذا أُحيطت بذورها بكل تلك اللفائف والدهاليز كأنها لؤلـؤ مكنون، متلألأ كـالدر، متناسق في تـراصه، جميل في منظره فتبارك الله خالقه أحسن الخالقين.

ولقد ورد ذكر الرُّمان في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم، وفي ذلك إشارة إلى أهميته، من ذلك قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿والزيتون والرُّمان مشتبها وغير متشـابـه..﴾ (آيـة ٩٩).. وقـال تعـالى: ﴿والزيتـون والرُّمـان متشابها وغير متشـابـه...﴾ (آيـة ١٤١). وفي سـورة الـرحمن: ﴿فيهما فاكهة ونخل ورُمَّان﴾ (آية ٦٨).

والحق تبارك وتعـالى يريد أن يلفت أنظـارنا إلى صفحة من صفحات ذلك الـوجود الحافل بدلائل وجوده، ووحدانيته وقدرته وتدبيره وعظيم صنعه، وقد غمـر الكون بظـلال من الجمال، والـوجدان، بظلال كونية موحية للتدبير والتفكر!

يقول صاحب الظلال:

«هـذا النبـات كلـه بفصـائلـه وسـلالاتـه - ﴿مشتبهـاً وغير متشابـه﴾ - ﴿انظروا إلى ثمـره إذا أثمروينعه﴾.

انظروا بالحس البصير والقلب اليقظ.. انظروا إليه في ازدهـاره وازدهائه عند كمال نضجـه، انظروا إليه واستمتعوا بجماله.. لا يقول هنا كلوا من ثمره إذا أثمر ولكن يقول «انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه» لأن المجال هنا مجال جمال ومتاع، كما أنه مجال تدبر في آيات الله، وبدائع صنعته في مجالي الحياة.

ثم يقول سبحانه وتعالى: ﴿إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾ (سورة النمل ٨٦).

ويقـول «محمـد قطب» في كتـابـه «منهج الفن الإسلامي»: «إن الأشياء التي يستعرضها هنا أشياء تُشتهى وتـؤكـل: النبـات والخضر والحب والنخل والأعناب والزيتون والرُّمان».

لكنه لا يقـول هنا كما يقـول في مواضـع أخرى «كلـو من ثمـره إذا أثمر»! وإنما يقـول «انظـروا»! انظروا إلى الثمر إذا أثمـر والينع إذا أينع! انظروا إلى «الجمال» انظـروا بعيـون مفتـوحـة وحس مستشرف لتملي الجمال. انظروا واستمتعوا بالنظر.. ولا يقول هنا كلوا.. لأن المعـرض معرض الجمال المبثوث في الطبيعة، والقدرة القادرة التي تبرع الجمال!

ويذكر عن ابن عباس موقوفاً ومرفوعاً: «ما من رمان من رمانكم هذا إلا وهو ملقح بحبة من رمان الجنة». وذكر حرب وغيره عـن علي أنه قال: «كلوا الرمـان بشحمه فإنـه دباغ المعدة» والـرمان مـوطنه الأصلي بلاد فـارس والمناطق المحيطـة بها وسواحل البحر الأبيض المتوسط.

وهو شجر مثمر ويتبع الفصيلـة الرمانية واسم العلمي "Punica grantum". وزهره أحمر يعرف بـ «الجلنار».

> **«ما من رمان من رمانكم هذا إلا وهو ملقح بحبة من رمان الجنة»**
>
> **(ابن عباس)**

تاريخ الرُّمان

ولقد عرف **«الرمان»** من قـديم وذكـر في كتب كثيرة، ونقشت صوره على جدران المعـابد القديمة والقصور الشاهقة، **فلقد وجـد أقدم رسـم لشجر الـرمان في مقبرة بتل العمارنـة من أيام «أمنحـوتب» الرابع أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة.**

كما عـرف المصريـون القـدماء الـرمـان بـاسم «ارهماني» ومنهـا اشتـق الاسم القبطي «أرمين» أو «أرمن» أو «رمن» الـذي اشتق منـه الاسم العبري «رمون» والاسم العربي «رمان». وفي عهد المصريين القـدمـاء - أيضـا - استعمل قـربـانـاً للمـوتى، واستعمل قشره في الطب لقتل الديدان. ويظن أنه كان يستخرج من الرمان شراب. والظاهر أن غرس الرمـان انتقل من مصر إلى الواحات الداخلـة وكثر فيهـا حتى صار شرابـه من أهم محصولاتها في أيـام البطالسة. ويذكره قرطاس «ايبرس» لقتل الوحيدة (أي الدودة الشريطية).

أماكنه وأصنافه

وتجود زراعة الرمان في المنـاطق الاستوائية وشبه الاستـوائية لتـوافر الحرارة والجفـاف؛ لأن الصيف البارد وزيـادة الرطـوبة لا تنـاسب زراعة الـرمان. والرمان من الأصناف التي تتحمل الملوحة الأرضية بدرجة لا بأس بها. وهو مـن الأشجار الصحراوية التي تقـاوم الجفاف وإن كـان الري المعتـدل يعمل على زيادة المحصـول. وزيادة الرطـوبـة أثناء نضج الثمار تتسبب في تشققها.

وشجـرة الرمـان تحمل بعد زراعتهـا في الأرض المستديمـة بحوالي سنتين أو ثلاث ويـؤخذ أحسن

محصول للشجرة عند بلوغها خمس عشرة سنة. **والرمان من الشجر المعمر (٥٠سنة) وتعطي الشجرة الجيدة حوالي مائتي ثمرة.** وتحمل الثمار طرفياً على «**عساليج**» ولذلك يراعى عدم قص أطراف الأفرع. والبرعم الزهري في الرمان يعطي أكثر من زهرة واحدة.

وتنقسم أصناف الرمان إلى قسمين:

(١) أصناف ذات ثمار فاتحة اللون مثل: البناتي والعربي والطائفي والمليس.

(٢) أصناف ذات ثمار غامقة اللون (حمراء) مثل: المنفلوطي والحجازي وناب الجمل، ويمتاز بقلة الحموضة.

وتختلف أصناف الرمان في الحجم والشكل واللون، وحلاوة العصير ودرجة الحموضة، وشكل البذور ولونها، وأجود أنواعه الشديدة الحمرة، الرقيقة القشرة، الكثيرة الماء.

ويمكن إطالة موسم الرمان بتخزين الثمار عند درجة الصفر المئوي، وتخزن حوالي أربعة شهور. ويمكن تجفيف الثمار في الشمس بعد جمعها ثم وضعها في حجرات جيدة التهوية في صفوف غير متلاصقة، وبهذه الطريقة تحفظ الثمار حتى ستة شهور.

أما ترك الثمار على الشجر مدة طويلة فيطيل من بقائه، ولكن يخشى عليه من التفلق، ويكون عرضةً للإصابة الحشرية والفطرية.

محتوياته وآثاره الطبية

تحتوي بذور الرُّمان على نسبة مرتفعة من الأحماض العضوية التي تساعد على تقليل الحموضة في البول والدم، وبذلك يفيد كثيراً في الوقاية من مرض «النقرس» أو داء الملوك Gout . وذلك لأنه يقوم بتقليل نسبة حمض البوليك في الدم، وبالتالي تجنب تكوين بعض أنواع الحصوات في الكلى.

كما يحتوي الرُّمان على نسبة عالية من السكر (١٥٪) وطعمه مائل للحموضة لاحتوائه على حامض الليمونيك، كما يحتوي على فيتامين أ، ب، ج، وكذلك يحتوي على بروتين بنسبة قد تصل إلى ٣٪، وكذلك يحتوي على نسب قليلة من الحديد والفوسفور والمواد الدهنية وبعض المواد الأخرى.

أما قشور الرُّمان فقد وجد أن بها ٣٠٪ من المادة القابضة وتعرف بـ «التانين» ولذلك تستخدم القشور في علاج الإسهال والدوسنتاريا.

كما تحتوي قشور سيقان وجذور شجر الرمان على مجموعة من القلوانيات تصل إلى ٠,٦٪ أهمها قلواني الـ «بلترين» المستعمل في القضاء على الدودة الشريطية بطردها من الجسم.

وقد عرفت ثمار الرمان بأنها مقوية للقلب، **طاردة للديدان، مفيدة في علاج الدوسنتاريا والوهن العصبي، كما تداوي بعض الأورام في الغشاء المخاطي، وتطهِّر الدم، وتساعد على هضم المواد الدسمة في الغذاء، وتخلص الأمعاء من الفضلات الغليظة.**

قال ابن سينا: إن قضبان الرمان مفيدة لطرد الهوام، وكذلك دخان خشبه، وقيل إن بعض الطيور البرية تضع في عشها بعضاً من خشب الرمان فلا تقربه الهوام!

«إن بعض الطيور البرية تضع في عشها بعضاً من خشب الرمان فلا تقربه الهوام»
(ابن سينا)



وإذا استخدم منقوع قشر الرمان الجاف بعد غليه في عمل عجينة مسحوق الحناء فإنه يكسب الشعر لوناً بنيًّا ضارباً إلى السواد أكثر ثباتاً وبريقاً.

يقول ابن القيم: «حلو الرمان حار رطب جيد للمعدة مقو لها بما فيه من قبض لطيف نافع للحلق والصدر والرئة جيد للسعال، وماؤه ملين للبطن يغذو(١) البدن غذاء فاضلاً يسيراً، سريع التحلل لرقته ولطافته، ويولد حرارة يسيرة في المعدة وريحاً، ولا يصلح للمحمومين. وله خاصية عجيبة إذا أكل بالخبز يمنعه من الفساد في المعدة الملتهبة، ويُدِرُّ البول أكثر من غيره من الرمان. ويسكن الصفراء، ويقطع الإسهال، ويمنع القيْ، ويلطف الفضول، ويطفئ حرارة الكبد، ويقوي الأعضاء، نافع من الخفقان الصفراوي والآلام العارضة للقلب وفم المعدة، ويدفع الفضول عنها ويطفئ المرة الصفراء والدم.

وإذا استخرج ماؤه بشحمه وطبخ بيسير من العسل حتى يصير كالمرهم واكتحل به قطع الصفرة من العين ونقاها من الرطوبات الغليظة، وإذا لطخ على اللثة نفع من الأكلة المعارضة لها، وإن استخرج ماؤهما بشحمهما أطلق البطن وأحدر الرطوبة العفنة المرية، ونفع من حميات الغب المتطاولة.

وأما الرُّمان المز فمتوسط طبعاً، وفعلاً بين النوعين وهذا أميل إلى لطافة الحامض قليلا، وحب الرمان مع العسل طلاء للداحس والقروح الخبيثة وإقماعه للجراحات، قالوا ومن ابتلع ثلاثة من جنبذ الرمان في كل سنة أمن من الرمد سنته كلها».

هامش

(١) يغذو: هكذا في الأصل ولعلها يغذي.

المراجع

١ ـ سيد قطب، في ظلال القرآن. دار الشروق. ط١٣، ج٧.

٢ ـ محمد قطب. منهج الفن الإسلامي. دار الشروق، ط ٧ (الشرعية).

٣ ـ سعد محمد خفاجي. النباتات الطبية وإطالة عمر الإنسان. مركز الدلتا للطباعة، ١٩٨٧م.

٤ ـ شحاتة قنواتي. تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط. دار المعارف، ١٩٧٩م.

٥ ـ محمود علي. أساسيات إنتاج الفاكهة (محاضرات). جامعة الإسكندرية، كلية الزراعة.

«مهداة إلى شاعر اللون، ورسام الكلمة صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، حبيب أبها وكحل خضرة غابات عينيها»


سمو الأمير خالد الفيصل

يا كحل أبها

للشاعر العراقي
يحيى السماوي

يا ظامئًا شربَ اللهيبَ دُهورا ... أَطْفِئ ضرامَكَ، قد وَصَلْتَ عسيرا

صَعُبَتْ علىٰ العاصين فهي عسيرةٌ ... وَتَدَفَّقَتْ للطيبينَ نَميرا!

إنْ كنتَ فارقْتَ العشيرةَ مُرْغَمًا ... فَلَقَدْ وَجَدْتَ لدىٰ الكرامِ عشيرا

قاسٍ عليكَ هواكَ بَعْدَ تَشَرُّدٍ ... قاسٍ، وأَقْسىٰ أَنْ تعيشَ نثيرا!

ماذا حَصَدْتَ من الهوىٰ وحقولهِ؟ ... جيلان مَرًّا، ما عَرَفْتَ حُبُورا!

أَنِخِ الركابَ، فأنتَ بين أَحِبَّةٍ ... مَنَحوكَ خبزَ مَوَدَّةٍ وسرورا

ما ضاعَ فجُركَ يا شريدُ، وإنما ... ضاعَ الذي جَعَلَ الهوانَ مصيرا

سمعًا لصوتِكِ يا عسيرُ وطاعةً ... قد كنتُ قبلَكِ ـ في العراقِ أسيرا

سكَنَ الأسى عمري وعانَقَ مقلتي ... ليلٌ به غَدَتِ المياهُ سعيرا!

شَنَقوا طيور الأمنياتِ على فمي ... واسْتَعْذَبوا دمعَ الصباحِ عصورا

قَدْ جئتُ يا حقلَ الأمانِ يشدُّني ... شوقٌ، وماكان المشوقُ صبورا!

عُريانَ إلَّا من ثيابِ صَبابتي ... وتقيَّ أَضاءَ بروحيَ الدَّيجورا

وكم ابتلىٰ بالعشق حاملُ حكمةٍ ... ويعيشُ ذو القلبِ المشوق بَصيرا

أنا يا عسيرُ ـ وإنْ أَضَرَّ بيَ الهوى ـ ... فأَحالني لعذابِهِ ناعورا

لكنَّ روحي ما تزالُ طَريَّةً ... ورياضُ أحلامي تَضِجُّ زهورا

قد جئتُ أَخْطبُ وُدَّ فاتنةٍ لها ... أَسْلَمْتُ قلبًا ما يزال نَضيرا

حسناءُ تَوَّجَها الصباحُ بشمسِهِ ... والليلُ تَوَّجَها شذىً وبدورا

غَزَلَتْ ضياءَ الشمسِ فهو قميصُها ... والبدرُ زَفَّ لها الكواكبَ حُورا

عذراء قد نَسَجَ الحَياءُ خِمارَها ... وعَفافُها جعلَ الأصيلَ خَفيرا!

نَسَلَتْ من الشَّجَرِ الوريقِ ضفيرةً ... ومن الجبالِ الشاهقاتِ سَريرا

ومن النجومِ قلادةً بَدَوِيَّةً ... ومن الغيومِ الطَيِّباتِ بُخُورا

نَعَسَ الخيالُ على حدائق ثغرِها ... فَغَفَىٰ بظُلِّ رحيقِها مسحورا

فَخَلَعْتُ خُضْرَةَ مُقْلَتَيَّ لأنني ... أَبْصَرْتُ خُضْرَتَها أَرَقَّ حَريرا

من أينَ أَلثمها؟ فكلُّ ثَنِيَّةٍ ... من جِسْمِهَا الصافي تقومُ ثُغُورا؟!

لو أَنَّ فاتنةً ببعضِ جمالها ... لَطَغَتْ علىٰ كِبَرِ الغرورِ غُرُورا!

قد جئتُ أُنْشِدُها القصيدَ فأَنْشَدَتْ ... ـ بالحسنِ ـ أحلىٰ ما تكونُ سُطورا

مَنْ عَلَّمَ الشَّجَرَ الوريقَ تَغَنُّجًا ... فَسَبىٰ قلوبًا واسْتَخَفَّ طيورا؟

فَطَويْتُ شِعري واسْتَحَيْتُ لأنَّ ما ... نَطَقَتْ بِهِ قَدْ أذْهَلَ التعبيرا

وسَألْتُها رَوّاً علىٰ كتبِ الهوىٰ ... فأتىٰ الجوابُ يُرَتِّلُ التكبيرا

قالتْ: تَوَضَّأْ للصلاةِ فإنَّ مَنْ ... يهواهُ قلبي أنْ يكونَ طهورا

فَسَجَدْتُ للرحمٰنِ سَجْدَةَ خاشعٍ ... وَحَمَدْتُ ربي، وابْتَهَلْتُ كثيرا

باللهِ رُوِّي يا بَهِيَّةُ.. واخْبِري ... قلبًا بأحزانِ الفِراقِ خَبيرا

قالتْ: رعاكَ اللهُ يا ابْنَ عمومتي ... أنا قد عشقتُ، ولن أخونَ ضميرا!!

فاطْلُبْ ـ سوىٰ قلبي ـ وحسبُك أنني ... أُخْتٌ تصونُ أخًا لها مبرورا!

يدعونها «أبها» وأدعوها التي ... بَعَثَ الزّمانُ لها الربيعَ سفيرا

يدعونها «أبها» وأدعوها التي ... وقفَ الجَمالُ أمامَها مبهورا

فَتَمَوَّجي يا روحُ فوقَ سفوحِها ... طابَتْ أَحِبّاءً وطابَ غَديرا

وأَقِمْ عليها يا شريدُ مُرَتِّلاً ... حينًا، وحينًا خاشعًا وَشَكورا

ماذا ملكتَ من الرحيلِ سوىٰ الأسى؟ ... في الأربعين وما مَلَكْتَ حصيرا!

وَسَجَرْتُ تنوُّري بثوب طفولتي ... وَعَجَنْتَ طينًا ـ حين جعتُ ـ فَطيرا

فَأَكَلْتُهُ أكْلَ العَوافي قانعًا ... وَمَدَدْتُ نُسْكي للصباحِ جُسُورا

للطيرِ أغصانٌ، فليتَ أرومتي ... مَلَكَتْ غصونًا أو تكون طيورا!

ما أَبْعَدَ الشطآنِ عن أنهارِها ... إنْ صارَ قتلُ حقوقِها دستورا

قد جئتُ مطعونًا كزهرِ حدائقي ... وعميتُ مذ صار العراقُ ضَريرا!!

قد كنتُ أَحْسَبُني أذُلُّ بغربتي... ... فإذا بثوبِ الخيشِ صارَ حريرا!!

وأَتَيْتُ كهلاً من ديارِ فجيعتي ... ودخلتُ «أبها» فاسْتَحَلْتُ غريرا!!

عشقَتْ فأَخْلَصَتِ الهوىٰ لحبيبها ... حين انْتَقَتْ زَيْنَ الشبابِ سميرا

أَنْعِمْ «بـ أَبْها» للربيع أميرةً ... و«بدايم السيف» الصقيلِ أميرا

فَضْلُ الغصونِ لجذرِها، وأميرُها ... أَرْسَىٰ بأرضِ الطَّيبينَ جذورا

فكلاهما تَشْتاقُهُ أحداقنا ... وجهًا يفيضُ ـ من المحبة ـ نورا

وكلاهما يمشي بحقلِ قلوبنا ... نهرًا أبىٰ غيرَ الوفاءِ مسيرا

وكلاهما خَبَرَ الهوىٰ وعفافَهُ ... وكلاهما مَنَحَ الضفافَ زهورا

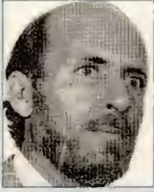
يا كُحْلَ «أبها»، مِلْحَها وَوِجاقَها ... فاهْنَأْ بحبِّكَ عامراً معمورا

فكأنها أرض «العسيرِ» قصيدةٌ ... وَجَدَتْ «بخالِدَ» مطلعًا مأثورا!

إنْ كانَ مشهورًا بِعِفَّةِ عشقِهِ ... فأنا غَدَوْتُ بحبِّهِ مشهورا!

ها يا شريدُ؟ أليسَ خيرَ أحِبَّةٍ ... أَلْفَيْتَ بعد تَشَرُّدٍ، وعشيرا؟!!

مِن كُتّاب العدد



● يحيى السماوي

- من مواليد مدينة السماوي / العراق عام ١٩٤٩م
- بكالوريوس ودبلوم في الأدب العربي من جامعة المستنصرية في بغداد.
- عمل بالتدريس والصحافة وفُصل منها لعدم انتماءاته الحزبية
- فاز بجائزة الشعر الأولى في ملتقى أبها الثقافي لعام ١٤١٣هـ.
- له ثلاثة دواوين شعرية؛ هي:
- عيناك دنيا / عام ١٩٧٠م
- قصائد في زمن السبي والبكاء / عام ١٩٧١م
- مراسيم الخروج من الجسد ١٩٧٦م

وله تحت الطبع:
- قلبي على وطني
- جرح باتساع الوطن

الامتناع عن الطعام واستمرار الحياة

بقلم: د. محي الدين لبنيه



كثيراً ما نسمع عن أناس امتنعوا عن الطعام، متخذين من ذلك وسيلة للضغط تتحقق بها مطالبهم، ومن عجب أن مدة الاضطراب قد تطول لتصل إلى أسابيع أو ما يزيد عن الشهر.

ويدور التساؤل بين هؤلاء الذين أثارهم هذا السلوك عن كيفية استمرار الحياة بدون طعام لفترات زمنية وصلت أحيانًا نحو شهر ونيف! وبلا شك فإن هؤلاء المضربين عن الطعام كانوا يحصلون على ما يحتاجونه من الماء بما يروي ظمأهم، كما أنهم لم يبذلوا نشاطًا أو جهدًا عضلياً ملحوظًا لتوفير الطاقة المخزنة في أجسامهم أطول فترة ممكنة من الصيام، ويبرز السؤال عن كيفية تأمين الإنسان لاحتياجاته من الطاقة؟ وما هي مصادر تصريفها؟.

الغذاء والطاقة

نحن نتناول الطعام لنحصل على الطاقة وهو كالوقود اللازم لتشغيل المحركات، وحيث تتحلل مكوناته في الجهاز الهضمي إلى عناصر غذائية بسيطة التركيب تمتص لتأخذ طريقها إلى الكبد حيث ينظم الاستفادة منها، وتعد **الكربوهيدرات والبروتينات والدهون** العناصر الغذائية المسؤولة عن إنتاج الطاقة والتي يتولد عند حرقها حيويًا (الأيض) طاقة حرارية يستعملها الجسم في استمرار أدائه النشاطات الحيوية والعضلية المختلفة.

مصادر تصريف الطاقة

ويستعمل الجسم الطاقة المتولدة فيه لعدة أغراض هي:

الامتناع الطوعي عن الطعام ولمدة طويلة خطر..

●● **أولاً: توفير ما يحتاجه الأيض القاعدي Basal metabolism** والذي يتمثل في عدد السعرات الحرارية المنصرفة في أداء النشاطات الحيوية داخل الجسم مثل نبض القلب وعملية الشهيق والزفير والأنشطة الخاصة بالخلايا المحافظة على درجة حرارة الجسم وإرسال الإشارات العصبية للتحكم في النشاطات الآلية وبصورة عامة المحافظة على استمرارية الحياة.

●● **ثانيًا**: يستعمل جزء آخر من الطاقة في **النشاط العضلي** للإنسان.

●● **ثالثًا**: يستعمل الجزء الأخير من الطاقة في **عملية الهضم والامتصاص** والفعل الديناميكي الخاص للغذاء.

وتؤدي خلايا جسم الإنسان عملاً تفقد فيه طاقة حتى في حالة النوم أو الاسترخاء الكامل، ويستهلك النشاط العضلي الذي يؤديه الجسم خلال ساعات الاستيقاظ حوالي $\frac{1}{3}$ الطاقة الحرارية الكلية المنصرفة يوميًا، بينما يصرف الجزء الباقي من الطاقة لتأمين أداء العمليات الحيوية التي تجرى في خلايا وأنسجة الجسم المختلفة بحيث تأخذ عملية توفير الطاقة اللازمة للخلايا والأعضاء الداخلية الأولوية، ويتحقق ذلك بتوفير الوقود على فترات عند تناول الغذاء في صورة وجبات غذائية، ويتجه الجسم عند عدم توفر الطعام إلى إيجاد مصادر بديلة للطاقة ويتأقلم على الظروف المستجدة بخفض معدل الأيض القاعدي في الجسم عن المستوى الطبيعي ليستمر نبض الحياة ويطول العمر.

الامتناع عن الطعام والمجاعة

وإذا كان الامتناع عن الطعام طوعيًا فإننا نقول: بأن الشخص مضرب عن الطعام، بينما إذا لم يكن لديه الخيار كنتيجة حدوث جدب أو قحط أو نفاذ للغذاء في منطقة ما فإنها تكون مجاعة، وحيث لا يوجد هناك اختلاف بين العمليات الحيوية التي تحدث في خلايا الجسم في كلتا الحالتين، ويجبر فيهما الجسم بالتحول - في سبيل الحصول على الطاقة - إلى الاعتماد على مخازنه الاحتياطية من الكربوهيدرات والدهن، ثم يلجأ بعد يوم أو أكثر إلى استهلاك بروتينات أنسجته العضلية أيضًا. وتكون خلايا الجسم في حاجة إلى الوقود باستمرار، فعند بداية الإضراب عن الطعام يسري سكر الجلوكوز والأحماض الدهنية (الناتجة

إذا كان الامتناع عن الطعام طوعيًا أو نتيجة مجاعة، فالنتيجة واحدة: الهزال وضمور العضلات

عن تحلل الـدهن) داخل الخلايـا لتتكسر وينتج عنها مركب وسطي يعرف بـ **أستيل مرافق أنزيم أ (Acetyl Co A)** تحدث له تحولات حيوية ينتج عنها طاقة للخلايا، ثم يستهلك خلال عدة ساعات من الامتناع عن الطعام معظم السكر (الجلوكوز) ليلجأ الجسم إلى سحب **الجليكوجين glycogen** (يتكون من سلسلة طويلة من وحدات سكر الجلوكوز متصلة ببعضها) من مخازنه في الكبد والعضلات ويتحرر منه السكر لسد النقص في الطاقة إلى أن ينضب هذا المورد وعند ذلك تعتمد معظم الخلايا على الأحماض الدهنية في استمرار توفير الوقود لها.

المخ والطاقة

إلا أن خلايا المخ لا تستطيع الاستفادة من الأحماض الدهنية بل تستمر في طلب السكر لأنه المركب الوحيد الذي يمكنه النفاذ خلال جدران خلايا المخ والذي يتكسر بدوره إلى المركب الوسطي (استيل مرافق أنزيم أ) وتستمر تحولات هذا المركب لإنتاج الطاقة اللازمة له، ويستهلك المخ في الحالة العادية كميات لا يستهان بها من السكر ويواجه مخ المضرب عن الطعام ذي المتطلبات الخاصة (الجلوكوز) مشكلة بينما تلجأ خلايا الجسم الأخرى إلى استعمال مخازن الدهن والبروتين الموجودة بكمية كافية في توفير معظم احتياجاتها من الطاقة.

ضمور العضلات

وبداية فإنه تتكسر الأنسجة الغنية بالبروتين كالعضلات نتيجة لتحلل البروتين فيها إلى حدٍ ما أثناء الامتناع عن الطعام ويزداد معدل **الهدم** مع طول تلك الفترة ليحدث **الهزال** وضمور للعضلات، ويمكن أن يستعمل الجسم الأحماض الأمينية (الناتجة عن تحلل البروتين) والتي تعطي ٣ ذرات كربون (**بيروفات Pyruvate**) في بناء سكر الجلوكوز للمخ وتعتبر هذه العملية مكلفة له في سبيل الحصول على السكر، كما يستعمل **الجليسرول** الناتج عن تحلل الدهون كوقود، ويقوم بروتين الجسم خلال الأيام الأولى من الإضراب عن الطعام بتوفير حوالي ٩٠٪ من السكر المطلوب له، بينما يقوم الجليسرول بتوفير الجزء الباقي (١٠٪)، **وينجم عن استمرار فقد بروتين الجسم على هذا المعدل هزال شديد ثم الموت المحقق خلال حوالى ٣ أسابيع.**

تأقلم الجسم

إلاّ أن الجسم يلجأ كوسيلة لاستمرار البقاء في حالة الإضراب عن الطعام أو المجاعة إلى التأقلم على إنتاج مصدر بديل للطاقة مثل **الكيتونات Ketones** عن طريق تكثيف جزيئات أو شظايا مشتقة من الأحماض الدهنية المتحللة من الدهن، ويرتفع إنتاج الكيتونات في الخلايا خلال عدة أسابيع من الامتناع عن الطعام وبها يستطيع الجسم أن يؤمن حوالى $\frac{١}{٢}$ أو أكثر من احتياجات المخ من الطاقة، وإلى هذه اللحظة فإنه لا تزال هناك مساحات من المخ تعتمد كلية على الجلوكوز، ويستمر بروتين الجسم في التضحية لإنتاج السكر اللازم لخلايا المخ.

إجراءات وقائية

وفي الوقت نفسه فإن الجسم يقلل بصورة جزئية من معدل الأيض القاعدي خلال الامتناع عن الطعام أو في حالة سوء التغذية المستمرة لفترة طويلة ويُعد إجراءًا وقائيًا لتوفير الطاقة عند حدوث نقص فيها وتقليل حدوث استهلاك لأنسجة الجسم سواء العضلية أو الدهنية، وبما أنه يحدث خلال فترة الإضراب عن الطعام نقص في الكتلة العضلية فإنها تقوم بعمليات حيوية أقل وينقص بالتالي احتياجاتها من الطاقة، ويزيد من هذا التأثير حدوث انخفاض في النشاط العضلي للشخص المضرب عن الطعام مما يزيد معه معدل ضمور وهزال عضلاته.

> يعمل الجسم على التأقلم على ندرة الطعام ويلجأ إلى إنتاج مصدر بديل للطاقة..



المخ العدواني

بقلم: د. أمان محمد أسعد

لعلّ أكثر ما يـزعزع الأمن والاستقرار في أي مجتمع ويقلق أفراده هـو تزايد العنف بين الأشخاص في الأماكن العـامة أو في المباريات الـرياضية أو في وسائل المواصلات، وكـذلك زيادة معدل الجرائم مثل جرائم النهب والسرقـة بالإكراه والقتل والاغتصاب. وكل هـذه الحوادث هي من مظاهر العنف والسلوك العدواني الذي يستبد ويسيطر على الإنسان ضد أخيه الإنسان.

ولا شك أننـا نتسـاءل: **لماذا يتصرف بعـض الناس بشـدة وعصبية وعنف وعدوانيـة؟ وما سبب السلوك العدواني عند الإنسان؟ هل سببه وجود مادة في الدم؟ أم في الجينـات الوراثيـة؟ أم في المخ؟ وهل أي إنسـان مهيـأ ليكون عنيفًـا أو شاذًا وعـدوانيًا في سلوكه؟**

يقـول بعض علماء النفس مثل «كونـراد لونـز» و«روبرت أردري»؛ إن العدوان هو غريـزة فطرية ورثها الإنسان من أسلافه (جدوده) الأوائل، وهذه الغريزة استمـرت مع تطور الإنسان وسـاعدته على النجاح في الحياة. **ولكن بعض البـاحثين لهم رأي مخالف حيث يقولون:** إن الإنسان ليس عـدوانيًا بطبيعتـه ولكن المجتمع هـو الـذي يعلمـه العنف وينمّي عنـده السلوك العدوانيّ فعنـدما ينشأ أفراد المجتمع في بيئة قاسية ومتوترة وفاشلة ومخيبة للآمال تتجمع كل هــذه العـوامل وتجعل أفــراد المجتمع يستجيبون للعنف، وتزرع فيهم بذور العدوان.

وبالـرغم من وجود الـدراسات التي تحاول أن تربط بين العـوامل الاجتماعية والاقتصاديـة والفقر والأسر المفككة من جهة والسلوك العنيف العدواني للإنسان، من جهة أخرى **فإن كثيرًا من الدراسات اتجهت إلى داخـل جسم الإنســـان، حيث درس العلماء دم الإنسان ومخه وخلايا جسمه حتى يتمكنوا من معـرفة أسرار عنف الإنسـان، وأسرار سلوكـه العدوانيّ.**

دور الهرمونات الجنسية

لقـد لـوحظ أن الهرمونـات الجنسيـة يمكن أن يكـون لها دور في السلـوك العـدواني. فمن قديم الـزمن عرف المزارعـون أن إزالة الخصيتين من ذكـر الحيوان الهائج والجامح تؤدي إلى تهدئته، وقد عُرف بعـد ذلك أن الخصيتين تنتجـان هـرمون الـذكـورة الذي يسمى «تستوستيرون». لـذلك ينعدم وصول الهرمون إلى الـدم ويتحول الحيـوان الهائج الثائر إلى حيوان هادئ ومسالم.

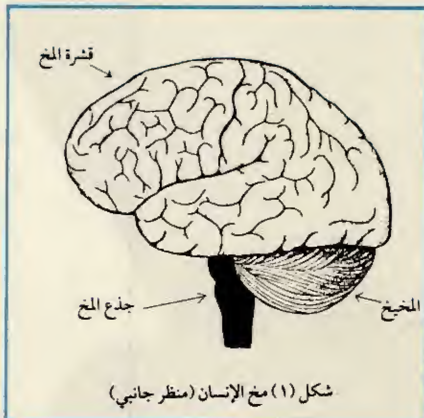
ويبدو أن تركيـز هرمون تستوستيرون لـه علاقة بـالنصر والهزيمـة. ففي إحدى الـدراسـات التي أجريت بجامعة هارفارد بأمريكا، تم قياس معدل التستـوسيترون في دم الطلبـة الذين يمارسـون لعبـة الملاكمـة ولـوحظ أن الملاكمين الفـائزين كـان في دمهم معـدل مـرتفع من الهرمـون أعلى من معـدل الهرمون الموجود في دم الملاكمين المهزومين. كما وجد أن كل الملاكمين كـان عنـدهم زيـادة في معـدل هرمـون التستوسيترون بعد المباريات، وهـذا كان متـوقعًا؛ لأن الهرمـون يـزيد بعـد التمـرين. لكن لـوحظ أن الفائزين كـانـوا يتميزون بـوجود معـدل مـرتفع من الهرمـون في الـدم على عكس المهـزومين الـذين كـان عندهـم معدل منخفض، ولـو كـان معدل الهرمون عندهم متساويًا قبل المباراة.

وطبقًـا لهذه التجـارب، يعتقـد البـاحثـون أن تغيرات معـدل هـرمـون التستـــوسيترون تسـاعـد الإنسان على التكيف مع البيئـة حيث تساعده على الانتصار، وبذلك ينتج ذرية قوية. وذلك بالطبع في صالح جنـس الإنسان. ولكن هنا نتسـاءل هل يتطلب الانتصار والسيادة أن يكـون الإنسان عنيفًا وعدوانيًـا؟ وهل الأشخـاص الناجحـون في الحياة يجب أن يكونـوا دائمًا عنيفين وشرسين وعدوانيين في تعاملهم مع الآخرين؟

أما الهرمونات الجنسية الأنثوية، فقد لوحظ أن الإنـاث عنـدمـا يتنـاولن مـادة البروجستين أثنـاء الحمل (وهذه المادة تشبه هرمون البروجسترون الذي يفرز عند الإناث) يلدن أطفالاً أكثر عنفًا وعدوانية من الأطفال الذين ولدوا من أمهات لم يأخذن هذه المادة. كما لـوحظ أيضًـا أن سلـوك بعض النسـاء يكون عنيفًـا وشرسًا خلال ثمانية أيـام من كل شهر وهي الأيـام التي تكون قبل وأثنـاء الدورة الشهـرية كنتيجة للتغيرات الهرمـونية. ولـذلك فإن القـانون الإنجليزي يعتبر النسـاء خلال هـذه الفترة مرضى ولا يُعَـاقبن من الناحيـة القانـونية بنفس العقـاب الذي يُعَـاقبن به إذا قمن بـارتكاب جـرائم في أيام أخرى غير أيام الدورة الشهرية.

دور الوراثة

لقــد درس العلماء دور الـوراثــة في السلــوك العـدواني؟ وهل يمكن أن يـورث السلوك العـدواني من الآباء إلى الأبناء؟ لقد أوضحت الدراسات التي أجـريت في إنجلترا وأمـريكـا أن الأطفـال يكـون سلوكهم مثل سلوك آبائهم عنيفًا وعدوانيًا حتى إذا نشئوا وتـربوا بعيدًا عـن آبائهم. وأوضحت بعض الـدراسـات أن السلوك العـدواني يمكن أن يـرثـه الإنسان من جدوده حتى الجد الرابع، لا من والديه



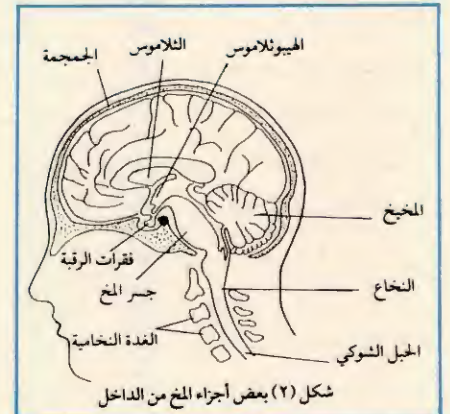
شكل (١) مخ الإنسان (منظر جانبي)

فقط . وقد لوحظ من خلال الدراسات التي أجريت على فئران التجارب أن بعض الجينات الموجودة على الكروموسوم الذي يسمى «y» هي التي تؤدي إلى ارتفاع معدل هرمون التستوستيرون في الذكور قبل البلوغ ، وبالتالي تساهم في السلوك العنيف العدواني في الفئران الذكور. والكروموسوم«y» موجود في الذكور وغير موجود في الإناث؛ لأنه يحدد نوع الجنين الذكر. ومع ذلك فهذه الجينات بالرغم من ارتباطها بالسلوك العدواني إلا أنها لا تسبب السلوك العنيف الشرس في كل حالة كما أنها ليست العامل الوحيد الذي يؤدي إلى هذا السلوك .

المخ البشري والسلوك العدواني

من المعروف أن المخ هو المسيطر والمتحكم في كل سلوكٍ يقوم به الإنسان ، أي إن المخ هو المصدر المسؤول عن كل سلوك وفعل يصدر من الإنسان . **لذلك اتجهت دراسات الباحثين إلى المخ لمعرفة الأسباب الأخرى غير الهرمونات الجنسية والوراثة التي يمكن أن تجعل الإنسان عنيفًا وشريرًا وعدوانيًا .**

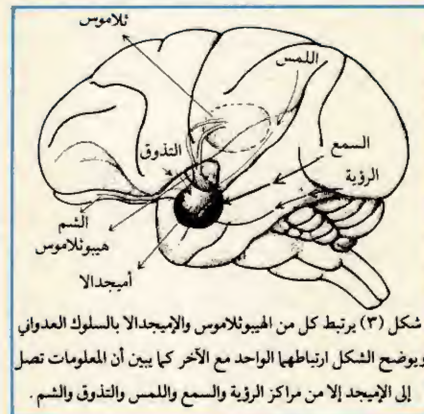
فقد قام الباحثون في أمريكا بتقسيم الشباب العدوانيين بإحدى مدارس الأحداث للتهذيب والإصلاح إلى مجموعتين : المجموعة الأولى وهم الصبية الذين ارتكبوا جرائم اغتصاب وقتل ، أما المجموعة الثانية «الأقل عنفًا» ، وهم الصبية الذين قبض عليهم في جرائم السرقة والتهديد والابتزاز واقتحام المنازل . ووجد أن ٤٦٪ من شباب المجموعة الأولى كان عندهم مشكلة أو عدة مشكلات عصبية مقابل ٧٪ فقط من شباب المجموعة الثانية الذين كانوا يعانون من المشكلات العصبية . **وقد استطاع الباحثون تحديد منطقة الإصابة وهي الجهاز الليمباوي بالمخ وهو أحد أجزاء المخ المسؤول عن العواطف والانفعالات .**



شكل (٢) بعض أجزاء المخ من الداخل

يقول أطباء المخ والأعصاب : إن مخ الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أجزاء : الجزء الأول معقد وبدائي من ناحية السلوك مثل مخ الزواحف ، والجزء الثاني هو الجهاز الليمباوي وورثه الإنسان من الحيوانات الثديية البدائية ، أما الجزء الثالث فيسمى «القشرة الجديدة» وهو موجود وواضح في الحيوانات الثديية المتطورة مثل الإنسان . **وتقوم القشرة الجديدة بدور التحكم والسيطرة على الجزء البدائي من المخ ، ولكن إصابة الجهاز الليمباوي تؤثر في هذه السيطرة وتسبب الانفعالات العنيفة .** كما لوحظ أن الإميجدالا والهيبوثلاموس وهما منطقتان داخل المخ وكلتاهما مرتبطتان بالسلوك العدواني . فعندما يتم تنبيه الهيبوثلاموس في الحيوان تحدث استجابة عنيفة للحيوان ويتحول إلى حيوان هائج وشرس . ولتوضيح هذا السلوك عند الإنسان قام أحد الباحثين بوضع أسلاك كهربية في مناطق محددة على أمخاخ مرضى صرعٍ كانوا يتصفون بالسلوك العنيف . بعد ذلك قاموا بتوصيل التيار الكهربائي ، وعندما وصل التيار الكهربائي إلى منطقة الإميجدالا أصيب المرضى بحالة ثورة وعنف وغضب .

وقد لاحظ الأطباء أن إصابة المخ بالأورام تؤدي إلى السلوك العنيف عند المرضى لأنها يمكن أن تضغط على الجهاز الليمباوي ، وإزالة الأورام تشفي المرضى من السلوك العنيف . والأورام ليست هي الوحيدة التي تسبب اضطرابا في وظيفة المخ وتؤدي إلى السلوك العنيف . فقد **لوحظ أن تعاطي المشروبات الكحولية والعقاقير المنشطة والمخدرة تؤثر في المخ وتسبب السلوك العنيف .** وكثير من الشباب الذين قبض عليهم في حوادث السرقة والتهديد والاغتصاب كانوا متعاطين إحدى المواد السابقة ، وهذا ما كشفت عنه تقارير البوليس والطب الشرعي في معظم الحوادث . وقد لوحظ أيضًا أن الألم وكذلك الازدحام ودرجة الحرارة العالية والأصوات العالية وبعض الروائح الكريهة يمكن أن تولد السلوك العنيف عند الإنسان .



شكل (٣) يرتبط كل من الهيبوثلاموس والإميجدالا بالسلوك العدواني ويوضح الشكل ارتباطها الواحد مع الآخر كما يبين أن المعلومات تصل إلى الإميجدا إلا من مراكز الرؤية والسمع واللمس والتذوق والشم .

وقد قام علماء الكيمياء الحيوية بدراسة كيمياء المخ لمعرفة دور بعض المواد الكيماوية داخل المخ في السلوك العنيف للإنسان ، و لاحظوا أن مواد تسمى «أمينات» لها دور في هذا السلوك حيث يزداد تركيزها أثناء السلوك الانفعالي العنيف . لذلك يستخدم الأطباء عقار «بروبرانولول» لتهدئة المرضى لأنه يقلل إفراز «الأمينات» وبذلك يمنع تأثيرها . **ويعتقد العلماء أن كل نوع من أنواع السلوك الانفعالي مرتبط بنشاط جزء معين في المخ وكذلك بمواد كيماوية معينة .**

ويتضح من خلال الدراسات والتجارب السابقة أن العوامل التي تنبه السلوك الانفعالي العنيف والعدواني كثيرة سواء كانت نابعة من داخل جسم الإنسان أو عوامل خارجية مثل العوامل الاجتماعية والاقتصادية والتربية الأسرية وغيرها التي ذكرت سابقًا .

ولكن الشيء المحير هو كيف يفقد المخ السيطرة على سلوك الإنسان؟ بالرغم من أن المخ يستطيع السيطرة والتحكم في سلوك الإنسان؟ وكيف يتحول المخ الهادئ المسالم إلى مخ عنيف وشرير وعدواني؟!!

المصادر

1) The Violent Brain. Science Digest, April 1982, pp. 34 - 114.

2) General Physiology of the Forebrain, pp. 1277 - 1315. In : Medical Physiology, edited by vernon B. Mountcastle. 12th edition, vol II (1968).

3) Introduction to Physiological Psychology.

By Francis Leukel 3 rd edition (1976). Part two chapter 4, pp. 58 - 82. Mosby Company.

بداكيات

الهاتف

كان الإنسان قديماً يلجأ للصراخ ليوصل صوته إلى مسافات بعيدة وكان حلمًا بعيد المنال أن يسمع غيره من مكان بعيد. ولكن الحُلم أصبح حقيقة بفضل الهاتف.

وقد ولد هذا الجهاز عام ١٨٧٥م في كندا على يد القابلة القانونية أو المخترع اسكندر غراهام بل من أصل اسكوتلندي.

وقد ولد هذا المخترع في مدينة ادنبره في اسكوتلندا عام ١٨٤٧م، وكان يعمل في ميدان الأدب أستاذًا للبلاغة ثم هاجر إلى كندا. غير أن ميوله العلمية كانت غالبة فهو مولع بإجراء التجارب. والعلم هو ما يوزن ويقاس ويجرب. وقد شغله ولعه الشديد في البحث العلمي والتجارب المستمرة عن عمله الأصلي. وكان حلمه أن يصل إلى وسيلة تنقل الصوت أو الكلام بوساطة الكهرباء إلى مسافة بعيدة. وهذا ما شغله عن أعماله اليومية حتّى أوشك على الإفلاس لو لم يحالفه التوفيق.

وفي اليوم الثاني من شهر حزيران من عام ١٨٧٥م سمع اسكندر لأول مرّة أصواتاً تنتقل عبر الأسلاك وبذلك حدثت المعجزة. وتابع تجاربه حتى عام ١٨٧٦م حيث نطق اسكندر بل بأول كلمات ترسل إلى مُسافة محدودة باستخدام الكهرباء، وجهاز صنعه من نوابض ساعة وقطع خشبية ومغانط كهربائية وبعض الأسلاك.

ولد التليفون الأول على يد اسكندر بل لكنه لم يلق اهتمامًا بادئ الأمر حيث لجأ اسكندر لعرضه في معرض فيلادلفيا فلم يهتمّ به أحد من الناس أو السلطات في المعرض. لكن لحسن الحظ صادف مجيئ امبراطور البرازيل لزيارة المعرض وقتئذٍ فشاهد اختراعه هذا وسأله عنه فأعطاه اسكندر السمّاعة وذهب ليتكلم من المرسلة المتصلة بنهاية السلك وحين سمع الإمبراطور صوت اسكندر بل دُهش فسقطت السماعة من يده وقال بعجب: «إنها تتكلم!!» وإثر هذه الحادثة التي تناقلها الناس أصبح اختراعه مشهوراً.

وشاء الله – سبحانه – أيضًا أن يحاول مخترع آخر الوصول لما وصل إليه يدعي (إليشا غراي) وذهب أيضًا ليسجل براءة اختراع لجهاز مشابه بعد ساعات قليلة من تسجيل (اسكندر بل) براءة اختراعه. غير أن المحكمة العليا الأمريكية قررت اعتبار (اسكندر بل) المخترع الأول للتليفون.

وعلى الرغم من أوجه الشبه بين جهازي (بل) و(غراي) ثم جاء توماس أديسون- وهو أعظم مخترع في القرن العشرين ليجعل من هذا الاختراع أكثر فعالية بإضافة ملف تحريض إليه.

دور أديسون

من المشكلات التي واجهت هذا الاختراع هي عدم إمكانية نقل الصوت إلى مسافات بعيدة. فقد كان التيار الناتج عن الصوت في المرسلة ضعيفًا. وكانت مقاومة الأسلاك تُضعف التيار فيضعف الصوت.



فقام أديسون بتجاربه لتحسين هذا الاختراع حتى وصل لنتيجة مفادها أن يجعل التيار الكهربائي يمر في سلك ملفوف على قلب من الحديد فيكون الملف الابتدائي، ويجعل مقابله ملفًا ثانويًا يتألف من لفات أكثر عددًا وأسلاك رفيعة جدًا وهو ما يسمى بالترانس أو المحوّل أو الآوت بوت.

فحين يمر تيّار المرسلة في لفّات الملفّ الابتدائي يتولّد عن مروره مجال مغناطيسي في القلب الحديدي ويحرّض في لفات الملف الثانوي المقابل تيارًا أعلى مما يرفع الجهد فيسري في الأسلاك، تيارًا عاليًا مما يمكنه من اجتياز مقاومة الأسلاك للوصول إلى مسافات بعيدة.

وفي الطرف الآخر يكون العكس أي أن أديسون عكس العملية نفسها؛ فعند الطرف المستقبل أصبح الملف الإبتدائي كثير العدد أي عدد اللفات كثيرة والطرف الآخر عدد لفاته قليلة مما يجعل السمّاعة تستعيد الصوت المرسل على أصله بسبب تخفيض الجهد.

وبفضل تلك التجارب التي قام بها هؤلاء المبدعون نشأت الخدمات التليفونية التي يتمتع بها أكثر الناس اليوم. حيث يقدر عدد التليفونات المستخدمة في جميع أنحاء العالم أكثر من ٤٧٠,٠٠٠,٠٠٠ هاتف تمكن أي إنسان من التحدّث مع الجار المجاور أو مع أي شخص آخر في الطرف الآخر من الكرة الأرضية.

لقد انتقل الإنسان بسرعة إلى عصر التغيّرات التقنية الضخمة فصناعة الهاتف اتخذت أساليب فنية متقدمة وهي تزداد تقدماً كل حين، وينتظر أن يتضاعف عدد الأجهزة المستعملة في معظم أنحاء العالم وبخاصة في الدول النامية.

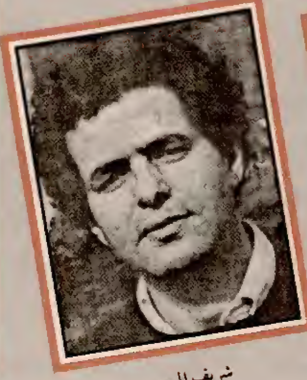
ويمكن لأي شخص هذه الأيام إجراء حديث تليفوني مع شخص في أوروبا أو أمريكا أو في أماكن أبعد، بالسهولة نفسها تقريبا التي تتصل فيها بصديق في الشارع المجاور، ويعود الفضل في تحقيق هذا إلى الله عز وجل ثم إلى الكبلات البحرية الممدودة عبر البحار وفكرة مدّ الكبلات عبر البحار ترجع إلى عام ١٨٩١م حيث مدّ أول كابل بحري بين خليج مارغريت في انجلترا وخليج سانغات في فرنسا، وكان في داخل هذا الكبل وقتئذ أربعة كبلات حيث يمكن نقل مكالمتين في وقت واحد فقط. أمّا الأن فيوجد كبلات كثيرة لها القدرة على نقل مكالمات أكثر، نذكر على سبيل المثال منها ستة كبلات تحت مياه المحيط الأطلسي بين أوروبا وبين أمريكا الشمالية. وأخرى بين استراليا ونيوزيلاندا عبر جزر هاواي ومنجي. وقد تمّ وصل البلاد العربية بالشبكات الأوروبية بكبلات مدّت بين بيروت والقاهرة ومرسيليا عام ١٩٧٣م.

أوراق الكروم



إعداد وتصنيف
جريجوري أورفالي ○ شريف الموسى
عرض وتقديم
محمد الحديدي


جريجوري أورفالي


شريف الموسى

في مقدمة هذا الكتاب يقول لنا هذان الكاتبان إنه عندما ينتقل المرء من بيئة هي مهد الحضارة الإنسانية، من بؤرتها الحارة الجافة، من أقدم ما في الدنيا من مدن: دمشق، بيبلوس، أريحا... لكي يجد نفسه في أكثر البلدان جدة وشبابا، فإن ما يضطرم في أعماقه من إحساس بهذا الفارق العظيم سوف يعبر عن نفسه... شعرا، شعرا ينبثق من هذا الشق في أعماق النفس كما يورق الريحان من شقوق الصخور.

للعرب الأمريكان أن يتساءلوا: هل يحق أن نعزل شعرا، نضعه منفردا في جانب، على أساس عرقي؟ إن شعراء العرب في الدنيا الجديدة ينحدرون من أقوام عاشوا في مفترق طرق التاريخ وملتقى دروب البشرية، ومن هنا فإنهم ينتمون لتراث في غاية التميز. إنهم أدرى الناس بأن الشعر وسيلة من الوسائل القليلة المتاحة للبشرية، والتي تمكنها من أن تعبر حواجز الانتماء للغات والقوميات والديانات.

والأمريكان يسمون بلادهم «بوتقة الانصهار»، لأنها تجتذب المهاجرين من كل الأجناس والقوميات، إلا أن هذا الانصهار بعيد عن أن يكون نهائيًا وتاما، **وما تزال جموع الأمريكيين تعرف أصولها،** بما في ذلك «جذور» العبيد الأفريقيين التي بحث عنها الكاتب الأمريكي الراحل «اليكس هيلي» وصورها في كتابه الذي يحمل هذا العنوان، ولدى الأمريكيين شعر للسود وللأسبان والأرمن والصينيين وغيرهم من جماعات القادمين من كل أنحاء الأرض.

ويقول لنا هذان الباحثان: إن الشعر الذي يضمه هذا الكتاب ليس منتقى على أساس أنه شعر العرب الأمريكيين، بل لما يتصف به من امتياز، فأحد هؤلاء الشعراء رشح لجائزة نوبل في الأدب، وهناك من حاز الجائزة القومية للكتاب، ومن فازوا بالعديد من الجوائز الأمريكية القيمة.

يمضي المؤلفان مخصصين السوريين بفقرة لها أهمية خاصة:

الكثير من أعمال شعراء المهجر الأوائل من السوريين نقدمه هنا بالإنجليزية لأول مرة، وقد كان على هؤلاء الشعراء أن يواجهوا ظروفا قاسية وأن تجرفهم دوامة الحياة الأمريكية. وفي مطلع القرن كان السوريون يعدون ـ بعد القادمين من الصين ـ أكثر الأغراب غربة من بين المهاجرين إلى أمريكا، وما زالوا واحدة من الفئات التي يقول عنها واحد من المعلقين: إن معاداتها أو كراهيتها أمر «مأمون». ولكن هناك أمرا واحدا على الأقل يتميز به السوريون، وهو ولع بالشعر يمكن ارجاعه إلى ألسنة القبائل العربية في العصر الجاهلي وإلى أسلافهم الفينيقيين مثل شاعر صور «ميليغار»، بل وإلى الكنعانيين الذي وضعوا «نشيد الإنشاد».

ويمضي المؤلفان:

من كتاب العدد



● **محمد الحديدي**

- ولد سنة ١٩٢٦م بمدينة بور سعيد بجمهورية مصر العربية.
- تخرج في كلية الهندسة جامعة القاهرة١٩٤٨م.
- أصدر ديواناً شعرياً بعنوان «أنشودة الغرباء».
- كتب الرواية وصدرت له أربع روايات: «الجدران» ١٩٧١م و«شبان هذه الأيام» ١٩٧٣م و«شخص آخر في المرآة» ١٩٧٥م و«الحب رجل» ١٩٩٠م.
- له في الدراسات الأدبية كتاب «نماذج من الرواية العالمية».
- زار عدداً من البلدان الأوروبية والولايات المتحدة والهند واليابان وكتب عددا من المقالات الأدبية في معظم الصحف والمجلات العربية.



• وبرغم أن قوى المدنية الحديثة قد بدأت توجد هذه الفجوة العميقة المألوفة بين الشعر والناس، فإن الزائر للشرق الأوسط لن يفوته أن يلحظ ثراء الشعر العربي وما له من وقع على الحياة اليومية.

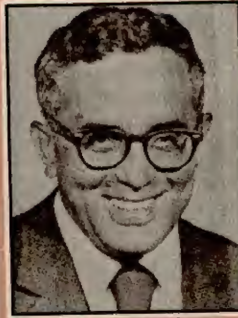
فالشعر عند العرب ليس مجرد بحوث أكاديمية تدور في الجامعات كما هو الحال في الولايات المتحدة، بل إنه كنوز قومية تستخدم في المناسبات المهمة لتحقيق الاتصال بين الأقوام؛ ففي قرية أربين بسوريا مثلا، نجد أنه في جنازة شاعر يقف حفيده الصغير ليرثيه بشعره وهو يوارى التراب، بينما تفيض الدموع تأثرا؛ وفي حفل مسائي يقام لتحية ضيوف من المهاجرين إلى أمريكا يتسابق أبناء العموم إلى إلقاء أشعارهم المرتجلة؛ هناك فنون المساجلة ومقارعة الشعر حيث يقف الشعراء يتبارون كلٌّ بما لديه، بينما يستمع إليهم الحاضرون في متعة عظمى.

وبينما ينـدر أن تجد شـاعـرًا بين المشتغلين بالسياسة في أمريكا - مثل يوجين ماكارثي مثلا - فإن الساسة الشعراء في العالم العربي ليسوا ظاهرة يندر حدوثها؛ هناك السوري نزار قباني، **وغازي القصيبي السعودي ومانع العتيبة من الإمارات** وكثيرون غيرهم. ويقول العلامة ابن رشيق الذي عاش في القرن الحادي عشر: **«كان العرب القدماء يتمنون الخير لأحبائهم على هيئة أحداث سعيدة ثلاثة: أن يرزق الواحد منهم بابن، وأن يأتيه فرس أصيل وأن يولد في أسرته شاعر»،** في مقابل ذلك نجد ابن بناني يقول: «إن الشعر الجاد في حد ذاته لا يحتل سوى مكانة ضئيلة في التراث الأمريكي الحديث، بما يتسم به من سرعة الخطو وصخب الضجيج».

عصران مختلفان

وقد رأينا أن نقدم في هذا الكتاب عصرين مختلفين جد الاختلاف: عصر جبران الشهير، عصر الرابطة القلمية في نيويورك، وهم الشعراء الذين انضموا إلى ملايين المهاجرين الذين أتوا إلى الدنيا الجديدة في مطلع القرن العشرين، وحقبة الكتاب المعاصرين الذين لا يكتبون سوى الإنجليزية. وكم هو أمر يسحر اللب أن تجد أن الذي يربط بين هؤلاء جميعا ليس هو مجرد الأصول العرقية لمواطنين أمريكيين؛ هناك الروابط الأسرية والحس بالانتماء العالمي والتساؤلات الميتافيزيقية والحنين إلى الوطن الأم والسخط على ظواهر الظلم والعنف والقسوة والصراع بين الأمم وعشق الحدائق... كما تلحظ أيضا أنهم قد أنشأوا في داخلهم دون قصد نوعا من الخلاف الجاد، يتمثل في رثاء أمين الريحاني لجبران خليل، في مواجهة النقد اللاذع الذي يتعرض له جبران فيما كتبه عنه يوجين ناصر في **«نزاع مع خليل جبران»** وشريف الموسى **«حلم على ذات الوسادة»**.

"الأمريكيون أقبلوا على ما يشبه الوجبات السريعة من شعر جبران.."


يوجين ناصر


جبران خليل جبران وميخائيل نعيمه

والواقع أن من يريد أن يقدم «جبران» من خلال انتقاء أعماله سيقع في حيرة، فقد كتب بغزارة باللغتين الإنجليزية والعربية، وقد قامت راعيته **ماري هاسكل** بما هو مفروض أنه «تلميع» لأشعاره الإنجليزية المبكرة، وهي تتضمن نماذج من أرفع ما كتب. وقد نشرت أعماله في مختلف أنحاء العالم متعرضة للقرصنة من جانب الناشرين، كما تعرض شعره المكتوب بالعربية للترجمة الرديئة والتحرير السيء. وبينما نجده يعد عملاقا عند النقاد والقراء في العالم العربي، نجده في أمريكا يحظى بالتجاهل وأحيانا بالاستصغار في الأوساط الأدبية مع كونه مصدرا لتوزيع واسع النطاق لناشره ألفريد نويف. والأغرب من هذا كله أنه فيما عدا ما قد تجده هنا أو هناك من نتف شعرية، فإن الفصل المخصص له في هذا الكتاب هو أول إظهار جاد له في مجموعة شعرية أمريكية، وهو ما قد يدل القارئ على حالة الأدب الأمريكي ومسالكه المظلمة الضالة.

وقد تحاشينا أن ننحاز إلى أي من الجانبين، ذلك الذي يحيط جبران بما يشبه الهالة وذاك الذي يلقي به جانبا ويجده لا يستحق سوى التجاهل المتعجرف. والذي قد يكون مسؤولا عن التطرف في الحالتين هو كتابه الشهير «النبي» الذي بيعت منه ثمانية ملايين نسخة. ولأولئك الذين يتجاهلونه فإننا نرشح للقراءة أعمالا أخرى غير هذا الكتاب الذي يتسم بالمبالغة والغرابة الحافل بالأقوال والأمثال. واضح أن جبران كان مفكرا ثائرا وشاعرا جادا ولكن القراء الأمريكيين أقبلوا على ما يشبه «الوجبات السريعة» من انتاجه دون ما أعده لهم بصبر وجهد وبثمن فادح وتضحية كبيرة، وخاصة ما ترجم عن العربية دون ما يستحقه من مقدرة وعناية.

وبرغم أن شهرته تقوم على أنه شاعر الحب، فإن قوته الحقيقية تكمن في أفكاره السياسية والاجتماعية. ومن أروع أعماله «بني وطني» وهو هجوم لاذع على شعب لبنان وعلى الطائفية عموما، من المؤسف أنه أطول من أن نأتي به هنا.

ويعزى أسلوب جبران وما يتصف به من المبالغات إلى ما عمد إليه من الانتماء للمدرسة الرومانسية. وعندما جاء السوريون إلى أمريكا درسوا بلغتهم المكتسبة شعراء مثل ويتمان وكيتس وشيلي بدلا من معاصريهم الأمريكان مثل إليوت وباوند ووليمز، ونجد جبران يقر بتأثير كيتس عليه.

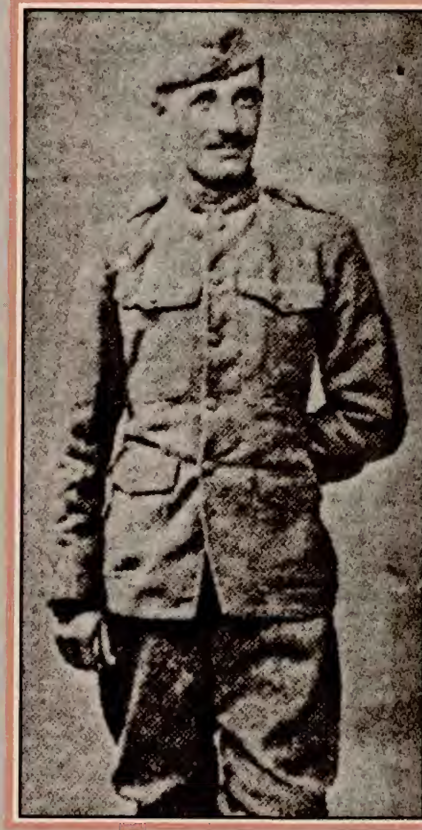
تجاهل .. لماذا؟

أما عن أمين الريحاني وميخائيل نعيمه وإيليا أبو ماضي - وهم جميعًا من أعضاء الرابطة القلمية فقد مضت أشعارهم دون أن يلحظها أحد في موطنهم الجديد، مع أنها أرفع من أشعار جبران نفسه.

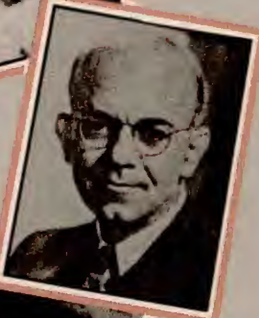
تنزع أشعار الريحاني نحو الاعتداد الشديد بالنفس مع اتسامها بمقاطع فكتورية، ومن الغريب أنه ترك نفسه يتجه نحو تحرر في الشكل والمضمون في أشعاره العربية لا يظهر في شعره بالانجليزية الذي يتصف بمزيد من الموسيقية وشيء من الانشغال بقضايا الحرية. ولن يفوت القارئ أن يلحظ التأثر بأعمال ويتمان والتشبه بقصيدته «أغنية عن نفسي»، يظهر في شخصية خالد البائع المتجول في نيويورك.

نعيمة، فقصيدته «أخي» تستحق أن تقارن بأفضل ما كتب في معاداة الحرب. ومثل الشاعر الإنجليزي ولفريد راوين، اشترك نعيمه في الحرب العالمية الأولى كجندي أمريكي. ولم تترجم «أخي» إلى الإنجليزية إلا سنة ١٩٧٤ (ترجمها خوري والجار)، وهي تلعن البشرية لكونها تريد الحرب، وتعبر عن اللوعة لهذه النزعة. ونجد نعيمه هو أيضا يختلف مع هوراس، ونجد أن استحداث أشياء مثل غاز الخردل لا يجعل الموت من أجل الوطن شيئا جميلا.

” شعراء المهجر يحنون إلى أصولهم العربية ويبثون ذلك في قصائد مؤثرة ..! “


ميخائيل نعيمه


أمين الريحاني


إيليا أبو ماضي


جميل حلوي

ونحن نجد في نعيمة شاعرا عالمي المستوى برغم أنه لم ينشر سوى ديوان واحد هو «همس الجفون» (١٩٤٣). وقد درس نعيمة اللاهوت في روسيا وتأثر بالروائيين والشعراء الروس في القرن الماضي، وتلبسته فكرة الموت، وتجده في «أوراق الخريف» منشغلا بالخليقة والموت منفعلا بهما بنفس القدر.

أما إيليا أبو ماضي فهو بطل شعبي في العالم العربي، مثل روبرت فروست في الأدب الأمريكي. وبخلاف غيره من شعراء المهجر، فهو لم يكتب شيئا بالإنجليزية ولم تستطع زوجته أن تقرأ شيئا من شعره لجهلها العربية. وبهذه المناسبة فهي تتلهف على ظهور هذا الكتاب وهي الآن في أواسط الثمانينيات من عمرها. من الغريب حقا أن تكون أشعار أبو ماضي شائعة بهذا القدر في العالم العربي بينما لا يدري به أحد في موطنه الجديد برغم أن الكثير مما ينقل إلى الإنجليزية دون أعماله في المستوى.

همزة وصل

يشكل جميل حلوي همزة الوصل بين المهجر والشعراء المعاصرين الذين ولدوا في الولايات المتحدة. ولم تنشر له أية دواوين شعرية بالإنجليزية أو العربية ولكن كتاباته تظهر في الصحافة الأدبية العربية، ثم بدا هذا نفسه يتداعى ويختفي بينما الأبناء ثم الأحفاد يولدون في بلاد الغربة وتنمحي لغة الضاد من عقولهم وأفئدتهم.

ويضم الكتاب أحاديث ونماذج لعشرين شاعرا، خمسة عشر منهم مازالوا أحياء. ويرفع المؤلفان شعار الجودة وليس الشهرة، وهكذا تجد أعمالا لشعراء معروفين هنا وهناك مثل صموئيل



حازو وغيره ممن ليسوا كذلك كجوزيف عوض. وأغلبهم ليسوا من رجال الجامعات، فهم صحفيون أو محامون أو مديرون وأصحاب مهن متنوعة منها ما لا يتصل بالفنون.

«للشعراء اهتمامات ذاتية بالطبع، وتأثرات بتجاربهم الشخصية، وقد عاش جبران في صباه بالقرب من دير في لبنان كان يؤوي المرضى النفسانيين ومن هنا يأتي اهتمامه بالجنون. ونجد عدنان يتأثر بسنوات حياته في سان فرانسيسكو مظهرا ذلك في حديثه عن موسيقى الجاز التي يعزفها السود الأمريكيون بأسلوب يخلق إحساسا باقتراب يوم مدلهم.

صموئيل حازو يتأمل حديثا إذاعيا عن عاصفة ممطرة ويصف البوارج وهي تغوص ويتخيل الحروب الفرنسية والهندية وهي تدور حول بتسبرج في الماضي الأمريكي، أما **جوزيف عوض** فتذكرنا ابتهالاته الشعرية بالقصائد الميتافيزيقية في الشعر الإنجليزي في القرن السابع عشر. **وديانا ملحم** تعبر عن لوعتها لما جرى للحي الغربي في نيويورك حيث نشأت، واقتلاع سكانه لتحل محلهم طبقات أكثر رخاء؛ **ولورانس جوزيف** يأسى للصراعات العنصرية التي اجتاحت مدينة ديترويت في الستينيات؛ وتكتب **ناعومي شهاب** قصائد ساحرة عن أمريكا اللاتينية وعن الضفة الغربية».

الشاعر العربي الأمريكي.. ما هي هويته؟

يقول المؤلفان أنهما يقدمان لنا في هذا الكتاب عشرين شاعرا وشاعرة، خمسة عشر منهم مازالوا أحياء أو كانوا كذلك إذ ذاك، وإنهما قضيا خمس سنوات يبحثان عن البعض ممن هم غير معروفين، وهو جهد يستحق الثناء من أجله، فمما يبعث على الأسى في كل عصر أن شعراء وأدباء موهوبين ومجدين قد أصابهم الخسوف من أصحاب الأسماء الكبيرة، كما تطلع الشمس فتطمس النجوم، وهو ما يجعل شاعرا كالمتنبي يقول إن كل صوت شعري يسمعه ليس إلا رجعا لصوته وترديدا لما أنشده هو فسبق به الجميع!

ويقول المؤلفان حقا إنهما عثرا على درر تختبئ في أرفف حوانيت الكتب النائية القديمة، كما أنهما تلقيا من هنا وهناك ترشيحات لأسماء غير شهيرة، وكم كانت الشهرة وبالاً على أصحابها وغيرهم.

وهكذا فإنهما اختطا لنفسيهما قاعدة وهي أنه لكي ينال شاعر اهتماما منهما فإنه يشترط فيه أن يكون مواطنا أمريكيًّا منحدرًا من أصول عربية وأن يكون قد نشر أعمالا في ثلاث مجلات أدبية على الأقل، أو أن يكون قد أصدر ديوانا واحدا «له قيمة»، وهي عبارة غامضة طبعا. ويقران بأن هذه القاعدة لا بد قد أدت إلى استبعاد صوت أو آخر ممن يستحقون الالتفات، ولكن ـ كما يقولان ـ «إن أحكامنا قابلة بالطبع للوقوع في الهوى، شأنها في ذلك شأن الأساس الذي يقوم عليه الشعر كله، وهو القلب. ولكننا وجدناه أمرا مثيرا وباعثا على الرضا والمتعة، أن نمزج المعروفين من المعاصرين مثل صموئيل حازو مع من هم غير مشهورين وإن كانوا مجيدين، مثل جوزيف عوض.

ثم يأتي حديث طويل ورائع عن هوية العربي الأمريكي الشاعر وانتماءاته وانفعالاته بأحداث العالم العربي.

«إن الأسرة الآدمية هي ما يهم جبران، وخصوصا أولئك الذين يتعرضون للذم من الآخرين. وهو لا ينفرد بذلك، فالأسرة هنا أمر يختلف عن الاهتمام بالأسرة الذي نراه أحيانا في الحركات السياسية والاجتماعية المحافظة. وبلا استثناء، نجد أن للشعراء هنا رؤية تمتد إلى أن تستوعب الأسرة وتقف بإصرار في مواجهة الظلم، وهم لا يتقبلون العزلة التي ينطوي فيها الشعر الأمريكي عموما، فهم ينحدرون من قوم وفدت عليه غزوات عديدة، فقد تعرض لبنان مثلا للغزو سبع عشرة مرة على الأقل، من الهكسوس إلى الإسرائيليين، هذا بخلاف التمزقات والتناحرات الداخلية، والكثيرون من الشعراء يجاهدون ليتخطوا القومية إلى شيء يوحد البشرية كلها، سواء كان الجشع أو الأمل أو الكراهية أو الحب».

ما الذي أخذوه من أمريكا وماذا فقدوا وماذا كسبوا؟ أوراق الكروم، أو «ورق العنب» كما يسمى عند الشعوب العربية التي تصنع منه واحدا من أحب الأطعمة إلى قلوبهم، يسحبه حمود من أعماق ثلاجته فيذكره بأبيه الذي اعتاد أن يطلب منه أن يوقف سيارته بعيدا في أعماق نورث داكوتا ثم يهبط


صموئيل حازو




لورانس جوزيف

حمود

”
الشعر عند العرب كنوز تستخدم لتحقيق الاتصال بين الناس
“

ليفرش سجادة الصلاة متوجها نحو الحرم الشريف . وهو يحاول جاهدا أن يعود إلى لغته العربية وإن يكن قد فات الوقت! إن أمريكا هي مكان «العواطف المتماسكة» ، إنها «غلطة كولومبس» ، ولكنها أيضا الأرض التي يتساقط فيها الجليد كما لوكان «الحب الخفي» .

ولم تفلح أمريكا في أن تحقق لبعضهم ما كان يتطلع إليه من مُثلٍ ، ففي مؤتمر فرساي نرى الرئيس ويلسون يصاب بخيبة الأمل ويدرك أنه ليس من السهل إصلاح حال العالم ، وقد خذله الشعب الأمريكي نفسه ، وقد كان في هذا المؤتمر نفسه أن أظهر الفلسطينيون أنهم يفضلون الانتداب الأمريكي على الإنجليزي أو الفرنسي . ونرى الشاعر تركي يعبر عما يحس به من تمزق لإحساسه بأنه مواطن أمريكي ، أصوله في فلسطين .

وبعد الأسرة والقومية العالمية يأتي التعلق بدنيا الميتافيزيقا التي تظهر في شعراء الرابطة ولكنك تجدها أيضا في تأملات عوض وعدنان وحازو . كان انبهار جبران بـ «الآخر» يرى على أنه نوع من الجنون أو الهرطقة ، والرؤى تترى في مخيلة عوض وهو يتأمل مقعد أبيه الخالي .

والحنين إلى الوطن عند الكثيرين ليس مجرد حنين إلى الماضي . إذا كان فقدان الأسرة يعني خسارة النفس عند الشاعر العربي الأمريكي ، فإن في استطاعة الحب أن يبث الموتى في روح الأحياء ومخيلاتهم . من أروع الأمثلة لذلك قصيدة **حازو «إلى أمي»** ، ومرثية **حمود «سطور لأبي»** .

وتدور أعمال عديدة حول أمور هي عند هؤلاء الشعراء طبيعية بقدر ما كان «الجمال المخيف» للثورة الايرلندية طبيعيًّا عند ييتس ، وكذلك الحديث عن محاكمات السود في **«الطريق الجنوبي»** عند **براون** . ولكن التعرض للصراع العربي الإسرائيلي يضع الشاعر من هؤلاء في مأزق . أثناء حرب كوريا لم تكن هناك سوى قلة من الأمريكيين الكوريين ، وأثناء فيتنام كان الفيتناميون قلة (الهجرة جاءت بعد الحرب) ، ولكن اليهود يوجدون في أمريكا منذ القرن السابع عشر ، والعرب من أواسط القرن التاسع عشر ، ومع تزايد شحنات السلاح الأمريكي في أعقاب حرب ١٩٦٧ وجد الشاعر العربي أن اعتراضه على موقف بلاده أمر غير محمود العاقبة ، وقد رفضت المجلات الشعرية أن تنشر قصائد الاحتجاج على الغزو الإسرائيلي للبنان مع أنها نشرت خطابات تحتج على الفظائع التي ارتكبت في السلفادور .

ولكن الذي يفعم القلب هو القراءات الشعرية في مدينة نيويورك حيث اشترك شعراء أمريكيون من العرب واليهود في إلقاء قصائد الاحتجاج على مذابح صبرا وشاتيلا ، وجمعت بعد ذلك في ديوان شعري قام بصياغته وتحريره كمال بولاطا .


فوزي تركي


جوزيف عوض


جاك مرشال

> " لماذا رفضت المجلات الشعرية في الغرب نشر قصائد الاحتجاج على مذابح صبرا وشاتيلا ؟ "

الأنماط الشعرية

في هذه الفقرة يتعرض المؤلفان لأثر الأنماط الشعرية التقليدية في أعمال هؤلاء الشعراء ، مع إقرارهما بأن الثورة التي أحدثها شعراء المهجر كان لها أثرها عندنا وعندهم . العروض تقدم لنا ـ فيما يقولان ـ خمس عشرة صورة ، (يقصدان البحور الخمسة عشر التي أوردها الخليل بن أحمد ثم أضاف إليها الأخفش بحر المتدارك) ويأتيان بأمثلة لأثر الطباق وغيره مما نجده في القصيدة العربية التقليدية ، في أعمال جوزيف وحازو ، من ذلك السجع والجناس ، ثم ما يأتيان به هكذا بحروف إنجليزية : «رد العجز على الصدر» و«حسن التعليل» .

يمضي المؤلفان في إيراد الأمثلة الدالة على أن موسيقية الشعر العربي وأساليبه النغمية تظهر واضحة في نماذج عديدة لشعراء لا يعرفون العربية ، ولكن الشاعرية الموروثة ما تزال تجد طريقها إلى كتاباتهم ، ويضيفان :

«وقد طلبنا من بعض من لا يزالون أحياء أن يدلوا بما لديهم بشأن ما يدفعهم إلى كتابة الشعر وكيف يرون أنفسهم كعرب أمريكيين وكيف يجدون حالة الشعر في أمريكا وماهيَّة الشعر وطبيعته . وقد جاءت استجاباتهم متباينة بشكل مثير»

ينطلق القارئ بعد ذلك في صفحات هذا العمل المخلص الرائع ، ليجد نماذج عديدة ، كلها بالإنجليزية ، مترجمة ـــ كما في حالة **أبو ماضي** ـ أو مكتوبة بتلك اللغة كما عند **أورفللي** ذاته **وجاك مارشال** (مشعل هو اسمه الأصلي) **وحمود وجوزيف عوض وديانا ملحم** ، ليرينا المؤلفان أن هناك أكثر من مجرد الحس والثقافة والروح الفنية عند الشاعر؛ **هناك شيء خفي يجعل من ولد في بلاد العم سام ونشأ فيها مقطوعا عن أصوله ، يجد طريقه إلى هذه الأصول كما وجدها الكاتب الزنجي إليكس هيلي .**

---

* المقصود بالعنوان «ورق العنب» طعام يتميز به الشرق ، دلالة عليه (المترجم) .

قصة قصيرة

داخل لحظة غشاؤها أصفر

بقلم: مصطفى حجاب

فوق نقطة هنا، مابين الشاطىء وسفوح سلاسل المرتفعات الموازية للجانب الشمالي الغربي من حدود البحر الأحمر، ببلدة «**الغردقة**» كان سعيداً.. يمشي ثم يتوقف ناظرا في كل اتجاه يستطلع الشاطىء والبحر والسماء والأفق، شعر بكينونته تغطي كل هذا الاتساع.. اتساع لم يزل يحتفظ بعبق بداية التكوين ولاإنسان على الشاطىء إلا هو لولا أن برز صياد صغير السن فجأة من وراء التل القريب وأسند كعب بندقية صيده على الأرض بين قدميه واضعا كتفيه وذقنه على فوهتها هكذا شاخصا ببصره إلى هذا الغريب تناسى الغريب وجود الصياد وراح يدور حول نفسه نشوانا كبلورة المنار في شبه رقصة ، ابتسم الصياد الصغير. نفذت الابتسامة إلى قلب البلورة، فدار حول نفسه دورتين حتى يرى الابتسامة هذه المرة أكثر اتساعا والتماعا، رفع الصياد عينيه وفوهة البندقية وابتسامته إلى السماء ، وتهاوى طائر خطاف البحر زاعقا في دمه على الساحل.

نصف قرص الشمس المجهد ومستعمرات حيوان المرجان تصبغ مياه البحر باللون الأحمر وهذا الضوء الأحمر المعلق بأعلى باب المدير اقتحمه دون أن يؤذن له.

ـ سيدي المدير ..

.. المدير يطرد ذبابة وهمية كانت تقف فوق طرف أنفه .

ـ ياسيدي المدير ..

المدير يعاود طرد الذبابة ذاتها.

ـ سيدي المدير .. سيادتك أمرت بنقلي إلى الغردقة .

ـ نعم ، أمرت ..

ـ لماذا ؟

ـ لماذا !

ـ وأرجو أن أعرف الأسباب.

ـ أسباب !

ـ نعم الأسباب ..

ـ من أذن لك بالدخول ؟

ـ ......

ـ أجب

ـ أرجو أن أعرف الأسباب .

ـ اخرج

....

مال المدير برأسه إلى الأمام وعاود كلمة أخرج .. لم يستطع الوقوف أكثر ولم يخرج ولم يدرك من قبل أن المدير يصبغ شعره .

ـ أخرج .

كانت الكلمة هذه المرة مدوية ومنذرة.. شعر أن سقف غرفة المكتب يهبط وأن الحوائط تتقدم نحوه وقطيع من الفيلة يدوس هواء الغرفة حتى تسّيل، ومستنقع من اللزوجة تصل حدوده حتى الزوايا وفتحتي أذنيه ، وزملاءه يهمسون له : كلمة مدح واحدة وينتهي كل شيء.

على الشاطىء .. عند حافة المياه تتكسر القواقع الجيرية تحت ثقل خطواته ، يستشعر هو لذة التحطيم ، يدوس بحذائه أكثر حتى يسمع صوت الكسر بشكل واضح ، ينحني ملتقطا محارة استرديا ، وبذراعه المفرودة يرسم نصف قوس يتراجع إلى الخلف ثم إلى الأمام وتنطلق المحارة متماسة عند نقطة بعيدة من سطح البحر وتنطرد واهنة مسافة أخرى ثم تغوص .

ـ أقصد ياسيدي أن ما ارتكبته لا يقبل الصفح .. أقصد لا يقبل العفو .

ـ هل اعترفت ؟

ـ نعم اعترفت .

ـ إذن فالمسألة بسيطة .

ـ هكذا الكبار ياسيدي عندما تقاس بجانبهم الأشياء

ـ كنت أظنك غير ذلك .

ـ وأمثالي كل الزملاء .. تلهج ألسنتهم بالثناء صبح مساء ، هاء ، باء ، داء ،

حاول أن يستفيض لولا أن تورم لسانه ، وملاء الفراغ فمه ، وتلقفه الزملاء عند الباب : سمعنا كل شيء هكذا يكون الكلام . عندما سقط رفعوه ، حملوه على اكتافهم وعندئذ غلّف المكان فقاعة هائلة من لحظة غشاؤها أصفر محتوية بذلك الزمان بشكل قاطع ، وتكاثر تحته ومن ورائه وحوله كأن الزملاء .. موكب . وتختفي وجوههم وراء أقنعة ، وتعلوا رؤوسهم طراطير من ورق مقوي ، أما طرطوره هو فكان من جلد الحرباء يتلون .. يتلون .. تطلعوا إلى طرطوره في حسد وبشوا في وجهه هتفوا بحياته أراد أن يتخلص منهم بعنف وقرف ، يقبضون على فخذيه ، يهوي بقبضتيه على رؤوسهم يعلو هتافهم هديرا . أحس باللحظة ، وما تحويه كلّ يتصدع ، وتنزلق اللحظة هكذا إلى الوراء حيث الزمن الماضي تاركة مكانها

الحاضر للحظة أخرى وليدة أحق بالوجود ، صرخته ارتج لها غشاء اللحظة .

في هذا الزمن الماضي كان أبوه في فراش الموت عندما همس الطبيب لأمه في أذنها وخرج وسألته أمه : ما معنى ياولدي أن الحالة تتدهور مع مرور الوقت ، ومرت اللحظة ومات أبوه .

واللحظة التي هو بداخلها تمر ، يصرخ ، أظافرهم تنغرس في فخذيه أكثر ومع توالي اللحظات يصرخ ، لفظ حنجرته وظل يصرخ دون صوت إلى أن تباعدت فقاعة اللحظة هناك في الوراء واستقرت ـ في الماضي تماما ، أصابها سن الشيخوخة وتهدل غشاؤها من فوق أكتافهم مد ذراعه حتى أقصاها على قطعة مدلاة من السُقف إلى أسنانه ، نفذ من العنق خارجا فوق أشلاء هذه اللحظة الصفراء وانطلق بعد وفوق هشيم اللحظات التي مضت حتى انتهى إلى مكتب المدير وزعق .

ـ انقلني إلى الغردقة .

آلاف المناديل السحابية القطنية البيضاء تلوح مودعة مركب الشمس في نهاية رحلتها اليومية والصياد ضاحك السن عائد وصيده من طائر خطاف البحر مدلي في خيط من كتفه ورفع ذراعه إلى أقصاها مودعا وابتعد حتى اختفى .. لا إنسان سواه على الساحل ، خلع ملابسه عريان ومشى عموديا على خط الساحل إلى البحر ، راح يسبح ومن فوقه أسراب طائر خطاف البحر يقودها سر غامض إلى موطنها الشمالي .

يا حمى البائسين

شعر: سليم الرافعي

عَالَمَ الأمس! أيها الطيفُ.. مرحى ... لك في عالم الوئام اجتماعا

يا نخيلاً ملء المآذن يسْري ... نسْمةً حلوةً ويسْمُو ارتفاعا

يا جلالاً مقدَّسًا في جمالٍ ... شعَّ في البهجة الحنون وشاعا

وَحْدةً في النظامِ كان ومُلْكًا ... عَمَّر الخيِّرون فيه البقاعا

نسي المحدثونَ ما كان يَجْري ... في الصحارى مُروءةً واندفاعا

عَالَمَ العدْلِ والإخاء تراءى ... حاكمًا مُسْعدًا ورأيًا مُطاعا

أَوَ تُبنى الممالكُ الشُمُّ إنْ لمْ ... يَقُمِ العدلُ قِمةً وَيفَاعا؟

يا حِمى البائسين! نُوديَ مُلْكٌ ... خَاضَ في نُصْرة الحقوق صراعا

إنما ينحني الرجالُ.. ليعلو ... ذلك الصَرْحُ أوْ يزيد امتناعا

حدِّثونا عن الرواسي فإنّا ... غَاضَ مُسْتنقعٌ بنا وتَداعى

ويقولونَ: غابَ طيفٌ جميلٌ ... كان أبهى وَجْهًا وأشْهى قناعا

شَغَفَ القلبَ واستباح الليالي ... وحدا موكبَ النُجومِ تِباعا

هُوَّةٌ تحتوي الضعيفَ.. فينسى ... أنَّ في الأرض والزَّمان اتساعا

هكذا يختفي الجمالُ.. فمن ذا ... يَرْفعُ الرأس أوْ يُطيقُ اضطلاعا؟

يحمل العِبْءَ في النُهوض ويَرْقى ... دَرَجاتٍ إلى العُلا ما استطاعا..

أيّهذا الإيمانُ لولاك أمسى ... عاطرُ الورد شَوْكةً ونزاعا

مَنْ يغيثُ الشعوبَ في كل خَطْبٍ ... حين تلقى من الدّواهي سباعا؟

صخرةٌ آمنتْ فكانتْ ملاذًا ... للحيارى.. تُعيدُ عزًا مُضَاعا

وَحَّدَ المؤمنينَ طيفٌ أمينٌ ... ساهرٌ في القلوب يحيا شعاعا

جَمَعَ الشَّمْلَ: أسْرةً ورفاقًا ... في لقاء الجُلَّى.. وشَادَ القلاعا

نظرة في كتب الطب النبوي

بقلم: د. محمد علي البار

يقول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: «نعمتـان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفـراغ» (أخرجه البخاري والترمذي وابن مـاجه). وقال عليه الصلاة والسلام: «اسألو الله العفـو والعافية، فإنه ما أوتي أحد بعد يقين خيرًا من معافاة» (أخرجـه النسائي). وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «ما سـأل رسول الله ﷺ شيئًا أحب إليه من العـافية» رواه الترمذي. وعنه ﷺ أنـه قال: «من أصبح معافى في بدنـه، آمنا في سربه عنده قـوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا» وفي رواية: «فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» (أخرجه الترمذي).

فلا غرو إذن أن يهتم نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بتنبيه المؤمنين على نعمة الصحة واتخاذ جميع التدابير للمحافظة عليها والتمتع بها على الوجـه الأكمل الذي أراده الله سبحـانه وتعـالى لعباده المؤمنين. **قال المصطفى صلـوات الله وسـلامـه عليـه «المؤمـن القـوي خير وأحـب إلى الله من المؤمن الضعيف. أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز»** (أخرجـه مسلم وأحمد في مسنده وابن ماجه في سننه).

وتعاليم الإسـلام كلها تدعـو إلى المحافظـة على الصحة النفسية والـروحية والبدنية وتُنمّيها وترقّيها إلى أقصى ما يمكن أن تصل إليه في هذه الحياة الدنيا، ثم لتصل بها مداها الأقصى في الحياة الأخرى. وإن الدار الآخرة لهي الحيوان.

وتعـاليم الإسلام، وإن بـدت بعيـدة عن الطب في ظـاهرهـا، إلا أن لها مردودًا حسنًـا على الصحة النفسية والروحيـة والبدنية. فعلى سبيل المثـال نجد **الصلاة** وما يتقدمهـا من الطهارة والاستنجاء والوضـوء واستخدام السواك، لها أعظم الأثـر على صحة الإنسـان وسمو روحـه وطهـارة بدنـه وتجنبه الأمـراض والأسقام النفسية والبـدنية. **ويكفي أن نعـرف أن أمـر الـرسـول صلـوات الله وسلامه عليـه بعدم التبول والتغوط في الماء الراكد وتحت ظل الشجـرة وفي قارعة الطريق يستطيع أن ينقذ مئات الملايين من البشر من أمراض وبيلة فتاكة ـ بإذن الله ـ يعاني منها بصورة خاصة المسلمون وسكان العالم الثالث، وذلك لإهمالهم التقيّد بتعاليم نبيهم،** فهناك خمسمائة مليـون مصابون بالبلهـارسيا التي يمكن الوقاية منها بتنفيذ هذا الحديث الشريف و الالتزام به. وهنـاك قرابة ألف مليون شخص مصـابون بـالإسكارس (ثعبـان البطن: الصُّغريـات) والإنكلستومـا، وهؤلاء جميعا يمكن أن ينقذوا من هذه الأمراض لو نفّذ البشر حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكل دقة.

وهناك مئات الملايين مصابون بالـزحار الأميبي والزحار الباسيلي والجيارديا والتهاب الكبـد الفيروسي من نوع (A) واليرقان الـدموي وغيرهـا من الأمراض الخطيرة واليسيرة التي تنتقل عبر التبـول والتبرز. وجميعهـا يمكن الـوقايـة منهـا بالالتزام بحديث واحد من أحاديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

ثم إن رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم أمـر بالتـداوي من الأمراض إذا أصيب الإنسان بها. قال: «عباد الله، تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له شفاء غير داء واحد. قالوا: مـا هو؟ قال الهرم» (أخرجه الإمام أحمد في مسنده والبخاري في الأدب المفرد والترمذي في سننـه وابن ماجه في سننه، وقال الترمذي حسن صحيح).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء»، وفي لفظ «إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله».

جمع الأحاديث المتعلقة بالطب

والأحاديث بعد ذلك كثيرة في هذا البـاب. وقد أمر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ابن خالته سعـد بن أبي وقاص عندما مرض أن يطلب الحارث بن كلدة الثقفي الذي اشتهر بالطب في زمنه وأخبره أنه مفؤود وأن عليه أن يستعمل الدواء الذي وصفه له.

لهذا كله جمع علماء الحديث وجهابذته ما ورد عن الرسول ﷺ من أحاديث متعلقة بالطب وبوّبوا لها في كتبهم. وقد اهتم هؤلاء العلماء الأجلاء بالأحاديث المتعلقـة بفروع الطب العـلاجي، وهـو جزء يسير جـدًا مما ورد في بـاب الطب والصحة. ولذا فإن أحاديث الرسول المتعلقـة بالصحة والطب موجودة في باب الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والجهاد والقدر.. إلخ.

ولا يكاد يوجد باب من أبواب كتب الحديث إلا وفيه أحاديث هامة متعلقة بالصحة. **ولذا ننبـه إلى أن ما هـو موجـود في أمهات كتب الحديـث تحت باب الطب، أو ما هو موجود في كتب الطب النبوي العديدة لا يمثل إلا النزر اليسير مما ورد عن المصطفى ﷺ في موضوع الصحة والطب.**

وبرغم ذلك فإن الأحاديث التي جمعها العلماء الأجلاء في كتبهم تحت باب الطب ليست بالقليلة. **فقد أفـرد الإمام البخـاري كتابـا ضمن صحيحه سماه «كتاب الطب»** بلغت أحـاديثه مـائة وثمانية عشر حـديثا منهـا مائة حـديث موصول و ١٨ حديثا معلقا بالإضـافة إلى ستة عشر أثرًا عن الصحابة رضي الله عنهم. **وجمع الإمام مسلم كـذلك أحاديث الطب وأفـرد لها بابـا في صحيحه.** وقد وافق البخاري في ثمانية منهـا. وجمعت كتب السنن الأربعة (سنن الترمذي

وأبي داوود والنسائي وابن ماجه) أحاديث كثيرة تحت باب الطب. كما جمعت المسانيد مثل مسند الإمام أحمد والمعاجم مثل معجم الطبراني ومصنفات الحديث مثل مصنف عبد الرزاق ومصنف ابن أبي شيبة أحاديث كثيرة في باب الطب.

وقد أفرد بعض العلماء ما ورد عن النبي ﷺ في الطب كتابا مستقلا أسماه **«الطب النبوي»** كما تناول بعضهم موضوعا واحدًا من مواضيع الطب النبوي مثل الطاعون وأفرد له مؤلفا خاصا.

كتاب ابن القيم

وأشهر كتب الطب النبوي كتاب الإمام ابن القيم وهو من كتابه القيم **«زاد المعاد في هدي خير العباد»** أُفرد وحده ولاقى قبولا عظيما وخاصة في الآونة الأخيرة. وقد طبع الكتاب عشرات المرات بتعليقات مختلفة ينقل اللاحق عن السابق دون أن يأتي بجديد في غالب الأحوال. كما قامت بعض دور النشر يحفزها عامل الربح بنشر قائمة الأدوية والأغذية التي رتبها ابن القيم على حروف المعجم في آخر كتابه وجعلت لها عناوين مغرية وادعاها بعض محبي الشهرة لأنفسهم، وهي منقولة حرفيًا من كتاب ابن القيم المذكور.

ويوجد كتاب الطب النبوي لابن القيم مخطوطًا في كثير من مكتبات العالم، منها المكتبة الظاهرية بدمشق برقم ط. ن ١٦٧، ودار الكتب المصرية برقم طب ١٦٢٧ وطب تيمور ٤٢٩ وطب طلعت ٥٠٣، ومكتبات تركيا مثل مكتبة مغنيسا برقم ١٧٩٣ ومكتبة حميدية برقم ١٠٤٠ ومكتبة جراح باشا برقم طب تاريخي ٣٩٩ ومكتبة جامعة استانبول القسم العربي برقم ٣٠١٨ ومكتبة رئيس الكتاب برقم ٧٣٣ ومكتبة آيا صوفيا برقم ٣٧٠٠.

وهناك عشرات النسخ في مختلف مكتبات العالم. وأول من طبع هذا الكتاب القيم الشيخ محمد راغب الطباخ (١٢٩٣ ــ ١٣٧٠هـ) حسبما ذكره الدكتور ناظم نسيمي في كتابه «الطب النبوي والعلم الحديث». ومن أحسن الطبعات طبعة دار التراث بالقاهرة التي حققها وقدم لها الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي (١٩٧٨م)، وطبعة المكتبة الأدبية بمقدمة عبد الغني عبد الخالق وتعليق الدكتور عادل الأزهري وتخريج الأحاديث للشيخ محمود فرج.

وقد نقل ابن القيم كثيرًا من مادته العلمية من كتب من سبقوه وخاصة **الموفق عبد اللطيف البغدادي** الفقيه المحدث الطبيب اللغوي (أربعون حديثا في الطب)، **والكمال أبو الحسن علي بن عبدالكريم بن طرخان الحموي** (أربعون حديثا في الطب من الصحيحين البخاري ومسلم).

وعيب مؤلف الإمام ابن القيم أنه لم يشر إلى مصادره وإن كان ينقل عنها نقلا مباشرًا في كثير من الأحيان وخاصة كتاب **«الأحكام النبوية في الصناعة الطبية»** (أربعون حديثا في الطب) **لابن طرخان**.

وعلى هذا يمتاز **ابن القيم** بحلاوة الأسلوب وسعة المعلومات الفقهية والأصولية والحديثية وحسن الترتيب، وإغفال ما لم يكن له سند من أحاديث المصطفى، وبراعة ابن القيم في إيضاح عدم فائدة التداوي بالمحرمات مثل الخمر وغيرها. وبرغم أن ابن القيم يعتبر من كبار علماء الحديث إلا أنه لم يهتم بتخريج كل الأحاديث التي ذكرها ولم يشر إلى درجتها من الصحة. لذا ازدانت بعض الطبعات الحديثة بتخريج الأحاديث وتبيين درجتها من الصحة.

كتب «الطب النبوي» للذهبي

ويعد كتاب الإمام الذهبي «الطب النبوي» الكتاب الثاني الذي يلي كتاب ابن القيم في الشهرة والانتشار. والذهبي من تلامذة الإمام ابن تيمية. وقد برع في علم الحديث ومعرفة الرجال.

وكتاب **«الطب النبوي»** مطبوع بمصر طبعة البابي الحلبي سنة ١٩٦١م، وطبع أيضا بهامش كتاب **«تسهيل المنافع في الطب»** للشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن الأزرق طبعة قديمة ثم صورتها المكتبة الشعبية ودار الكتب العلمية وكلاهما ببيروت.

ولم أر أية طبعة محققة للكتاب. وكل الطبعات بدون تحقيق أو تعليق أو تخريج للأحاديث وتبيين درجاتها من الصحة. **وقد رتب الإمام الذهبي كتابه على ثلاثة فنون** كما يقول في مقدمته: **«الأول** في قواعد الطب علمه وعمله، **والثاني** في الأدوية والأغذية **والثالث** في علاج الأمراض». ولا شك أن طول باع الإمام الذهبي في علم الحديث يسَّر له كتابة هذا السفر الجليل. ومن مصادره بالإضافة إلى كتب علم الحديث المشهورة كتاب **«الطب النبوي» لأبي نعيم الأصبهاني وكتاب الموفق عبد اللطيف البغدادي** الذي كان يشير إليه أحيانا. كما أخذ عن معاصره **الكحال بن طرخان** ولكنه لم يشر إليه.

ويتميز كتاب الذهبي بحسن ترتيبه كما أنه وضع فصلا في مداواة الرجل للمرأة والمرأة للرجل وفصلا في عيادة المريض وفصلا عن وطء المرأة المرضع وهو الغيل.

ويوجد المخطوط في كثير من مكتبات العالم، منها المكتبة الظاهرية بدمشق برقم ط. ن ١٦٦، ومكتبات تركيا: مكتبة كوبر يللي رقم ٨٤/ ٤ القسم الثالث ومكتبة أدنه برقم ١١٥٦ ومكتبة حسيب أفندي رقم ٤٣١/ ١ ومكتبة رشيد أفندي ٦٩٦ ومكتبة بايزيد عمومي ثلاث نسخ (٤١٠٨، ٤١٠٩، ٤١١٠)، وتوجد نسختان من المخطوط في دار الكتب المصرية.

«الرسالة الذهبية» للكاظم

ويعتبر كتاب الإمام على الرضا بن موسى الكاظم (١٥٣ ــ ٢٠٣هـ) «الرسالة الذهبية» أول رسالة في حفظ الصحة والطب النبوي كتبت باللغة العربية، بل لعلها أول رسالة في الطب وحفظ الصحة كتبها مسلم. إذ لم يسبقه في التأليف في الطب إلا مجموعة من السريان مثل يوحنا بن ماسويه وحنين بن إسحاق وجبريل بن بختيشوع وهي كتب مترجمة عن اليونانية.

وقد أتم رسالته الذهبية في الطب عام ٢٠٠ هجرية عندما طلب منه **المأمون** ذلك، وقد أفردنا لهذه الرسالة مقالا خاصا فليرجع إليه القارئ الكريم*.

"الرسالة الذهبية" أول كتاب بالعربية في الطب النبوي وحفظ الصحة، أُلِّف بطلب من المأمون

«مختصر في الطب» لابن حبيب

ويعد **عبد الملك بن حبيب الأندلسي** (١٧٤ ـ ٢٣٨هـ) ثاني رجل في الإسلام يضع كتابًا في الطب النبوي. ولم يسبقه في ذلك إلا الإمام علي الرضا في رسالته الذهبية.

وأبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان السُلمي الألبيري القرطبي يعد من أكابر علماء الإسلام في الأندلس. أصله من طليطلة من بني سُليم أو من مواليهم. ولد في البيرة وسكن في قرطبة وبها كانت وفاته. وكان عالما فقيها متبحرًا في الفقه المالكي خاصة، كما كان عالما بالتاريخ والأدب واللغة والطب. له تصانيف كثيرة تزيد على الألف كما ذكر **الزركلي** في الأعلام، منها: **حروب الإسلامي**» و«**طبقات الفقهاء والتابعين**»، و «**تفسير موطأ مالك**» و«**الواضحة في السنن**» و«**مصابيح الهدى**» و«**الفرائض**» و«**مكارم الأخلاق**» و«**الورع**» و«**استفتاح الأندلس**» وهو مطبوع، و«**وصف الفردوس**» و«**الغاية والنهاية**».

وله في الطب: «**مختصر في الطب**»، وهو مخطوط في الرباط (المغرب) برقم ٢٦٤٠ (فهرس المخطوطات العربية، الرباط ج٢ ص ٣٣٢، نشر عام ١٩٥٨).

وقد ذُكِرَ أن له كتابا آخر بعنوان: «**الحسبة في الأمراض**». كما نقل الطبيب النباتي أبو القاسم الغساني الوزير (المتوفي سنة ١٠١٩هـ) معلومات من كتاب الطب لابن حبيب سماه «**كتاب طب العرب**». وقد ذكر حاجي خليفة في كتابه «**كشف الظنون**» كتابا لابن حبيب الأندلسي سماه «**الطب النبوي**» (انظر حاجي خليفة كشف الظنون ج ٢ ص ١٠٩٥).

وقد نقل **محمد العربي الخطابي** في كتابه «**الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية**» (دار الغرب الإسلامي ج١ : ٨٣ ـ ١١٠) كتاب عبد الملك بن حبيب الأندلسي، وهي المخطوطة الموجودة في الرباط باسم «**مختصر في الطب**».

ويبدو أن ما أطلق عليه كتاب «الطب النبوي» هو نفسه «مختصر في الطب» وهو نفسه «الحسبة في الأمراض» وكتاب «طب العرب».

والكتاب مقسم إلى قسمين: **القسم الأول** يعرض فيه المؤلف الأحاديث النبوية الواردة في الطب والأمر بالتداوي والحمية وعلاج الحمى... إلخ، مع مسائل فقهية طبية في ضمان الطبيب والتداوي بالمحرمات... إلخ. أما **القسم الثاني** من الكتاب فقد أوضح فيه المؤلف أنواع الأطعمة والأشربة والرياحين والأزهار وما فيها من منافع دوائية أو مضار. وهو كتاب قيم كان كثير من المهتمين بالطب النبوي يعتبرونه مفقودا فجاء **الأستاذ محمد العربي الخطابي** وأخرجه ضمن كتاب «**الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية**».

ولا شك أنه لو تم البحث لوجد الكتاب في مكتبات الأندلس وغيرها من الدول، فكم من كتاب قيل إنه مفقود ثم تبين أنه موجود، ومن ذلك «**الرسالة الذهبية**» للإمام علي الرضا، فقد ذكر كثير من الباحثين في الطب النبوي أنها مفقودة مع أنها موجودة في عشرات المكتبات مخطوطة، ثم أنها طبعت بعد ذلك عدة مرات. وهذا راجع لعدم توفر الاتصال بين الباحثين وعدم رصد المؤلفات في المكتبات الجامعية، وهو أمر لا بد من تلافيه في المستقبل القريب.

من مؤلفات ابن النبيل

ومن أوائل من كتب في الطب النبوي أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني المعروف بابن النبيل (٢٠٦ ـ ٢٨٧هـ)، عالم بالحديث زاهد رحالة من أهل البصرة، ولّي القضاء بأصفهان، له نحو ٣٠٠ مؤلف منها «**المسند الكبير**» جمع فيه نحو خمسين ألف حديث، وكتاب «**الآحاد والمثاني**» جمع فيه عشرين ألف حديث وكتاب «**السنّة**» وكتاب «**الديات**» وهو مطبوع. ذهبت أكثر كتبه في فتنة الزنج بالبصرة فأعاد كتابة خمسين ألف حديث من حفظه.

وقال الذهبي: «وقع لنا جملة من كتبه، له كتاب «**الطب والأمراض**». وقد نقل عنه الإمام ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (ج١٠ ص ١٣٥)، وذكره السيد الكتاني في «الرسالة المستطرفة». واعتبره كثير ممن كَتَبَ في الطب النبوي من الكتب المفقودة. ولعله يكون موجودًا حبيسا في إحدى المكتبات كما وقع لغيره من الكتب التي اعتبرت مفقودة ثم تبيّن أنها موجودة.

كتاب الدينوري

ومن الكتب القديمة التي ظهرت باسم «الطب النبوي» كتاب الإمام أبي بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري المعروف باسم ابن السني صاحب الإمام المحدث النسائي وتلميذه وراوي السنن الصغرى للإمام النسائي، حافظ ثقة، له عدة كتب منها «**عمل اليوم والليلة**» وكتاب «**الطب النبوي**». وقد ضمه أبو نعيم الأصبهاني في كتابه «**الطب النبوي**»، وهو من أهم المصادر القديمة. وكان من مراجع كتاب ابن القيم «الطب النبوي» وكتاب الإمام السيوطي «المنهج السوي والمنهل الرويّ في الطب النبوي».

وقد ذكر كثير من الباحثين أن هذا الكتاب أيضا مفقود ولكني وجدته في فهرس مخطوطات الطب الإسلامي إصدار مركز الأبحاث للتاريخ والثقافية الإسلامية باستانبول (١٩٨٤)، وهو موجود في مكتبة الفاتح برقم ٣٥٨٥ في ٧٢ ورقة بخط نسخ كتبه إبراهيم بن علي سنة ٧٧٥هـ.

كتاب النيسابوري

ويأتي بعد ذلك في الترتيب الزمني كتاب «الطب النبوي» لأبي القاسم الحسين بن محمد النيسابوري المتوفي سنة ٤٠٦هـ. وقد ظنه جماعة ممن كتبوا في الطب النبوي من الكتب المفقودة. وقد أشار إليه صاحب «كشف الظنون» بقوله: «والحبيب النيسابوري جمعه أيضا». والكتاب موجود في مكتبات تركيا

وغيرها من المكتبات. نذكر منها على سبيل المثال ما يلي: رقم ٥٤٦/ ٣ بمكتبة صفرانبولي ورقم ٧٣٨/ ١ بمكتبة متحف الآثار ورقم ٣٥١/ ٣ بمكتبة كمانكش ورقم ٢٦٢/ ٦ بمكتبة لا له لي ورقم ٣٩٥/ ٥ بمكتبة مغنيسا، ومكتبة بغدادلي وهبة برقم ٢٠٢٧/ ٣ ومكتبة بايزيد عمومي برقم ٤٤١٦/ ١ وغيرها من المكتبات. وقد ذكر فهرس مخطوطات الطب الإسلامي في مكتبات تركيا ـ إعداد الدكتور رمضان ششن. وإشراف الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي ـ اثنتي عشرة مكتبة من مكتبات تركيا يوجد فيها هذا المخطوط باللغة العربية ومكتبتين يوجد فيهما المخطوط مترجما باللغة التركية. فالمخطوط إذن موجود بنسخ كثيرة وليس كما زعم الدكتور ناظم نسيمي في كتابه «الطب النبوي والعلم الحديث» أنه من المفقودات.

كتاب المستغفري

ويُعَدُّ كتاب «الطب النبوي» لأبي العباس جعفر بن محمد المستغفري النسفي (٣٥٠ ــ ٤٣٢) من كتب الطب النبوي القيّمة التي لا تزال دفينة المكتبات. والمستغفري خطيب نسف وعالمها ــ وهي تقع جنوب بخارى في جمهورية أوزبكستان في الاتحاد السوفييتي سابقا. وللمستغفري كتب كثيرة منها كتاب **«الدعوات» و«التمهيد في التجويد» و«الشمائل والدلائل» و«معرفة الصحابة الأوائل» و«تاريخ نسف» و«تاريخ كش»**.

ويوجد **كتاب الطب النبوي للمستغفري** في كثير من المكتبات. وقد ذكر فهرس مخطوطات الطب الإسلامي في مكتبات تركيا مجموعة من المكتبات التي يوجد فيها المخطوط منها مكتبة كتبخانة سي برقم ٢٨١٤ في مدينة استانبول ومكتبة فيض الله أفندي برقم ١٣٢٢ في ١٤١ ورقة بخط تعليق ومكتبة سمسون برقم ٦٨ في ٦٢ ورقة، ومكتبة جامعة استانبول القسم العربي برقم ٢٨١٤ في ٩٧ ورقة ومكتبة ملي كتبخانة القسم العربي برقم ٤٦٦١/ ٤.

كتاب أبي نعيم الأصبهاني

ومن أشهر كتب الطب النبوي المخطوطة كتاب الإمام أحمد بن عبد الله الأصبهاني الحافظ الثقة أبي نُعيم صاحب الحلية وهو معاصر لابن السني الذي سبقه في التأليف، **ويعد كتاب ابن السني أحد المصادر الهامة لكتاب الأصبهاني**. وقد قام أبو نعيم الأصبهاني بجمع الأحاديث الكثيرة الواردة في الطب وذكر أسانيدها كاملة. ولذا قام **الإمام أحمد بن يوسف التيفاشي** (من تونس ـ المتوفى سنة ٦٥١) باختصاره وذلك بحذف أسانيده وحذف الأحاديث المكررة. يقول التيفاشي: «وأبقيت تراجمه، فصوله على ما هي عليه في أصل الكتاب فلم أحذف منه ترجمة يُخِلُّ حذفها بمعنى من معانيه، وأنا في ذلك كله خادم لواضعه، متمم لغرضه يعترف بعلوِّ قدره مغترف من زاخر بحره متحلٍّ بما تحلّيت من دُرِّه، عالم مع ذلك أن وضع ما وضعه من أحاديث هذا الكتاب بأسانيدها وتكررها هو عين الصواب، إذ كان أكثرها أحاديث غريبة مجهولة عند أكثر المحدثين فضلا عن سائر الناس فأوردها بأسانيدها ومن عدة طرق لتأنس بها النفوس والأسماع ويقلُّ في إنكارها النزاع إذ لم يقع عليها الإجماع». **وقد قام الدكتور عبد المعطي قلعجي بتحقيق كتاب التيفاشي ونشرته دار المعارف بيروت (١٩٨٨م) بعنوان «الشفا في الطب المسند عن السيد المصطفى»**.

و كتاب أبي نعيم لا يزال مخطوطا في كثير من المكتبات. وقد حاولت الحصول على نسخة مصورة من دار الكتب المصرية الموجودة برقم طب طلعت ٤٨٠ وميكروفيلم رقم ٢٠٠١٠ب في ٢١٤ ورقة كتبت سنة ٨٥٥هـ، وبعد جهد جهيد حصلت على النسخة المذكورة، وبرغم أن غلافها كتب عليه كتاب طب النبي لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ إلا أن الكتاب بكامله لا علاقة له بكتاب أبي نعيم بل هو نسخة من كتاب «الطب النبوي» لابن القيم، وقد راجعته حرفا حرفا فوجدته مطابقا تمام المطابقة لكتاب ابن القيم الموجود بكثرة في الأسواق والمطبوع عشرات الطبعات.

وهذه كبوة لدار الكتب المصرية التي ينبغي أن يُعنى القائمون عليها بما لديهم من كنوز. وكم من الباحثين ذكر وجود نسخة من كتاب أبي نعيم تحت رقم طب طلعت ٤٨٠، وميكرو فيلم ٢٠٠١٠. وقد فوجئت تماما بأن النسخة الموجودة في دار الكتب المصرية والمنسوبة لأبي نعيم ليست إلا نسخة أخرى من نسخ كتاب الإمام ابن قيم الجوزية.

ومن حسن الحظ أن كتاب أبي نعيم موجود في مكتبات أخرى عديدة منها ما ذكره فهرس مخطوطات الطب الإسلامي بمكتبات تركيا، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مكتبة آق سكي، يكن محمد باشا برقم ٢٠٠ ومكتبة أدنه برقم ١١٥٦/ ١، وهناك نسخة في مكتبة الأسكوريال بمدريد إسبانيا، ونسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم ط. ن ٦٥ (الرقم القديم ٤٥٣٨)، ونسخة مصورة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم ١٢٩٨.

كتاب السيوطي

وقد نقل ابن القيم عن أبي نعيم وذكر ذلك مراراً. **كما قام الإمام السيوطي** (٨٤٩ ــ ٩١١هـ) بنقل معظم الكتاب بعد حذف أسانيده وإعادة ترتيبه وتخريج أحاديثه وسماه **«المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي»**. وكتاب الإمام السيوطي موجود مخطوطا في مكتبات كثيرة منها المكتبة الظاهرية بدمشق برقم ط. ن ١٦٨ وطب وصيدلة رقم ٥١١، ومعهد المخطوطات العربية برقم ٥/ ٣٠٨، ومعهد ولكم لتاريخ الطب والصيدلة بلندن برقم ٩٠/ ٢٠٧/ ٨٨، وخزائن كتب الأوقاف ببغداد برقم ٦٠٠ ونسخة أخرى برقم ٩٨٦٥، ومجموعة من مكتبات تركيا ومكتبة برلين وأكسفورد والمكتبة الأحمدية بتونس. وقد قام الدكتور حسن مقبولي الأهدل بتحقيقه والتعليق عليه في رسالته المقدمة لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ثم قام بطبعه عام ١٩٨٧.

وقد طبع كتاب السيوطي من قبل طبعات قديمة منها طبعة سنة ١٨٧٠ وطبعة سنة ١٨٨٧م بالقاهرة. وترجم الكتاب إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية، وهو من الكتب الموسعة في الطب النبوي حيث جمع الإمام السيوطي معظم ما كتبه من سبقه في هذا الباب، وإن كان أكثر اعتماده على كتاب أبي نعيم «طب النبي ﷺ».

الموجود في أمهات كتب الحديث في باب الطب النبوي أو كتبه لا يمثل إلا النزر اليسير مما ورد عن النبي ﷺ

كتابا الموفق البغدادي

ومن الكتب الهامة في الطب النبوي كتاب الفقيه الطبيب اللغوي المحدث الفيلسوف الموفق عبد اللطيف بن يوسف البغدادي (٥٥٥ ـ ٦٢٩هـ). وقد استخرج الموفق البغدادي أربعين حديثا في الطب من سنن ابن ماجة وشرحها شرحا مفصلا. والكتاب جواب عن سؤال ورده من تلميذه محمد بن يوسف البرزالي الذي قال: «قصدت الشام بسبب سنن ابن ماجه فلقيت الشيخ أبا محمد عبداللطيف بن يوسف البغدادي أبقاه الله، فأُعلمت أنها روايته، فسألته أن أقرأها عليه. فأنعم، وشرعت في قراءتها، فلما وصلت أبواب الطب سألته أن يوضح لي مشكلها ويبيّن لي ما تضمنته من المعاني الشريفة والحكم الغامضة المنيفة فأنعم وتفضل وأصاب في شرحها، وذكر فيه من غرائب الحديث ما لم يذكره في شرحه الكبير في غريب الحديث، فوافق ذلك أن جاءت أربعين حديثا فاستأذنته في إفرادها بأسانيدها إلى النبي ﷺ وأن أذكر بعد الأحاديث شرحها فأذن لي في روايتها عنه كذلك».

وقد قام العلامة المغربي **عبد الله بن كنون** بإخراج المخطوط من مكتبته ونشره بدون تحقيق، كهدية ملحقة بمجلة «لسان الدين» في سنتها الخامسة. ثم قام بتحقيق المخطوط وطبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب سنة ١٩٧٩م، ثم أعيد طبعه بعد ذلك. **وللموفق البغدادي** كتاب هام آخر في موضوع الطب النبوي بعنوان **«الطب من الكتاب والسنة»، وقد حققه الدكتور عبد المعطي قلعجي** ونشرته دار المعرفة بيروت ١٩٨٦م.

الأحكام النبوية لابن طرخان

ويُعَدُّ كتاب «الأحكام النبوية في الصناعة الطبية» من أفضل كتب الطب النبوي لعدة أسباب، أهمها أن أحاديثه مخرّجة من الصحيحين وهما أصح كتب السنة دون ريب، ومنها حسن تبويبه وترتيبه وهو من أهم مراجع كتاب الإمام ابن القيم إلا أنه ينقل عنه دون أن يعزو إليه لقرب عهده به. **ويعتبر مؤلف الكتاب الكحال أبو الحسن علي بن عبد الكريم بن طرخان الحموي الصفدي (٦٥٠ ـ ٧٢٠هـ) من أعلام الطب في الإسلام، وخاصة طب العيون الذي كان يعرف صاحبه باسم الكحال.** ولم يكن الكحال ابن طرخان علمًا من أعلام الطب فحسب، ولكنه كان أيضًا أديبا واسع الاطلاع ملما بفنون المعرفة في زمنه عارفًا بالحديث النبوي الشريف ودرجاته ورجاله.

وكتاب الكحال بن طرخان موجود في دار الكتب المصرية برقم ٥٥٧ ورقم ٥٨٠، ويوجد في مكتبات تركيا كما يذكره فهرس مخطوطات الطب الإسلامي بمكتبات تركيا نذكر منها مكتبة بايزيد عمومي رقم ٤٠٧٠ ورقم ٤٠٧١ ومكتبة الفاتح برقم ٣٥٢٤ ومكتبة عزيز محمود هدائي رقم ١٦٣٤ ومكتبة فيض الله أفندي برقم ١٣١٢.

والكتاب مطبوع بالقاهرة ونشره البابي الحلبي سنة ١٩٥٥م بتحقيق عبد السلام هاشم وقد نفدت نسخ الكتاب منذ عهد طويل واستطعت الحصول على نسخة منه.

كتب أخرى

وهناك كتب عديدة في الطب النبوي نذكر منها كتاب ضياء الدين المقدسي (٥٦٩ ـ ٦٤٣هـ)، موجود في دار الكتب المصرية طب تيمور رقم ٢ وطب طلعت ٥٣٦ ميكرو فيلم رقم ٢٠٣٣٧، وعندي منه نسخة مصورة من دار الكتب المصرية. ومنها كتاب محمد بن أبي الفتح البعلي (٦٤٥ ـ ٧٠٩هـ) **الفقيه الحنبلي** الذي جمع أربعين حديثا من الصحاح والحسان في الطب وقام بشرحها، والكتاب موجود مخطوطا ومطبوعا، وقد قام بتحقيقه أحمد البزرة وعلي رضا عبد الله ونشرته دار ابن كثير (دمشق بيروت) عام ١٩٨٥م.

ولابن الجوزي (٥٠٨ ـ ٥٩٧هـ) ثلاثة كتب في الطب وقد ضمنها أحاديث نبوية **وهي «طب الأشياخ» و«مختار اللفظ في الطب» و«لقط المنافع في الطبّ»**، وقد ذكرها فهرس مخطوطات الطب الإسلامي بمكتبات تركيا وذكر المكتبات التي توجد بها هذه المخطوطات وأرقامها وعدد صفحاتها... إلخ.

ومن الكتب المعروفة في الطب النبوي كتاب ابن ساعد السنجاري المشهور بابن الأكفاني، وكتابه موجود مخطوطا في مكتبات تركيا وغيرها من المكتبات، كما أن للمؤلف كتبًا أخرى في الطب مثل **«رسالة في صناعة الكحل وتشريح العين» و«غنية اللبيب فيما يستعمل عند غيبة الطبيب»**.

ومن كتب الطب النبوي كتاب محمد بن أحمد بن طولون (٨٨٠ ـ ٩٥٣هـ) حفيد خمارويه بن طولون حاكم مصر **وهو بعنوان: «المنهل الرويّ في الطب النبوي»** وقد نشره عزيز بيك بحيدرأباد الهند سنة ١٩٨٧م.

ملحوظة هامة

هذه جولة سريعة بين مجموعة من كتب الطب النبوي، وهي توضح مدى اهتمام علماء الإسلام من فقهاء ومحدثين وأطباء بالطب النبوي، وكثير من هؤلاء المؤلفين كانوا يجمعون علوما شتى وبعضهم من أكابر العلماء في أكثر من فن.

ومع هذا فإننا ننبه إلى أن كتب الطب النبوي تحتوي على كثير من معلومات الطب اليوناني القديم مع ما أضافه علماء الإسلام، فما كان منها من حديث رسول الله ﷺ فهو حق لا مراء فيه إذا صح الحديث عنه صلوات الله وسلامه عليه، وأما ما كان من معلومات طبية يونانية وعربية فهي قابلة للخطأ، وهي لا تزيد عن معلومات البشر في زمنهم ذاك.

* الفيصل، العدد ١٨٧، محرم ١٤١٣هـ ـ يوليو ١٩٩٢م. ص ١٤ ـ ١٧.

الأدب بين رومانسيتين

بقلم: محمد الدعمي

تستأثر فترات التحول التي تطرأ على ثقافة ما باهتمام خاص من قبل مؤرخي الأدب، ذلك أنهم يتتبعون جذور مرحلة ثقافية معينة في تربة المرحلة التي تسبقها، فيركزون دراساتهم، على نحو خاص، حول ظروف انطفاء مرحلة وتوهج مرحلة ثانية في فترة «الفراغ» النسبي الحاصل بين مرحلتين. وهنا لا يتوسد تأريخ لأفكار تقسيمات فردية لمؤرخ ما أو تصنيفات ناقد يعتمد المنهج التاريخي في تشبثات ذوقية ذاتية.

الرومانسية والفكتورية

وتقدّم «المرحلة الإنتقالية» الكامنة بين الحقبة الرومانسية والفترة الفكتورية (عصر الثورة الصناعية) في الأدب الإنجليزي نموذجًا غايةً في الأهمية لدارسي تأريخ الأدب، إذ إن هذه الفترة تُعدُ «نموذجية» للباحث من حيث جذريتها ووقوعها بين مرحلتين ثقافيتين شائكتين ومثمرتين من ناحيتي الواقع التأريخي والدور التشكيلي اللذين لعبتاه في تكوين الفكر والثقافة الحديثة كما هي في القرن الجاري.

تعطي هذه المرحلة الانتقالية تجسيدًا مثاليًا لمبادئ اتباع المنهج النقدي الاجتماعي، إذ إن جميع معطيات المرحلة، الثقافية والفكرية المحضة، تتعشق بشدة يندر مثيلها المتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي عاشتها بريطانيا وأوروبا حينذاك. ويتجسد التماثل الثقافي السياسي على نحو غاية بالإثارة في فترة «خلو العرش»، فعهد الوصاية على العرش الممتد بين ١٨١٠ إلى ١٨٣٠، حيث خلا عرش النظام السياسي من عاهل، وجدت مُعادلاً لها في خلو عرش الأدب الإنجليزي من تقليد ثقافي ثابت ودقيق المعالم.

ورغم ما يجدهُ المرء في هذه الفترة من هبوط واضح في كمية ونوعية الإنتاج الأدبي، فإن واقع الحال يشير إلى أن هذا «الخمول» والركود الفكري كان يغلف تفاعلات وتغيرات ذهنية جماعية كبيرة كانت تجري بنشاط يندر مثيله في دواخل الحركة الثقافية آنذاك، استجابة طبيعية لمتغيرات حقبة تاريخية جديدة، فحيث كانت الحركة الرومانسية تستهلك آخر تعبيراتها، مُكررة نفسها في صورة نفاد توهجها الثوري الذي انطلقت منه، كان الأدب «الفكتوري» بشخصيته المتفردة وبتقليده «الرومانسي» الجديد يعلن عن نفسه شيئًا فشيئًا.



بايرون

روّاد الفكتورية

لقد وجد التحول من الرومانسية إلى الفكتورية أبرز تعبيراته الفكرية والذوقية في واحدة من أولى الكتابات الفكتورية الكبيرة، **(سارتور ريسارتس) لتوماس كارلايل**، حيث يتجسد التحول في انتقال «تويفلزدروك»، بطل الكتاب ولسان حال الكاتب، من الافتتان بشخصية الشاعر الرومانسي (**بايرون**) إلى نبذها كلية، من القبول بالبطل الرومانسي البايروني إلى نقطة رفض هذا النموذج التمردي الرومانسي ضمن عملية الانتقال من الموقف الاستذكاري السلبي إلى الموقف الفلسفي الجديد المؤسس على مبدأ العمل الإيجابي إزاء متطلبات عصر الثورة الصناعية.

لقد جسد انسلاخ كارلايل عن رومانسية بايرون، في سيرته الفلسفية الذاتية هذه، انسلاخ عصر بأكمله، حيث إن معضلات التصنع وتشعباتها الاجتماعية والأخلاقية كانت تضع المفكر المعاصر في مأزق فلسفي يتطلب واقعية عقلانية جادة، فضلاً عن تطلبه لرومانسية شعورية مبتكرة من نمط متوافق.

لم يعد الأنموذج الثوري الذي طرحه **اللورد بايرون** مثالاً يمكن اتباعه، فبرغم تهجمات بايرون العنيفة ضد المؤسسة الاجتماعية والسياسية في **(دون جوان)** وقصائد أخرى، كان الفكتوريون غير قادرين على إيجاد مكان للشاب الثوري، الذي يموت في اليونان في محاولة لدعم ثورة اليونان ضد الأتراك، في معترك الواقع القاهر. لم يكن بايرون، الذي تحوم حول شخصيته الشكوك وتكتنف سيرته الشبهات، يتوافق مع عصرٍ يتطلب الالتزام الجدي بمنهج عملي إصلاحي عاجل. إنه رجل ساحر، لا يتورع في صراحته وفي لبراليته الجنسية غير المكترثة بأي ضابط. ورغم أن فتيات المدارس الداخلية الفكتورية لم يزلن يحافظن على ولائهن له، يخبئن مجاميعه الشعرية تحت وساداتهن «بينما كن نائمات»[1]، فإن رجالا جادين مثل **كارلايل وآرنولد** وغيرهما كانوا يبحثون عن تعبير وقناة لغوية أصدق تعبيرًا وأكثر عملية لعصر أكثر تحديًا واستفزازًا.

ورغم أن الرومانسية جاءت رد فعل لعقلانية القرن الثامن عشر القاسية، فإن الرومانسية التي كان على الفكتوريين ابتكارها، وكما جسدها كارلايل وديكنز وغيرهم، تأتي استجابة للإثارات ذات العقلانية ولكن في أشد حالاتها لا إنسانية، بعد أن فرض المذهب المادي النفعي تطبيقاتها في الحياة اليومية على أيادي نخبة من المنظرين اللبراليين من أمثال بنثام وجون ستوارت مل.

الطاقات الأولى

شهدت فترة الوصاية استنفاد الرومانسيين الأوائل لطاقاتهم الإبداعية، إيذانًا بعصر أدبي جديد: فقد غدا **«وردزوورث»** رجلاً كهلاً، تجاوزت أعوام عمره سني عبقريته بفترة ليست بقصيرة. وبرغم أن أعماله بدأت تتبوأ مكانًا ثابتًا في ضمائر الجمهور مع النتاجات الفنية الكبيرة، فإن الشاعر احتجب في المقاطعة المفضلة ـ منطقة البحيرات ـ التي شهدت قبل أعوام طويلة إطلاق أول إعلانات الحركة الرومانسية عندما كتب مع **كوليردج** (القصائد الوجدانية).

وحيث توقف نتاجه الإبداعي، فإن تأملاته وآراءه التي عكستها قصائده السابقة كانت لما تزل تلقى صدى واسعًا بين القراء على نحو واسع، فلم يزل الجمهور يستجيب لأفكاره في حب الطبيعة وفي حسه الوطني الذي تمخض عن تفاعله العبقري بالأجواء والشخصيات المحلية والريفية البسيطة. وزادت شهرته عندما تتبع المتدينين روحًا **«أنجليكاليًا»** واضحًا يطغى على أنماطه الاستشعارية. ولم تفلت نخبة ممتازة من أفضل مفكري العصر الفكتوري الوليد من الوقوع في دائرة سحره: فقد افتتن به فكتوريون كبار من أمثال: **رسكن وآرنولد ونيومان** وغيرهم ممن وجدوا في تصعيده القدسي لقيمة «الطبيعة الأم» مهربًا فلسفيًا في عصر امتطته الماكنة[٢].

وتلاشى إنتاج كوليردج في أعوام عديدة قبيل وفاته ١٨٣٤م، ذلك أن ابتلاءه بالروماتزم أقعده في منزل طبيبه الخاص في ضواحي لندن حيث كان يستقبل زواره ومريديه ويلقي عليهم محاضرات ضبابية مطولة ملؤها التأملات الاجتماعية والروحية الغامضة. قد يكون هذا إفرازًا طبيعيًا لآلام مرضه الذي أوقعه أسيرًا للأفيون[٣].

شعراء الجيل الأول

ووضعت المنية نهاية قاسية لجيل الشعراء الرومانسيين الشباب: فقد توفي ثلاثتهم ـ **اللورد بايرون وشيللي وكيتس** ـ قبل موت الشيوخ الذين أطلقوا الحركة الرومانسية أولا.

لفظ **اللورد بايرون** أنفاسه الأخيرة عام ١٨٢٤ وهو في أوج شعبيته، حيث اختلطت توهجات عبقريته الشعرية وشجاعته الفنية، في إقدامه على انتخاب الأفكار والمصطلح الفني، مع معطيات وخصوصيات سيرته الذاتية بكل ما انطوت عليه من تمرد وخروج عن المألوف. وبقي بايرون موضوعًا غنيًا للجدل لمدة طويلة، فكانت المناقشات تدور بين أصدقائه ومريديه من جهة ورافضيه من الأخلاقيين المتزمتين من جهة ثانية، حول مدى توافق ثوريته وتشبثاته الفردية في عصر جديد. لقد كان تمرده المتحرر من كل الكوابح الأخلاقية المؤسسة شيئًا يتنافر مع أخلاقيات الطبقة الوسطى الجديدة بماديتها وبنفعيتها وبتزمتها وبما كانت



كوليردج

تدعو إليه من انضباط وتغيير اجتماعي تدريجي متوازن. لقد بدأ الذوق العام يميل إلى التدريج والتوفيق وإلى الوقار والاتزان السلوكي بديلاً عن الاتجاه الرومانسي المتمرد الذي جسد نفسه في بلاغيات بايرون المتكلفة وفي صراحته وفي «تحلله»، بحسب الاعتقاد الفكتوري السائد حينئذ.

ولم يلقَ **شيللي**، في العصر الجديد، استجابة أفضل من تلك التي لقيها رفيقه بايرون: فقد رُفض شيللي لصريح «إلحاده» وما بشّر به من ثورية جذرية مضادة لكل ما هو مؤسس وعميق الجذور. وباستثناء طبقة الفقراء من العمال الممتعضين، كانت غالبية القراء تمقت آراءه وتمنع تداولها. ولكن طبعات سرية لأشد شعره ثورية ونقدًا للمؤسسة الاجتماعية والروحية والسياسية السائدة كانت تلقى طلبًا متزايدًا من قبل هؤلاء العمال الجذريين، أتباع «أون» على نحو خاص. **لقد استجاب هؤلاء لشعر شيللي على أسس أيديولوجية محضة وليس على** أسس فنية جمالية. وبرغم ذلك، فإن محاولات عديدة بذلها رفاق شيللي وأصدقاؤه للتمييز بين آرائه، فكرًا، وعبقريته الشعرية فنًا[٤].

أما **«كيتس»**، فقد واجه مصاعب كبيرة عند استقبال شعره، وتوفي تهزّه آلام «النقاد» القاسية، شابًا صغيرا. لقد عُرف كيتس شاعرًا خياليًا رؤيويًا تزخر قصائده بالحسية وبتأمل أبدية الجمال. وكان رجلاً ضعيفًا إزاء النقد غير المنصف والجارح الذي لقيه شعره في المجلات والدوريات الرئيسية في تلك الفترة. كان شابًا حساسًا بدرجة «أنه قُتل من نقدٍ واحد»، كما وصف بايرون ذلك. ولكن رغم أنه كان شاعرًا مغمورًا نسبيًا، أثناء حياته، فإن شعره وحسيته المتفردة قد وجدا وقعًا قويًا في نفوس طلاب الكليات وفي دوائر صغيرة من الشباب. ويجد المتتبع آثار ذلك بعد أعوام عديدة في شعر **دانتي** جبرئيل روزتي وفي أعمال «إخوانه» من أعضاء حركة ما قبل الروفائيلية.

الروائيون والكتاب

ولم تكن حال الروائيين وكتاب المقالات الرومانسيين الآخرين أفضل كثيرًا من حال رفاقهم من الشعراء: فانطفأت جذوات الإبداع الفني عند معظم هؤلاء في هذه الفترة الانتقالية. لقد توفي كل من **«هازلت»** و**«لامب»**، بينما أخفق **«دي كونسي»** في تجهيز العصر الجديد بأفكار وتأملات تضعه في مصاف كبار كتاب ونقاد المجتمع الفكتوري. وبقيت روايات **«جين أوستن»** بكل ما تزخر به كتاباتها من تفرد وجمال جزءًا من التقليد الرومانسي الأول. فرواية مثل **(الفخر والتحامل)** تبقي الإنسان

الرومانسي المرهف الحس بؤرة لها. وحيث تتجلى رومانسية أوستن في ولوج النفس الحساسة في شخصية إليزابيث الشفافة وفي مسرح الرواية الممتد عبر الحقول والحدائق التي تفصل بين قصور العوائل الغنية، فإن نقدها الاجتماعي المتفرد لا يتعدى كونه «وخزات» من جنس الكوميديا البشرية التي تجد بؤرها في الأخلاقيات المختلفة لمجتمعات الصالونات بكل ما تمور به من سطحيات وتصنع ونفاق. ولا يجد المرء في رواية مثل هذه آثارًا لأي اهتمام أو رفض صارخ للمدينة، كما كانت تعاصرها الكاتبة في بدايات القرن التاسع عشر (في حين غدت هذه المدينة مبعث امتعاض الكثير من التأملات الرومانسية الجديدة التي ميزت العصر الفكتوري).

الرومانسية الجديدة

لا ينطوي التمييز بين تقليدين رومانسيين على افتراض وجود تناقض تام، فقد تمخضت رومانسية الفكتوريين عن أفضل ثمارها وهي تضرب جذورها في تربة الرومانسيين الأوائل.

ويقدم الافتتان الفكتوري المتفرد بالماضي، وبالعصر الوسيط على نحو خاص، أفضل تعبير للرومانسية المتجذرة في كتابات **«كولبردج»** و**«ساوذي»** و**«سكوت»**.

لقد جسدت روايات وولتر سكوت التأريخية تصويرًا رائعًا للحياة وللمجتمع في العصر الوسيط بشكل يزخر بالروح الرومانسي، في حين وجدت هذه الرؤى تعبيرًا أيديولوجيًا وتطبيقيًا في كتابات بعض أساطين الأدب الفكتوري مثل **رسكن وموريس** وأعضاء حركة **« إنجلترا الفتاة»** الإحيائية. ولم يجد عشق الرومانسيين للطبيعة وتقديسهم لدلالاتها في الذات البشرية وفي التنظيم الاجتماعي تجسيدا أفضل من ذلك الذي آلت إليه النظرية الجمالية ــ الأخلاقية **لرسكن وبوجن وموريس** ولغيرهم من مؤيدي **الفن القوطي**، ذلك النمط



شيلي

الافتتان بالأعمال العربية القديمة يعني الهروب من الزمن الصعب

الفني الذي عدوه شكلاً من أشكال التناغم الاجتماعي الكوني المرتكز على الإيمان الروحي وعلى نظام الطبيعة، خليقة الرب.

ولا يخلو الرفض الفكتوري المتفرد للمدينة بشكلها الصناعي ولإفرازاتها الأخلاقية والاجتماعية المقيتة من جذور رومانسية ترجع إلى عين الافتتان الرومانسي المبكر بالطبيعة: لقد كان رفض التركيبة الاجتماعية وأخلاقياتها، فضلاً عن الاشمئزاز من نمط الحياة الصناعية، كما هي في تلك المدينة، امتدادًا طبيعيًا، لا يخلو من التفرد، للرومانسية.

إن نقد أخلاقيات التجارة الحرة والتنافس النفعي وطراز الحياة المبني على خدمة الآلة وتناوبات العمل وطوابيره، وعلى تقسيم المجتمع بين طبقتين، كما تجلى ذلك في روايات «الاحتجاج الاجتماعي»، لا يمكن إلاّ أن يكون استجابة رومانسية تنطلق من ضرورات هروب ذهنية حساسة من واقع قاس وقبيح. وكانت صور الطفولة المضطهدة والإنسان المغترب والبطل المعذب، في روايات **ديكنز والسيدة غاسكل وكنجزلي** و غيرهم، انعكاسات تجسد آلام الإنسان الرومانسي في تلك المدينة الموبوءة.

ويصدق القول نفسه في «هروبية» حركة «الفن للفن» وفي «ارتجاع» حركة **«ماقبل الروفائيلية»** إلى عوالم الحلم الفردوسية، تلك العوالم التي لا تمت للحياة المعاصرة بأدنى صلة.

إن روايات الاحتجاج، برغم ما توحي به من واقعية التصوير وقسوة المعاناة في عصر تجاري محض، تنتهي في أغلب الحالات إلى مخرج رومانسي بحت، مخرج يتشكل من عملية هروب البطل إلى جزيرة نائية حالمة، أو في الهجرة إلى عالم جديد. وتركن نهايات هذه الروايات، في أفضل حالاتها، إلى فكرة «التوفيقية» المؤسسة على القبول بواقع قاسٍ في ظل ظروف نفسية وعاطفية تؤول إلى المساومة أو إلى حل جزئي لا يتعدى حدود الفردية والعدالة.

إن ارتداد الشعراء الفكتوريين إلى الماضي بأشكاله المختلفة وإلى حضارات أخرى ـ أو إلى عوالم لا زمنية ـــ كما هي الحال في عشق **براوننغ** لعصر النهضة الإيطالي وعشق **تينسون وآرنولد** للأجواء الشرقية العربية الإسلامية، كان تعبيرًا آخر للرومانسية الفكتورية الجديدة[٥]. **وهكذا يمكن وضع جميع الكتابات الفكتورية اليوتوبية في ذات الصنف الرومانسي المتمرد.**

إن الافتتان الفكتوري بالليالي العربية[٦] يأتي تأكيدًا آخر لامتطاء الذهن الحساس «آلة الزمن» هروبًا من عصر قبيح وزمن صعب نحو أجواء أجمل وأكثر تناغمًا، أجواء رومانسية جديدة تضرب جذورها في القرن الثامن عشر وتمتد إشاراتها نحو أعماق القرن العشرين.

هوامش

(١) انظر: Richard Altick, (Victorian People and Ideas) (New York, 1973), p.3.

(٢) (Ibid), p.2.

(٣) (Ibid), p.2.

(٤) (Ibid), pp.3-4.

(٥) انظر: محمد الدعمي، «المتغير الغربي: الشرق، الاستشراق، أدب الصحراء» في (آفاق عربية) ٣، ١٩٨٦م ص. ص ٤٥ـ٤٧.

(٦) حول الافتتان الغربي بالليالي العربية، راجع: د. محسن الموسوي، (الوقوع في دائرة السحر) (بغداد، ١٩٨٢).

كتابة التاريخ عند العرب والمسلمين

بقلم: فيصل محمد شقير

يحتل التاريخ مكانة هامة بين مختلف فروع المعرفة الإنسانية ، فقد اهتم به الإنسان منذ فجر العصور التاريخية . فالتاريخ يحتل مكانة متميزة وسط العلوم الإنسانية ، ذلك أنه سجل حياة الأمم وتجاربها وخبراتها في الماضي .

ولقد اهتم العرب بالتاريخ منذ العصور القديمة ، لأن التاريخ علم أصيل لم يأخذه العرب من غيرهم ولم يقتبسوا اسمه من الإغريق أو من غيرهم(1) وبعد أن كان ينظر إلى التاريخ على أنه فن من الفنون ، تتداوله الأمم والأجيال ، وتشد إليه الركائب والرحال(2) ، وبأنه يبحث عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت(3) أصبح الآن يشمل الحياة البشرية بجميع مظاهرها من نظم اقتصادية وعلاقات اجتماعية وتقاليد دينية ومذاهب خلقية وأساليب أدبية وفنية(4) ، وأصبح يعني أيضاً سلسلة الوقائع الماضية ، والكيفية التي تسرد فيها تلك الوقائع(5) .

التاريخ في العصر الجاهلي

كان العرب في العصر الجاهلي وهو العصر السابق لظهور الإسلام ، ولا سيما عرب الشمال أي عرب **الحجاز** ، يتناقلون أخبارهم وأخبار آلهتهم وحياتهم الاجتماعية وأمجادهم وحروبهم وأيامهم الشهيرة **عن طريق الرواية الشفوية على هيئة أشعار وقصائد وأخبار متفرقة معتمدين في ذلك على قوة الذاكرة نظراً لتفشي الأمية بينهم .**

أما عرب الجنوب وخاصة أهل **اليمن والحيرة** ، فقد كان اهتمامهم بتدوين أخبارهم يتم بشكل أفضل . فقد نقش عرب **اليمن بالخط المسند على جدران معابدهم وقصورهم ومبانيهم الكثير من أخبار ملوكهم ودولهم وشؤونهم العامة** بالإضافة إلى بعض الحوادث التاريخية التي وقعت بين القرنين الثاني عشر قبل الميلاد والسادس الميلادي ، وكذلك فقد عثر على كثير من الكتابات التاريخية العائدة لدول عرب الجنوب وقد أعيدت هذه الكتابات إلى الفترة الواقعة بين القرنين الثامن قبل الميلاد والسابع بعد الميلاد . ولقد تضمنت هذه الكتابات وثائق ملكية وسجلات دولتي **حمير** الأولى والثانية ، أما عرب **الحيرة** فقد دوّنوا بخطهم أخبار مملكتهم وأودعوها أديار **الحيرة** وكنائسها .

ويعود اهتمام عرب الجنوب بتدوين أخبارهم إلى عدم تفشي الأمية بينهم كتفشيها بين عرب الشمال وذلك نتيجة لانتقالهم من حياة البداوة والترحال إلى حياة الحضر والاستقرار في ضواحي شبه الجزيرة العربية وخاصة في مدن **الحيرة واليمن**(6) . ولقد أرخ العرب القدامى بعام الفيل وبنار إبراهيم وبأيام العرب الشهيرة .

التاريخ بعد ظهور الإسلام

لم يظهر اصطلاح «تاريخ» بمعنى الإنسان والزمان وما يطرأ على أحوال الإنسان ضمن تغيرات الزمن إلا في عهد **الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب** رضي الله عنه ، فقد ورد هذا الاصطلاح لأول مرة منذ أن أدخل **عمر بن الخطاب** التقويم الهجري وكان ذلك في بردية يرجع تاريخها إلى سنة **٢٢هـ**(7) .

ولقد اتخذ **الخليفة الراشد عمر بن الخطاب** هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة بداية لتاريخ دولة الإسلام ، وكان ذلك بعد مشاوراته مع أولي العلم من المسلمين ، لأن وقت الهجرة لم يختلف فيه أحد بخلاف وقت مبعثه فإنه مختلف فيه كذلك وقت ولادته(8) .

وكذلك فقد تم الاتفاق على جعل شهر محرّم بداية للسنة الهجرية .

أسباب اهتمام العرب بكتابة التاريخ بعد ظهور الإسلام

ـ رغبة المسلمين عامة والعرب خاصة واهتمامهم بتفسير القرآن الكريم وحرصهم على الوقوف على أسباب التنزيل .

فلقد وجد المسلمون في القرآن الشرائع والأحكام والأخبار ، فحرصوا على تلاوته ووعي أحكامه التي أخذوا منها قواعد لسلوكهم الدنيوي .

ـ اهتمام المسلمين بمعرفة أخبار الرسول وسيرته وأحاديثه وغزواته وشخصيته ومراحل دعوته .

ـ اهتمام العرب وحرصهم على معرفة تاريخ أمتهم وأمجادها وسير أبطالها والوقوف على أخبارها المتعلقة بالفتوحات الإسلامية لما لذلك من علاقة بالأمور الإدارية والمالية وغيرها .

ـ رغبة العرب في معرفة أنسابهم وأعلامهم في شتى المجالات والميادين .

ـ تشجيع رجال الدولة من خلفاء وولاة وحكام الكتّاب والمؤرخين على كتابة التاريخ وعلى تدوين أحداث زمانهم .

ونظراً لشعور بعض الخلفاء بالحاجة إلى معرفة أخبار الأمم الآخرين لمعرفة أساليبهم في الحكم والإدارة .

ـ **النزاع السياسي أو الخلافات السياسية والعقائدية** التي حصلت بين بعض فئات المسلمين لأنها جعلت كل فريق يحاول تبرير وجهة نظره عن طريق الرجوع إلى الحوادث التاريخية .

ـ **الاهتمام والرغبة في معرفة أخبار العصر الجاهلي** لما لذلك من علاقة ببعض الآيات الواردة في القرآن الكريم مثل أخبار **عاد وثمود وسبأ** وغيرهم .

ـ **كان أكثر المؤرخين مدفوعين إلى كتابة التاريخ** بناء على رغبة في ذلك تحدوهم غاية علمية نبيلة ، وقد حفزهم على ذلك ميلهم إلى البحث التاريخي وحرصهم على خدمة المجتمع الإسلامي بصورة عامة[9] .

تنوع صور الكتابة التاريخية

لقد تنوعت صور الكتابة التاريخية عند العرب إلى أقصى الحدود ، فكان التاريخ من المجالات الفكرية الرئيسية التي اهتم بها العرب بعد ظهور الإسلام وبشكل خاص في العصر العباسي . وكانت حصيلة هذا الاهتمام مئات الكتب التاريخية التي تناولت شتى المجالات .

ولقد اشتهر عدد من المؤرخين العرب والمسلمين الذين عملوا في صناعة التاريخ فهم لم يتركوا مجالا إلا وحاولوا الكتابة فيه .

١ ـ مؤرخو العصر الجاهلي « الإخباريون » : اهتموا بتاريخ العرب في العصر الجاهلي أمثال : كعب الأحبار ت٣٢هـ ، **وعبيد ابن شريه الجرهمي** ت٧٠هـ ، **ووهب بن منبه** ت١١٤هـ ، **وعوانة ابن الحكم** ت١٤٧هـ ، **وهشام الكلبي** ت٢٠٤هـ ، **وابن الحائك الهمذاني** ت ٣٣٤هـ[10] .

٢ ـ مؤرخو السيرة والمغازي : ولقد اهتم هؤلاء بتاريخ السيرة ومغازي **الرسول** (ﷺ) ومن هؤلاء : **عروة بن الزبير** ت٩٢هـ ، **وأبان بن عثمان** ت١٠٥هـ ، **وشرحبيل بن سعد** ت١٢٣هـ ، **وابن شهاب الزهري** ت١٢٤هـ ، **ومحمد بن إسحاق** ت١٥٢هـ ، **ومحمد ابن عمر الواقدي** ت٢٠٧هـ[11] .

٣ ـ مؤرخو الطبقات : ولقد اهتم هؤلاء برواة الحديث وأخبارهم ، حيث صنفوهم في طبقات وذلك حسب أهميتهم العلمية ثم حسب المدن التي استقروا فيها أمثال : **الواقدي** ت٢٠٧هـ ، **وابن أبي أصيبعة** ت٦٦٨هـ[12] .

٤ ـ مؤرخو فتوح البلدان : ولقد اهتم هؤلاء باستقصاء أخبار الفتوحات الإسلامية ومن أشهر هؤلاء : **الواقدي** ت٢٠٧هـ وهو صاحب كتاب « فتوح البلدان »[13] ، **والخطيب البغدادي** ت٤٦٣هـ ، ومن كتبه « تاريخ بغداد » ، **وابن عساكر** ت٥٧١هـ ، ومن كتبه « تاريخ دمشق » ، ومن مؤرخي التراجم نذكر **ابن خلكان** ت٦٨١هـ ، ومن كتبه « وفيات الأعيان » ، **وياقوت الحموي** ت٦٢٦هـ ، ومن كتبه « معجم البلدان »[14] .

٥ ـ مؤرخو التواريخ العامة : الذين اهتموا بتاريخ العرب والإسلام بشكل خاص وبتاريخ العالم منذ بدء الخليقة بشكل عام ، أمثال : **الواقدي** ت٢٠٧هـ صاحب كتاب « التاريخ الكبير » ، **والطبري** ت٣١٠هـ ، وهو صاحب كتاب « تاريخ الرسل والملوك » **والمسعودي** ت٣٤٦هـ ، ومن كتبه « مروج الذهب ومعادن الجوهر » ، **وابن الأثير** صاحب الكامل في التاريخ ت٦٣٠هـ ، **وابن خلدون** ت٨٠٨هـ ، وهو صاحب كتاب « ديوان المبتدأ والخبر . . . »[15]

مميزات التفكير والتأليف التاريخي عند العرب

ـ لقد نشأ علم التاريخ عند العرب نشأة طبيعية مستقلة وكان التاريخ من الموضوعات التي أولاها العرب عنايتهم البالغة ، وكانت حصيلة ذلك ظهور كثير من المؤلفات التاريخية التي شملت مختلف الموضوعات من تاريخ محلي وعام وعالمي وتراجم .

ـ لم يقتصر اهتمام المؤرخين العرب على النواحي السياسية فقط بل اظهرت أيضاً عشرات الكتب التي لها علاقة بالنواحي الحضارية ، ولا سيما ما كان له علاقة بالأمور الاجتماعية والفكرية ، ومثال ذلك الكتب الخاصة بالعلماء والأدباء والقضاة وغير ذلك .

ـ لم يتجاوز اهتمام المؤرخين العرب حتى أواخر القرن الثاني الهجري الأمور التالية :

١ ـ سيرة **الرسول** ومغازيه .
٢ ـ أخبار الفتوحات الإسلامية .
٣ ـ اخبار وأحداث الأمم الماضية .

ـ خلال القرن الثالث الهجري وحتى أوائل القرن الرابع حدثت زيادة في المادة التاريخية ، وكان ذلك بعد استقرار الدولة العباسية ، فاستفاد المؤرخون من دواوين الدولة العباسية وما تحويه من عهود وإحصائيات ، وكانت هذه الزيادة ناتجة أيضاً عن تقدم حركة الترجمة والنقد من اللغات الأجنبية . وكذلك فقد ساعدت سهولة التنقل بين أرجاء الدولة الإسلامية المؤرخين في إغناء معلوماتهم التاريخية .

ـ اتبع العرب طريقتين رئيسيتين للكتابة التاريخية أولاهما **التأليف التاريخي حسب السنين أو ما يسمى بالمنهج الحولي** ، وتتمثل هذه المدرسة **بالطبري** ، **وابن الأثير** وغيرهما . وهنالك أيضاً طريقة **التأليف حسب الموضوعات** التي اتبعها أكثر المؤرخين العرب مثل **اليعقوبي والمسعودي وابن خلدون** . والكتابة حسب هذا المنهج قد

عوامل متعددة أسهمت في فقدان روح الابتكار والإبداع قرونا طويلة ..

تكون خاصة بالخلفاء أو الملوك أو التراجم أو المدن أو الدول وما إلى ذلك .

ـ لقد حرص المؤرخون العرب والمسلمون على اسناد الروايات والأحداث التاريخية إلى مصادرها الأصلية ، واتبع بعضهم الاسناد للتأكد من صحة الأخبار ، مثال ذلك **الطبري** .

ـ **لقد أدى ضعف الدولة العباسية إلى اللامركزية السياسية التي أدت بدورها إلى اللامركزية الأدبية** ، فتوزعت الثقافة الإسلامية على الأمصار وهذا أدى بدوره إلى ظهور علماء ومؤرخين في تلك الأمصار عملوا في كتابة التراجم والتاريخ وما إلى ذلك ، وكان ذلك ابتداء من منتصف القرن الثالث الهجري .

ـ بعد انهيار الخلافة العباسية اتجه المؤرخون في كتاباتهم نحو تعليل أسباب قيام الدول وأسباب سقوطها ومظاهر العمران فيها ، وألفوا عدة كتب عن طبيعة التاريخ وفوائده وفلسفته مثال ذلك مقدمة **ابن خلدون** ، **والسخاوي** في كتابه « الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » .

ـ كان كثير من المؤرخين العرب مستقلين في التفكير يكتبون ما ينسجم مع تفكيرهم ومعتقداتهم ، لا ما يريده منهم الملوك والولاة والحكام[16] .

التاريخ والمؤرخون العرب في العصور الحديثة

لم يلق علم التاريخ عند العرب في العصور الحديثة اهتماماً كالاهتمام الذي لاقاه هذا العلم عند الغرب ، ويعود سبب ذلك بشكل أساسي إلى المراحل التاريخية الصعبة التي تعرض لها الوطن العربي منذ سقوط عاصمة الخلافة العباسية . فقد تعرض الوطن العربي قبل نهاية العصور الوسطى لغزو خارجي يكاد يكون متعاقباً قام به كل من الصليبيين والمغول والتتار وتلا ذلك الاحتلال العثماني في بداية العصور الحديثة ثم الاحتلال الأوروبي في القرن الحالي .

ولقد تأثرت أساليب الكتابة التاريخية بظروف مرحلتين مرت بهما السلطنة العثمانية تعرف أولاهما **بمرحلة ما قبل التنظيمات** (الإدارية والمالية والقضائية والسياسية) وتنتهي بنهاية القرن الثامن عشر وتتصف بالجمود والركود في الحياة العلمية والعقلية ، وتعرف ثانيتهما **بمرحلة بعد التنظيمات** وتبدأ مع بداية القرن السابع عشر ولقد اتصفت بنوع من الديناميكية وتأثرت بالأساليب الغربية[17] .

ولم يكن الاحتلال العثماني وحده المسؤول عن جمود الحياة العلمية والعقلية وإنما هنالك عدة عوامل ساعدت على حالة الجمود هذه ، منها **الاقتصار على النقل وفقدان روح الإبتكار والإبداع وانتشار الطرق الصوفية وزحفها على الحياة العقلية والاجتماعية ، والتركيز بصفة خاصة على العلوم النقلية الدينية دون العلوم العقلية الدنيوية** يضاف إلى ذلك عدم اهتمام الخاصة بكتابة ودراسة التاريخ ونظرة عدم التقدير إلى هذا النوع من المعرفة ، مما أدى إلى اقتراب أسلوب الكتابة التاريخية من العامية ، وتحول معظم المؤلفات التاريخية إلى ما يشبه الشروح الهامشية والتعاليق التي لا تأتي بجديد والتي اتصفت بضحالة الأفكار وانعدام التنسيق والترابط فيما بينها[18] .

ومن المؤرخين العرب الذين برزوا إبان الاحتلال العثماني نذكر **ابن طولون الدمشقي** ت١٥٤٥ م ، **والبوريني** ت١٦١٥م ، **وإبراهيم العودة** المولود في **فلسطين** في أواخر القرن الثامن عشر ، **وحيدر أحمد الشهابي** من **لبنان** ت١٨٣٥ م ، **وجورجي زيدان** ت١٩١٤ م ، **ومحمد كرد علي** ت١٩٥٣م ، وفي مصر برز **الحلبي القاهري** ت١٦٣٤ م ، **وابن إياس** ، **والجبرتي** ، الذي عاصر الحملة الفرنسية على مصر ، **ورفاعة الطهطاوي** ت١٨٧٣ م[19] .

يضاف إلى ذلك عدد آخر من المؤرخين الذين برزوا في **العراق والجزيرة العربية** وفي **ليبيا والسودان** وأقطار **المغرب العربي** وغيرها .

وفي القرن العشرين تابع التاريخ تطوره وانتشر تدريسه في مختلف مراحل التعليم العادي والعالي وكثرت فروعه وتعددت أقسامه ، وتفرغ لتدريسه عدد من المؤرخين والمختصين ، بينما انصرف آخرون إلى الكتابات التاريخية المتفرعة حسب فروع وأقسام التاريخ المختلفة يضاف إلى ذلك ظهور العديد من الحوليات والدوريات والمؤلفات والمجلات التاريخية المختلفة والصادرة في مختلف دول العالم .

الهوامش

(١) **هنري جونسون** : « تدريس التاريخ » ـ ترجمة أبو الفتوح رضوان ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٥م ، ص ١٤ ، ١٥ (من الهامش لأبو الفتوح رضوان) .

(٢) **عبد الرحمن بن خلدون** : « مقدمة ابن خلدون » ، الجزء الأول ، لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٥٧م ، ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٣) **السخاوي** : « الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » ، مطبعة الترقي ، دمشق ١٣٤٩هـ ، ص ٧ .

(٤) **قسطنطين زريق** : « نحن والتاريخ » ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٩م ، ص ٥٥ .

(٥) **عبد الله العروي** : « العرب والفكر التاريخي » ، دار الحقيقة للطباعة

والنشر، بيروت، ١٩٧٣م، ص ٤٣.

(٦) انظر:

- **عمر رضا كحالة**: «التاريخ والجغرافية في العصور الإسلامية»، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٩٧٢م، ص ٦.

- **نور الدين حاطوم وآخرون**: «المدخل إلى التاريخ»، مطبعة الإنشاء، دمشق، ١٩٦٤م، ص ١٣٩، ١٤٠، ١٥٥.

(٧) **فرانز روزنثال**: «علم التاريخ عند المسلمين» - ترجمة صالح أحمد العلي، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٣م، ص ٢٣، ٢٤.

(٨) **السخاوي**: «التبر المسبوك في ذيل السلوك»، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة (لا تاريخ)، ص ٣.

(٩) **انظر المصادر التالية:**

أ - **د. محمد نهاد حموي**: «طرق تدريس مادة الاختصاص (التاريخ)»، أمالي كلية التربية في جامعة دمشق للعام الدراسي ٧٦ - ١٩٧٧م، ص ١٠.

ب - **نور الدين حاطوم وآخرون**، مصدر سابق، ص ١٧٦ - ١٨٤.

ج - **عمر رضا كحالة**، مصدر سابق، ص ٣١ - ٣٣.

د - **حسين نصار**: «نشأة التدوين التاريخي عند العرب»، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (لا تاريخ)، ص ٨ - ١١.

(١٠) **انظر المصادر التالية:**

أ - **د. محمد نهاد حموي**، مصدر سابق، ص ١١.

ب - **نور الدين حاطوم وآخرون**، مصدر سابق، ص ١٤٤، ١٤٦، ١٥٢.

ج - **عمر رضا كحالة**، مصدر سابق، ص ٢١.

(١١) **د. محمد نهاد حموي**، مصدر سابق، ص ١١.

(١٢) **نور الدين حاطوم وآخرون**، مصدر سابق، ص ٢٤٦ - ٢٤٨.

(١٣) المصدر السابق، ص ٢٥٤.

(١٤) المصدر السابق، ص ٢٦٦ - ٢٧٨.

(١٥) **د. محمد نهاد حموي**، مصدر سابق، ص ١١ - ١٤.

(١٦) **انظر المصادر التالية:**

أ - المصدر السابق، ص ١٦ - ١٨.

ب - **نور الدين حاطوم وآخرون**، مصدر سابق، ص ١٦١ - ١٧٣.

ج - **هرنشو**: «علم التاريخ» - ترجمة عبد الحميد عبادي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧م، ص ٥١ - ٦٩.

د - **السيد عبد العزيز سالم**: «التاريخ والمؤرخون العرب»، دار الكاتب العربي الإسكندرية، ١٩٦٧م، ص ٢٦ - ٣٠.

(١٧) **نور الدين حاطوم وآخرون**، مصدر سابق، ص ٥٠٣.

(١٨) المصدر السابق، ص ٥٤٣ - ٥٤٥.

(١٩) المصدر السابق، ص ٥٥٢، ٥٥٤، ٥٧١، ٥٧٤، ٥٧٩، ٥٨١، ٥٨٥، ٥٨٦.

في انتظار المسيح!



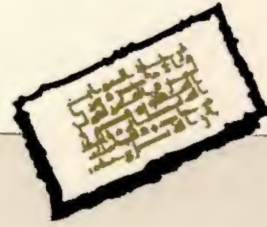
ظاهرة يهودية يعرفها الناس جميعا - اليهود وغير اليهود - هي البكاء الدائم، فالدموع اليهودية تسيل أنهارًا لأوهى الأسباب، وعيونهم تذرف مدرارا من كل شيء، إلاّ من خشية الله! وتتمثل تلك الظاهرة بأجلى معانيها في (حائط المبكى) بمدينة القدس، وهو الآن قبلتهم ومكان حجّهم وموضع عويلهم ونحيبهم، وهم يسمونه (الحائط الغربي) وعوامّهم يعتقدون أنه جدار باق من جدران الهيكل الذي أوصى داود ابنه سليمان - عليهما السلام - ببنائه ليكون معبداً مركزياً لليهود. وعلى الرغم من أن اليهود لا يؤمنون بأن داود وسليمان كانا من الأنبياء، فقد حددوا لأنفسهم هذه البقعة من الأرض يأتون إليها حجاجا ويقفون عندها باكين مولولين. على حين أن معبد سليمان كان قد تصدع بعد موته، واختفت منه نسخة التوراة الوحيدة، وكسدت بضاعة كهنته حتى سمحوا لكهنة الأصنام: بعل وعشتروت ومُلُك بإقامة هذه الطواغيت في المعبد، لمشاركتهم في الأرباح، بل سمحوا للبغايا الملحقات بمعابد الأصنام بممارسة الزنا في هيكل سليمان! ليس ذلك فقط بل أجازوا اللواط أيضا مع مخنثين محترفين! وكل هذا موصوف بدقة في سفر (الملوك الثاني) من كتابهم في سيرة الملك (يوشياهو بن أمون) الذي اهتم بمعبد سلفه القديم سليمان فأعاد ترميمه وتطهيره، ونظفه من الأصنام والبغايا والمخنثين وكهنة الكفر، وأحرق كل هذا وألقى رماده على قبور أسلافه إشارة إلى أنه يحمّلهم إثم هذا الانحراف.

ثم تهدم المعبد من جديد في الصراع بين أسرة سليمان في القدس وأسرة رصبعام بن نباط في السامرة، إلى أن دمّر الآشوريون السامرة ثم دمر الكلدانيون أورشليم بحيث لم يبق من هيكل سليمان أي أثر. وأعاد اليهود بناءه تحت حماية الفرس في القرن الخامس قبل الميلاد، إلى أن هدّمه حكّام أنطاكية ومحا الرومان آثاره نهائيًا، بحيث أصبح (الحائط الغربي) هذا رمزًا - لا لمعبد سليمان ولا معبد العزير في العصر الفارسي - بل لمعبد هيرودوس الذي في عهده ولد المسيح عليه السلام.

والمسيح لقب معناه الأصلي (الممسوح) على رأسه بالدهن المقدس، قبل أن يبايعه الكاهن الأعظم ويضع على رأسه تاج الملك، وهو تقليد لم يقل به موسى ولا عرفه هارون بل هي بدعة عرفها اليهود من أباطرة البابليين والفرس واليونان. وأول من بشر بالمسيح المخلّص هو النبي إشعياء بعد موسى بما يناهز ثلاثمائة عام. ومن وقتها واليهود ينتظرون المسيح ويرفضون من يأتيهم بهذه الصفة، حتى المسيح عيسى بن مريم.

وتعاقب في كل جيل من أجيالهم من يدعي أنه (المسيح المنتظر)، ولمّا طال انتظارهم اقتنعوا أخيرا ببرنامج (تيودور هرتزل) واعتبروه (الصهيوني المنتظر).

أ.د. حسن ظاظا



إعداد: محمد رضوان محمد ديب الأنطاكي

صحف عربية «١»

(١٨٢٢ ـ ١٩١٤م)

أ

أبابيل :

جـريدة صـدرت في بيروت، أصـدرهـا حسين محيي الديـن الحبّال عـام ١٩٠٩م.

أبو الهول :

جريدة لبنانية عربية صدرت في مدينة سان باولو في البرازيل عام ١٩٠٦م أصدرها الأديـب والصحافي اللبناني شكري الخوري الذي هـاجر إلى مصر ثم إلى البرازيل. ولـد الأديب شكري في بكفيـا في لبنان عـام ١٨٧٢م. وتوفي في سان باولو في البرازيل عام ١٩٣٧م.

ـ الاتحاد العثماني :

جريـدة أنشأها في بيروت عام ١٩٠٨م الصحـافي اللبناني أحمد بن حسن طيارة الذي ولد عام ١٨٧١م في بيروت وكان من شهداء الوطن الذين شنقهم الأتراك عام ١٩١٦م وعمل في تحريـر جريدة (ثمرات الفنون) لصـاحبها عبد القادر القباني لمدة ١٧ عاما.

ـ الأحوال :

من أوائل الصحف العربيـة اليومية حيث صدرت أول مـرة عام ١٨٩١م وكان يـرأسها الصحافي اللبنـاني خليل البدوي الذي أسس مطبعـة الفوائد في لبنان ولد عام ١٨٦٣م وتوفي عام ١٩٣٣م

الإخاء العثماني :

جريدة أصدرها محمد شاكر الطيبي في بيروت عام ١٩١١.

ـ الأرز :

جريـدة لبنانية صدرت في جـونية في لبنان عام ١٨٩٥م صـاحبها الشيخ فيليب الخازن وأخوه الشيخ فريد الخازن، ولـد الشيخ فيليب في عرمون قضاء كسروان عام ١٨٦٥م، والشيـخ فريد ولـد عام ١٨٦٩م في نفـس القضاء. جاهدا في سبيل استقلال لبنان وهما من شهداء الوطن الذين أعدمهم السفاح جمال باشـا عام ١٩١٦م لهما كتـاب« لمحة تاريخيـة في استقلال لبنـان» وترجمة كتاب « المحررات السياسية».

الأفكار :

جـريدة أصدرها في المهجـر في مـدينة سـان بـاولو سعيـد أبو جمرة عـام ١٩٠٣م.

الإقبـــال :

جريدة صدرت في بيروت على يد عبد الباسط الأُنسي عام ١٩٠٢م.

ـ الأهرام :

جريدة مصرية. أسسها سليم وبشارة تقلا اللبنانيان في الإسكندرية عام ١٨٧٥م ثم نقـلاها إلى القـاهـرة عام ١٨٧٦م وهي اليـوم من أكبر الصحف العربية على المستوى العالمي.

ولد سليم عام ١٨٤٩م وتوفي ١٨٩٢م. وبشـارة ولد عام ١٨٥٢م وتوفي عـام ١٩٠١م ـ أصلهـا من كفر شيما في لبنـان من رجـال الصحافـة والأدب أصـدر بشـارة إلى جانبهـا جـريـدة (البيراميـد) بالفـرنسيـة عـام ١٩٠٠م ثم احتجبت عن الصـدور عـام ١٩١٤م. آل أمـر الأهـرام بعـد وفـاة بشـارة إلى زوجته فابنه جبرائيل ١٨٩٠ ـ ١٩٤٣م الذي صرف جهده إلى توسيع الجريدة وإتقان طباعتها حتى أصبحت اليوم من الجرائد العالمية. وهي تصدر إلى يومنا هذا.

الأيام :

جريدة عربية صدرت في نيويورك عام ١٨٩٧م . أصدرها يوسف نعمان المعلوف .



برجيس باريس :

جريدة لبنانية أصدرها في باريس الكونت رشيد الدحداح الذي ولد عام ١٨١٣م في عرمون قضاء كسروان في لبنان وتوفي في باريس عام ١٨٨٩م . وأصدر جريدة برجيس باريس عام ١٨٥٨م ويُعَدُّ من كبار أدباء القرن التاسع عشر قضى النصف الثاني من حياته في باريس وتونس .

البرق :

جريدة عربية لبنانية أنشأها الشاعر بشارة الخوري في بيروت عام ١٩٠٨ ـ ١٩٣١م ولد بشارة الخوري في بيروت عام ١٨٨٥م وتوفي فيها ١٩٦٨م . وكان عضو المجمع العلمي العربي في دمشق له الهوى والشباب وشعر الأخطل الصغير وكان يلقب بالأخطل الصغير .

البشير :

جريدة أسبوعية ثم صدرت يومية أصدرها اليسوعيون في بيروت (١٨٧٠ ـ ١٩٤٧م) ـ منهم لويس معلوف اليسوعي ولد في زحلة عام ١٨٦٧م وتوفي عام ١٩٤٦م . وتعلم في بيروت وأوروبا . وهو من علماء العربية وأعلام النهضة الحديثة وحرر جريدة البشير مدة ٣٠ عاما من مؤلفاته قاموس ، المنجد ، في اللغة .

البصرة :

جريدة صدرت في مدينة البصرة في العراق عام ١٨٩٥م .

البصير :

جريدة أصدرها رشيد شميل في الإسكندرية عام ١٨٩٧م .

البصيرة :

جريدة أصدرها نجيب ملحمة وعبد الله نمور في تونس عام ١٨٩٣م .

بغداد :

جريدة عربية صدرت في مدينة بغداد صاحبها مراد سليمان عام ١٩٠٨م .

البلاغ :

جريدة صدرت في بيروت ، أصدرها محمد الباقر عام ١٩١١م .

البيان :

جريدة عربية صدرت في بروكلين في الولايات المتحدة ، أصدرها سليمان بدور وعباس أبو شقرا ، عام ١٩١١م .

البيرق :

جريدة لبنانية أسسها الأديب والصحافي اللبناني سعيد عقل الذي ولد عام ١٨٨٨م في الدامور في لبنان واشترك في تحرير الجرائد اللبنانية التي صدرت عام ١٩١١م .

بيروت الرسمية :

جريدة صدرت في بيروت عام ١٨٨٨م .

بيروت :

جريدة لبنانية أنشأها وحررها الصحافي اللبناني محمد رشيد الدنا عام ١٨٨٦م في بيروت ـ ولد محد رشيد الدنا عام ١٨٥٧م وعمل بالصحافة وأنشأ مطبعة بيروت عام ١٨٨٥م . توفي عام ١٩٠٢ .



التجارة :

جريدة أسسها أديب إسحق (١٨٥٦ ـ ١٨٨٥م) وسليم نقَّاش عام ١٨٧٨م . في الإسكندرية .

الترقي :

جريدة صدرت في مدينة طرابلس الغرب في ليبيا عام ١٨٩٧م . وأصدرها محمد البوصيري .

التقدم

جريدة أصدرها شكري كنيدر في حلب في سورية عام ١٩٠٨م .

التقدم :

جريدة صدرت في بيروت عام ١٧٧٤م أسسها الصحافي اللبناني يوسف فارس شلفون وأسس أيضا المطبعة العمومية وساعد خليل الخوري في تأسيس المطبعة السورية عام ١٨٥٧م . له ديوان أنيس الجليس ــ توفي في بيروت عام ١٨٩٠م .



ثمرات الفنون :

جريدة صدرت في بيروت عام ١٨٧٥ ـ ١٩٠٨م أنشأها الصحافي اللبناني

عبد القادر القباني الذي ولد عام ١٨٤٨ في بيروت وتوفي فيها عام ١٩٣٥ وهو أحد مؤسسي جمعية المقاصد الإسلامية .

ج

الجامعة :

جريدة عربية صدرت في نيويورك ، أصدرها فرح أنطوان عام ١٩٠٧م .

جراب الكردي :

جريدة عربية صدرت في نيويورك أصدرها أنطوان زريق عام ١٩٠٢م . ولد الأديب أنطوان زريق في بيروت ، وعمل بالصحافة وكانت مقالاته الصحفية تعارض السياسة العثمانية - هاجر إلى فرنسا عام ١٨٩٨م ثم إلى أمريكا حيث أصدر هناك جريدة جراب الكردي التي دعاها بعدئذ بالارتقاء وتم اعدامه في دمشق عام ١٩١٦م .

الجنان ، الجنة ، الجنينة :

ثلاث صحف عربية صدرت في بيروت عام ١٨٧٠م . بالإضافة إلى صحيفة نفير سورية عام ١٨٦٠م وأنشأ هذه الصحف بطرس البستاني وابنه سليم . ولد بطرس في الدبية في لبنان عام ١٨١٩م ومن آثاره قاموس محيط المحيط ودائرة المعارف في أجزائها الستة - توفي عام ١٨٨٣م .

أما ابنه سليم ولد عام ١٨٤٧م في عيبه . وقرأ العربية على يد الشيخ ناصيف اليازجي وعمل مع ابنيه في تأليف دائرة المعارف . له كتب كثيرة في التاريخ والاجتماع والقصص . توفي بعد والده بعام واحد ١٨٨٤م .

الجوائب :

جريدة عربية صدرت في إسطنبول عام ١٨٦٠م أصدرها الأديب اللبناني أحمد فارس يوسف الشدياق ويعد من رواد الصحافة العربية الأوائل - ولد في عشقوت في لبنان عام ١٨٠٤م وتوفي في إسطنبول عام ١٨٨٨م . تعلم في مدرسة عين ورقة سافر إلى مصر ومالطا وفيها انتقل إلى المذهب البروتستاني . وسافر أيضا إلى تونس التي فيها اعتنق الإسلام وسمى نفسه «أحمد» بعدها قصد الآستانة حيث أصدر جريدة الجوائب - جال أوروبا وامتاز بمعرفته الواسعة في مواد العربية وسهولة أسلوبه في الإنشاء - وله مؤلفات كثيرة منها الجاسوس على القاموس و الساق على الساق فيما هو الفارياق .

ح

الحاضرة :

جريدة صدرت في تونس عام ١٨٨٨م أصدرها علي بوشوشة .

الحجاز :

جريدة عربية صدرت في مكة في السعودية عام ١٩٠٨م .

حديقة الأخبار :

أول جريدة عربية حرّة أسسها الأديب اللبناني خليل الخوري في بيروت عام ١٨٥٨م ـ ولد الأديب خليل الخوري عام ١٨٣٦م في الشويفات في لبنان ، تعلم على يد ناصيف اليازجي . أنشأ المطبعة السورية - وله عدة آثار أدبية وتاريخية وشعرية .

الحسنا :

جريدة أصدرها جرجي نقولا باز في بيروت عام ١٩٠٩م .

حقيقة الأخبار :

جريدة أصدرها أنيس خلّاط في القاهرة عام ١٨٧٧م .

حمص :

جريدة عربية أصدرها المطران عطا الله وحنا خباز في مدينة حمص في سورية عام ١٩٠٩م .

الحوادث :

جريدة صدرت في طرابلس في لبنان عام ١٩١١م . أصدرها لطف الله خلاط .

خ

الخواطـــر :

جريدة عربية صدرت في المكسيك عام ١٩٠٨م أصدرها الأديب اللبناني يوسف صالح الحلو .

د

دمشق :

جريدة صدرت في دمشق عام ١٨٧٩م مؤسسها أحمد عزت باشا العابد .

ر

الرائد التونسي :

من أولى الجرائد التي صدرت في تونس عام ١٨٦٠م .

الرأي العام :

جريدة صدرت في بيروت عام ١٩١٠م أصدرها طه المدور .

الـراصـــد :

جريدةصدرت في بيروت أنشأها الصحافي والشاعر والأديب اللبناني وديع عقل المولود في الـدامور عام ١٨٨٢م وتـوفي عام ١٩٣٣م وقبل إنشاء جـريدة الراصد ساهم في إصدار جريدة «الوطن» في بيروت .

رجْع الصَّدى :

جريدة عـربية صدرت في مصر أنشأها الأديب والصحـافي اللبناني سليم سركيس ـ ولـد في لبنان عام ١٨٦٧م وعاش في مصر وأصـدر مجلة سركيس في القاهـرة وله مؤلفـات عديدة منهـا سر مملكته في أخبار بني عثمان . تـوفي عام ١٩٢٦م .

الرقيب :

أول جريدة عربية صـدرت في البرازيل في ريو دي جانيرو عام ١٨٩٦م . أصدرهـا الصحافي والسياسي اللبنـاني نعوم لبكي الذي ولـد عام ١٨٧٥م في بعبدات وساعده في إصدارها الصحافي أسعد خالد ثم أنشأ جريدة المناظر في سـان باولـو عـام ١٩٠١م وتـابع إصدارهـا في بيروت بعـد عـودته إلى لبنـان ١٩٠٨م . وشغل منصب رئيس مجلس النواب ١٩٢٣م ـ توفي عام ١٩٢٤ .

الرقيـــب :

جريدة صدرت في بيروت عـام ١٨٩٨م أنشأها الصحافي اللبناني نجيب طـراد الـذي ولـد في بيروت ١٨٥٩م وتـوفي فيهـا عـام ١٩١١م سـافـر إلى الإسكندرية وعمل في الترجمة وكان تَرْجُمَان عرابي باشا .

الروضة :

جريدة أصدرها خليل طنوس باخوس في بيروت عام ١٨٩٣م .

الروضة :

صدرت في بغداد عام ١٩٠٩م أصدرها عبد الحسين الأزري .

الرياض :

جريدة عربية صدرت في بغداد عام ١٩١٠م أصدرها سليمان الدخيل .

ز

زحلة الفتاة :

جريدة صدرت في زحلة في لبنان عام ١٩١٠م أصدرها شكري بخاش .

الزمان :

جريدة أصـدرها ميخائيل السمرا في بـونس أيريس في الأرجنتين صدرت باللغة العربية عام ١٩٠٥م .

الزهرة :

جريدة صدرت في تونس عام ١٨٨٩م أصدرها عبد الرحمن الصنادلي .

الزوراء :

جريدة عربية صدرت في بغداد عام ١٨٦٩م .

س

السائح :

جريدة عربية صدرت في نيـويورك أسسها الصحفي السوري عبد المسيح حداد عـام ١٩١٢م . الذي ولد في حمص عـام ١٨٩٠م وهاجر إلى الـولايات المتحـدة وعمل بالصحـافـة وكان عضـو الرابطـة القلميـة ، له من المؤلفـات انطباعات مغترب ، وحكايات المهجر ، توفي في بروكلين بالولايات المتحدة عام ١٩٦٣م .

السلام :

جـريـدة عـربية صـدرت في بـونس أيـريس في الأرجنتين عـام ١٩٠٢م أصدرها وديع شمعون .

سورية

جريدة صدرت في دمشق عام ١٨٦٥م .

ش

الشام :

جـريـدة عـربيـة صـدرت في دمشق ، أصـدرهـا مصطفى واصف عـام ١٨٩٦م .

الشعب :

جريدة صدرت في عين زحلتا في لبنان عام ١٩١١ أصدرها رشيد نخلة .

الشهباء :

جـريدة صـدرت في مدينـة حلب في سوريـة أنشأها الصحـافي والأديب السـوري عبـد الـرحمن الكواكبي عـام ١٨٧٧م وقـد كـان مضطهـدا من قبل الأتراك لأفكـاره التحرريـة ودعوته إلى النهضـة والإصلاح ــ ولد عبـد الرحمن الكواكبي في حلب عـام ١٨٤٩م وتوفي في مصر عام ١٩٠٢م ـ لـه كتاب «أم القرى» وكتاب «طبائع الاستبداد» .



الجزيرة تكفيك



المسائية

تثري مساءك

تصدران يوميا عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف ٤٠٢٥٥٥٥ .. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

طائر البحر

بقلم: د. محمد أبوبكر حميد

لم تكن مسرحية «طائر البحر» أول عمل مسرحي يكتبه تشيكوف ولكنها كانت أول عملٍ دخل به تشيكوف تاريخ المسرح والدراما من أوسع أبوابه. وهي بحق تعتبر نموذجًا لدراسة فن تشيكوف المسرحي وأقرب أعماله إلى البوح بفكره ورؤيته للأدب والفن، فمعظم أبطالها من الأدباء والممثلين والفنانين، وقد وصف تشيكوف نفسه هذه المسرحية بأنه «تتضمن كثيرًا من الكلام عن الأدب وقليلاً من الحركة وأطنانًا من الحب».

انطلاقة الصراع

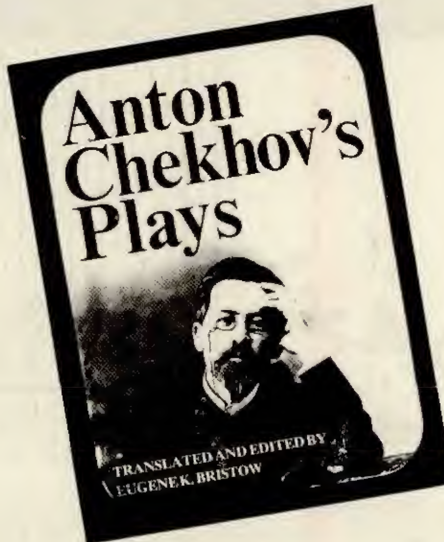
تدور معظم أحداث المسرحية في ضيعة السيد سورين الواقعة على بحيرة ساحرة المنظر، ونجد هناك أخته الممثلة أركادينا وابنها المؤلف المسرحي الناشئ تريبليوف والممثلة الشابة الطموحة نينا، والكاتب الشهير تريجورين كما يشارك في الأحداث شخصيات ثانوية مثل شامرايف ناظر ضيعة سورين وبولينا زوجته وماشا ابنته وميدفيدنكو مدرس فقير. تبدأ الأحداث بعرض مسرحي على مسرح خاص أنشئ على ضفاف البحيرة واتخذ من منظرها الجميل خلفية له. يحلم كل من تريبليوف ونينا بالنجاح والمجد والشهرة، فالمسرحية التجريبية التي ستعرض من تأليف تريبليوف ونينا - التي يحبها - تقوم بالدور الرئيس فيها. وما إن يبدأ عرض هذه المسرحية الغريبة حتى تبدأ أركادينا - والدة تريبليوف - وهي امرأة أنانية أفسدتها الشهرة - في السخرية منها بصوت عال، الأمر الذي جعل الكاتب الشاب يغضب من سلوك أمه ويأمر بإيقاف التمثيل وإسدال الستار. ويكون هذا الحدث بداية للصراع النفسي والتأزم والتوتر في نفوس الشخصيات. فنجد تريبليوف يصاب بالاحباط بسبب أمه التي لا تعتبر بموهبته والتي أغنتها شهرتها عن الاهتمام به.

وتزداد أحوال المؤلف الشاب سوءًا عندما يجد نينا تنصرف عنه وتقع في غرام المؤلف الشهير تريجورين صديق أمه الذي اصطحبته معها إلى الضيعة.

وكفتاة طموحة جرت نينا وراء أوهام الشهرة ولمعان النجومية فهجرت أسرتها وذهبت إلى المسرح في موسكو حيث يقيم تريجورين، وتنتهي علاقتها بتريجورين الكاتب المشهور بمأساة الحمل منه سفاحًا وبموت الطفل بعد ذلك.

التحول والانتصار

أما تريبليوف بعد أن عانى من قسوة أمه وهروب نينا منه وفشله في تقديم تصور جديد من



الأدب والفن فنجده يحاول الانتحار، وتزداد الرغبة في الانتحار بعد فشله في استعادة حب نينا إليه بل والفشل في تحقيق أي شيء من أحلامه في الحياة وتنتهي المسرحية بانتحاره في هدوء.

أما نينا فنجدها ترتفع فوق محنتها وتتعلم منها وتكرس جهدها في التمثيل بالأقاليم وتزور مسقط رأسها بعد غياب ولكنها وقد تحولت إلى شخصية أخرى صهرتها تجارب الحياة وتغيرت نظرتها إلى الفن ولم تعد تلك الممثلة الحالمة بالشهرة الفارغة والمجد الموهوم، فهي عندما التقت بتريبليوف لم تستطع أن تحبه لأنها وجدته كما تركته قلقًا حائرًا لم يستطع أن يحقق ذاته في عملٍ معين يقوم به، وحاولت أن تعلمه شيئًا مما تعلمت في الحياة فكان من كلامها له قولها: «**إن الشيء المهم بالنسبة لنا جميعًا سواء كنا ممثلين أو كتابًا ليس الشهرة أو النجومية أو تحقيق أحلامنا الشخصية وإنما المهم هو قدرتنا على الاحتمال. فتعلم كيف تحتمل... وتحتفظ بإيمانك. لقد فعلت ذلك ولهذا لم يطل عذابي كثيرًا وحينما أتذكر أن لي رسالة لا أخشى مواجهة الحياة...**».

وفي موقف آخر تعبر نينا عن انتصارها والتحول **الحقيقي في شخصيتها، بأنها وجدت ذاتها في العمل الذي تقوم به، فهي تقول «... أنا الآن ممثلة حقيقية استمتع بتمثيلي، وأمثل في حماسة، وأحقق حالات النشوة على خشبة المسرح.. أشعر أني مبدعة** ... أشعر أن قدراتي الروحية تقوى يومًا بعد يوم.»

لقد وجد تريبليوف نفسه عاجزًا عن اللحاق بها وقد اعترف لها بذلك، ولعل تشيكوف يريد أن يقول أن تريبليوف كان صاحب موهبة لكنه لم يكن

صاحب رسالة واضحة وإرادة قوية تحقق له هذه الرسالة فوقع فريسة أوهام المجد والشهرة، ولما لم تتحقق بسهولة انتحر.

العمل رسالة

ولعل شخصية نينا من أكثر شخصيات تشيكوف قربًا إلى فكره ورؤيته للحياة والفن، وهو مصداق لما قاله عنه مكسيم جوركي «**لم أجد في حياتي من يصدر عن تصور عميق وشامل بأهمية العمل كأساس للثقافة مثل أنطون تشيكوف**».



تشيكوف

والعمل هو أن تكون هناك رؤية واضحة وهدف محدد وهو ما قاله تشيكوف على لسان الدكتور دورن لتريبليوف: «**يجب أن تكون في كل ما تكتب فكرة واضحة محددة ويجب أن تعرف الذين تكتب لهم... إن الموهبة بغير رسالة محددة تحمل في ثناياها بذرة القضاء على صاحبها...**»

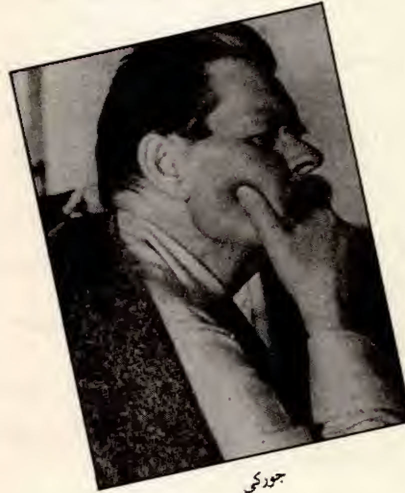
وربما يعطينا هذا التفسير الحقيقي لرمز طائر البحر في المسرحية، فهو ليس مشروع قصة قصيرة كما يقول تريجورين لنينا بعد أن يلمح الطائر «مشروع قصة قصيرة عن فتاة مثلك شابة تعيش منذ الصغر على شاطئ بحيرة... وبالصدفة جاء شخص فقتلها لمجرد التسلية كهذا الطائر». صحيح إن الرمز ينطبق جزئيًا على ما فعله معها تريجورين نفسه حين عبث بها لمجرد التسلية. ولكن يبقى الطائر رمزًا لتريبليوف نفسه فهو الذي قتله

"

لم أجد في حياتي من يصدر عن تصور عميق وشامل بأهمية العمل كأساس للثقافة مثل أنطون تشيكوف

مكسيم جوركي

"



جوركي

"

لا توجد السعادة في الحب وإنما في الحقيقة..

تشيكوف

"

ووضعه بين قدمي نينا، وكان حين قتله قد قتل نفسه معنويًا وخنق كل أحلامه في الانطلاق والخروج من إسار الضياع ثم أنجز أخيرًا وعده بقتل نفسه فعليًا كما قتل هذا الطائر.

الآمال الضائعة

أما بقية الشخصيات فكانت تدور حول نفسها شأنها شأن معظم شخصيات تشيكوف تتكلم كثيرًا وتعمل قليلاً وتعيش متراوحةً بين عالم الوهم وعالم الحقيقة، بين الواقع والحلم. ولعل نينا الوحيدة بين كل أشخاص المسرحية التي عرفت لنفسها هدفًا فعملت على تحقيقه واستبدلت الفشل في الحب بالنجاح في العمل.

بينما عزف الباقون في الحلم بالنجاح والحديث عنه والبحث عن الحب الهارب، ذلك لأن المسرحية ـ كما وضعها تشيكوف نفسه بأنها تحمل «أطنانًا من الحب» ـ لكنه حب خالٍ من الحياة لأنه من طرف واحد، فقد كان هناك حب تريبليوف لنينا التي كانت تحب تريجورين، وهناك حب بولينا زوجة شامرايف للدكتور دورن، وحب أركادينا لتريجورين وحب ميدفينكو لماشا، وحب ماشا لتريبليوف.

وليس في هذه الأطنان جميعًا من الحب حب واحد متوافق أو منسجم. ومعظم هؤلاء لا يحقق مبتغاه في الحياة بل يجري به التيار في اتجاه معاكس لرغبته، فهذا سورن يبوح لتريبليوف بموضع الاحباط في حياته: «**أما أنا يا أخي فأحب الأدباء، كنت أتمنى أن أتزوج وأن أصبح أديبًا ولكن لا هذا ولا ذاك تحقق!..**» وماشا تضطر للزواج من ميدفيدنكو الذي لا تحبه، ولا ترى لحياتها هدفًا يتحقق وهي منذ البداية في المشهد الذي افتتحت به المسرحية نجدها تقول لميدفيدنكو «**إنني في حداد على حياتي... إنني تعسة**» وذلك بعد أن سألها لماذا ترتدي السواد. ثم تقدم ماشا نفسها لتريجورين بقولها: «**ماشا التي تعيش في هذه الدنيا بدون مبرر معروف!**». وكأن تشيكوف يريد أن يقول إن الحب وحده دون عمل يُعطل الحياة، والفشل في الحب لا يعني نهاية العالم وهذا تبينه المقارنة بين موقف نينا وماشا من الفشل في الحب، وهو ترجمة لحكمة تشيكوف التي تقول: «**لا توجد السعادة في الحب وإنما في الحقيقة**». وقد حققت نينا لنفسها السعادة حينما ارتفعت فوق آلامها وطارت بعيدًا عن دنيا التعساء بالحب وبالآمال الضائعة على ضفاف البحيرة، فكانت طائر البحر الذي لم يمت وإنما ارتفع وحلّق منتصرًا بعزيمة وإصرار على العمل ومواجهة الواقع وأداء رسالة.



شجرة الأراك (السواك)★

توجد شجرة الأراك العربي (المعروفة علميا باسم سلفادورا Sal-vadora) في الأودية أو المناطق ذات المياه العميقة في المملكة العربية السعودية.. وعود السواك (أو فرشة الأسنان) الذي يباع في الأسواق هو قطعة مأخوذة من جذور هذه الشجرة، **وتدل الدراسات الحديثة على احتواء جذور السواك على مضادات حيوية ومواد كميائية مفيدة بالنسبة للأسنان..**

وشجيرات السواك مفضلة جدا عند الجمال، وترعى عليها بكثافة، وفي المناطق المناسبة تنمو الأشجار بغزارة مكونة أجمات توجد بها سراديب تستخدمها الحيوانات البريَّة المختلفة كملاجئ لها، كما يوجد بين الأجمات وفوقها عدد من النباتات العصارية أو المتسلقة الأرضية.

وتوجد غابة من شجر الأراك في الجنوب الغربي من المملكة، وتمتد عدة كيلومترات من وادٍ يبدأ من سفح الجبل حتى شاطئ البحر، ومن المحتمل أنها رويت تحت سطح الأرض بواسطة مجرى ينتهي في الرمل قبل الوصول إلى البحر عند السطح، ولكن الماء يستمر في التدفق إلى أسفل خلال التربة الرملية..

★ عن كتاب (مقدمة في التاريخ الطبيعي للمملكة العربية السعودية) إصدار وزارة الزراعة والمياه، الرياض، ١٤١٢هـ..

ثلاث خصال

أحضر الرشيد رجلا ليوليه القضاء، فقال الرجل للرشيد: - إني لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه..

فما كان من الرشيد إلا أن قال له: فيك ثلاث خصال:

لك شرف؛ والشرف يمنع صاحبه من الدناءة..

ولك حلم يمنعك من العجلة؛ ومن لم يعجل قلَّ خطؤه..

وأنت رجل تشاور في أمرك؛ ومن شاور كثر صوابه..

وأما الفقه فنضُم إليك من تتفقه به..

.. فوُلي فما وجد فيه تقصير..

غريبة

كانت السيارات في عام ١٩٠٠م تزعج المارة، وتخيف الجياد، وتفزع الأطفال إلى درجة جعلت ولاية تنيسي الأمريكية تصدر قانونا يحتم على كل صاحب سيارة أن يعلن في الصحف عن موعد خروجه بها قبل ذلك بأسبوع على الأقل.

ما اتَّفَقَ لفْظُه واختلف مَعْنَاه★

الأُمَّةُ

تجيء كلمة «الأُمة» على عدة معان؛ على النحو التالي:

- بمعنى **«القوم»** من الناس

ومنه قوله تعالى: **﴿وجد عليه أمةً من الناس يسقون﴾** القصص/ الآية (٢٣)..

- وبمعنى «الحين»، كما في قوله تعالى: **﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه﴾** هود/ الآية (٨)..

وقوله تعالى: **﴿ وادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾** يوسف/ الآية (٤٥)

- وبمعنى الدِّينُ.. وفي ذلك يقول النابغة:

حَلَفْتُ فلم أترك لنفسك ريبة

وهل يأْثَمَنْ ذو أُمَّةٍ وهو طائع؟!

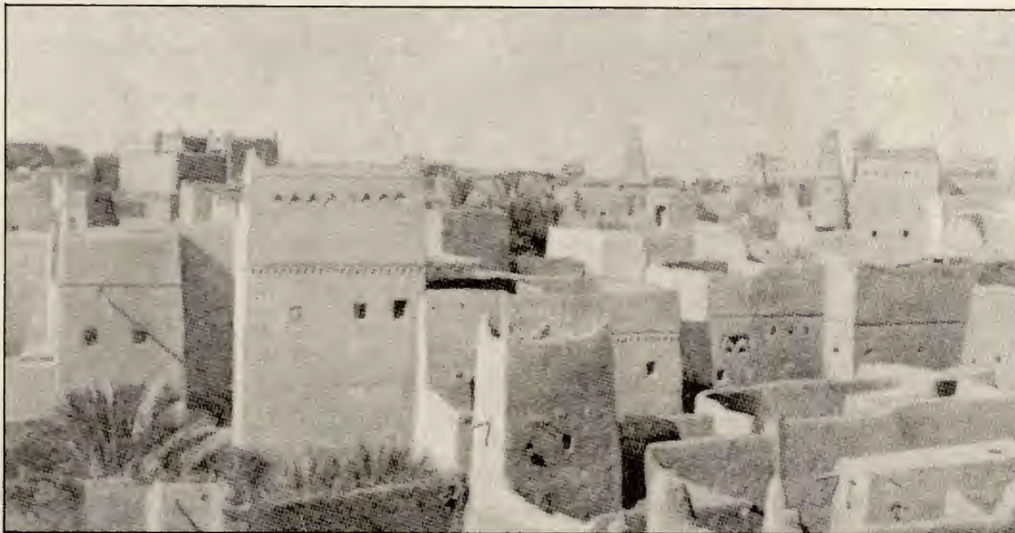
- وتجيء بمعنى **«قامة الإنسان»**، قال أعشى بني قيس:

وإنَّ معاوية الأكرمين

حسان الوجوه طوال الأمم

- وقال أبو سعيد: **والأُمَّة**: الإمام الذي يؤْتَمُّ في الشيء، يقال: فلانٌ أُمَّةٌ، ومنه قوله تعالى: **﴿ إنَّ إبراهيم كان أُمَّةً قانتًا﴾** النحل / الآية (١٢٠)

★ تأليف أبي العَمَيْثل الأعرابي.



صورة قديمة لمدينة عنيزة، تبدو فيها منارتان تعلوان المنازل الطينية المرتفعة التي تناسب طقس المنطقة

وصية

قال لقمان لابنه :

يا بني ؛ أول ما أحذرك من نفسك ، فإن لكل نفس هوىً وشهوة ، فإن أعطيتها شهوتها تمادت وطلبت سواها ، فإن الشهوة كامنة في القلب ككمون النار في الحجر، إن قدح أورى ، وإن تُرك توارى .

ويأتيك بالأمثال

ما أرخَصَ الجمَلَ لوْلا الهِرَّة!

يُضرب هذا المثل تعجّبًا من اقتران النفيس والخسيس .

وأصله أن رجُلاً ضلَّ له بعير، ولمّا أعياه البحث أقسم لئن وجده ليبيعنَّه بدرهم ، وعندما عثر عليه قرن به سِنَّوْرًا ليبيعها معًا .

وقال لمن سأل عن الثمن :

ـ أبيعُ الجملَ بدرهم واحد ، وأبيع السنّور بألف درهم ، ولا أبيعها إلا معًا .

فكان لسان حال من شهدوا الواقعة قولهم :

ـ ما أرخص الجَمَلَ لولا الهرّة! .

فجرت مثلا .

نجدة . . !

أن يعضّ حيوانٌ إنسانًا ؛ فذلك أمر لا غرابة فيه ، لكن الأمر الذي تلفُّه الغرابة أن يعضّ إنسانٌ ـ عاقل ـ حيوانًا!

والأغرب أن يكون الحيوان (الذي وقع عليه العض من الإنسان) لبؤة!!

يذكر الآمدي ـ في المؤتلف والمختلف ـ أن لبؤة عضّت منكب الشاعر أوس بن مالك الجرمي ، فما كان من هذا الشاعر الفارس ومُلاعب الأسنة إلا أن هجم على اللبؤة وعضّ أنفها ، وقال :

أعَضُّ بأنفها وتَعضُّ أنفي ... كِلانا باسلٌ بطلٌ شجاعُ

فلولا أنْ تداركَني زُهير ... بنصل السَّيف أفْنَتْنِي السِّباعُ

دون تغيير

الأبيات الشعرية اللاحقة يمكن قراءتها من اليمين إلى اليسار، أو من اليسار إلى اليمين دون تغيير في الألفاظ أو المعنى ؛ لأن ترتيب الحروف في كلتا الحالتين هو نفسه ، وذلك يعبر عن غنى العربية وتمكّن الشاعر من لغته :

قمرٌ يُفرط عمدًا مُشرقٌ ... رشى ماءً دمعُ طرف يرمقُ

قد حلا كاذبُ وعد تابعٌ ... لعبا تدعو بذاك الحدَق

قبسٌ يدعو سناه ؛ إن جفا ... فجناه أنسى وعد يسبق

قمر في إلف نداها قلبه ... بلقاها دِنفٌ لا يفرَق

فلمّا علِمَ الله..



صدق من قال : كل كلام يخرج وعليه كسوة قائله . فلقد جاء رجل إلى سفيان بن عيينة فقال : يا أبا محمد ، ما تقول في الإيمان يزيد وينقص ؟ قال سفيان : يزيد ما شاء الله وينقص حتى لا يبقى معك شئ منه ، ثم عقد بثلاثة أصابع وحلّق بالإبهام والسبابة .

قال الرجل : فإن قوماً يقولون : الإيمان كلام ، فقال سفيان رحمه الله :

«قد كان القول قولهم قبل أن تنزل أحكام الإيمان وحدوده ، بعث الله النبي ﷺ إلى الناس أن يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها حقنوا بها دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله ، فلما علم الله صِدْقَ ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم بأن يقيموا الصلاة فأمرهم ففعلوا ولو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول .

فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم أن يهاجروا إلى المدينة ، فأمرهم ففعلوا ، ولو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا الصلاة .

فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم أن يرجعوا إلى مكة فيقاتلوا آباءهم وأبناءهم حتى يقروا بمثل إقرارهم ويشهدوا بمثل شهادتهم ، حتى أن الرجل ليجئ بالرأس فيقول : يا رسول الله هذا رأس الرجل الضال ، فأمرهم ففعلوا ولو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا الصلاة ولا الهجرة .

فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمرهم أن يطوفوا بالبيت تعبداً ويحلقوا رؤوسهم تذللاً ، ففعلوا ، ولو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا الصلاة ولا الهجرة ولا الرجوع إلى مكة .

فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم أن يأتوا الزكاة ، قليلها وكثيرها فأمرهم ففعلوا ، ولو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا الصلاة ولا الهجرة ولا الرجوع إلى مكة ولا طوافهم بالبيت ولا حلقهم رؤوسهم .

فلما علم الله ما تتابع عليهم من الفرائض ومثولهم لها قال له : قل لهم ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ المائدة/ ٣ ، فمن ترك شيئاً من ذلك كسلاً أو مجوناً ، أدبناه عليه وكان عندنا ناقص الإيمان ، ومن تركها عامداً كان بها كافراً ، هذه السُّنَّة أبلغ عني من سألك من المسلمين» .

أرأيتم تلخيصاً لشرائع المسلمين أجمل من هذا الكلام ؟ إنه يشبه تلخيص جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لشرائع الإسلام في العهد المكي أمام النجاشي ملك الحبشة رحمه الله .

إن النور يخرج ناصعاً من كلام سفيان بن عيينة في وقت ظهرت فيه الفلسفة والزندقة ، فكان في مواقف العلماء وردودهم المفحمة وتصدِّيهم لقضايا وهموم الأمة قدوة . . . وأي قدوة . . . إذا علم الله منا الصدق .

الصدق والعمل . . لا الزيف والكسل .

محمد علي الجفري

حول أدب الأطفال والمأثورات الشعبية

وصلني العدد رقم ١٨٧ الصادر في شهر محرم ١٤١٣هـ من مجلة **«الفيصل»** الغراء، وأنا في وقت الإجازة الصيفية السنوية، وكنت على وسع من الوقت والراحة، فوجدته كالحديقة الغنّاء المُترعة أو الممتلئة بكل ما لذّ وطاب من أشهى الغلال والثمار. فموضوعات العدد كلها دون استثناء ممتعة، مما يعكس المستوى المعرفي الراقي والذوق الرفيع للإخوة القائمين على تحرير المجلة؛ وحرصهم الدؤوب المتواصل على أن تظل **«الفيصل»** على الدوام جوهرة الثقافة العالية والذوق الفني المتميّز والمسحة العلمية ذات الإيقاع الخاص والمتفرد.



عبد التواب يوسف

بيد أن الموضوع الذي شدّني أكثر، وجعلني أتوقف أمامه طويلاً، أتفحصّه وأُعيد قراءته من حين لآخر، مقال **«الطفل العربي والأدب الشعبي»** للأستاذ **الكبير عبدالتواب يوسف**؛ لا سيما ونحن نعلم - عن دراية - مكانة الأستاذ عبدالتواب الفكرية والمعرفية. فكيف إذا تعلّق الأمر «بأدب الطفل»؟! فهو - بلا شك - من القلائل في وطننا العربي ممّن أسّسوا وقعّدوا «النظرية العلمية الصحيحة» في مجال أدب الأطفال، وقدّموا - إضافة لذلك - إبداعاتٍ وأعمالاً ستبقى غذاءً تربوياً ونفسياً له أثره النافع - بإذن الله - في التكوين الثقافي، والبناء التربوي لأطفالنا على مدى الموجات المتعاقبة لأجيالنا القادمة؛ وهذا على الرغم من التخلّف والتقصير اللذين ما يزال يشهدهما هذا الميدان في عالمنا العربي والإسلامي.

غير أن هذه الحقيقة لا يمكن أبداً أن تكون حائلاً أو حاجزاً يمنعنا من التواصل، ويقطع علينا نعمة التمتّع بمطارحات الفكر وإبداء الرأي وإثراء النظر والتنظير، بل على خلاف ذلك، فإن الحقيقة ذاتها هي التي تدفعنا دفعاً - ونحن نحاول تداركها - إلى أن نتواصل ونبدي بعض آرائنا وملاحظاتنا لنزيد الأمور وضوحاً والفكرة إنارةً وثراءً.

وانطلاقاً من هذه المسلّمة فإنني سأحاول تسجيل هذه الملاحظات:

١ - انطلق الأستاذ عبدالتواب في كتابة موضوعه من مناسبة حضوره المهرجان الوطني السابع للتراث والثقافة (الجنادرية) المنعقد بالرياض خلال شهر شعبان ١٤١٢هـ، والتوصية أو الاقتراح الذي تقدم به المشاركون في المهرجان، بأن يكون محور النّدوات في السنة القادمة (أي ١٤١٣هـ) حول **(أدب الأطفال وعلاقته بالمأثورات الشعبية)**. وعليه فقد حاول إعطاء تصوّر عام عن فكرة الموضوع المقترح؛ بيد أن تطرّقه لمسألة التراث إجمالاً دون تحديدٍ، جعل تقاسيم الفكرة توغل في الغموض، لا سيما حين قال: «وهو ما يدعو أستاذتنا **الدكتورة سهير القلماوي** للمطالبة بأن يتعامل الأطفال مباشرة مع التراث دون تدخّل من الكبار الذين يختارون فلا يُحسنون الاختيار، ويصوغون فيحرّفون، ويسيئون أكثر مما يحسنون».

ونحن بدورنا نتساءل: **كيف يمكن أن نفسح المجال للطفل كي يتصل بقراءة التراث مباشرة،** بحجة أن الكبار حين ينتقون للطفل من التراث ما يعتقدون فيه النفع والفائدة لا يُحسنون الاختيار والانتقاء، أو أنهم حين يعيدون صياغة التراث فإنهم يحرفّون النص الأصلي، أو جوهر القضية، ومن ثمة فهم يسيئون أكثر مما يُحسنون؟!

الحقيقة أننا لا نكاد نفهم ماذا يريد الأستاذ عبدالتواب قوله بالضبط من خلال تبنّيه لمقولة الدكتورة سهير القلماوي الآنفة الذكر.

وذلك على الرغم من حديثه المسهب عن مسألة **«الوعي بالتراث»**، وهي مسألة فكرية هامة أثارت ولا تزال تثير الكثير من المساجلات والمطارحات الفكرية، والأدبية والتاريخية، فالوعي بالتراث يتصل مباشرة بصياغة معادلة التوازن بين الأصالة والمعاصرة، **وهذه المعادلة ذات الأبعاد الحضارية تفرض علينا أن نختار للطفل وننتقي له من تراثنا - وَفْقَ نظرة علمية ومذهبية حضارية - ما يُسهم في تشكيل عقله ووجدانه وبناء شخصيته، بتوازن واعٍ بين الأصالة والمعاصرة، أو بين التراث والحداثة.**

وأعتقد أن أغلب المفكرين الذين كتبوا حديثا للطفل - بما فيهم الأستاذ عبدالتواب - انطلقوا من هذا المنظور ووفق هذه الرؤية.

فالشيخ **أبو الحسن الندوي** - مثلا - حين كتب **«قصص الأنبياء»** للأطفال، فإنه حرص على تقديم تلك النماذج من المصطفين، بأسلوب يفهمه الطفل ويتذوقه من جهة، ثم تكوين خلفيّة أو مرجعيّة لدى الطفل فيما يتعلق بالانتماء والقدوة من جهة أخرى، وذلك دون إخلال بالنص الأصلي أو تشويه لسير الأحداث والوقائع، وهو في الوقت ذاته محاولة لتيسير جزء هام من التراث، وتقريبه من مدارك الأطفال، كما قام غيرُه كثيرون بأعمال مشابهة تتعلق بالسيرة النبوية الشريفة، ومنهم الأستاذ **عبدالتواب** نفسه في كتابه **(حياة محمد ﷺ - في عشرين قصة).**

فكيف يمكن لنا إذن أن نوفّق بين الجهود الكثيرة التي نجحت في تيسير التراث وتقريبه من مستوى الفهم المحدود للطفل وبين الدعوة السابقة التي تدعو إلى أن يتعامل الأطفال مباشرة مع التراث وكنوزه ينتقون منه ما يلائم أذواقهم، وينسجم مع قدراتهم، وإبعاد تدخّل الكبار كواسطة بين الأطفال والأعمال التراثية ؟!

٢ - استشهد الأستاذ عبدالتواب - في معرض حديثه عن تجربته الخاصة في الكتابة للأطفال - ببعض القصص المتداولة في مكتبات الأطفال، كقصص الخيال العلمي، (ليست تلك التي تتناول قضايا وظواهر علمية بعينها)، التي تروّج لنماذج من رجالات الغرب وعلمائه، أو تروّج - بطريقة دعائية - لعبقرية الحضارة الغربية، ولا يخفى أن الطفل لا يحتاج لمثل هذه المطالعات والمعارف في مرحلة تكوين مرجعية الانتماء الحضاري لديه، وفي هذا الصدد يقول **الدكتور رشدي فكار**: «وأرى أن قضية الطفل حتى عمر الثانية عشرة، ينبغي أن تكون هي تحقيق انتمائه، وأتمنى أن يُمنع منعاً باتاً إعطاء أطفال هذه الأمة حتى تلك السن أيَّ انتماء أو نموذج أو قدوة، عدا انتمائه الحضاري، كما تفعل ذلك الأمم الأخرى والدول التي تواجهنا الآن في حلبة الصّراع الحضاري.

كما أنه ليس من الحكمة أبداً أن نحدّث أطفالنا قبل هذه السن عن **سقراط وجان جاك روسو ولوك وشكسبير وغوتيه وغاريبالدي ونابليون** وغيرهم من رجالات الغرب.. إن هذا لا يكون إلاّ بعد أن تنضج كل مدارك الطفل، وتصبح المرجعية الإحالية أو القيم المرجعية لديه واضحة وثابتة، وبعد أن يفهم قيم رجالاتنا الذين رسّخوا دعائم الإسلام وصنعوا حضارته»[١].

ولعل بعضنا يحسب ذلك تحجراً وانغلاقاً ما ينبغي أن يكون في عصرنا هذا، والواقع أن الأمر هنا منصبٌّ حول مرحلة معيّنة من عمر الطفل، وهي مرحلة ما يمكن أن نطلق عليها: مرحلة «التربية الانتمائية الحضارية»، وفي ذلك يقول **الدكتور فكّار** في مقاله الآنف الذكر:

«ويكمن خطر إعطاء الطفل نماذج من حضارة الغرب إلى جانب نماذج من السيرة النبوية العطرة والتاريخ الإسلامي، في أن يشوّش ذهن الطفل ويدخله في حيرة، ولا سيما أن الحضارة الغربية تمتلك قدرة الحضور والجذب وهي أنموذج مبرّر. وهذا يؤدي تلقائياً إلى صراع في اللاّشعور بين الأنموذجين معاً، فينتهي به الأمر إلى ما نلاحظه الآن من انفصام في التكوين الحضاري، وليس هذا الذي نقترحه كما يتصوّر بعضهم نوعاً من التحجّر والانغلاق، إذ أننا سنعطي هذا الطفل حتى الثانية عشرة وسائل الاتصال الحضارية. نعلّمه لغات أجنبية، وبالعمق نفسه للغته العربية، ولكن من غير أي انتماءات أو نماذج أو حالات. وحين نقدّم له أمثلة **يجب أن تكون نابعة من تاريخه ووطنه كما تفعل ذلك الأمم الأخرى**»[٢].

٢ - الملاحظة الثالثة تتعلق بالإطار العام للموضوع؛ أي **مسألة العلاقة بين الطفل العربي المسلم والموروث الشعبي من أدب وقصص وأمثال وملاحم وغير** ذلك. وما نود التركيز عليه في هذا المقام - وهو غير خافٍ والحمد لله على الكثير ممّن يتصدّون للكتابة للطفل، وعلى رأسهم الأستاذ عبد التواب - هو أن هذا المجال (**الموروث الشعبي**) مجال محفوف بالمخاطر نظراً لما يشوب هذا الموروث من خرافات وأساطير ونقائص أخرى قد يكون لها أثرها السلبي السّيء على تكوين البناء العقلي لأطفالنا ومستقبلهم العلمي.

تقول الأخت **أمال عبدالرحمن**: «فالإنسان أشرف أجناس الكون، وأغلى ذخيرة على وجه الأرض، وأمام المتغيّرات السريعة والتطورات التكنولوجية المتوالية.

لم تعد تربية الطفل عملاً ارتجالياً كما كانت في الماضي؛ بل أصبحت فناً وعلماً يدرس في بعض أقسام كليات التربية؛ إلى جانب أن رعاية الطفولة والاهتمام بها يُعد مظهراً حضارياً وعملاً إنسانياً، وفوق هذا فهو أمانة واجبة»[٣].

فبناءً على هذه المقولة الدقيقة، يمكن القول بأن المهم في مرحلة التنشئة الاجتماعية الأولى، أو مرحلة الصياغة النفسية والعقلية للطفل هو التركيز والتشديد على العناصر التي يمكن أن تسهم في صياغة كِيان الطفل المشدود لإطارٍ حضاريٍّ محدَّد، وهو هنا: (الانتماء الحضاري العربي الإسلامي). فإن كان الموروث الشعبي ما يسهم في صياغة هذا الانتماء الحضاري - وفق تصوّر علمي واضح - أُمكن توظيفه في قوالب وأشكال فنية يستفيد منها الطفل في صياغة شخصيته الحضارية المتميزة. وإلا فإنه من غير المعقول - وفق التصوّر الإسلامي - أن نظل نسعى جاهدين خلف الموروث الشعبي، سواء بحجة ربط الطفل بموروثاته الشعبية، أو بحجة تيسير التراث وتقريبه من مدارك الطفل. **إذ المهم في نظري - هو إعطاء الطفل الجرعات الحضارية التي تكفل له هويّته المتميزة، وتحفظ عليه شخصيته المتفردة، ولا يهم بعد ذلك إذا كانت هذه الجرعات الحضارية مستمدة من الموروث الشعبي الذي يُرسِّخ قيم الإسلام، أو من المنابع الإسلامية الأخرى، ذلك أن تربية الطفل أضحت علماً وفناً يخضع لرؤية معيّنة ومنهج بعينه، وليس الأمر وقفاً على مدى ربط الطفل بموروثه الشعبي وحسب.**

وأخيراً: أشكر الأستاذ عبدالتواب يوسف الذي أتاح لنا - بمقاله في «الفيصل» - تسجيل هذه الخواطر، التي نأمل أن تكون نظرة من زاوية أخرى إثراء للموضوع ليس إلاّ، وقديماً قيل: الخلاف لا يفسد للود قضية، والله الموفق.

إبراهيم نويري الأميري

هوامش

١ - مقال «المسلمون وتحديات المستقبل» مجلة الإصلاح - العدد ١١٤.

٢ - المرجع السابق.

٣ - مجلة الأمة القطرية، العدد ٦٨.

البديهة والارتجال

بقلم: محمد باسل عيون السود

البديهة والارتجال من الموضوعات التي قلّما تطرق إليها نقادنا القدامى. وكاد يغفل عنها المحدثون منهم. وقد تفاوتت وجهات نظر النقاد لهذين المفهومين. إذ نجد بعضهم قد خلط بين البديهة والارتجال من جهة، وبين الطبع من جهة أخرى.

من ذلك ما كتبه إمام البلغاء، وخطيب الفصحاء «الجاحظ» تحت عنوان «**الطبع**» الذي لا يعدو أن يكون حديثاً عن البديهة والارتجال. حيث يقول: «**وكل شيء للعرب إنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكرة، ولا استعانة، وإنما هو أن يصرف همه إلى الكلام، وإلى رجز يوم الخصام. .**»[١].

وهذا دون شك حديث عن البديهة والارتجال، وليس عن الطبع والصنعة. وإذا كان الجاحظ قد مزج بين مفهوم البديهة ومفهوم الارتجال، وبين الطبع، فإن هناك من خلط بين البديهة والارتجال. وهذا ما تنبه إليه ابن رشيق إذ قال:

«**البديهة عند كثير من الموسومين بعلم هذه الصناعة في بلدنا، أو من أهل عصرنا، هي الارتجال، وليست به. .**»[٢].

إذن، تم التفريق بين المفهومين، في القرن الخامس الهجري عند ابن رشيق. ثم اكتملت صورة كل منهما في القرن السادس الهجري مع ظهور الناقد ابن ظافر الأزدي، الذي قال: «**الارتجال والبديهة، وإن كانا متقاربين، إلا أن أهل هذه الصناعة، ميزوا كل واحد منهما عن الآخر**»[٣].

تعريف البديهة

البديهة هي الملكة القادرة على الإتيان بردود فعل ذكية، قوامها المفاجأة المستندة إلى سرعة الخاطر، وعفويته، مع شيء من التفكير.

«ويمكن أن نصف البديهة - بصورة تقريبية - على أنها الجانب الإبداعي أو التخيلي، في كل من الكتابة الشعرية والفصاحة الوعظية»[٤]. ويعرف درايدن البديهة بأنها «**توافق الأفكار والكلمات، وتناسبها مع الموضوع مناسبة رشيقة**»[٥]. والكتابة البديهية في رأيه ليست سوى ملكة التخيل لدى الكاتب. ويرى هوبز «**أن البديهة تتألف من شيئين: من رشاقة المخيلة أو خفتها ومن ثبات الاتجاه نحو هدف مقبول**»[٦].

ومهما قويت البديهة، فإنها لا تنتج إلا جزءًا يسيراً من طاقة الصنع القدير. ويظل نتاجها موفقاً، في الموضوع الموجز المتصل بالعمل اليومي، المعتمد على المستظهر من حلو القول. ولكنه يخفق في الموضوعات الممزوجة بجميع أجزاء النفس.

وجدير بنا أن نذكر العوامل التي تساعد على انبلاج البديهة وظهورها:

١ - **العوامل البيئية**: وتتمثل في سعة الصحراء، وما يلازمها من هواء عليل، وشمس صافية، إضافة إلى قلة شواغل الإنسان البدوي.

> قيمة البديهة تأتي من الملابسات التي تواكبها والومضات الشاعرية التي ترافقها

٢ - **العوامل الذاتية**: «الاستعداد الشخصي» وينحصر ذلك في قوة الذاكرة والقدرة على التذكر، وسرعة الخاطرة، وسعة الثقافة. كذلك الفطرة التي يفطر عليها المرء من ذكاء ونباهة، كل ذلك يعمل منفرداً ومجتمعاً في صقل البديهة.

تعريف الارتجال

«الارتجال مأخوذ من الانصباب والسهولة. ومنه قيل: شعر رجل، إذا كان سبطاً، غير جعد، ومسترسلاً غير منقبض»[٧] ويُرجع ابن ظافر أصل التسمية إلى أنه «من ارتجال البئر» وهو أن ينزلها الرجل برجليه، من غير حبل. فكأنهم شبهوا اقتدار الشاعر على القول، من غير فكرة، ولا أهبة، باقتدار نازل البئر، من غير حبل ولا آلة»[٨].

هذا مصدر الارتجال وأصل تسميته. ولكن ما الارتجال؟ «**الارتجال هو أن ينظم الشاعر ما ينظم أوحىٰ من خطف البارق، واختطاف السارق. حتى يخال ما يعمل محفوظاً، أو مرئياً ملحوظاً، من غير حاجة إلى كتابة، ولا تعلل بتقفية. وتنفرد عند ذلك قضية الحال باختراع الوزن والقافية**»[٩] ويعرف ابن منظور الارتجال بقوله: «**ارتجال الشعر: ابتداؤه من غير تهيئة**»[١٠].

ولكن هل يعني هذا، أن الجهد منتف في الشعر المرتجل؟ هذا ما يتبادر إلى الأذهان للوهلة الأولى، فالشاعر المرتجل يلقي الشعر بسرعة دون تفكير طويل، ولكن لا يخفى

على ذي لبٍّ أن لنظم هـذا الشعـر مصاعب يتعايش معها الشاعر في تلك اللحظات العصيبة، التي يحاول من خلالها خلق شعر الموقف الذي عليه الشاعر، فيكون هذا الشعر، عبارة عن ردّة فعل لمحرض ما، فيأتي عمله ملائماً، ومنطبقاً غاية الانطباق على ما يرمي إليه المحرض.

القيمة الفنية

الواقع أن «لكل شيء إذا ما تم نقصان»★. فإذا اتصف كل من البديهة والارتجال بكثير من الفضائل، وإذا استطاع أصحابها أن يبرعوا في كثير من الأحيان، فإن بعض الشعراء **كابن الرومي** مثلاً يرون أن الروية أسلم مسلكاً، وأنجع طريقة من البديهة وفي ذلك يقول ابن الرومي(١١):

نار الروية نار جد منضجة

وللبديهة نار ذات تلويح

وقد يفضلها قوم لسرعتها

لكنها سرعة تمضي مع الريح

فالشعر المروّىٰ أجمل، وأنضج من الشعر البديهي؛ لأن الشاعر قد أعطىٰ لنفسه فرصة للتفكير في الألفاظ والمعاني والقوافي وبالتالي قام بعملية اختيار، وجعل الشعر كطعام يطيّب على النار، وأية نار. إنها نار ذات نوعين متضادين، تنتج الأولى طعاماً شهياً لذيذاً لأنها نار هادئة «منضجة» مؤكداً كلامه بلفظة «جد». في حين تبعث الطعام بين فجّ وناضج يدلنا على ذلك كلمة «تلويح». فما كانت النار الأولى إلا الرويّة، وما كانت الثانية إلا البديهة.

ويتفق **ابن المعتز** مع ابن الرومي في الفكرة نفسها ويقول(١٢):

والقول بعد الفكر يُؤْمَن زيغه

شتان بين روية وبديه

وعلى الرغم من أن البديهة مستطرفة الوقع في النفس إلا أنها ليست أدباً رفيعاً، فخلودها يأتي من الحرارة في الملابسات التي واكبتها ومن ومضتها الشاعرية التي رافقتها.

وكذلك الارتجال. فغاية ما يرتجله الشاعر النتفة، وإن امتد، فقد يصل إلى المقطوعة، ولكنه لا يصل إلى القصيدة؛ لأن نفس المرتجل قصير. ولذلك كله قال ابن خفاجة في خطبة ديوانه(١٣): «**وإن جميع الكلام، من مرتجل بديهي، ومنقّح حولي مستهدف لمطعن طاعن**».

ولكن مهما يكن من معايب البديهة أو الارتجال، فإنهما يبقيان خاصة بارعة، وميزة جيدة، يختص بها العربي. فتدل على حدة ذكائه، وسرعة خاطره، وبليغ حكمته في تطويع الظروف والمواقف لصالحه.

الهوامش

(١) البيان والتبيين ٣/ ٢٨.
(٢) العمدة ١/ ١٨٩.
(٣) بدائع البدائه ص ٥.
(٤) النقد الأدبي تأليف ويمزات وبروكس ترجمة محيي الدين صبحي ص ٣٣٥.
(٥) المرجع السابق ص ٣٣٨.
(٦) المرجع السابق ص ٣٣٨.
(٧) العمدة ١/ ١٩٦.
(٨) بدائع البدائه ص ٥.
(٩) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(١٠) لسان العرب ١١/ ٢٧٢
★ صدر بيت لأبي البقاء الرندي، وعجزه «فلا يُغرَّ بطيب العيش إنسان»، المجلة.
(١١) العمدة ١/ ١٩٣ وبدائع البدائه ص ٦.
(١٢) المرجع نفسه والصفحة نفسها.
(١٣) ديوانه ص ١١.

ردود قصيرة

● **الإخوة: غربي علي وحداد مالك ومسعود غربية وبوطرفة الصديق وابن إبراهيم بن عمر وهاني عبدالكريم ومحمد بو زكري ومحمد السعيد بن النية وعبدالعال تبوب وقرميطي محمد وحسان بو القوت وإبراهيم بن الشبة وحسان أونيس وبدري نصر الدين ورحال مقداد وحفيظ محمد الصادق ومزاري مداني - الجزائر:**

أهلاً بكم جميعاً أصدقاء للمجلة. أما استفساراتكم حول الاشتراك في المجلة والمجلدات فقد أرسلنا لكم معلومات عنها بالبريد نرجو أن تكون قد وصلتكم، أما الطلبات الأخرى فقدأحلناها إلى القسم المختص لعمل اللازم.

● **الأخ الهادي موسى أحمد الطاهر - أم درمان - السودان:**

المعلومات التي طلبتها عن كيفيَّة الحصول على مجلدات مجلة الفيصل في طريقها إليك ونأمل أن تكون قد وصلتك، وأهلا بك.

● **الأخ صوالحية خالد - باتنة - الجزائر:**

الأشياء التي استفسرت عنها في رسالتك في طريقها إليك بالبريد، وللعلم فإن رئيس التحرير قد تغير منذ فترة، مع شكرنا على مشاعرك الأخوية والبطاقة البريدية التي أرفقتها مع رسالتك.

● **الأخ بوخاتم عشوش - عين البيضاء - الجزائر:**

شكرا على رسالتك اللطيفة وثنائك على المجلة، ونعتذر عن الرد الشخصي لصعوبة الرد على كل قارئ بسبب كثرة الرسائل، ونحن نرد فقط في حالة الإجابة على استفسارات معينة أو تزويد القارئ بمعلومات محددة حول الاشتراك وأسعار المجلدات وما إلى ذلك.

● **الأخت سميرة حاجي - الحمامات - تبسة - الجزائر:**

الأخ نضار عبدالوهاب - بوسعادة - المسيلة - الجزائر:

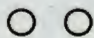
أهلاً بكما صديقين للمجلة، ونوضح لكما أنه لا يوجد لدينا باب للتعارف ولهواة المراسلة.

● **الأخ عبدالقادر ساسي - عنابة - الجزائر:**

مشاعرك الكريمة نحو المجلة محل تقديرنا واعتزازنا. ولنا رجاء بسيط هو أن لا تكتب مستقبلاً على الورق الذي استعملته في رسالتك لأن قراءة ما هو مكتوب عليه صعبة ومتعبة للعين.

● **الأخ مهدي مروان - الكيفان - تلمسان - الجزائر:**

نرحب بك صديقاً للمجلة، ونعتذر عن عدم نشر المعلومات التي أرفقتها في رسالتك حيث لا يوجد لدينا ركن للتعارف. ومرحباً بك.



مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ الإخوة القراء الأعزاء :

جوائز قيمتها ٤٥٠٠ ريال تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة، على النحو التالي :

أ ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٣٥٠ ريالاً

ب ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٣٠٠ ريال

ج ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٢٥٠ ريالاً

د ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٢٠٠ ريال

هـ ـ جائزتان قيمة كل جائزة ١٥٠ ريالاً

و ـ ٢٠ جائزة قدر كل منها ١٠٠ ريال

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ المطلوب :

الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق الإجابات مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحًا عليها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

مسابقة مجلة «الفيصل»
ص . ب ٣ الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
(مع ذكر رقم المسابقة على الظروف)

جـ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لا يلتفت إليها .

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

هـ ـ الأسئلة لم تعد مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة وذلك لإفساح مجال البحث لدى القارئ في مصادر معلومات أخرى .

● أجوبة مسابقة العدد (١٨٤) ●

ج ١ : هو الصحابي الجليل، والخليفة الراشد **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه .

□ □ □

ج ٢ : هو شاعر العربية الكبير، **أبو الطيب أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي**، المعروف **بالمتنبي** . وهو يتحدث عن حمّى تغشته بمصر، وذلك في قصيدة مطلعها :

ملومكما يجلّ عن الملام   ووقع فعاله فوق الكلام

□ □ □

ج ٣ : هو الإمام المجتهد، والعالم العامل، والمحدّث الكبير، الشيخ **عبد العزيز بن عبد الله بن باز**. وقد فاز بالجائزة عام ١٤٠٢هـ الموافق ١٩٨٢م .

□ □ □

ج ٤ : صلاة الجنازة تعني الصلاة على الميت . وهي فرض كفاية ؛ أي أن قيام بعضهم ـ ولو كان فردًا ـ بأدائها يسقط التكليف عن الآخرين . ومن شروطها ما يشترط في سائر الصلوات المكتوبة من الطهارة الحقيقية، والطهارة من الحدثين الأكبر والأصغر، واستقبال القبلة، وستر العورة . على أنه لا يشترط فيها الوقت، بل تؤدى في جميع الأوقات متى حضرت، ولو في أوقات النهي عند الشافعية والأحناف، وكره أحمد وابن المبارك وإسحق الصلاة على الجنازة وقت الطلوع والاستواء والغروب، إلا إن خيف عليها التغيّر.

ومن أركانها : النية، والقيام للقادر عليه، والتكبيرات الأربع . وفي صلاة الجنازة يقف الإمام عند رأس الميت إن كان رجلاً، أو وسطه إن كانت امرأة . ويكبّر أربع تكبيرات، يقرأ الفاتحة بعد الأولى، ويصلّي على النبي ﷺ بعد الثانية، ويدعو للميت بعد الثالثة، ويدعو لنفسه وللمسلمين بعد الرابعة، ثم يسلم تسليمة واحدة عن يمينه .

□ □ □

ج ٥ : **الفول السوداني** : نبات عشبي حولي، اسمه العلمي (أراكيس هيبوجيا)، من الفصيلة القرنية . تعد المنطقة الاستوائية بأمريكا الجنوبية موطنه الأصلي، ومنها نقله البرتغاليون إلى غرب أفريقيا في أوائل القرن ١٦ الميلادي، ومنها إلى شرق أفريقيا والسودان، ومن أفريقيا إلى الولايات المتحدة في القرن ١٨، وانتشرت زراعته شرقًا؛ فأصبح من المحاصيل المهمة في الصين والهند . ولم يدخل مصر إلا في أوائل القرن ١٩ عن طريق السودان، لذا يدعى فيها بالفول السوداني .

وبذور الفول غنية بالزيت والبروتين، واستعمالاتها الغذائية عديدة . وتدخل في صناعة الحلوى، وتطحن البذور بعد نزع الجنين والعصرة، لإنتاج عجينة تعرف بزبدة الفول السوداني تستعمل غذاء للإنسان . ولزيت الفول السوداني قيمة اقتصادية عالية؛ إذ يستعمل في الطهي، وحفظ السردين، والزبد الصناعية . أما الدرجات الواطئة فتدخل في عمل الصابون وزيوت التشحيم، ويستعمل الكُسب المتخلف من إنتاج الزيت في تغذية الحيوانات، ويحتوي الفول السوداني على أحماض أمينية مهمة، وعلى عدد من الفيتامينات، كما يحوي الفوسفور بكميات وافرة .

□ □ □



● نتائج مسابقة العدد (١٨٤) ●

م	اسم الفائز	العنوان	قيمة الجائزة بالريال
١	الأخت تماضر أحمد حسين لبان	المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية	٣٥٠
٢	الأخ أحمد صبحي أحمد الجيار	الإسكندرية ـ مصر	٣٥٠
٣	الأخ صالح بن الشريف بن علي	تونس ـ الجمهورية التونسية	٣٠٠
٤	الأخ عبد الفتاح عبدالعزيز كابلي	المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية	٣٠٠
٥	الأخ ماودو مالك سيلا	الخرطوم ـ السودان	٢٥٠
٦	الأخ محمد أحمد طلبة شعبان	الزقازيق ـ مصر	٢٥٠
٧	الأخت وفاء عبد الباقي أنديجاني	المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية	٢٠٠
٨	الأخت نوال علي محمد النبابتة	عمّان ـ الأردن	٢٠٠
٩	الأخ ميلود الريشوان	أولاد تايمة ـ المغرب	١٥٠
١٠	الأخ علي مانع علي الأحمري	أبها ـ المملكة العربية السعودية	١٥٠
١١	الأخ بختي عبد الحليم	المسيلة ـ الجزائر	١٠٠
١٢	الأخ السيد عبد المحكم السيد	الجيزة ـ مصر	١٠٠
١٣	الأخ إدريس علي الأمين	الأحساء ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
١٤	الأخ خالد أحمد بشار بركات	أبو ظبي ـ الإمارات العربية المتحدة	١٠٠
١٥	الأخ يسار محمود عبد الرحمن	حمص ـ سورية	١٠٠
١٦	الأخ أحمد رشاد فراج عبد العال	الإسكندرية ـ مصر	١٠٠
١٧	الأخت سارة بنت إبراهيم الحنيف	الرياض ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
١٨	الأخ صلاح بشير محمد	ود مدني ـ السودان	١٠٠
١٩	الأخ عامر راتب علي	إربد ـ الأردن	١٠٠
٢٠	الأخ محمد بن أحمد الصابري	المروج ـ تونس	١٠٠
٢١	الأخ بابكر محمد بابكر أحمد	أم درمان ـ السودان	١٠٠
٢٢	الأخ علي محمد سلامة	الإسكندرية ـ مصر	١٠٠
٢٣	الأخت كريمة محمد نور ناصر	دمشق ـ سورية	١٠٠
٢٤	الأخ الرضوع إبراهيم بن الحسين	أولاد تايمة ـ المغرب	١٠٠
٢٥	الأخ علي يوسف التمّار	الأحساء ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢٦	الأخت كوثر عوض محمد عمر	ودمدني ـ السودان	١٠٠
٢٧	الأخت سمية حسين عبد الله	إربد ـ الأردن	١٠٠
٢٨	الأخ عبد الرحيم حجازي عبد الرحيم	الإسكندرية ـ مصر	١٠٠
٢٩	الأخ مبارك سلمان محمد أحمد	ود مدني ـ السودان	١٠٠
٣٠	الأخ عبد الحكيم سعيد جربوع	الرياض ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠

● أسئلة مسابقة العدد (١٩١) ●

● السؤال الأول :

أربع آيات كريمات متعاقبات في كتاب الله، ورد فيها ذكر ثمانية عشر نبيًا ورسولاً.

اذكر أرقامها وفي أية سورة تقع؟

□ □ □

● السؤال الثاني :

حرّم الإسلام النياحة على الميت، وعدّها من أمور الجاهلية. اذكر حديثين شريفين من الأحاديث التي وردت في تحريمها.

□ □ □

● السؤال الثالث :

كثيرًا ما نسمع المتحدثين الرسميين للوفود المجتمعة حول قضية ما، يوردون كلمة «البروتوكول» في تصريحاتهم. ماذا تعني هذه الكلمة؟

□ □ □

● السؤال الرابع :

ابنة خليفة، وزوجة خليفة، وأخت أربعة من الخلفاء، جميعهم من بني أمية. فمن هي؟

□ □ □

● السؤال الخامس :

ما المعدن الذي يوجد في صورة سائلة في درجات الحرارة العادية؟

□ □ □

متابعة شاملة للحركة الثقافية وبجرياتها في العالم؛ نقدمها لك من خلال هذا الرصد للأحداث والمناسبات والندوات الفكرية والعلمية والأدبية والفنية والإصدارات الجديدة في مجالات المعرفة



- ملتقى أبها الثقافي: تظاهرة حضارية فكرية
- افتتاح المركز الثقافي الإسلامي في اسبانيا
- مهرجان القدس الشريف للثقافة والفنون ينعقد في فلسطين
- ثلاث مجلات جديدة في سورية
- ببليوغرافيا عربية في ألمانيا

السعودية

اختتام ملتقى أبها الثقافي


الأمير خالد الفيصل

شهد ملتقى أبها الثقافي الذي افتتحه في منتصف شهر ربيع الأول الماضي صاحب السمو الملكي **الأمير خالد الفيصل** أمير منطقة عسير إقبالاً من المثقفين السعوديين والعرب لتنوع نشاطاته التي ضمت معرضًا للكتاب في قرية المفتاحة التشكيلية، أعقبه إعلان أسماء الفائزين في مسابقة جائزة أبها الثقافية.

وتضمن الملتقى ثلاث محاضرات هي: «**الإسلام والنظام العالمي الجديد**» و «**الأدب السعودي في عيون الآخرين**»، و«**تحلية المياه في المملكة منجز حضاري**»، وشارك في هذه المحاضرات بالإلقاء والمناقشة مجموعة من العلماء والمفكرين والأدباء نذكر منهم الأساتذة **محمد قطب، وأحمد محمد جمال، وأحمد الشيباني، و د. طلال بكري، ود. منصور الحازمي، وعبد الله الشهيل، ود. عاصم الحمدان، ود. عثمان صيني، ود. عبد الله محمد أبو داهش، ود. فهد عبد الرحمن بالغنيم، وهاني فؤاد أبو غزالة، ومبارك محمد المطلقة، وصياف عامر بن خشيل وأحمد التيهاني**.

كما شارك الشعراء **إبراهيم عمر صعابي وخالد الحليبي ومحمد أحمد الزبداني ومطلق محمد شيع** في أمسية شعرية قدم لها **عبد الله محمد الحميد**.

واختتم المهرجان بتوزيع جائزة أبها الثقافية في عامها الخامس على الفائزين بها لهذا العام كالتالي:

أسفرت النتائج عن حجب **جائزة البحث العلمي**، وفاز بجائزة **الشعر الفصيح** الشاعر **يحيى عباس السماوي** (عراقي) عن ديوانه (قلبي على وطني) تلاه **خالد سعود الحليبي** (سعودي) عن ديوانه (قلبي بين يديك) وحلّ **السيد الصديق حافظ** (مصري) ثالثًا عن ديوانه (أغاريد الرياض).

وفي مجال **الشعر النبطي** حُجبت الجائزة الأولى، وفاز بالثانية **حسن محمد حسن الزهراني** (سعودي) عن ديوانه (فيض المشاعر) تلاه **عبد العزيز الحسن الفضيلي** (سعودي) عن ديوانه (معازف الشجن).

وتحصل الأديب **حسن حجاب الحازمي** (سعودي) على الجائزة الأولى في **مجال القصة القصيرة** عن مجموعته (ذاكرة الدقائق الأخيرة)، وجاءت نادية فواز الصالح (فلسطينية) في المركز الثاني عن مجموعتها (الركض في مساحات الحزن) ثم **محمود إبراهيم تراوري** (سعودي) عن مجموعته (بيان الرواة في موت ريما).

وفي مجال **الرواية** حاز **ناصر سالم الجاسم** (سعودي) المركز الأول عن روايته (الغصن اليتيم) تلاه **سمير مصطفى الفيل** (مصري) عن روايته (رجال وشظايا).

وحجبت الجائزة الأولى في مجال **الفن التشكيلي**، فيما قسمت الثانية مناصفة بين **إحسان برهان** (سعودي) عن لوحته (دعاء الطيور) **وفائع الألمعي** (سعودي) عن لوحته (ليلة رعب) كما تقاسم الجائزة الثالثة **مفرح علي عسيري** (سعودي) عن لوحته (صفعة) **وعبد الله شاهر عسيري** (سعودي) عن لوحته (انعكاس).

ونالت **فرقة فنون جدة** الجائزة الأولى **للمسرح** عن نص مسرحية (الرحيل المظلم) وتمثيلها، فيما حجبت باقي الجوائز.

الفائزون في مسابقة نادي المدينة الأدبي

أعلن نادي المدينة المنورة الأدبي أسماء الفائزين في مسابقته للشعر والقصة القصيرة.

ففي مجال الشعر فاز بالمراكز الخمسة الأولى على التوالي كل من: **معيض طالع حسن عسيري** عن قصيدته «على حائط المجد العظيم»، **ومحمد عامر عبد الحميد مظاهري** عن قصيدته «بريق الأمل»، **وعبد العزيز عبد الله اليحيوي** عن قصيدته «ليل وأمل» **وأسامة بن الحسين** عن قصيدته «أضحوكة الزمن الغريق» **وعلاء سالم محمد باكوس** عن قصيدته «فجر الإسلام».

وفاز بالمراكز الخمسة الأولى في مجال القصة على التوالي كل من: **ليلى سعيد الجهني** عن قصتها «وأغمض الضياء عيونه» **وسلوى عبد الفتاح أبو مدين عن قصتها** «دماء للوطن»، **وأسامة بن الحسين** عن قصته «خلف السراب». **وحنان سالم على الغامدي** عن قصتها «القصاص»، و **محمد عبد العزيز الحلواني** عن قصته «جراح على الحياة».

جائزة السيف للإعلان الصحافي

أعلنت الشركة السعودية للأبحاث والنشر عن إنشاء **أول جائزة من نوعها** في الصحافة العربية لخدمة الإعلان الصحافي، هي **جائزة السيف للإعلان الصحافي**».

تبلغ قيم الجائزة بفروعها الخمسة ٧٧٥ ألف ريال سعودي، وتتوجه إلى المبدعين في العملية الإعلانية من

كُتَّاب نصـوص، ومصممين، ومنسقي الحمـلات الإعـلانيـة، والمعلنين المهتمين بـالجانب الإبـداعي في الإعلان.

قرية تراثية في ذي عين

تدرس إمارة منطقة الباحة حاليًا إمكانية **جمع تراث المنطقة في قريـة ذي عين الأثرية** التي تبعد عن عاصمة الإمارة قرابة ٢٠ كيلومترًا.

ويذكر أن هذه القرية تشتهر بإنتاج الزهور العطرية والفواكه.

مؤلفات جديدة للمليباري



محمد بن عبد الله المليباري

انتهى الـدكتـور **عبد العزيز المليـاري من تجهيز بعض المؤلفات التي تـركها مخطوطـةً والـده** الأديب الـراحل محمـد عبـد الله مليباري تمهيدًا لإصدارها.

وكان الأديب الـراحل قد انتهى من أكثر من عمل قبل وفـاته ولم يمهله الأجل لإخراجها إلى النور.

ترشيحات لجائزة اليونسكو

تم ترشيح الفنانين التشكيليين **ياسر أزهر وإحسان برهان** للاشتراك في مسابقة **جائزة «كاي هيجاش باما»** التي تنظمها منظمة **اليونسكو**.

وتمنح الجائزة كل عامين لثـلاثة أعمال فنيـة متميزة تعبر عن ابتكار الشباب.

كتب جديدة



عبد العزيز المشري

● **الحصون**، روايـة جـديـدة **لعبـد العـزيـز المشري**، صـدرت عن دار الأرض للنشر والخدمـات الإعلامية.

● **المائتـا حـديث**، صـدرت الطبعـة الخامسـة باللغتيـن العـربيـة والإنجليـزيـة، اختارهـا وراجع تـرجمتهـا **عبد الـرحيم الفهيم**، وطبعت في مطبعـة شركـة مكـة للطبـاعـة والإعلام.

● **سيد قطب والنقد الأدبي**، تأليف الكـاتب النيجيري الدكتور **محمد الأول أبو بكر**، صدرت ضمن سلسلة دراسات نقدية عن دار الرفاعي للطباعة والنشر والتوزيع.

● **شجاعة فهد ونهاية سارق اللعبة**، قصة للأطفال كتبتها **سامية عبد القـادر فضل**، وصـدرت عن دار الأصفهاني للطباعة في جدة.

● **الإرهاب باستخدام المتفجرات**، تأليف العقيد **عبد الرحمن أبكر ياسين**.

● **الأمن الثقـافي العـربي: التحـديـات وآفـاق المستقبل**، تأليف **محمود محمود النجيري**.

ـ صـدر الكتابـات السـابقـان عن دار النشر بالمركـز العربي للـدراسات الأمنيـة والتدريب في الرياض.



د. إبراهيم بن محمد الزيد

● **تاريخ الشيخ محمد بـن عبـــد الله بـن أحمد المنصـوري مـا بين عـامي ١٢٢٣ ـ ١٣١١هـ** دراسة وتحقيق **إبـراهيم بن محمـد الزيد**، صدر عـن النادي الأدبي بالطائف.

● **الـزيدان: زوربـا القـرن العشرين**، تأليـف عبد الله الجفري، صدر عن مؤسسـة عكاظ للصحـافة والنشر في جدة.

عبد الله الجفري

● **روايــة مـا بعــد الحداثـة**، تـأليـف **عابـد خـازنـدار**، صــدر عن منشـورات الخازنـــدار في جدة.

عابد خازندار

● **رسـم المصحـف العثماني وأوهـام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم**: دوافعها ودفعها، تأليف الدكتور **عبد الفتاح إسماعيل شلبي**، صدر عن دار المنارة في جدة.

● **في ظلال سيرة الرسول ﷺ**. تأليف السيد **أحمد المخزنجي**، صـدر ضمن سلسلـة «دعـوة الحق» التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

● **الفودة رائد الحكمة**، تأليف **زهير محمـد جميل كتبي**.

● **العلاقات السعـودية اليمنية**، تأليف الـدكتور **عبـد الله سعـود القبـاع**، صـدر عن مطـابع الفـرزدق التجارية في الرياض.

● **قرة العين في الفتح والإمالة بين اللفظين**، تأليف **ابن الفاصح**، تحقيق ودراسة الـدكتور **دفع الله عبـد الله سليمان**، صدر عن مركز البحوث بكلية الآداب بجامعة الملك سعود الرياض.

الإمارات:

الملتقى الثالث للكتابات القصصية

يقـام خـلال شهـر ديسمبر (كـانـون الأول) المقبل ١٩٩٢م الملتقى الثالث للكتابات القصصية في الإمارات تحت شعار «**نحو قصة جديدة.. نحو قصة للحياة**».

وقـد وجهت دعـوات لمجمـوعـة كبيرة من النقـاد والكُتَّاب والمبـدعين من داخل دولة الإمارات وخـارجها للمشاركـة في الملتقى بآرائها وأبحاثهـا ودراساتها. ويتم حـاليًـا وضع التصـور النهـائي لبرنـامج المؤتمر ومحاوره الرئيسة.

ويـذكـر أن الملتقى يعقد كل عـامين، حيث عقـد الملتقى الأول عام ١٩٨٧م، والثاني ١٩٨٩م.

الترشيح لجائزة العويس

ينتهي في السابع من شهر رمضان المقبل الموافق ٢٨ فبراير (شبـاط) ١٩٩٣م قبول طلبـات **الترشيـح لجائزة سلطان العـويس الثقـافية في دورتها الثـالثة في مجالات: القصة والروايـة والمسرحية، والشعر، والدراسـات الأدبية والنقد والدراسات الإنسانية والمستقبلية**.

وأوضح بيـان لـلأمـانة العـامـة للجـائزة أن شروط الترشيح هي نفس شروط الدورة السابقة.

مهرجان مسرحي خليجي

تقـام في أبو ظبي خـلال الفترة من ٢٤ رجب إلى ٥ شعبان ١٤١٣هـ الدورة الثالثة **لمهرجان المسرح بأقطار مجلس التعاون لدول الخليج العربية**.

تشـارك في المهرجـان عـدة فـرق من دول المجلس الست.

البحرين

جرار أثرية نادرة

اكتشفت في **منطقة سار** على بعد ١٢ كيلـومترًا من المنامة **جرار متميزة** تشكل نموذجًا رائعًا لعملية الزخرفة المتنوعة على إناء واحـد وتتمثل في رسوم مختلفة، **ويعود تاريخها إلى أكثر من أربعة آلاف سنة**.

وتأخذ الجرار شكلاً أسطوانيًـا، ولها قاعدة مفتوحة من الأسفل، وأربعة نتوءات عنـد الكتف تمر من خلالها فجوات تعطي انطباعًا بأنها كانت تعلق بواسطة حبل.

كتب جديدة

● **له المجـد**، قصيدة طـويلة للشـاعر اليـوناني المعاصر **ايلتس**، ترجمها إلى اللغة العربية **شاكر لعيبي**،

الحركة الثقافية

وصدرت ضمن سلسلة كتاب «كلمات» عن أسرة الأدباء والكتّاب .

قطر

برنامج تلفازي عن تعليم الكبار


الطيب صالح

انتهى الأديب السوداني **الطيب صالح** من إعداد حلقة تلفزيونية لمنظمة **اليونسكو** بالتعاون مع **وزارة الإعلام والثقافة ووزارة التربية والتعليم بدولة قطر عن تعليم الكبار في العالم العربي .**

ويأتي هذا البرنامج ضمن سلسلة يقوم بإنتاجها المكتب الإقليمي لليونسكو في العالم العربي وقد تم التصوير في مدارس الدوحة وأجريت مقابلات شملت حوالي خمسين دارسًا ودارسة . وقد اشتمل التصوير لأول مرة على مجلس صاحب السمو **أمير دولة قطر**، وقاعدتين عسكريتين، ومركز التطوير المهني ومركز التدريب التابع للمؤسسة العامة القطرية للبترول . وهذه السلسلة التي تشرف عليها اليونسكو تأتي تنفيذا لتوصيات مؤتمرها العام الذي عقد في تايلاند عام ١٩٩٠م والذي اعتبر قضية تعليم الكبار من أخطر القضايا التي تواجه العالم الآن .

خطة لتطوير المتاحف الإقليمية القطرية

صرح الفنان **جاسم زيني** مدير إدارة المتاحف والآثار بوزارة الإعلام والثقافة أن الإدارة تسعى في خطتها لهذا العام إلى عمل **تطوير عام للمتاحف الإقليمية .** ويشمل قيام قسم الآثار بترميم منطقة (الزبارة) وبعض البيوت بها، ثم محاولة الكشف عن الجدار ا لمحيط بتلك المدينة القديمة .

أما **قلعة (الوجبة)** التاريخية فسوف يتم الانتهاء هذا العام من مراحل ترميمها الأخيرة التي بدأت منذ فترة .

وأضاف أنه تم اكتشاف **موقع أثري مهم في منطقة (الوسيل) -** على بعد ٤٠ كم من مدينة **الدوحة العاصمة -** والعمل جار الآن للبحث عن هوية هذا الموقع وتاريخه، **وهل كانت المنطقة مؤهلة بالسكان أم لا ؟**

مصحف نادر

كشف مواطن لبناني مقيم في الدوحة عن حيازته **لمصحف صغير لا يتجاوز طوله ٣٠ , ٢ سنتيمترًا وعرضه ٢٥ , ٢ سنتيمترًا، وارتفاعه سنتيمتر واحد، ووزنه ٥ , ٨ جرامًا**، وقد تم وضعه في إطار فضي يوجد به منظار للقراءة .

ويعد هذا المصحف الذي أهداه للمواطن اللبناني جد زوجته قبل ١٤ عامًا من أندر المصاحف .

الجزء الرابع من كَشّاف الفن التشكيلي

يصدر قريبا بالدوحة **الجزء الرابع من كشاف الفن التشكيلي** الذي يعده الفنان التشكيلي **محمد علي عبد الله**، وسوف يكون هذا الجزء مخصصا لعام ١٩٩٠م .

يهدف الكشاف إلى عمل **بنك معلومات** في موضوعات الفن التشكيلي التي تشمل فنونه كافة مثل الرسم والنحت والتصوير والعمارة والفنون اليدوية والفنون الشعبية كالحرف، والعمارة بتفرعاتها، وفنون التصميم مثل الديكور المسرحي، وغير ذلك . حيث يرصد كل ما يكتب من مقالات في الصحافة العربية .

وينقسم الكشاف إلى ثلاثة أبواب : يحتوي الأول على موضوعات الفن التشكيلي، أما الثاني فيتعلق بأنشطة الفن التشكيلي حسب الموقع الجغرافي لكل بلد في قطر والمملكة العربية السعودية وهكذا . . . وحسب مكان النشاط، والباب الثالث هو كشّاف للفنانين التشكيليين الذين وردت أسماؤهم في المقالات المرصودة بتسلسل هجائي، وقد استغرق إعداده ست سنوات .

نازك الملائكة . . . أين هي؟

يدور في الدوحة حوار هادىء حول مدى مصداقية الأخبار الصحفية التي تُنقل عن حياة الشاعرة والناقدة العراقية **نازك الملائكة**، كتب صاحب عمود صحفي هو الأستاذ **حسن رشيد** معلقا على موتها، وموردًا بعض أشعارها، بينما أكّد الشاعر **حسن توفيق** تشككه في خبر الموت .

محاضرات وندوات

● أقام الشاعر يحيى السماوي أمسية شعرية في نادي مكة الثقافي الأدبي، حضرها نخبة من الشعراء والنقاد ومحبو الشعر.

● **«الهداية»** عنوان محاضرة ألقاها في مركز الدعوة والإرشاد في جدة الدكتور **أنيس أحمد طاهر.**

● **«التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة»** عنوان ندوة عقدت في كلية أصول الدين بمدينة تطوان المغربية، شارك فيها عدد من العلماء والباحثين .

● **«التدرن الرئوي : التشخيص والعلاج»** عنوان محاضرة ألقاها في مركز التدريب التابع للإدارة العامة للشؤون الصحية بالمدينة المنورة الدكتور **عادل جمعة .**

● **«وان هـذا صراطي مستقيمًا»** عنوان محاضرة ألقاها في مسجد الأمير منصور بن مشاري بحي العريجاء في الرياض الشيخ **سعيد بن سعد الزهراني .**

● **«احفظ الله يحفظك»** عنوان محاضرة ألقاها في جامع الخالدية بالرياض الشيخ **عبد الله بن فهد العرفج .**

● **«توجيهات الأسرة»** عنوان محاضرة ألقاها في مسجد المخطط السادس عشر بالرياض الشيخ **عبد الله بن أحمد السويلم .**

● **«تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني»** عنوان ندوة نظمتها كلية الآداب بجامعة القاهرة شارك فيها عدد من الأكاديميين وأشرف عليها الدكتور **رؤوف عباس .**

● **«استغلال الطحالب البحرية»** موضوع ندوة دولية أقيمت في فرنسا، وشارك فيها سبعمائة باحث وصناعي من ستين دولة .

● **«الحث على اتباع السنة»** عنوان ندوة أقيمت في الجامع القطري بحي العزيزية في مكة المكرمة، شارك فيها الدكتور **يوسف عبد الله الوابل**، والشيخ **عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس**، وأدارها الشيخ **سليمان المهنا .**

● **«سيكولوجية التنشيط السياحي»** عنوان محاضرة ألقاها في نادي الطائف الأدبي الدكتور **عبد القادر كراجه .**

● **«حاجتنا إلى العلم الشرعي وكيف تلقاه السلف»**، عنوان محاضرة ألقاها في جامع التوفيق بمدينة الدلم الدكتور **عبد الله بن حمود التويجري .**

وربما دل الحوار حول الشاعرة الكبيرة على اهتمام المثقفين برائدة في مجال الإبداع الشعري وندرة وصعوبة وصول الصحافة إلى المصادر الموثوق بها في مجال الأدب والفكر إذا كانت تلك المصادر في غير بؤرة الاهتمام الصحفي الحالي، الذي يمكنه الوصول إلى شاعر أو متشاعر بينما رائدة ومبدعة وناقدة مثل **نازك الملائكة** لا تستطيع الصحافة المعاصرة في عصر «القرية الإعلامية» وثورة الاتصالات أن تأتي بالخبر اليقين!

مصر

«الهلال» تحتفل بمرور قرن على إنشائها



محمد حسني مبارك



الشيخ زايد آل نهيان

شهد الرئيس المصري **محمد حسني مبارك** مساء السبت ٢٢ ربيع الأول الماضي الحفل الذي أقامته **مؤسسة دار الهلال بمناسبة مرور مائة عام على إصدار مجلة «الهلال»** أقدم المجلات العربية.

أقيم الحفل في **دار الأوبرا** المصرية والتقى الرئيس المصري خلاله بالعاملين في المؤسسة، وعُرض أوبريت «هلال مصر» من تأليف عبد السلام أمين.

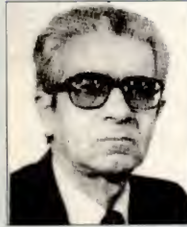
وكانت **دار الهلال** قد نظمت احتفالات استمرت أسبوعًا وشملت العديد من النشاطات الثقافية شارك فيها مفكرون ومثقفون وأدباء وشعراء من مختلف الدول العربية، من أبرزها ندوة استمرت ثلاثة أيام بعنوان **«نحو مائة عام من التجديد والتحديث»**.

كما تضمنت الاحتفالات أمسيات شعرية، ومعرضًا للصور التاريخية لصحف ومجلات دار الهلال، وعرض مجموعة من الإصدارات الجديدة، وتجديد الآثار المصرية في منطقة السيدة زينب حيث توجد الدار.

وتلقت الدار بهذه المناسبة هدية من الشيخ **زايد بن سلطان آل نهيان** رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة تتمثل في آلة طباعة حديثة قيمتها مليون ونصف المليون دولار، كما قدم وزير الثقافة المصري **فاروق حسني** للدار مائة ألف جنيه لشراء جهاز حاسوب لعمل كشاف لمجلة الهلال خلال مائة عام.

توزيع جوائز البابطين

يقام في الرابع من الشعر الجاري (٢٩ أكتوبر) في دار الأوبرا المصرية حفل **توزيع جوائز عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري والأدبي في دورتها الثالثة**.



حسن فتح الباب

تبلغ قيمة الجوائز ٦٠ ألف دولار، والفائزون هم:

أفضل ديوان: الشاعر المصري **حسن فتح الباب** عن ديوانه «أحداق الجياد».

الإبداع الشعري: الشاعر التونسي **محيي الدين خليف**.

النقد الشعري: تقاسم الجائزة الناقد المصري **رجاء النقاش** مع الأكاديمي المصري الدكتور **ماهر حسن فهمي**.

أفضل قصيدة: الشاعر العماني **سيف الرمضاني** عن قصيدته «مخاض قصيدة» مناصفة مع الشاعر المصري **حسن توفيق** عن قصيدته «السندباد والرحلة الجميلة».

كما تختتم في اليوم نفسه الندوة التي نظمتها هيئة أمناء الجائزة عن «**محمود سامي البارودي**: رائد المدرسة الرومانسية الحديثة» وندوة «القصيدة المعاصرة».

وافتتحت على هامش الندوة ثلاث مدارس موّل سعود البابطين إنشاءها هي **مدرسة الملك فهد بن عبد العزيز** في مدينة نصر بالقاهرة، **ومدرسة الرئيس حسني مبارك** في الإسكندرية، **ومدرسة الأمير جابر الأحمد الصباح** في ضاحية المقطم بالقاهرة.

بحث التوجيه الإسلامي للعلوم

تختتم في القاهرة في الرابع من هذا الشهر (٢٩ أكتوبر) أعمال **مؤتمر «التوجيه الإسلامي للعلوم»**.

نظمت المؤتمر **رابطة الجامعات الإسلامية العالمية** بالتعاون مع **جامعة الأزهر**، ويشارك فيه قرابة ٥٠٠ عالم

● **« مشروع التعداد السكاني»** موضوع ندوة أقيمت في مركز التنمية الاجتماعية بالقريات. شارك فيها **عبد العزيز العمر** المشرف على التعداد في المنطقة.

● **«دور ممارس طب الأسنان العام في مجال تقويم الفك والأسنان»** عنوان محاضرة ألقاها في المديرية العامة للشؤون الصحية في منطقة عسير الدكتور **أحمد ونيجاني مهدي**.

● **«البدعة: أنواعها والتحذير منها»** عنوان محاضرة ألقاها في الجامع الكبير بالرياض الشيخ **خلف بن محمد المطلق**.

● «تزوجوا.. تناسلوا» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد صالح بالإحساء الشيخ **عبد الله بن عيسى العديل**.

● **«إشكالية التحيز: رؤية معرفة ودعوة للاجتهاد»** عنوان ندوة نظمتها في القاهرة نقابة المهندسين المصرية بالتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وترأسها الشيخ **محمد الغزالي**.

● **«الاقتصاد الإسلامي بين المفهوم والممارسة»** عنوان ندوة نظمتها شعبة الدراسات الإسلامية في كلية آداب تطوان بالمغرب بالتعاون مع الجمعية المغربية للدراسات والبحوث في الاقتصاد الإسلامي، شارك فيها عدد من أساتذة الاقتصاد الإسلامي.

● **«بين الحق الإلهي والحق الطبيعي»** عنوان محاضرة ألقاها في نادي أبها الأدبي الشيخ **أبو عبد الرحمن بن عقيل**.

● **«كيف نقاوم التنصير؟»** عنوان محاضرة ألقاها في الجامع الكبير في بريدة الشيخ **سلمان بن فهد العودة**.

● **«الحب والحرب»** موضوع أمسية شعرية في نادي اللقاء الثقافي ببيروت للشاعرين **منيف موسى، وديزيريه سقال**.

● «تصحيح مفاهيم حول السيرة» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد صلاح الدين بالثقبة الشيخ **محمد الشيخ**.

● **«الإعجاز البياني في الأسلوب القرآني»** عنوان ندوة نظمها نادي مكة الثقافي الأدبي وشارك فيها الدكاترة: **نزيه عبد الحميد السيد، وسليمان الصادق، وعبد الحكيم راضي**، أدار الندوة الدكتور **عوض الجميعي**.

● **«آفاق عملية تسوية الجلد وإزالة التجاعيد المعروفة»** عنوان محاضرة ألقاها في مستشفى حراء العام بمكة المكرمة الدكتور **هيو زنخاري**.

● **«الإعداد للعام الدراسي الجديد»** موضوع محاضرة ألقتها في مديرية الثقافة بدمنهور في مصر الدكتورة **مريم مصطفى**.



ومفكر وخبير وأستاذ جامعي من مختلف التخصصات العلمية.

سيرة فنية لنجيب محفوظ

انتهى الناقد **حسين عيد** من إعداد كتاب يتناول سيرة الأديب العربي **نجيب محفوظ**.

الجديد في هذه السيرة أن واضعها حرص على أن تكون سيرة فنية أكثر منها ذاتية حيث اجتهد لرسم سيرة الأديب من خلال أعماله الفنية الكثيرة، وبالذات تلك التي تظهر فيها أصداء حياته الخاصة بما اكتنفها من أحداث وأشخاص، مسترشدًا ما أمكن بحوارات محفوظ، وصولاً إلى المنابع الأولى لشخصيته في مراحل طفولته وصباه ثم مراهقته وشبابه.

يتكون الكتاب من **ستة أبواب**: طفولة تتفتح، وعالم الحارة، وصداقات، والعباسية، والمرأة في حياته، والحياة والإبداع، وعاشق الفن والحياة.

رحيل مصطفى عبد الرحمن


مصطفى عبد الرحمن

نعت الأوساط الأدبية الشاعر **مصطفى عبد الرحمن** الذي توفي مؤخرًا عن عمر يناهز ٧٧ عامًا.

والفقيد من مواليد سبتمبر ١٩١٥م، وعمل بالإذاعة المصرية منذ إنشائها عام ١٩٣٥م، وبدأت قصائده تأخذ طريقها إلى النشر في مجلتي «**الثقافة**» و«**الرسالة**» عام ١٩٤٢م كما نشر في صحف مختلفة تأتي «**الأهرام**» في مقدمتها، وهو حاصل على **جائزة الدولة في الشعر عام ١٩٨٠م**.

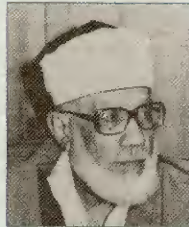
وله أكثر من ألفي نشيد وأغنية بالفصحى والعامية شدا بها كبار المطربين والمطربات، ومن دواوينه: «**المصطفيات**» و«**لحن الخلود**»، و«**ربيع**»، و«**من أغاني الحياة**»، و«**ليالي الشاطئ**»، و«**أغنيات قلب**»، و«**شاطئ الذكريات**».

خطة لانتشال آثار غارقة

بدأت هيئة الآثار المصرية بالتعاون مع بعثة آثارية فرنسية - مؤخرًا - في تنفيذ **خطة لانتشال آثار غارقة في منطقة أبي قير تعود إلى عصور مختلفة** بدءًا بعصر الإسكندر الأكبر وانتهاءً بالحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨م.

قام بوضع الخطة معهد بحوث البحرية الفرنسية، ويرجع اهتمام الفرنسيين بانتشال تلك الآثار لكونها تضم بقايا الأسطول الفرنسي الذي أغرقته البحرية البريطانية في أبي قير عام ١٧٩٩م.

مبارك يكرم ١٣ عالمًا إسلاميًا

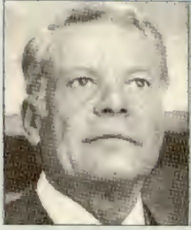

د. محمد عبد الرحمن بيصار

قام الرئيس المصري **محمد حسني مبارك** في إطار الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف بتكريم ١٣ عالمًا من مختلف بلدان العالم الإسلامي ومنحهم أوسمة تقديرًا لجهودهم في خدمة الإسلام.


حسين عرب

والمكرمون هم: اسم الإمام الأكبر الشيخ الدكتور **محمد عبد الرحمن بيصار** - يرحمه الله - شيخ الجامع الأزهر الأسبق، معالي الشيخ حسين عرب وزير الحج والأوقاف السعودي الأسبق ورئيس هيئة أوقاف مكة المكرمة حاليًا، والدكتور **أحمد كمال أبو المجد** وزير الشباب والإعلام المصري الأسبق. وسماحة الشيخ **وارث الدين والاس محمد**، زعيم الجالية الإسلامية في أمريكا، وسماحة الشيخ **محمد كمال الدين حبيب الله** مؤسس جماعة أنصار الإسلام في نيجيريا، وسماحة الشيخ **حسن بصري** رئيس مجلس علماء المسلمين ورئيس أمناء معهد الأزهر للدراسات الإسلامية بجاكرتا ومؤسس الهلال الأحمر في أندونيسيا، وسماحة الإمام الشيخ **أحمد عبد الرحمن المهدي**، إمام الأنصار وزعيمهم في السودان، وسماحة الشيخ **محمد الحسن الإدريسي**، شيخ الطريقة الإدريسية وعضو الهيئة الختمية للدعوة والإرشاد بالسودان، وسماحة الشيخ **محمد أمين الإسلام** المفكر ورئيس المجلس الإسلامي بداكار وإمام المسجد الكبير بها، وهو أول من فسر القرآن الكريم إلى اللغة البنغالية (بنجلاديشي)، والدكتور **خالد المذكور** الأستاذ الجامعي ورئيس لجنة الأمور العامة بهيئة الفتوى بالأوقاف الكويتية، وسماحة الشيخ **شوقي عمروفيتش** رئيس المشيخة الإسلامية ورئيس لجنة الطوارئ العاجلة بجمهورية البوسنة والهرسك، وفضيلة الشيخ **عبد الفتاح مصطفى، كبير أئمة وزارة الأوقاف المصرية وشيخ مسجد السيدة نفيسة**.

مسابقتا السباعي وتيمور


يوسف السباعي

تعلن قريبًا شروط الاشتراك في مسابقتي **«يوسف السباعي للنقد القصصي» و«محمود تيمور للقصة القصيرة»**.

وتشمل مسابقة يوسف السباعي للنقد القصصي مجالي المقالة والدراسة، وكانت قد توقفت لمدة عامين، أما مسابقة تيمور للقصة القصيرة فهي مفتوحة لجميع كتاب القصة في الوطن العربي.

جوائز صالون الشباب الرابع

أعلنت - مؤخرًا - **أسماء الفائزين بجوائز صالون الشباب (تحت ٣٥ عاما) في دورته الرابعة**، ورغم كثرة الأعمال المرشحة التي بلغ عددها نحو **٩٨٠ عملاً** تقدم بها **٥٤٨ فنانًا**، إلا أن العديد من الجوائز تم حجبها.

ففي مجال **العمل الفني** حجبت الجائزتان الأولى والثانية، وتحصل على الثالثة **أحمد رجب**، ومنحت جوائز تشجيعية لخمسة فنانين.

وحُجبت الجائزة الأولى في **مجال التصوير**، وفاز بالجائزة الثانية **زكريا أحمد حافظ**، والثالثة **جمال سعد الدين**، وتحصل سبعة فنانين على جوائز تشجيعية.

وفي مجال **الرسم** حُجبت الجائزة الأولى، ومنحت الثانية **لحمدي أبو المعاطي** بالمشاركة مع **متولي علي عصب**، والثالثة **ممدوح محمد الوصيفي**، وحصل خمسة فنانين على جوائز تشجيعية.

أما مجال **النحت** فقد حُجبت الجائزتان الأولى والثانية، وفاز بالجائزة الثالثة **إيرك ميخائيل إلياس**، والثالثة مكرر **حمدي عطية أحمد**، إضافة إلى عشر جوائز تقديرية منحت لفنانين آخرين.

وحُجبت الجائزة الأولى في **مجال الحفر**، وتحصلت **زينب مراد الدمرداش** على الجائزة الثانية، وجاء **أحمد عمر أحمد** ثالثًا، **وصالح محمد عبد المعطي** في المركز الثالث مكرر، ومنحت خمس جوائز تشجيعية.

وفي مجال **التصوير الضوئي** حُجبت الجائزة الأولى ومنحت الجائزة الثانية **لإسماعيل شوقي**، والثالثة **لمحمود حنفي أحمد**، وفاز ستة فنانين بجوائز تقديرية.

وحُجبت الجائزة الأولى في مجال **الخزف**، فيما منحت الجائزة الثانية **لفؤاد عبد العزيز حماد**، والثالثة **لحسان عبد العزيز**، وفاز ستة فنانين بجوائز تشجيعية.

ويذكر أن إجمالي الجوائز قد بلغ ٤٤ ألف جنيه **مصري**.

موسوعة شاملة

يصدر في أواخر العام الميلادي الجاري عن دار الشروق المصرية للنشر الجزء الأول من «**موسوعة الشروق الشاملة**».

استغرق الإعداد لإصدار الموسوعة قرابة عامين وشارك في وضعها مجموعة من العلماء والمفكرين والأكاديميين المصريين في شتى مجالات المعرفة.

اكتشاف إنسان
ما قبل ٣٣ قرنًا

اكتشفت بعثة **جامعة ألينوي** الأمريكية في منطقة **وادي فيران بسيناء هيكلاً عظميًا لإنسان مصري قدر عمره بنحو ٣٣ ألف سنة**.

وتمكنت البعثة من استخلاص الهيكل العظمي من الصخور الكلسية التي تحجرت حوله باستخدام: أجهزة علمية حديثة.

ويعد صاحب الهيكل الذي يبلغ طوله ١٧٥ سنتيمترًا أقدم إنسان مصري تم العثور عليه.

ويذكر أن الأدوات الصوانية التي عُثر عليها في المنطقة تؤكد أن الإنسان عاش فيها قبل أكثر من ستين ألف عام، وقد وُجدت رواسب لبحيرات كانت مملوءة بالماء في تلك المنطقة حيث كانت الأمطار تهطل بغزارة مما دفع الإنسان المصري لسكناها إلى أن توقف المطر قبل ١٢ ألف سنة وحل الجفاف.

قاموس موسيقي عربي

تصدر دار الأوبرا **أول قاموس موسيقي عربي**، أعده **أحمد بيومي** أستاذ الموسيقى وأحد مؤسسي أوركسترا القاهرة السيمفوني.

القاموس استغرق إعداده قرابة خمسة عشر عامًا، بغية مساعدة الباحثين والدارسين في مجال الموسيقى.

كتب جديدة

● **الصراع العربي الصهيوني في السينما**، تأليف **سمير فريد**.

● **أمي عينان وبريق**، مجموعة قصصية للقاص **جاسم محمد الشمري**.

● **النخلة ورائحة الهيل**، مجموعة قصصية **لمنى الشافعي**.

● **مملكة الشمس**، مجموعة قصصية للقاصين: **علي المسعودي ومنى جامع**.

● **البستان**، مجموعة قصصية **لمحمد المخزنجي**.

● **امرأة من شمع وشمس وقمر**، مجموعة شعرية **لأمل جراح**.

صدرت الكتب الستة السابقة عن دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع.

محمد المخزنجي

● **الفرج بعد الشدة**، تأليف الإمام **جلال الدين السيوطي**، تقديم وتحقيق الدكتور **محمد زينهم**، صدر عن دار الرشاد.

● **الدولتان: السلطة والمجتمع في بلاد الإسلام والغرب**، تأليف **برتراند بادي**، ترجمه إلى اللغة العربية **لطيف فرج**، وصدر عن دار الفكر للدراسات.

● **مسيرة النظام الدولي الجديد قبل وبعد حرب الخليج**، تأليف **أحمد مشرف**، صدر عن دار الثقافة الجديدة.

● **أحمد ضيف**، تأليف الدكتور **علي شلش**، صدر ضمن سلسلة «نقاد الأدب» عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

د. علي شلش

● **الوشم**، ديوان للشاعرة **فابيولا بدوي**، صدر عن دار الأمل للنشر.

● **إعصار من الشرق**، ط٥، تأليف الدكتور **ثروت عكاشة**، صدر عن دار الشروق بالقاهرة.

● **اغتيال كمبيوتر**، رواية علمية **لرؤوف وصفي**، صدرت عن المؤسسة العربية الحديثة.

د. ثروت عكاشة

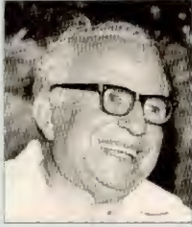
● **جريمة البلاغ الكاذب والتعويض عنها**، تأليف الدكتور **علي عوض حسن**، صدر عن دار الفكر الجامعي بالإسكندرية.

● **الأدب والإنسان الغربي**، تأليف ج. بريستلي، ترجمه إلى اللغة العربية الدكتور **شكري عياد**، وصدر عن دار أصدقاء الكتاب بالقاهرة.

● **المعلومات التربوية**، تأليف الدكتور **حسن عبد الشافي**، صدر عن الدار المصرية اللبنانية للنشر.

● **الحملة الفرنسية بين الأسطورة والحقيقة**، دراسة للدكتورة ليلى عنان.

● **جامع الفراشات**، رواية **جوني فادلر**، ترجمها إلى اللغة العربية **عبد الحميد فهمي الجمال**، وصدرت ضمن سلسلة «روايات الهلال».



يحيى حقي

● **كناسة الدكان**، سيرة ذاتية **ليحيى حقي**، صدرت ضمن سلسلة «كتاب الهلال».

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن مؤسسة دار الهلال بالقاهرة.

● **شباب في الزمن الخطأ**، تأليف **فاروق جويدة**.

● **درب ابن برقوق**، رواية جديدة **لمحمد جلال**.

صدر الكتابان السابقان عن مكتبة غريب بالقاهرة.

● **ديوان جرير**، طبعة جديدة بشرح **محمد بن حبيب**، صدرت ضمن سلسلة «ذخائر العرب» عن دار المعارف بالقاهرة.

الكويت

الثقافة العالمية
تعاود الصدور

صدر - مؤخرًا - عددٌ جديد من مجلة «**الثقافة العالمية**» بعد توقف دام عامين لظروف الاحتلال العراقي للكويت.

تصدر المجلة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

من الكتب الجديدة

● **نهاية اللعبة**، مسرحية **صموئيل بيكيت**، ترجمها إلى اللغة العربية وقدم لها **بول شاؤول**، وراجعتها **د. نادية كمال**، صدرت ضمن سلسلة «من المسرح العالمي».

لبنان

وفاة ميشال أبو جودة
ورياض حنين



ميشال أبو جودة

فقدت الصحافة اللبنانية - مؤخرًا - قطبين من أبرز أقطابها هما الكاتب والصحافي **ميشال أبو جودة** (٥٨ عامًا)، والكاتب الصحافي **رياض حنين** (٦٠ عامًا).

وُلد **أبو جودة في الزلقا** عام ١٩٣٤م وفي مدارسها تلقى علومه، ثم التحق بكلية الحقوق في الجامعة اللبنانية، حيث أمضى عامين ثم التقى غسان تويني صاحب جريدة «**النهار**» الذي

الحركة الثقافية

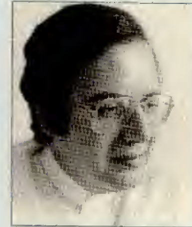
أفسح له مجال العمل الصحفي، حيث بدأ عام ١٩٥٢م بكتابة زاويتي **«يسعد صباحك»** و**«على هامش البرقيات»**. وتدرج في العمل الصحافي حتى ترأس عام ١٩٧١م تحرير جريدة «النهار»، وتعرض بسبب آرائه إلى الخطف، ومنح **جائزة علي ومصطفى أمين عام ١٩٨٧م** لأحسن عمود صحفي عربي.

أما **رياض حنين** فولد عام ١٩٣٢م، وبدأ العمل صحافيًا محترفًا في العشرين من عمره، متنقلا بين الصحف والمجلات والإذاعة، ووصل إلى درجة **مدير تحرير**، وأسس عام ١٩٨٥م **صحيفة «الدفاتر اللبنانية»** لكنها لم تستمر سوى أربعة أعوام ثم أغلقت.

وإلى جانب العمل الصحافي كانت له برامج إذاعية وترأس دائرة الأنباء في إذاعة لبنان لسنوات طويلة، وله مؤلفات منها: **«وبقيت الذكريات»**، و**«حديقة حب»** و**«حسن جيهان»** و**«تأملات لبناني»**، و**«نكات خازنية»** والأخير في أربعة أجزاء.

كتب جديدة

● **ثورة التراث: دراسة في فكر خالد محمد خالد**، تأليف الدكتور **شاكر النابلسي**، صدر عن دار العصر الحديث للنشر والتوزيع.


د. شاكر النابلسي

● **نظام المياه الخاصة في لبنان: دراسة مقارنة**، تأليف الدكتور **فايز مطر**، صدر عن دار المنشورات الحقوقية.

● **في بيتنا مريض نفسي**، تأليف الدكتور **عادل صادق**، صدر عن الدار العربية للموسوعات.


د. عادل صادق

● **الحكايات الخرافية للمغرب العربي**، تأليف **عبد الحميد بواريو**، صدر عن دار الطليعة.

● **مذكرات آريل شارون**، سجّلها **دافيد شانوف**، و نقلها إلى اللغة العربية **أنطوان عبيد**، وصدرت عن مكتبة بيسان.

● **مفاهيم ملتبسة في الفكر المعاصر**، تأليف **كمال عبد اللطيف**، صدر عن دار الطليعة.

● **رفض الهزيمة : بدايات العمل المسلح في الضفة والقطاع ١٩٦٧م**، تأليف **يزيد صايغ**، صدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

● **اللطائف والظرائف**، طبعة جديدة، تأليف **أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي**.

● **العلماء عند المسلمين: مكانتهم ودورهم في المجتمع**، تأليف الدكتور **محمد منير سعد الدين**.

صدر هذان الكتابان عن دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع.

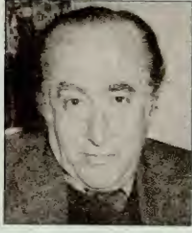
● **نساء في حياة جبران وأثرهن في أدبه**، تأليف **وفيق غريزي**، صدر عن دار الطليعة.

● **الأسطورة في الشعر العربي**، تأليف الدكتور **يوسف الحلاوي**، صدر عن دار الحداثة.

● **الخليج العربي بحر الأساطير**، تأليف **قدري قلعجي**، صدر عن شركة المطبوعات للتوزيع.

● **رغبات قوية كأسناننا**، مجموعة شعرية **ليوسف بزي**، صدر عن دار الجديد.

● **معايشة النمرة**، تأليف **جبرا إبراهيم جبرا**، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.


جبرا إبراهيم جبرا

سورية

ثلاث مجلات جديدة

انضمت إلى ركب الصحافة الثقافية والفنية المتخصصة ثلاث مجلات جديدة هي: **«الحياة المسرحية»**، **«والحياة التشكيلية»** و**«الحياة الفنية»**.

وكما يتضح من اسم كل مجلة تُعنى الأولى بالحركة المسرحية والثانية بالفن التشكيلي، والثالثة بالفن السابع أي السينما.

أسبوع ثقافي بحريني

أقيم في دمشق في السادس عشر من شهر ربيع الآخر الماضي (١٢ أكتوبر ١٩٩٢م) **أسبوع ثقافي بحريني**.

ضم الأسبوع معارض للفنون التشكيلية والصناعات الحرفية والصور التي توضح معالم البحرين وتطورها، فضلاً عن أمسية شعرية لشعراء بحرينيين.

ويذكر أن هناك **أسبوعًا سوريًا مماثلاً** ينتظر أن يستضيفه البحرين في أوائل العام المقبل.

أثر فرعوني في سورية

اكتشف في موقع **تل سيانو** بمحافظة اللاذقية تمثال

رسائل جامعية

● **«اللغة العربية بين المذكر والمؤنث»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تقدم بها **إبراهيم عبد المجيد حنّوة**.

● **«دور آلة القانون في المصاحبة الارتجالية للموال»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في المعهد العالي للموسيقى العربية بالقاهرة، تقدمت بها **إيمان حسين جنيد**.

● **«شعر النساء في العصر الجاهلي: إعلامه وخصائصه»**، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة دمشق، تقدمت بها **رغدا مارديني**.

● **«السياسة القطرية في إطار مجلس التعاون لدول الخليج العربية خلال الفترة من ١٩٨١م إلى ١٩٩١م»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، تقدم بها الشيخ **محمد بن عيد آل ثاني**.

● **«محمد توفيق.. حياته وشعره»** موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر فرع الزقازيق تقدم بها **محمد عبد الله عباس السيد**.

● **«شعر الطبيعة بين أبي تمام والبحتري: دراسة موضوعية وفنية»** موضوع رسالة ماجستير نوقشت في معهد الدراسات العربية والإسلامية قسم اللغة العربية وآدابها بالقاهرة، تقدم بها **محمد ليثي محمد بن الدين**.

● **«ضمانات حق المجني عليه في التعويض في التشريع الجنائي الإسلامي وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في المعهد العالي للعلوم الشرعية بالرياض، تقدم بها **سالم بن شديد الحربي**.

إنسان منحوت في الصخر يعود تاريخه إلى الألف الثالث قبل الميلاد.

يمثل التمثال رجلاً جالسًا وامرأة واقفة، ونقش عليه إهداء باللغة الهيروغليفية المصرية القديمة إلى الفرعونة المصرية حتحور باعتبارها امرأة العلاقات الخارجية مع الدول الأجنبية.

تكمن أهمية الكشف في كونه يؤيد الاعتقاد بوجود المعبد الكنعاني (بعلت) الموحدة مع حتحور.

وفاة الأشتر وأرناؤوط

نعت الأوساط الثقافية والفنية السورية الأكاديمي الدكتور **صالح الأشتر** والشاعر والفنان التشكيلي **عبد القادر أرناؤوط**.

ويعد الدكتور **الأشتر** من الشخصيات المرموقة في مجال الدراسات الأدبية العربية، وعمل أستاذًا للأدب العربي بجامعتي دمشق وحلب، كما مثل بلاده في العديد من المنتديات والملتقيات الأدبية والعلمية، وله مؤلفات كثيرة منها: «شعر النكبة» و«أندلسيات شوقي»، كما حقق «أخبار البحتري»، و«الهفوات النادرة». أما الشاعر الفنان عبد القادر **أرناؤوط** الذي توفى عن ٥٥ عامًا فقد أسهم في الحركة الفنية والشعرية السورية من خلال قصائده ولوحاته التشكيلية، وعمل أستاذًا في كلية الفنون الجميلة بجامعة دمشق، ووضع عدة مؤلفات في مجالي الشعر والفنون التشكيلية.

كتب جديدة

● **قوانين رهن القناعات**، مجموعة قصصية **لماري رشو**.

● **حدث في الجولان**، رواية **لمالك عزام**.

● **الصهيونية وأوراقها السوداء**، دراسة للكاتبين **سعيد فارس السعيد**، و**قاسم محمد الخيرات**.

● **هامش الحياة.. هاشم الموت**، مجموعة قصصية **لغسان كامل ونوس**.

● **العاملي**، رواية **لمحمد غانم**.

● **مشكلات في الثقافة العربية**، تأليف **علي عقلة عرسان**.



د. علي عقلة عرسان

● **دراسات في الأدب والنقد**، تأليف **عيسى فتوح**، صدر في دمشق.

● **يا أيها الحجر**، مجموعة شعرية للشاعر الراحل **سعيد قندقجي**.

● **لا مكان للغريب**، مجموعة قصصية **لناديا خوست**.

عيسى فتوح

● **مقالات في الأسلوبية**، تأليف **الدكتور منذر عياشي**.

صدرت الكتب التسعة السابقة عن اتحاد الكتّاب العرب في دمشق.

د. منذر عياشي

الأردن

مسجد من العصر الأموي

عثر على بعد ٧٢ كيلومترًا شمالي عمان على **مسجد أثري يعود إلى العصر الأموي**.

يبلغ طول المسجد المكتشف عشرة أمتار، وعرضه تسعة أمتار، ويرتفع محرابه ٢,٣٥ مترًا بنصف قطر ١,٥ مترًا، وعرض ١,٤٥ مترًا.

وكشفت الدراسات أن المسجد قد سبق ترميمه في **العصر الأيوبي والمملوكي والعثماني**، إلا أن جزءًا منه تهدم بفعل الهزات الأرضية أو تآكل الحجارة.

كتب جديدة

● **البناء الاجتماعي**: **إنفاقه ونظمه**، تأليف الدكتور معني خليل عمر، صدر عن دار الشروق للنشر والتوزيع.

● **مقامات التحولات**، تأليف الدكتور **سليمان الطراونة**، صدر في مدينة الكرك.

● **نشيد للمرأة العابرة**، مجموعة شعرية **لباسل طلوزي**، صدرت في عمان.

● **لافتات على سياج الضوء**، ديوان للشاعر **أحمد الريماوي**، صدر عن دار الكرمل.

فلسطين

مهرجان القدس الشريف للثقافة والفنون

افتتح في أواخر شهر ربيع الآخر ١٤١٣هـ الماضي **«مهرجان القدس الشريف»** للثقافة والفنون الذي يعد الأول من نوعه في الأراضي المحتلة.

نظم المهرجان المجلس الفلسطيني للثقافة والإعلام، وشارك فيه أدباء ومفكرون وفنانون من جميع أنحاء الضفة الغربية وقطاع غزة، وتضمن المهرجان **١٢ عرضًا**، منها معرض للكتاب والمنشورات والمخطوطات الوطنية الخاصة بالفلسطينيين، وآخر للفنون التشكيلية وثالث للتراث الشعبي (الفولكلور) ورابع للتراث

● **«دور الإشراف التربوي تجاه معلمي الكيمياء والأحياء التطبيقية في الثانويات المطورة»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدم بها **محمد علي بايزيد**.

● **«القلاع والحصون في إمارة أبو ظبي»** موضوع رسالة ماجستير في الفنون الإسلامية والآثار نوقشت في جامعة لندن، تقدمت بها **ريم المتولي**.

● **«قابلية روايات نجيب محفوظ للترجمة: دراسة في الترجمة الأدبية»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر تقدمت بها **دلال محمود الجميعي**.

● **« القصيدة بين العربية والفارسية»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في قسم اللغة الفارسية بكلية الآداب بجامعة عين شمس تقدمت بها **نبيلة أمين مصلحي**.

● **«الرد على أعداء الإسلام ومنكري السنة المطهرة»** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، تقدم بها **عبد الراضي فتحي مسعود**.

● **«الأمن الوطني لدولة الإمارات العربية المتحدة من منظور التحادي وبُعد خليجي عربي»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في أكاديمية ناصر العسكرية العليا بالقاهرة، تقدم بها الفريق ركن **محمد سعيد البادي**.

● **«مظاهر التجديد في التصوير الجداري عند جويا: دراسة تحليلية مقارنة»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الفنون الجميلة بالقاهرة تقدم بها **السيد صالح القماش**.

● **« المنهج الفني في النقد عند سيد قطب»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تقدم بها **محمد أديب عبد الراضي**.



الفلسطيني، إضافة إلى معرض خاص عن مدينة القدس، وندوات وأمسيات متنوعة.

السودان

قصر ملكي من عصر حضارة كوش

عثر فريق آثاري سويسري على قصر ملكي في منطقة «كرمة» شمالي السودان يرجع تاريخه إلى عام ٥٢٠٠ قبل الميلاد في عصر حضارة «كوش» التي تعد من أقدم حضارات أفريقيا السوداء.

ويلقي هذا الكشف كثيرًا من الضوء على تلك الحضارة التي اتخذت من منطقة كرمة عاصمة لها، ووصلت إلى أوج عظمتها عام ١٦٠٠ قبل الميلاد تقريبًا، إذ يبرهن الكشف الذي شمل مجموعة من التماثيل الذهبية والمرمرية وعدة مقابر تعود لعصور مختلفة. على أن مملكة «كوش» كانت مركز إشعاع حضاري وتجاري بين بلاد النوبة وأفريقيا السوداء.

كما يؤكد أن حضارة «كوش» تعود إلى فترة تتزامن مع الدولة القديمة في مصر، وكانت على علاقة وثيقة بالحضارة الفرعونية، وظلت متواصلة حتى دخول النصرانية إلى أفريقيا، وكان سكان كوش يتحدثون اللغة «المروية» نسبة إلى مدينة «مروي» شمال السودان، التي انتقل إليها ملوك كوش بعد تعرضهم لهجمات الرومان الذين احتلوا مصر.

إلا أن ما يثير مخاوف العلماء أن جزءًا كبيرًا من معابد حضارة «كوش» ومقابرها يقع تحت منازل مدينة الكرمة، مما يعرقل عمليات الحفر المقبلة، التي تتطلب إزالة تلك المساكن.

المغرب

جمعية لدراسات الفكر الإسلامي

تأسست — مؤخرًا — في مدينة الرباط «جمعية للدراسات في الفكر الإسلامي والعلوم الإنسانية».

يتولى الأمانة العامة للجمعية الكاتب محمد اليتيم وتضم عددًا من الباحثين في الفكر الإسلامي، حيث تهتم ببلورة أولويات في ميدان البحث والدراسة وإغناء مجال الفكر الإسلامي ودعم مكانته في المجتمع المغربي، والاستفادة من عطاءات العلوم الإنسانية.

تونس

مرفأ أثري

اكتشف في منطقة «رأس الذيبيب» الواقعة بين العاصمة التونسية ومدينة بنزرت **مرفأ يعود تاريخه إلى القرن السادس قبل الميلاد، غمرته مياه البحر.**

وكانت توجد في «**رأس الذيبيب**» **مدينة بونيقية رومانية** تحمل اسم «**تينيسا**» قرب مدينة رأس الجبل على الساحل.

ويقع المرفأ على بعد ٧٥ مترًا من الساحل، على عمق يتراوح بين ٨ - ١٢ مترًا مما يعطي إشارة جلية لتقدم البحر على حساب اليابسة.

وقد عثر في المرفأ على مجموعة جرار فخارية مختلفة الأشكال والأحجام وأربعة مراس حجرية لتثبيت السفن، وأدوات خزفية.

ويعتقد العلماء أن المرفأ ظل مستغلا إلى حدود القرن الخامس الميلادي.

الترشيح لجائزة الشابي في مجال الرواية



أبو القاسم الشابي

فُتح - مؤخرًا - باب الترشيح «**لجائزة أبي القاسم الشابي**» في مجال الرواية.

تبلغ قيمة الجائزة خمسة آلاف دينار تونسي، وتحددت نهاية شهر ديسمبر (كانون الأول) ١٩٩٢م موعدًا نهائيًا لقبول الترشيحات.

الهند

العجز المالي يحاصر دائرة المعارف العثمانية

يعاني المعهد الذي يسمى **بدائرة المعارف العثمانية** من عجز مالي يهدد بتوقف نشاطاته وإصداراته العلمية.

وكان المعهد الذي **تأسس عام ١٨٨٨ م** في مدينة حيدر آباد قد **أصدر على مدى ما يزيد عن مائة عام نحو ثمانمائة كتاب بما فيها ١٥٠ مخطوطة نادرة في موضوعات شتى، وبخاصة مجالات الدراسات الإسلامية.**

وبرغم أن المعهد يتم تمويله من قبل الحكومتين المركزية والمحلية، والجامعة العثمانية إلا أن التمويل قاصر عن الوفاء باحتياجاته حيث لا يتجاوز ٤٥٠ ألف روبية هندية في العام فيما تبلغ الميزانية السنوية مليونًا و٨٠٠ ألف روبية.

والأمل أن تبادر الجهات والمنظمات الإسلامية إلى إعانة المعهد الذي يعد بمثابة جسر يربط مسلمي الهند بالعالم العربي والإسلامي.

معرض فني خليجي

تستعد **جماعة أصدقاء الفن التشكيلي بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية** لإقامة معرضها التاسع عشر في نيو دلهي - بالهند خلال شهر يناير أو فبراير ١٩٩٣م. وكانت الجماعة قد أقامت معرضها الثامن عشر في مدينة الكويت بمناسبة الذكرى الأولى للتحرير.

من أحدث الكتب

● **راجيف**، تأليف سونيا غاندي، صدر عن دار فايكنج بنجوين.

ماليزيا

وفاة داعية إسلامي

نعت الأوساط الإسلامية الماليزية الداعية **تانسري داتو حاجي محمد عصري مودا**، كبير وزراء ولاية كلنتان سابقًا وأحد أبرز المنافحين عن الإسلام في بلاده الذي توفي عن عمر يناهز ٦٩ عامًا.

ويعد الفقيد مؤسس «**مركز الدراسات الإسلامية العالمية**» في مدينة نيلم فوري عام ١٩٦٥م، وقد فاز بجائزة رجل العام على مستوى ماليزيا عام ١٤١٢هـ.

وأوصى الفقيد قبيل وفاته بأمواله لصالح أيتام المسلمين في البوسنة والهرسك.

نيجيريا

وفاة الداعية أبو بكر جومي



الشيخ أبو بكر جومي

أعلن في منتصف شهر ربيع الأول الماضي عن وفاة الداعية النيجيري **الشيخ أبو بكر محمود جومي الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٨٩ م - ١٤٠٩هـ وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.**

والفقيد من مواليد نيجيريا، وكان أبوه عالمًا من علماء الدين حيث درس على يديه القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية والفقه، ثم التحق بالتعليم، حيث تخرج في كلية الشريعة عام ١٩٤٧م.

عمل الشيخ بعد تخرجه بالقضاء، ثم التدريس، وحاول السفر للقاهرة لمواصلة دراسته، إلا أن سلطات الاستعمار حالت دون ذلك خوفًا من التحاقه بالإخوان المسلمين، وأرسلته مع آخرين إلى السودان.

وأدى فريضة الحج عام ١٩٥٥م أثناء دراسته في السودان، والتقى في الحج بالزعيم **أحمد بللو** الذي جعله إمامًا لحجاج بلاده، ولما عاد إلى نيجيريا ارتبط مع **بللو** وحج معه مرة أخرى عام ١٩٥٧م، وقرّبه **بللو وجعله** مترجمًا له، ومنحه وسامًا ذهبيًا.

عُين بعد استقلال نيجيريا مساعدًا لرئيس القضاة في محكمة الاستئناف الشرعية العليا، ثم أصبح رئيسًا للقضاة بالإقليم الشمالي، حتى صار عام ١٩٧٦م المفتي الأكبر للبلاد.

وكان الفقيد الساعد الأيمن للزعيم الإسلامي النيجيري **أحمد بللو** في الدعوة الإسلامية ومحاربة البدع والخرافات، وشارك في إنشاء منظمة «**جماعة نصر الإسلام**» كما كان عضوًا في كل من المجلس الأعلى العالمي لشؤون المساجد، والمجمع الفقهي بمكة المكرمة. ومجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، والمجلس الأعلى للجامعات الإسلامية، ورابطة العالم الإسلامي، ومجلس كبار العلماء في نيجيريا، وجامعة أحمد بللو، وكان آخر مناصبه رئاسة مجلس التعليم التربوي في نيجيريا.

وله مؤلفات عدة في الدعوة، وترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة الهوسا، فضلاً عن تفسير للقرآن الكريم، ومؤلفات أخرى.

بلغاريا
جامعة إسلامية

تجري **دار الإفتاء في بلغاريا** - حاليًا - اتصالات مع جامعات المملكة العربية السعودية ومصر والكويت وتركيا والإمارات وسورية لإنشاء **أول جامعة إسلامية في منطقة رازد عراد** شمال شرقي بلغاريا.

ينتظر أن تضم الجامعة **خمس كليات** لتدريس الشريعة الإسلامية والآداب والإدارة، ومعهدين لتعليم اللغتين العربية والتركية.

ويذكر أن منطقة رازد عراد يقطنها نحو ٧٠٠ ألف مسلم.

إسبانيا
بحضور خوان كارلوس
سلمان يفتتح المركز الإسلامي


الأمير سلمان بن عبد العزيز


خوان كارلوس

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين **الملك فهد بن عبدالعزيز**، افتتح صاحب السمو الملكي **الأمير سلمان ابن عبد العزيز** أمير منطقة الرياض بحضور العاهل الإسباني **الملك خوان كارلوس** يوم الإثنين ٢٤/٣/١٤١٣هـ في مدريد المركز الثقافي الإسلامي الذي أقيم بإسهام كريم من خادم الحرمين الشريفين.

حضر حفل الافتتاح أكثر من خمسمائة شخصية إسلامية وإسبانية ودبلوماسية.

ويتكون المركز من **خمسة طوابق، اثنان منها تحت الأرض**، وفضلاً عن المسجد الذي أقيم على مساحة ألف متر مربع هناك مدرسة للمراحل التمهيدية والابتدائية والإعدادية، ومعمل لغات لتعليم الإسبانية والعربية والإنجليزية، ومتحف للتراث الإسلامي وقاعة للمعارض، ومكتبة يعد لأن تضم أكثر من ثلاثين ألف عنوان باللغات العربية والإنجليزية والإسبانية في شتى المعارف الإنسانية، وقاعة للمؤتمرات، ومطعم وصالة رياضية ومرافق مساندة. (**لمزيد من المعلومات راجع عدد «الفيصل» رقم ١٧١ الصادر في رمضان ١٤١١هـ الموافق مارس ١٩٩١م**).

فرنسا
جائزة أغاخان للعمارة

اختيرت **تسعة مشروعات** من بلدان إسلامية مختلفة لتقاسم **جائزة أغا خان للعمارة للعام الحالي**.

والمشروعات الفائزة هي: حديقة الأطفال الثقافية **في مصر**، وبرنامج القيروان **بتونس**، وحدائق القصور **في تركيا**، وبرنامج النهوض بوحدات شرقية **بالأردن**، ومستوطنة كامبدنج في **أندونيسيا**، وقرية ديمير السياحية **في تركيا**، **والمعهد الأفريقي للتنمية في بوركينا فاسو**، ونظام للبناء بالحجر في **سورية**، ومعهد تنمية القدرة على تنظيم المشروعات **في الهند**.

متحف جديد

افتتح في **مدينة توتافيل بمنطقة جبال البرنس متحف جديد للآثار القديمة**.

من أهم ما يضمه المتحف **هيكل عظمي** كان قد اكتشف عام ١٩٧١م في كهف قريب من المدينة، **ويعود تاريخ الهيكل إلى ما قبل ٤٥٠ ألف عام**. وقد تم وضعه في ديكور أقيم خصيصًا في المتحف مشابه للكهف الذي عثر عليه فيه.

معرض عن ضحايا الحروب

تحت عنوان «**كوكب الضحايا**» أقامت **منظمة اليونسكو** - مؤخرًا - معرضًا في باريس يضم صورًا لضحايا الحروب والنزاعات المستمرة والانفجارات من الأطفال والنساء والعجائز من مختلف أنحاء العالم.

ووزعت كتيبات خاصة أثناء المعرض توضح الأحداث المتزامنة للصور.

إيطاليا
منزل روماني
تحت برج بيزا

اكتشف فريق أثاري أثناء عمليات البحث **تحت برج بيزا المائل منزلا رومانيا واسع الأرجاء يعود إلى عهد الإمبراطور كونستنتان في القرن الرابع الميلادي**.

وقال علماء آثاريون إن آثار الفسيفساء ما تزال تعلو بقايا المنزل، كما عثر داخله على مخزن كبير لحفظ المؤونة وجرات وصحون.

وكان قد تم العثور على مقبرة صغيرة تحت **برج بيزا** خلال عمليات التنقيب التي تسبق أعمال إصلاح البرج.

ألمانيا
ببليوجرافيا لما نشر
عربيًا في الألمانية

بدعوة من معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بفرانكفورت شارك وزير التربية والتعليم القطري عبد العزيز عبد الله التركي في الاجتماع السنوي الحادي عشر لمجلس أمناء المعهد.

وقد تناول هذا الاجتماع عدة موضوعات أهمها مشروع **إعداد ببليوجرافيا حول كل ما كتب ونشر عن العلوم العربية والإسلامية وعن المجتمع العربي باللغة الألمانية**، كما تمت مناقشة مشروع نشر المخطوطات العربية المهمة، وجمع دراسات المستشرقين، وتأسيس متحف في إطار المعهد يصنع نماذج للآلات العربية



والإسلامية بهدف إظهار مكانة العرب والمسلمين في تاريخ العلوم.

الألمان يفضلون التلفاز على الكتب

قالت دراسة أجراها باحثون من معهد هامبورج لقياس الرأي العام ضمت نماذج مختلفة من شرائح المجتمع الألماني إن نسبة ٩٨٪ ممن خضعوا للدراسة أوضحوا أن **التلفاز يأتي في مقدمة اهتماماتهم**، فيما أكد ٧٦٪ أن الاستماع إلى الإذاعة يأتي في المرتبة الثانية.

وجاءت قراءة الصحف والمجلات في المرتبة الثالثة فيما لم تحظ قراءة الكتب والسلاسل الشعبية بأكثر من نسبة ٣٦٪ من اهتمامات المشاركين.

سكرتارية دائمة في برلين لمؤرخي الفنون الجميلة

ناقش **المؤتمر الدولي لمؤرخي الفنون الجميلة** خلال اجتماعاته التي عقدت ـ مؤخرًا ـ في بون تحت شعار **«التبادل الفني»** اقتراحًا بإنشاء سكرتارية دائمة في برلين لهيئة مؤرخي الثقافة والفنون الجميلة، مع قبول ترشيح مدن أخرى لتكون مقرًا لفروع الهيئة.

وكان المؤتمر قد سجل رقمًا قياسيًا في عدد المشاركين والدول التي يمثلونها، حيث شارك في أعماله نحو **٣٩٠٠ مؤرخ فني ينتمون إلى ٧٠ دولة، ناقشوا** موضوعات مهمة تتعلق بتاريخ الفن القديم والمعاصر من بينها التبادل الفني بين الدول الصناعية والبلدان النامية، والفن ووسائل الإعلام الحديثة، ومشكلات الأساليب الفنية في الولايات المتحدة وأوروبا بعد الحرب الكونية الثانية، وغير ذلك من الموضوعات.

تاريخ لندن في معرض

أقيم في متحف فيلا «هوجل» بمدينة ايسين الألمانية معرض بعنوان **«لندن.. المدينة العالمية من ١٨٠٠ - ١٨٤٠م»**

يعيد المعرض للأذهان صورة لما كانت عليه لندن في الماضي من خلال **خمسائة قطعة فنية** مستعارة من مائة لوحة معظمها بريطاني.

توقف مجلة «كويك»

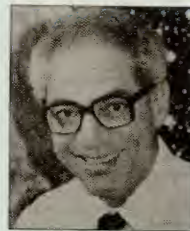
أعلن ـ مؤخرًا ـ عن إيقاف صدور **مجلة «كويك» الأسبوعية** لصعوبات مالية بعد أن استمرت تصدر لمدة ٤٤ عامًا.

اتخذ قرار إيقاف المجلة الناشر **هاينز باور** مالك **دار نشر باور فولاج**، التي تصدر عددًا من الصحف والمجلات من بينها «كويك».

وكان توزيع المجلة قد انخفض إلى ٦٩٥ ألف نسخة فقط أسبوعيًا خلال النصف الأول من العام الحالي، مقارنة بمليوني نسخة في السابق، مما أدى إلى إحجام المعلنين عن الإعلان فيها حيث انخفض عدد الصفحات الإعلانية من ٢٠٦٠ صفحة إعلان عام ١٩٩٠م إلى ما لايزيد عن ١١٧٠ صفحة عام ١٩٩١م.

الولايات المتحدة

دراسة الآثار البيئية لحرب الخليج على الكويت


د. فاروق الباز

تعاقدت جامعة بوسطن مع معهد الكويت للأبحاث العلمية لإجراء دراسة مشتركة عن آثار حرب الخليج على الكويت باستخدام وسائل الاستشعار عن بعد خلال ٢٠ شهرا، وذلك بتمويل من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي. وتتم الدراسة في مركز الاستشعار عن بعد بالجامعة تحت إشراف الدكتور فاروق الباز العالم العربي الخبير في دراسة بيئة الأرض من صور الفضاء.

تعد الدراسة أول بحث مستفيض لبيئة الكويت باستخدام الوسائل المتقدمة لمعالجة الصور الفضائية وتطبيقات نظم المعلومات. وقال الدكتور الباز «إنها سوف تشمل تحديدًا للمناطق التي حصل فيها أي تغيير بيئي وذلك بمقارنة صور أخذت قبل وأثناء وبعد الحرب للمناطق الساحلية والصحراء في الكويت، وسوف تستخدم الخرائط الناتجة في تحديد الأماكن التي تستلزم الإصلاح البيئي مستقبلا».

وقد زار الدكتور الباز منطقة الخليج مرتين منذ انتهاء الحرب، وكان له دور بارز في الإعداد لمؤتمر علمي عن بيئة المنطقة عقد في شهر إبريل الماضي بجامعة الإمارات العربية المتحدة بدعم من البنك الدولي.

ومجموعة العمل المتعددة التخصصات التي يرأسها الدكتور فاروق الباز تضم خبراء في الجيولوجيا والجغرافيا والاستشعار عن بعد ونظم المعلومات. ويتم العمل الميداني لتحقيق ما تبينه صور الفضاء بواسطة خبراء في قسم العلوم البيئية في معهد الكويت للأبحاث العلمية حيث يتدرب عدد منهم في علوم الاستشعار عن بعد في معامل جامعة بوسطن.

جائزة اتحاد الكتَّاب لمحفوظ

منح **اتحاد كتاب الولايات المتحدة الأمريكية جائزته للكاتب العربي نجيب محفوظ**، تقديرًا لأعماله التي أثرت الأدب الإنساني.

ويقوم السفير الأمريكي بالقاهرة بتسليم الجائزة له، وهي عبارة عن شهادة تقدير للأديب العربي الذي عُرف بكراهيته للسفر إلى الخارج.

اكتشاف مخطوطات لم تنشر لهالي


اليكس هالي

اكتشفت ـ مؤخرًا ـ في مزرعة الكاتب الأمريكي الراحل **اليكس هالي** مسودات لقصة **حياة مالكولم أكس** الزعيم المسلم الزنجي، ومذكرات كتبها زعيم الحقوق المدنية القس الأسود **مارتن لوثركينج**.

كما عثر على كتاب مكتمل باسم **«هننج»** وهي مسقط رأس هالي شمال ممفيس، **ومسرحية** بعنوان **«بوكر»** من ثلاثة فصول، وفصول كاملة من كتاب هالي الذي لم ينشر **«ملكة»** الذي يحكي فيه تاريخ أسرة والدته.

الفائزون بجوائز بوليتزر

أعلنت ـ مؤخرًا ـ أسماء الفائزين **بجائزة «بوليتزر»** بفروعها المختلفة: الأدبية والثقافية والصحافية.

فاز **بجائزة الرواية لويس بولبرجن** عن روايته «الطفل المحظوظ» **وبجائزة الدراما روبرت شتكان** عن روايته المسرحية «دورة في كنتاكي» **وتحصلت آن كونيلن** من صحيفة نيويورك تايمز على **جائزة الصحافة**.

النمسا

جائزة الأدب الكبرى لجيرارد روم

منحت **جائزة الأدب الكبرى** للأديب النمساوي الشهير **جيرارد روم** عن أعماله في مجال الأدب المعاصر.

ويعد روم مؤسس «المجموعة النمساوية» في الخمسينيات الميلادية، وهي مجموعة أدبية ضمت إلى جانبه أشهر أدباء النمسا مثل د. هارتان، وكونراد باير، وأوزوالد فينز.

اليابان

وفاة ناكاجامي

توفي - مؤخرًا - الروائي الياباني كنجي ناكاجامي عن عمر يناهز ٤٥ عامًا.

يعد ناكاجامي من أبرز الكُتّاب الشباب في اليابان، وقد ساعده مولده في منطقة أوزاكا الغنية بالأساطير في استلهام تلك الأساطير والمعتقدات في معظم أعماله، وبالأخص روايتيه «ألف عام من المتعة» و«بحر الأشجار الميتة».

روسيا

إعادة طباعة أول ترجمة روسية لمعاني القرآن

ينتظر أن تعاد طباعة **ترجمة معاني القرآن الكريم** التي أعدها المستشرق الروسي **دميتري بغو سلافسكي** قبل مائة وعشرين عامًا، وتعد أول ترجمة للقرآن الكريم باللغة الروسية.

تصدر الترجمة في طبعتها الجديدة عن دار الأدب الشرقي في موسكو.

وما يميز ترجمة **بغوسلافسكي** عن ترجمة الأكاديمي **كراتشكوفسكي** التي نشرت عام ١٩٦٣م، أن الترجمة الأولى تشتمل على تفسيرات تركية للقرآن الكريم نادرًا ما اهتم بها الباحثون.

كوريا

خارطة عمرها ٢١٥ عامًا تثير جدلاً

اكتشف مسؤول بحري كوري أثناء زيارته لأطلنطا وجورجيا خارطة عمرها ٢١٥ عامًا لبحيرة موجودة بين كوريا واليابان.

وتطلق **الخارطة التي وضعها البروفيسور والكاتب الإيطالي أنطونيو زاتا** اسم البحر الكوري على البحر الواقع بين شبه الجزيرة الكورية واليابان.

وتكمن **أهمية الخريطة في كونها قد تحسم عملية النزاع على تسمية تلك المنطقة دوليًا** بحيث تسمى بحر كوريا بدلاً من بحر الشرق أو بحر اليابان.

○ ○

«الفيصل» في الملتقى الدولي للثقافة الإسلامية في موروني

دعم اللغة العربية والثقافة الإسلامية في جزر القمر

موروني (جمهورية القمر) طارق الطاهر:

عقد مؤخرا بجمهورية القمر الاتحادية الإسلامية مؤتمر دولي بعنوان «الملتقى الدولي للثقافة الإسلامية» افتتحه رئيس الجمهورية **سعيد محمد جوهر**.

رمى المؤتمر إلى توحيد مناهج العمل الإسلامي وتطوير برامجه الثقافية على أساس مبدأي الأصالة والمعاصرة والتعريف بالثقافة والحضارة الإسلاميتين بجزر القمر وإيجاد تعاون بين علماء العالم الإسلامي وجزر القمر من أجل وحدة الفكر والعمل، وكذلك إلى تقديم قراءات علمية أصيلة ومعاصرة للثقافة الإسلامية وعطاءاتها الحضارية.

ودار الحوار حول الإسلام والتحديات الحضارية، نحو منهجية عملية الدعوة الإسلامية، وخصائص الثقافة الإسلامية في جزر القمر، ومكانة المرأة في الإسلام، والمنهج الديمقراطي في الإسلام.

وقد شارك في المؤتمر وفود من **مصر والمملكة العربية السعودية وسلطنة عمان وجمهورية إيران الإسلامية والكويت وتونس والمغرب وتنزانيا، إضافة إلى وفد من المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم ورابطة العالم الإسلامي.**

وقد أصدر المؤتمر التوصيات التالية:

١ - العمل على تيسير سبل انضمام جمهورية القمر الاتحادية الإسلامية إلى جامعة الدول العربية تقوية لجذورها العربية ودفعا لها في اتجاه تدعيم توجيهها العربي والإسلامي.

٢ - تدعيم جهود الحكومة القمرية في تعميم تدريس اللغة العربية في المدارس الحكومية ودعوة المنظمات العربية والإسلامية لمساعدتها في هذا المجال.

٣ - دعوة الدول الإسلامية والعربية إلى فتح مراكز ثقافية في موروني عاصمة جزر القمر.

٤ - دعوة الجامعات والمؤسسات الإسلامية في التبرع لإنشاء مكتبة وطنية بجزر القمر.

٥ - دعوة منظمة إذاعات الدول الإسلامية إلى تقديم المساعدات المادية والفنية للإذاعة الوطنية بجمهورية جزر القمر ودعوة الحكومة إلى زيادة ساعات البث باللغة العربية.

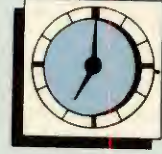
٦ - تقديم المساعدات الفنية والمادية لإنشاء وكالة أنباء وطنية وانتداب مراسلين دائمين للصحف والمجلات العربية والإسلامية في جزر القمر.

٧ - يناشد المؤتمر الدول والمنظمات الإسلامية المساعدة من أجل إنشاء مطبعة عربية تسهم في تطوير الثقافة العربية الإسلامية.

٨ - ضرورة مساعدة الجزر في مشروعات التنمية من خلال الاستثمار في مجالي الزراعة والمعادن وغيرهما.

٩ - الدعوة إلى فتح فروع للمصارف الإسلامية في جزر القمر وتقديم القروض التشجيعية للإسهام في التنمية.

١٠ - مطالبة شركات الخطوط الجوية العربية والإسلامية بتنظيم رحلات إلى جمهورية جزر القمر.



اغتيال البراءة!

وانتصف العقد العالمي [١٩٨٨/ ١٩٩٧م] الـذي خصصته اليونسكو للتنمية الثقافية، مع ما صـاحبه ــ على مدي السنـوات الخمس الفائتـات ـ من لقـاءات وحلقـات نقـاش وبحـوث ونـدوات ومـؤتمرات وتوصيات وقرارات، ومع ذلـك فالمحصلة ـ حتى الآن على الأقل ــ للمجتمعات غير المشـاكسـة والمهـاجمة وصاحبـة الشركات متنوعة النشاطات وعابرة القارات، خلفًا دُرْ. . !! أي عودة إلى الوراء.

. . ففي حلمها الدائم بجسور تعـارف وتعاون وتكامل مع حضـــارات أخـــرى مـن أجل مشروع حضـــاري يحقق للإنسانية سلامًا ووئامًا وتقدما ورفاهية؛ انجرفت مجتمعات كثيرة إلى دائرة الخروج من ذاتها الثقـافيـة بعد أن دهستهـا ـ شيئًا فشيئًـا ـ طرائق غـريبة على حياتها: مـادية؛ من آلات وإنشـاءات وأزيـاء، ومعنويـة: من لغـات وآداب وفنـون وأنماط حياة للتكيف مع الوافد الجديد، لدرجة أصبح معها مثقف العالم «المتنامي» إشكالية أزلية لبيئته النافر منها، فلا هو أدى دوره كما يتـوسم فيه أهله، ولا هـو فَهِم حقيقته إذ أصبح مجرد أرقام في أرقام:

في الهاتف المنزلي

والسيّار

والنداء الآلي

والحسابات العلنية والسريّة

والصرّاف الفوري

إلى أحـدث مـا تجود به الحضـارة التي شيأت إنسـانيـة الإنسان فينا.

أما خصوصية الثقافات فلا، ونـدِّيَّة العلاقات الثقافية بين البيئات فغير واردة، وكيف «لا» وأغلب هؤلاء ـ المثقفين ـ بياقاتهم البيضاء المُنشّـاة أصحاب نفوذ ومصالح وقرارات أيضا في الهيمنة عابرة القارات؟!!

أمـا غير المثقفين فأغلبهم بـرمجوا أنفسهم على تـوقيت برامج قنـوات العالم التي صـارت عند أطـراف أصابعهم، وانداحت قيم؛ وحلّت أخرى غريبة، وأصبحت الأصالة ـ في آرائهم ــ تحجرا، والثوابـت ولّى زمنها في عصر المتغيرات الإلكترونيـة، حتـى بـراءة «ماكـوندو مـاركيز» أضحـــت مجرد قـرية أسطـورية، و«جماليـة» محفوظ خـرافات تخلّف، أمـا «تكية» اليـوغوسلافي المسلم ميشا سليمـو فيتش فتعد خبرا لجسر حضـاري امتد بـدين الإنسانيـة إلى أوروبا، بعـد أن دحـرج مواطنيـه ذئابُ المساء وأضـافـوهم كسور أرقـام في أعداد لاجئي العـالم لتزداد نسبة المسلمين بينهم ــ كما تقول إحصـاءات الأمم المتحـدة ــ وليرتفع الـرقم كثيرًا عن ٨,٧ مليون لاجئ مسلم؛ خاصة إذا أضفنا إليه ـ الرقم ـ إخواننا من لاجئي أفغانستـان والصومال والفلبينيين والفلسطينيين ومسلمي أوروبا الشرقية!!

وتعمينـا أحقـاد القتل والنهب وبشـاعـة التعــذيب والعداوات المستمرة، ونصرخ فقط أمام شاشات التليفزيون [أو التلفاز أو المرناة أو الرائي ـ كما يتحذلق متحـذلقون] ونحـزم حقائبنـا لنلحق بمـؤتمر أو حلقـة نقاش في أصـول الثقافة. . !!

ونقول برامج وعقود ثقافية؟!!

يَا لاغتيال البراءة. . !!

د. مرعي مدكور